

تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبي ومحمد حسن جالى الحلبي برخصة نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبعة عشر وثلاثمائة والف

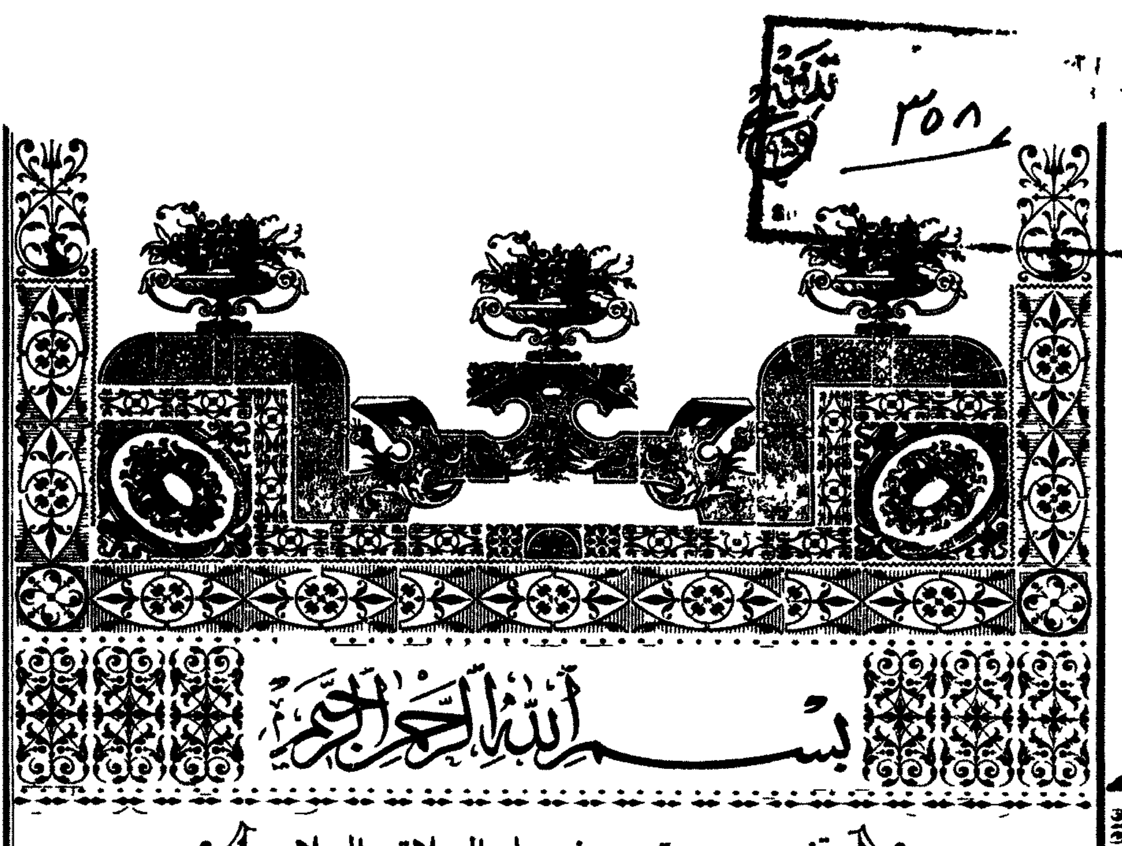


الجزء الثالث

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف
الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعه ومحيي السنة
علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف
بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين
ابن العربى اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبى و محمد حسن جالى الحلبى برخصة نظارة
المعارف التى لابدّ منها فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة والف



تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

وهى مكية باجماعهم وهى مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وفى سبب نزولها قولان ٭ أحدهما ما روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص ٭ القول الثانى رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

٭ قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره فى أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أى البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا) اى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا مافيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب و يعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا

الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر تلك آيات الكتاب المبين) مر ذكره (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) لكون لفظه وتركيبه اعجازا وظاهر معناه مطابقا للواقع وباطنه دالا على صورة السلوك وبيان حال السالك كالقصص الموضوعة لذلك وأشد طباقا وأحسن وفاقا منها (اذ قال يوسف لابيه ياابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) هذه من المنامات التى ذكرنا فى سورة هود

الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال فى القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول . واحتج بهذه الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبى عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى . ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية فى الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (لعلكم تعقلون) يعنى تفهمون ايها العرب لانه نازل بلغتكم * قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الاصل فى معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه وأصله فى اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيأ فشيأ والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة فى هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لايسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها * وقوله تعالى (بما أوحينا اليك) يعنى بايحائنا اليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أى وقد كنت (من قبله) يعنى من قبل وحينا اليك (لمن الغافلين) يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب . قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله * قوله عز وجل (اذ قال يوسف لابيه) أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبرى ولذلك لايجرى فيه الصرف وقيل هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمعا فى يوسف فسمى به (يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم فى التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه فى قول قتادة وقال السدى القمر خالته لان أمه راحيل قد ماتت وقال قتادة

انها تحتاج الى تعبير لانتقال المتخيلة من النفوس الشريفة التى عرض على النفس من الغيب سجودها له الى الكواكب والشمس والقمر وما كانت فى نفس الامر الا أبويه واخوته (قال يا بنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) هذا من الالهامات المجملة فانه قد يلوح صورة الغيب من المجردات الروحانية على الوجه الكلى العالى عن الزمان فى الروح ويصل أثره الى القلب ولا يتشخص فى النفس مفصلا حتى يقع العلم به كما هو فيقع فى النفس منه خوف واحتراز ان كان مكروها وفرح وسرور ان كان مرغوبا ويسمى هذا النوع من الالهام انذارات وبشارات فخاف عليه السلام من وقوع ما وقع قبل وقوعه فنهاه عن اخبارهم برؤياه احترازا ويجوز أن يكون احترازه كان من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته وزيادة قدره على اخوته فخاف من حسدهم عليه عند شعورهم بذلك (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك

وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين واراد بالسجود تواضعهم له دخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان فى ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود. فان قلت ان الكواكب جاد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل فى قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح. فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لى ساجدين فما فائدة هذا التكرار. قلت معنى الرؤيا الاولى انه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبويه يخضعون له فلهذا (قال) يعقوب (يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك) يعنى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا) أى فيحتالوا فى اهلاكك فامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام فى فيكيدوا لك كيدا تأكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبى قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شره ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه عن أبى رزين العقيلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من اربعين وفى رواية جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا احدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى مذهب اهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه

من تاويل الاحاديث) أى مثل ذلك الاصطفاء بارادة هذه الرؤيا العظيمة الشأن يصطفيك للنبوة اذ الرؤيا الصادقة خصوصا مثل هذه من مقدمات النبوة فعلم من رؤياه انه من المحبوبين الذى يسبق كشوفهم سلوكهم (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على أبويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم) بالنبوة والملك (لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين) اى آيات معظمات لمن يسأل عن قصتهم ويعرفها تدلهم أولا ان الاصطفاء المحض امر مخصوص بمشيئة الله تعالى لا يتعلق بسعى ساع ولا ارادة مريد فيعلمون مراتب الاستعدادات فى الازل وثانيا على ان من اراد الله به خيرا لم يمكن لاحد دفعه ومن عصمه الله لم يمكن لاحد رميه بسوء ولا قصده بشر فيقوى يقينهم وتوكلهم ويشهدون تجليات أفعاله وصفاته وثالثا على ان كيد الشيطان واغواءه أمر لا امن منه أحد حتى الانبياء فيكونون منه على حذر واقوى من ذلك كله انها

الاعتقادات فكانه جعلها علماء على امور أخر يجعلها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن بخلق الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علماء على مايسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق ماهو علم على مايضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لافعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيأ والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه مايحب أن يحدث به من يحب واذا رأى مايكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لاتضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم * قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهي تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لانه يؤول أمره الى مارأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بأن جعلهما نبيا وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعني بمصالح خلقه (حكيم) يعني انه تعالى لايفعل شيأ الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضي أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه * قوله عز وجل (لقد كان في يوسف واخوته) يعني في خبره وخبر اخوته وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احداهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان

تطلعهم من طريق الفهم الذي هو الانتقال الذهني على احوالهم في البداية والنهاية ومابينهما وكيفية سلوكهم الى الله فتثير شوقهم وارادتهم وتشحذ بصيرتهم وتقوي عزيمتهم وذلك ان مثل يوسف مثل القلب المستعد الذي هو في غاية الحسن المحبوب الموموق الى أبيه يعقوب العقل المحسود من اخوته من العلات أي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والغضب والشهوة نى النفس الا الذاكرة فانها لاتحسدوه ولا تقصدوه بسوء فبقيت احدى عشرة على عددهم واما حسدهم عليه وقصدهم بالسوء فهو أنها تجذب بطبائعها الى لذاتها ومشتهياتها وتمنع استعمال العقل القوة المفكرة في تحصيل كمالات القلب من العلوم والاخلاق وتكره ذلك ولاتريد الا استعماله اياها في تحصيل اللذات البدنية ومشتهيات تلك القوى الحيوانية ولاشك ان الفكر نظره الى القلب أكثر وميله الى تحصيل السعادات القلبية من العلوم والفضائل أشد واوفر

وذلك معنى قولهم (اذقالوا ليوسف واخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) وأخوه هو القوة العاقلة العلمية من أم يوسف القلب التى هى راحيل النفس اللوامة التى تزوجها يعقوب القلب بعد وفاة ليا النفس الامارة وانما قالوا ليوسف وأخوه لان العقل كما يقتضى تكميل القلب بالعلوم والمعارف يقتضى تكميل هذه القوة باستنباط أنواع الفضائل من الاخلاق الجميلة والاعمال الشريفة ونسبتهم اياه الى الضلال الذى هو البعد عن الصواب بقولهم (ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) قصورها عن النظر العقلى وبعد طريقها عن طريقتها فى تحصيل الملاذ البدنية والقاؤهم اياه فى غيابة الجب استيلاؤها على القلب وجذبها اياه الى الجهة السفلية بحدوث محبة البدن وموافقاته له حتى ألقى فى قعر جب الطبيعة البدنية الا أنه ألبس قميصا من الجنة أتى به جبريل ابراهيم عليه السلام يوم جرد وألقى فى النار فألبسه اياه وورثه اسحق وورثه

ونفتالى و جادوآ شر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعدد هم اثنا عشر نفرا (آيات للسائلين) وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما فى التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيأ فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه فى الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (اذ قالوا) يعنى اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعنى بنيامين وهما من أم واحدة (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هى العشرة فما زاد وقيل هى ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هى ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر (ان أبانا لفى ضلال مبين) يعنى لفى خطأ بين فى ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لانفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذا لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أراد وابه الخطأ فى أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ فى صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا فى المحبة المحضة ومحبة القلب ليس فى وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير اولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة مالم يره فى سائر اخوته * فان قلت الذى فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح فى عصمة الانبياء فما الجواب عنه * قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر فى عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة فى عصمة الانبياء * قوله تعالى حكاية عن

اخوة

اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أوالتغريب الى أرض يحصل الياس من اجتماعه بابيه بان تفترسه الاسد والسباع أو يموت فى تلك الارض البعيدة ثم ذكر والعلة فى ذلك وهى قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك يوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعنى من بعد قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه (قوما صالحين) يعنى تائبين فتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذى عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين فى المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم . فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهو أنبياء . قلت الجواب ماتقدم انهم لم يكونوا أنبياء فى ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة فى عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذى أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوروه فى ذلك فأشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف) يعنى قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا (وألقوه فى غيابت الجب) يعنى ألقوه فى أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيأ وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمى بذلك لانه جب أى قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه فى موضع من الجب مظلم لايراه أحد واختلفوا فى مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو أرض الاردن وقال مقاتل هو فى أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التى ذكروها وهى قولهم (يلتقطه بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشئ من الطريق أو من حيث لايحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لاتفعلوا شيأ من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا ياأبانا استغفرلنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لاذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لاذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لاييأس أحد من رحمة الله وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف) بدؤا بالانكار عليه فى ترك ارسال يوسف

منه يعقوب فعلقه فى تميمة على عنقه فاتاه جبريل فى البئر فأخرجه وألبسه اياه والا لغمره الماء وظهرت عورته كاقيل وهواشارة الى صفة الاستمداد الاصلى والنور الفطرى وذلك هو الذى منع ابراهيم عن النار وحماه باذن الله حتى صارت عليه بردا وسلاما واستنزالها العقل الفكر فى باب المعاش وتحصيل أسبابه والتوجه نحوه هو معنى قولهم (يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف والقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون) اى فى ترتيب المعاش وتهيئة اسبابه على حسب المراد ومراودتها للعقل عن القلب بالتسويلات الشيطانية والتعزيرات النفسانية مع كراهية العقل لذلك هو معنى قولهم عند مراودة يعقوب عنه (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب ونحن عصبة انا

معهم كانهم قالوا أتخافنا عليه اذا أرسلته معنا (وانا له لناصحون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا لابيهم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (نرتع) الرتع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا أنفقه فى شهواته والاصل فى الرتع أكل البهائم فى الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب ننعم ونأكل ونلهو وننشط (وانا له لحافظون) يعنى نجتهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لايقدر ان نصبر عنه ساعة والثانى قوله (وأخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المنام ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب عليه الصلاة والسلام يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اى جماعة عشرة رجال (انا اذا لخاسرون) يعنى عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون * قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (واجمعوا ان يجعلوه فى غيابت الجب) يعنى وعزموا على ان ان يلقوه فى غيابة الجب

(ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام)

قال وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أما تشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أتسأل أباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ماتقول يابنى قال نعم ياأبت انى أرى من اخوتى اللين واللطف فأحب ان تأذن لى وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض واظهروا له ما فى أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه

اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا ياابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه) وافتراؤهم على الذئب هو ان القوة الغضبية اذا ظهرت واستشاطت حجبت القلب بالكلية عن عن افعاله الخاصة به والظاهر من حالها انها اقوى اضرارا به وابطالا لفعله وحبساله الذى هو معنى الاكل مع ان القوة الشهوانية والحواس وسائر القوى اشد نكاية فى القلب واضربه فى نفس الامر واجذب له الى الجهة السفلية واشد اباء وامتناعا من قبول السياسات العقلية وطاعة الاوامر والنواهى الشرعية واذعان

فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا أبتاه يايعقوب لو رأيت يوسف ومانزل به من اخوته لاحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ماأسرع مانسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكى بكاء شديدا فأخذه روبيل وجلد به الارض ثم جثم على صدره وأرا دقتله فقال له يوسف مهلا يا أخى لاتقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله فىّ وحل بينى وبين من يريد قتلى فأدركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يااخوتى ماعلى هذا ماعدتمونى الاأدلكم على ماهو أهون لكم وأرفق به فقالوا وماهو قال تلقونه فى هذا الجب اما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه فى البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه فقال يا أخوتاه ردوا على قميصى لاستتر به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال انى لم أر شيأ فالقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتا أتدعونى فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه فى دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه فى الجب جعل يبكى فنادوه فظن انها رحمة أدركتهم فاجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك . وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قميص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين ألقى فى النار فجعله يعقوب فى قصبة فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين ألقى فى الجب فاضاء له الجب . وقال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيأ فقل ياصريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويامفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولايخفى عليك شئ من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب وقال محمد بن مسلم الطائفى لما ألقى يوسف فى الجب قال ياشاهدا غير غائب وياقريبا غير بعيد وياغالبا غير مغلوب اجعل لى فرجا مما أنافيه فما بات فيه واختلفوا فى قدر عمر يوسف يوم ألقى فى الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث فى الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) يعنى لتخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا فى ذلك الوقت اوكان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الاأن الله عزوجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحى والنبوة كما قال فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام . فان قلت كيف جعله نبيا فى ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من

القلب بالموافقة فى طلب الكمالات الروحية منها وظهور ذلك الاثر من القوة الغضبية مع كونه بخلاف ذلك فى الحقيقة هو الدم الكذب على قميصه وابيضاض عين يعقوب فى فراقه عبارة عن كلال البصيرة وفقدان نور العقل عند كون يوسف القلب فى غيابة جب الطبيعة وبعض السيارة الذى اخرجه من البئر هو القوة الفكرية وشراؤه من عزيز مصر (بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته) تسليمهم له الى عزيز الروح الذى هو من مصر مدينة القدس بما يحصل للقوة الفكرية من المعانى والمعارف الفائضة عليها من الروح عند استنارتها بنوره وقربها منه فان القوة الفكرية لما كانت قوة جسمانية والقلب ليس بجسمانى لم تصل الى مقامه الا عند كونه مغشى بغشاوات النفس فى مقام الصدر اى الوجه الذى يلى النفس منه واما اذا تجرد فى مقام الفؤاد اووصل الى مقام الروح الذى سموه السر فتتركه عند عزيز

ارسل اليه قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحى ويكرمه بالنبوة والرسالة فى ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة فى وقتها وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحى الهام كما فى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى والقول الاول اولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعنى بايحائنا اليك وانت فى البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة فى اخفاء ذلك الوحى عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى اوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره وقهره

* قوله تعالى (وجاؤا اباهم عشاء يبكون) قال المفسرون لما طرحوا يوسف فى الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشاء ليكونوا فى الظلمة اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع اصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بنى هل اصابكم شئ فى غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعنى ننتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا فى الرمى والاصل فى السبق الرمى بالسهم وهو التناضل ايضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال السدى يعنى نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين اينا اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى فى حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما انت بمؤمن لنا) يعنى وما انت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعنى فى قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدقنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا فى قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك امارة تدل على صدقنا (وجاؤا على قميصه) يعنى قميص يوسف (بدم كذب) اى مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا اباهم وفى القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذئب انت اكلت ولدى وثمرة فؤادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا ان نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهى قرابة لى فاخذونى واتوا بى اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم انفسكم امرا) يعنى بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقدير معنى فى النفس مع الطمع فى اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اى سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ركبتموه من يوسف وهونتموه فى انفسكم واعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذئب بل سولت لكم انفسكم امرا آخر غير ما تصفون (فصبر جميل) اى فشأنى صبر جميل وقيل معناه فصبرى صبر جميل والصبر الجميل الذى لا شكوى

الروح وتسلمه اليه وتفارقه على الدريهمات التى تحصل لها بقربه من المعانى المذكورة وامرأة العزيز المسماة زليخاء التى اوصى اليها به بقوله (اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) هى النفس اللوامة التى استنارت بنور الروح ووصل اثره اليها ولم تتمكن فى ذلك ولم تبلغ الى درجة النفس المطمئنة وتمكين الله اياه فى الارض اقداره بعد التزكية والتنور بنور الروح على مقاومة النفس والقوى وتسليطه على ارض البدن باستعمال آلاته فى تحصيل الكمالات وسياستها بالرياضات حتى يخرج ما فى استعداده من الكمال الى الفعل كما قال (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اى ولنعلمه فعلنا ما فعلنا به من الانجاء والتمكين (والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) بالتأييد والتوفيق والصبر حتى يبلغ غاية كمال اشده من مقامه الذى يقتضيه استعداده فيؤتيه العلم والحكمة كما قال (ولما بلغ اشده آتيناه حكما

فيه ولاجزع وقيل من الصبران لاتحدث بمصيبتك ولاتزكين نفسك (والله المستعان على ماتصفون) يعنى من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ماتصفون * قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سموا سيارة لمسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما القى يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد الذى هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشية والدلاء يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها فى البئر ودلوتها اذا اخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال فكان يوسف عليه السلام احسن مايكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وامه بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار وقال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه ولايستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كاحسن مايكون من الغلمان (قال) يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر (يابشرى) يعنى يقول الوارد لاصحابه ابشروا (هذا غلام) وقرئ يابشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول يازيد ويقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد اسره مالك بن ذعر واصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف يعنى انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخالهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر واصحابه والقول الاول اصح لان مالك بن ذعر هو الذى اسره بضاعة واصحابه (والله عليم بما يعملون) يعنى من ارادة هلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده فى الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذاهم بمالك بن ذعر واصحابه نزولا قريبا من البئر فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولايعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) اى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشئ بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير فى وشروه وفى وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شئ واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير فى وشروه يعود على مالك بن ذعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بثمن بخس)

وعلما) والاشد هو نهاية الوصول الى الفطرة الاولى بالتجرد عن غواشى الخلقة الذى نسميه مقام الفتوة . ولكن اكثر الناس لايعلمون ان الامر بيد الله فى ذلك فيضيفون الى السعى والاجتهاد والتربية ولا يعلمون ان السعى والاجتهاد والتربية والرياضة ايضا من عند الله جعلها الله اسبابا ووسايط لما قدره ولذلك لم يعزلها وقال بعد قوله آتيناه حكما وعلما (وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لايفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر) فى الطلب والارادة والاجتهاد والرياضة ومراودة زليخاء اياه عن نفسه وتغليقها الابواب عليه اشارة الى ظهور النفس اللوامة بصفتها فان التلوين فى مقام القلب يكون بظهور النفس كما ان التلوين فى مقام

قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدى بخس اى حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا لانه مبخوس البركة يعنى منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اى زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس اى ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اى قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس فى اللغة هو نقص الشئ على سبيل الظلم والبخس والباخس الشئ الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم فى ذلك الزمان ما كانوا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها عددا فاذا بلغت اربعين درهما وهى اوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ اخوه من امه وابيه شيأ منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعنى وكان اخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان فى كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير فى قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهد هم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشترى قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقى قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة اوسبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذى اشتراه من مصر) يعنى قطفير من اهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (اكرمى مثواه) يعنى اكرمى منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه فى المطعم والملبس والمقام (عسى ان ينفعنا) يعنى ان اردنا بيعه بعناه بربح اويكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (او نتخذه ولدا) يعنى نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز فى يوسف حيث قال لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب فى موسى حيث قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وابوبكر فى عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا

الروح يكون بوجود القلب وجذبها للقلب الى نفسها بالتسويل والاستيلاء عليه وتزيين صفاتها ولذاتها وسدها طرق مخرجه الى الروح بحجبها مسالك الفكر ومنافذ النور بصفاتها الحاجبة وهمها ميل القلب اليها لعدم التمكين والاستقامة ورؤيته البرهان ربه ادراك ذلك التلوين بنور البصيرة ونظر العقل كما قيل فى القصة تراءى له ابوه فزجره او صوت به وقيل ضرب بكفه فى نحره فخرجت شهوته من انامله وذهبت كل ذلك اشارة الى منع العقل اياه عن مخالطة النفس بالبرهان ونور البصيرة والهداية وتأثيره فيه بالقدرة والايد النورى الموجب لذهاب شهوتها وظلمتها النافذ فيها الى اطرافها المزيل عنها بالهيئة النورية الهيئة الظلمانية وقد قميصه من دبر اشارة الى خرقها لباس الصفة النورية التى له من قبل الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة بتأثيرها فى القلب صفتها فانها صفة يكسبها القلب بالجهة التى تلى النفس المسماة بالصدر وهو الدبر لامحالة وقوله (والفيا

ليوسف في الارض) يعنى كما مننـا على يوسف بان انقذناه من القتل واخرجنـاه من الجب كذلك مكناه في الارض يعنى ارض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اى مكناله فى الارض لكى نعلمه من تأويل الاحاديث يعنى عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على امره) قيل الكناية فى امره راجعة الى الله تعالى ومعنـاه والله غالب على امره يفعل مايشاء ويحكم مايريد لادافع لامره ولا رادلقضائه ولا يغلبه شئ وقيل هى راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستـول على امر يوسف بالتدبير والا حاطة لايكله الى احد سـواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) يعنى ماهو صـانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ اشده) يعنى منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجـاهد ثلاثة وثلاثون سـنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدى ثلاثون سنة وقال الكلبى الاشد مابين ثمـان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشـد فقال هوالحلم (آتيناه حكما وعلما) يعنى آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هوالذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هوالذى يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عمـا لاينبغى والعلم هو العلم النظرى (وكذلك) يعنى وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزى المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصـابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) يعنى ان امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) اى اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا فى ستر وخفية اوانها اغلقتها لشـدة خوفها (وقالت هيت لك) اى هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجـاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشئ وقيل هى بالعبرانية واصـلها هيتالج اى تعالى فعربت فقيل هيت لك فمن قال انهـا بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت اصحـاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسـطاس ولغة العرب الفرس فى التنور ولغة العرب الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشـة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) اى اعوذ بالله واعتصم به والجا اليه فيما دعوتنى اليه (انه ربى) يعنى ان العزيز قطفير سيدى (احسن مثواى) أى اكرم منزلتى فلا اخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعـالى والمعنى يقول ان الله ربى احسن مثواى يعنى انه آوانى ومن بلاء الجب نجـانى (انه لايفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لايسعد الزناة ﷺ قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بهـا لولا ان رأى برهان ربه) الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين الاول فى ذكر اقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هوالمقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشئ اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته

سيدها لدا الباب) اشارة الى ظهور نور الروح عند اقبال القلب اليه بواسطة تذكر البرهـان العقـلى وورود الوارد القـدسى عليه واستتباعه للنفس وهى تنازعه بالجذب الى جهتها واستيلائه على القلب ثم على النفس بواسـطته وقولها (قالت ماجزاء من اراد باهلك سوء الا ان يسجن اوعذاب اليم قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شـاهد من اهلها ان كان قيصه قد من قبل فصـدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) تلويح الى ان النفس تسول اغراضها فى صور المصالح العقليـة وتزينهـا بحيث تشتبه مفاسدها بالمصالح العقلية التى يجب على العقل مراعاتها والقيام بها وموافقتها فيها و مخالفته اياها فيها ارادة السوء بها ومقابحها بالمحاسن التى تتعلق بالمعاش كما كرة النساء بالرجال وميل القلب الى الجهة العلوية يكذب قولها ودعواها والشاهد الذى شهد من اهلها قيل كان ابن عم لها اى الفكر الذى يعلم ان الفساد الواقع من جهة الاخلاق والاعمال لايكون الا من قبل النفس واستيلائها اذلوكان من جهة القلب وميله الى النفس

من غير دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به اى ارادته وقصدته فكان همهابه عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشرى هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمر وبن صابئ البرجى همت ولم افعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها اى وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها قال البغوى واما همه بها فروى عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المراة حتى جمع بينهما قال ابوعبيدة القاسم بن سلام وقدانكر قوم هذا القول قال البغوى والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا فى الانبياء من غير علم قال السدى وابن اسحق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكرله محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ماينتثر عن جسدى قالت ما احسن عينيك قال هى اول مايسيل على خدى فى قبرى قالت ما احسن وجهك قال هوللتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب مايجده الرجل وهى امراة حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذى ذكره وسيأتى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون فى هذه الآية اما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التى ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امراة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم اويعمل به ويدل على صحة هذا ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذاهم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذاهم بحسنة فلم يعملها فاكتبوهاله حسنة فان عملها فاكتبوهاله عشرة لفظ مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عزوجل قال ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد فى رواية أو محاها ولن يهلك على الله الا هالك قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لايؤاخذ به وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلامعصية فى هم يوسف اذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو

عنه

لوقع فى الاعتقاد والعزيمة لافى مجرد العمل وقيل كان ابن خالها اى الطبيعة الجسمانية التى تدل على الميل السفلى فى النفس الجاذب للقلب من جهة الصدر المباشر للعمليات الى ارض البدن وموافقاته واطلاع الروح بنور الهداية على ان الخلل وقع فى العمل لافى العقد والعزيمة وذلك لايكون الامن قبل الداعية النفسانية وهو معنى قوله (فلمارأى قميصه قدمن دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) وقوله (يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا) اشارة الى اشراق نور الروح على القلب وانجذابه الى جانبه النازل النورى والخاطر الروحى الذى يصرفه عن جهة النفس ويأمره بالاعراض عن عملها ويذكره لئلا يحدث الميل مرة أخرى وتأثير ذلك الوارد والخاطر فى النفس بالتنوير والتصفية فان تنورها بنور الروح

عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي، ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحروم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى مانقله بعض المفسرين عن الائمة المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيأ من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شئ لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيأ علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شئ كما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام مما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والمولود الذي شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اعترف ايضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من اهلها الآية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روي عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن فحاشى ابن عباس ان يقول مثل

المنعكس اليها من القلب استغفارها عن الهيئة المظلمة التي غلبت بها على القلب ولما بلغ القلب هذا المنزل من الاتصال بالروح والاستشراق من نوره وتنورت النفس بشعاع نور القلب ولصفت عن كدوراتها عشقته للاستنارة بنوره والتشكل بهيئته والتقرب اليه وارادة الوصول الى مقامه لا لجذبه الى نفسه وقضاء وطرها منه باستخدامها اياه في تحصيل اللذات الطبيعية واستنزالها اياه عن مقامه ومرتبته الى مرتبتها ليتشكل بهيئتها ويشاركها في افعالها ولذاتها كما كانت عند كونها امارة فتتأثر قواها حينئذ حتى القوى الطبيعية بتأثرها وذلك معنى قول نسوة المدينة (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن) وكلما استولى القلب عليها بهيئته النورية وحسنه الذاتي الفطري والصفاتي الكسبي

هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض اصحاب القصص واصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ماروى عن مجاهد وغيره ايضا فانه لايكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت مابيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وماصدر من انبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لايبقى لقوله عز وجل لولا انرأى برهان ربه فائدة قلت فيه اعظم الفوائد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف انه لوهم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان ان الامتناع من ضربها اولى . ونا النفس عن الهلاك الوجه الثانى انه عليه الصلاة والسلام لواشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد فى ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام وكان فى علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لوتمزق من قدام لكان يوسف هوالخائن واذا تمزق من خلف كانت هى الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة له لاعليه واما تفسير البرهان على ماذكره المفسرون فى قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يايوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدى نودى يايوسف اتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لايطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لايستطيع ان يدفع عن نفسه شيأ ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايطاق ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل فى قرنه لايستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدى يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يايوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عندالله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من انامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن على بن الحسين قال كان فى البيت صنم فقامت المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يرانى على معصية فقال لها يوسف اتستحيين ممن لايسمع ولايبصر ولايفقه شيأ فانا احق ان استحيى من ربى فهرب فذلك قوله لولا ان رءا برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هوالنبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين مايسخط الله عز وجل الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن

من الترقى الى مجاورة الروح وبلوغه منزل السر استنارت جميع القوى البدنية بنوره لاستتباعه للنفس واستتباعها اياه فشغلت عن افعالها وتحيرت ووقفت عن تصرفاتها فى الغذاء وذهلت عن سكاكين الاتها التى كانت تدبر بها امر التلذذ والتغذى والتفكه وجرحت قدرتها التى تستعمل بها الآلات فى تصرفاتها وبقيت مبهوتة فى متكآتها التى هى محالها فى اعضاء البدن التى هيأتها لها النفس فى قراها وهو معنى قوله (فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) وقولها اخرج عليهن استحلاؤها نوره بالارادة واقتضاؤها طلوعه عليها بحصول استعدادها لتنورها ولما انخرطت النفس فى سلك ارادة القلب وقلت منازعتها اياه فى عزيمة السلوك وتمرنت لمطاوعته حان وقت الرياضة بالدخول فى الخلوة لتجرد القلب حينئذ عن علائقه ومواله وتجريده عزمه بانتفاء التردد اذ بتردد العزم بانجذابه الى جهة النفس تارة والى جهة

الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل مالايليق فعله (كذلك) يعنى كما اريناه البرهان كذلك (لنصرف عنه السوء) يعنى الاثم (والفحشاء) يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل * قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب حتى لايخرج والسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لايخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قميصه من دبر) يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (والفيا سيدها لدى الباب) يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعنى لزوجها (ماجزاء من اراد بأهلك سوء) يعنى الفاحشة ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت (الا ان يسجن) اى يحبس فى السجن و يمنع التصرف (او عذاب اليم) يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لا يشتهى ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرهن عن نفسه (قال) يعنى يوسف (هى راودتنى عن نفسى) يعنى طلبت منى الفحشاء فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ماكان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى (وشهد شاهد من اهلها) يعنى وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا فى ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا فى المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوى بغير سند والذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة فى الصحيح قيل كان هذا الصبى شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا راى وقال السدى هو ابن عم المرأة فحكم فقال (ان كان قميصه قدمن قبل) اى من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدمن دبر) اى من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون اقوى فى نفى التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفى التهمة عنه من وجوه منها ان كان فى الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لايبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا

الروح اخرى لا تمكن الرياضة ولا السلوك ولا تصح الخلوة لفقدان الجمعية التى هى من شرطها وهذه الرياضة ليست رياضة النفس بالتطويع فانها لاتحتاج الى الخلوة بل الى ترك ارتكاب المخالفات والاقدام على كسرها وقهرها بالمقاومات من انواع الزهد والعبادة انما هى رياضة القلب بالتنزه عن صفاته وعلومه وكمالاته وكشوفه فى سلوك طريق الفناء وطلب الشهود واللقاء وذلك بعد العصمة من استيلاء النفس عليه كما قالت (فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) طلب العصمة من نفسه واستزادها (ولئن لم يفعل ما آمره) من ايفاء حظى ليمنعن من اللذات البدنية وروح الهوى والمدركات الحسية بالخلوة والانقطاع عنها (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) لفقدان كرامته وعزته عندنا واحتذائنا عنه واعتزاله عن رياسة الاعوان والخدم فى البدن ولما حببت اليه الخلوة كما حببت الى

يوسف يعدو هاربا منها والطالب لايهرب ومنها انهم راوا المرأة قد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا يوسف فى المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا (فلما راى قيصه قد من دبر) يعنى فلما راى قطفير زوج المراة قيص يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امراته وبراءة يوسف (قال) يعنى قال لها زوجها قطفير (انه) يعنى هذا الصنيع (من كيدكن) يعنى من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اعظم من مكر النساء قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ماهو اعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك واما عظم كيد النساء ومكرهن فى هذا الباب فهو اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد فى اتمام مراد هن مالا يقدر عليه الرجال فى هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعنى يا يوسف (اعرض عن هذا) يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لايفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لاتكترث بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفرى لذنبك) يعنى توبى الى الله بما رميت يوسف به من الخطيئة وهو برئ منها وقيل ان هذا من قوله الشاهد يقول للمراة سلى زوجك ان يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو برئ وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين * قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن اربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة فى مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امراة حاجب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى حجب حبه قلبها حتى لاتعقل شيأ سواه (انا لنراها فى ضلال مبين) يعنى فى خطاء بين ظاهر حيث تركت مايجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكرا لانهن

طلبن

رسول الله صلى الله عليه وسلم عند التحنث فى حراء (قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه) وانما قال مما يدعوننى اليه ودعا ربه ان يصرف عنه كيدهن بقوله (والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) لان فى طباعها الميل الى الجهة السفلية وجذب القلب اليها وداعية استنزاله اليها بحيث لايزول ابدا وتنورها بنوره وطاعتها له امر عارضى لايدوم والقلب يمدها فى اعمالها دائما فانه ذو طبيعتين وذووجهين ينزع باحداهما الى الروح وبالاخرى الى النفس ويقبل بوجه الى هذه وبوجه الى هذه فلاشئ اقرب اليه من الصبوة اليها بجهالته لولم يعصمه الله بتغليب الجهة العليا وامداده بانوار الملاء الاعلى كما قال النبى عليه السلام اللهم ثبت قلبى على دينك قيل له او تقول ذلك وانت نبى يوحى اليك قال ومايؤمننى ان مثل القلب كمثل ريشة فى فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت وذلك الدعاء هو صورة افتقار القلب الواجب عليه

طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا (ارسلت اليهن) يعنى انها لما سمعت بأنهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن • قال وهب اتخذت مائدة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتى عيرنها (واعتدت لهن متكأ) يعنى ووضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعنى طعاما وانما سمى الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان اى طعمنا عنده والمتكأ مايتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شئ يقطع بالسكين او يحز يقال ان المراة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتى عيرنها بحب يوسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعنى واعطت كل واحدة من النساء سكينا لتاكل بها وكان من عادتهن ان يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأته فى مكان آخر (فلما رأينه) يعنى النسوة (اكبرنه) يعنى اعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد اعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوى بغير سند وقال اسحق بن ابى فروة كان يوسف اذا سار فى ازقة مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عزوجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن امره وبهتن اليه وفى رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اى حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة فى اللغة والهاء فى اكبرنه تمنع من هذا لانه لايجوز ان يقال النساء قد حضنه لان حضن لايتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة فى اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت اول ماتحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اى حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناله وجعلنا الهاء فى قوله اكبرنه هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المراة اذا خافت اوفزعت فربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وماهالهن من امر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى انه يحتمل وجها آخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه واعظمنه ووقع الرعب والمهابة فى قلوبهن قال وحمل الآية على هذا

ابدا (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) اى ايده بالتأييد القدسى قواه بالالقاء السبوحى فصرف وجهه عن جناب الرجس الى جناب القدس ودفع عنه بذلك كيدهن (انه هو السميع) لمناجاه القلب فى مقام السر (العليم) بماينبغى ان يفعل به عند افتقاره اليه (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما) اى ظهر لعزيز الروح ونسوة النفس والقوى واعوان الروح من العقل والفكر وغيرها رأى متفق عليه من جميعها وهو ليسجننه اى ليتركنه فى الخلوة التى هى احب اليه اما الروح فلقهره اياه بنور الشهود ومنعه عن تصرفاته وصفاته واما النفس وسائر القوى فلامتناعها عن استجذابه اليها من بعد ما رأوا آيات العصمة وصدق العزيمة وعدم الميل اليها وقهره عليها بنوره واخلاصه فى الافتقار الى الله والالتجاء اليه وتأمنه فى الخلوة واما الوهم فلانهزامه عن نوره وفراره من ظله عند التصلب فى الدين والتعود

الوجه اولى (وقطعن ايديهن) يعنى وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التى معهن وهن
يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما
احسن الابالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال
وهب مات جماعة منهن (وقلن) يعنى النسوة (حاش لله ماهذا بشرا) اى معاذ الله ان
يكون هذا بشرا (ان هذا الاملك كريم) يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن
العظيم المفرط ليوسف لانه قدركز فى النفوس ان لاشئ احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه
ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التى تحصل للبشر
وصفن يوسف بذلك * قوله تعالى (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) يعنى قالت امرأة العزيز
للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتننى فى محبته وانما قالت ذلك لاقامة
عذرها عندهن حين قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعانى حبا وانما قالت فذلكن الخ
بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر
رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن
عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن ثم لمتننى فيه ثم ان
ان امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعنى فامتنع
من ذلك الفعل الذى طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لاملامة عليها منهن وانهن
قد اصابهن ما اصابها عند رؤيته ثم ان امراة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما آمره) يعنى
وان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) اى ليعاقبن بالسجن والحبس (وليكونا من
الصاغرين) يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه
فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المراة بذلك (قال رب) اى يارب (السجن
احب الى مما يدعوننى اليه) قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما اضافه اليهن جميعا خروجا
من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع
مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بحضرتهن قال بعضهم لو لم يقل السجن
احب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسأل الله العافية (والا تصرف عنى كيدهن)
يعنى مااردن منى (اصب اليهن) اى اميل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه
(واكن من الجاهلين) يعنى من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه
دليل على ان من ارتكب ذنبا انما ارتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعنى فاجاب الله تعالى
دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعنى لدعاء يوسف وغيره (العليم)
يعنى بحاله وفى الآية دليل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما ابتلته البلية بكيد النساء
ومطالبتهن اياه بما لايليق بحاله لجأ الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه مانزل به
من ذلك الامر مع الاعتراف بانه لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على انه لايقدر احد على
الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به * قوله عز وجل (ثم بدا لهم) يعنى للعزيز واصحابه
فى الراى وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك
ان المراة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قد راودته

عن

بالحق واما العقل فلتنوره
بنور الهداية واما الفكر
فلحصول سلطانه فى الخلوة
والفتيان اللذان دخلا معه
السجن احدهما قوة المحبة
الروحية اللازمة له وهو
شرابى الملك الذى يسقيه
خمر العشق كما قيل فى القصة
انه كان شرابيه والثانى
هوى النفس التى لاتفارقه
ايضا بحال فان الهوى حياة
النفس الفائضة اليها منه
لاستبقائها وهو خباز الملك
الذى يدبر الاقوات فى المدينة
كما قيل وهما يلازمانه فى الخلوة
دون غيرهما ومنام الشرابى
فى قوله (انى ارانى اعصر
خمرا) اهتداء قوة المحبة
الى عصر خمر العشق من
كرم معرفة القلب فى نوم
الغفلة عن الشهود الحقيقى
ومنام الخباز فى قوله (وقال
الآخر انى ارانى احمل فوق
رأسى خبزا تأكل الطير
منه نبئنا بتأويله انا نريك
من المحسنين) توجه الهوى
بكليته الى تحصيل لذات طير
القوى النفسانية وحظوظها
وشهواتها وشبهت بالطير
فى جذب ماتجذبه من
الحظوظ لسرعة حركتها
نحوه وقوله (قال لايأتيكما
طعام ترزقانه الا نبأتكما

عن نفسه فاما ان تاذن لى فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فراى حبسه (من بعد ماراوا الآيات) يعنى الدلالة الصدق على يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) اى ليحبسن يوسف فى السجن (حتى حين) يعنى الى مدة يرون رايهم فيها وقال عطاء الى ان تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين فحبسه قال السدى جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمراة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن ثروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب فى ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى عبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبرانى فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير ان يكونا قد رأيا شيأ قال ابن مسعود مارايا شيأ انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رايا رؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رايا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا على مارايتما فقصا عليه مارايا فذلك قوله تعالى (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى ارانى اعصر خمرا) يعنى عنبا سمى العنب خمرا باسم مايؤل اليه يقال فلان يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال انى رايت فى المنام كانى فى بستان واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كاس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه) وذلك انه قال انى رايت فى المنام كان فوق راسى ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها (نبئنا بتأويله) اى اخبرنا بتفسير مارايناه ومايؤل اليه امر هذه الرؤيا (انا نراك من المحسنين) يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ماكان احسانه فقال كان اذا مرض انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع عليه واذا احتاج احد جمع له شيا وكان مع هذا يجتهد فى العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يافتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن اين انت قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سارفق بك واحسن جوارك واختر اى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف انشدكما الله

بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى) اشارة الى منعه اياهما عن حظوظهما الابعد تبيينه لهما مايؤل اليه امرهما من شأنهما الذى يجب لهما القيام به بالسياسة والتشديد والتقويم والاصلاح والطهارة التوحيد لهما بقوله انى تركت الى آخره بعثه اياهما على القيام بالامر الالهى الضرورى وترك الفضول والامتناع عن تفرق الوجهة وتشتت الهم فان خاصية الهوى الفرقة والتوزع وتعبد الشهوات المختلفة للقوى المتنازعة وخاصية المحبة فى البداية وقبل الوصول الى النهاية التعلق بحسن الصفات والتعبد لها دون جمال الذات فدعاهما الى التوحيد بقوله (انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله) اى المشركين العابدين الاوثان صفات النفس بل لوجود القلب وصفاته (وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابرهيم واسحق ويعقوب) اى وهم عن البقاء فى العالم الروحانى محجوبون وقوله (ماكان لنا ان نشرك بالله

ان لاتحبانى فوالله ما احبنى احد قط الادخل على من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل علىّ من ذلك بلاء واحبنى ابى فالقيت فى الجب واحبتنى امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤيا هما كره يوسف ان يعبر ها لهما حين سالاه لما علم ما فى ذلك من المكروه لاحد هما و اعرض عن سؤالهما واخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد و قيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته فى العلم اعلى و اعظم مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولاشك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤيا هما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احد هما سيصلب فأراد ان يدخله فى الاسلام و يخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لايأتيكما طعام ترزقانه الانبأتكما بتأويله) قيل اراد به فى النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه فى نومكما الا اخبرتكما خبره فى اليقظة وقيل اراد به فى اليقظة يقول لايأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعنى تطعمانه وتأكلانه الانبأتكما بتأويله يعنى اخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذى يصل اليكما فيه (قبل ان يأتيكما) يعنى قبل ان يصل اليكما واى طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولاعراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذى اخبر هما به (ذلكما مما علمنى ربى) يعنى ان هذا الذى اخبرتكما به وحى من الله اوحاه الى وعلمنيه (انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله) فان قلت ظاهر قوله انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا فى هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا و ظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك فى قوله تركت . قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه . الوجه الثانى وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكار هم للمعاد وقوله (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا فى الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة فى الآخرة اظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد

ماكان

من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ياصاحبى السجن) وقوله (أارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الااسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ان الحكم الالله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ياصاحبى السجن) اى اذا كان لكل منكما ارباب كثيرة كما قال تعالى فيه شركاء متشاكسون يأمره هذا بأمر وهذا بأمر متنازعون فى ذلك عاجزون اما للمحبة فكالصفات والاسماء واما للهوى فكالقوى النفسانية كان خيراله امرب واحد لايأمره الابأمر واحد كما قال وما امرنا الا واحدة قهار قوى يقهر كل احد لايمانعه فى امر شئ ولا يمتنع عليه واجبرهما بالسياسة على اتحاد الوجهة فان القلب اذاغلبت عليه الوحدة امتنعت محبته عن حب الصفات وانصرفت الى الذات واذا تمرن فى التوحيد انقمع هواه عن تعبد

(ماكان لنا ان نشرك بالله من شئ) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغى لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التى اختصنا بها قال الواحدى لفظة من فى قوله من شئ زائدة مؤكدة كقولك ماجاء نى من احد وقال صاحب الكشاف ماكان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان من ملك اوجنى اوانسى فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعنى ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعنى بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن اكثر الناس لايشكرون) يعنى ان اكثرهم لايشكرون الله على هذه النعم التى انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال (يا صاحبى السجن) يريد يا صاحبى فى السجن فاضا فهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد يا ساكنى السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة (ءارباب متفرقون) يعنى ءآلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون فى الصفة وهى مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير ام الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام اعظم صفة فى المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد القهار قال الخطابى الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الاحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لامثل له ولايشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابى القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لايغلبه شئ وهو الغالب لكل شئ سبحانه وتعالى * ثم بين عجز الاصنام وانها لاشئ البتة فقال (ماتعبدون من دونه) يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية فى المخاطبة لانه اراد جميع من فى السجن من المشركين (الا اسماء سميتموها) يعنى سميتموها آلهة وارباباً وهى حجارة جمادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها (انتم وآباؤكم) يعنى من قبلكم سموها آلهة (ما انزل الله بها من سلطان) يعنى ان تسمية الاصنام آلهة لاحجة لكم بها ولا برهان ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهى لله تعالى لاشريك له فى ذلك (امر الاتعبدوا الاإياه) لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى سميتموها آلهة (ذلك الدين القيم) يعنى عبادة الله هى الدين المستقيم (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال (ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا) يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خمرا كما كان يسقيه اولا والعناقيد الثلاثة هى ثلاثة ايام يبقى فى السجن ثم يدعوبه الملك

الحظوظ والشهوات والتفرق فى تحصيل اللذات واقتصر على الحقوق والضرورات بأمر الحق لابطاعة الشيطان وقوله (اما احدكما فيسقى ربه خمرا) تعيين لشأن الاول بعد السياسة بالمنع عن الشرك وهو تسليط حب اللذات على الروح (واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) بيان لمايؤول اليه امر الثانى وصلبه منعه عن افعاله بنفسه وقمعه من مقتضاه وتثبيته وتقريره على جذع القوة الطبيعية النباتية بحيث لاتصرف للمتخيلة فيه ولا له فيها ولا فى سائر القوى الحيوانية وذلك هو اماتة الهوى فتأكل بعد الاماتة والصلب طير قوى النفس من رأسه بأمر الحق وهو الوقوف مع الحقوق (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى ثبت واستقر امر كما على هذا وذلك وقت وصوله وتقربه من الله واوان ظهور مقام الولاية بالفناء فى الله واذا تمكنت القوتان فيما عينه لهما من الامر تم امره بالوصول الى مقام الشهود الذاتى

ورده الى منزلته التي كان عليها (واما الآخر فيصلب) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعوبه الملك فيصلبه (فتأكل الطير من راسه) قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا ما راينا شيأ انما كنا نلعب قال يوسف (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رأيتما شيأ ام لم تريا (وقال) يعني يوسف (للذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (انه ناج منهما) يعني ساق الملك (اذكرني عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) في هاء الكناية في فانساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقي وهو قول عامة المفسرين والمعنى فانسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عند الملك قالو الان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حتى انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة الا انه لما كان مقام يوسف اعلى المقامات ورتبته اشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين ٠ فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين انساه ذكر ربه ٠ قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ❊ وقوله سبحانه وتعالى (فلبث في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنا عشرة سنة وقال وهب اصاب ايوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني ان استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء

واقضت خلوته فان طول مدة السجن هو امتداد سلوكه في الله فاذا تم له الفناء استوى امر القوتين لكونهما بالله حينئذ لا بنفسهما وانتهى زمان الخلوة بابتداء زمان البقاء بالوجود الحقاني ولكن لم تتم بعد لوجود البقية المشار اليها بقوله (وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك) اي الملك الموجود في مقام الروح بالمحبة والاستقرار فيه فان المحبة اذا اسكرت الروح بخمر العشق ارتقى الروح الى مقام الوحدة والقلب الى مقام الروح ويسمى الروح في ذلك المقام خفيا والقلب سرا وهو ليس بالفناء لكونهما موجودين حينئذ مغمورين بنور الحق ومن الوقوف في هذا المقام منشأ الطغيان والانانية فلهذا قال (فانساه الشيطان فلبث) اي انسى شيطان الوهم يوسف القلب ذكر الله تعالى بالفناء فيه لوجود البقية وطلبه مقام الروح والاذهل عن ذكر نفسه ووجوده وللاحتجاب بهذا المقام وهذه البقية لبث (في السجن بضع سنين

والعشاه قال الله قال فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي
وهذه السبع سوى الخمس سنين التى كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله عزوجل
اخراجه من السجن راى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه راى فى منامه
سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال
فابتلع العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يرمنهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ
وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات اخريابسات قد استحصدت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شئ فجمع السحرة
والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التى رآها فذلك قوله تعالى (وقال الملك انى ارى
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخريابسات يا ايها الملاء
افتونى فى رؤياى) يعنى يا ايها الاشراف اخبرونى بتأويل رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون)
يعنى ان كنتم تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم
تعبير الان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التأويل
لان التأويل يقال فيه وفى غيره (قالوا) يعنى قال جماعة الملاء وهم السحرة والكهنة
والمعبرون مجيبين للملك (اضغاث احلام) يعنى اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله
الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التى يراها الانسان فى
منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف
عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قدشاهد
الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد ان يعرف تأويل
ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما راى فى منامه وسالهم عن تأويلها فاعجز
الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك
سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذى نجا منهما)
يعنى وقال الساقى الذى نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وادكر بعد امة)
يعنى انه تذكر قول يوسف اذكرنى عند ربك بعد امة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى
الحين من الزمان امة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (انا انبئكم) يعنى اخبركم (بتأويله)
وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين اواراد
به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدى
الملك وقال ان فى السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا (فأرسلون) فيه اختصار تقديره فارسلنى
ايها الملك فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن فى المدينة (يوسف) اى يا يوسف
(ايها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق
والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآها فى السجن
(افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخريابسات)
فان الملك راى هذه الرؤيا (لعلى ارجع الى الناس) يعنى ارجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك
وجماعته (لعلهم يعلمون) يعنى بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم (قال)

وقال الملك) واليه اشار
النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله رحم الله اخى يوسف
لولم يقل اذكرنى عند ربك
لما بقى فى السجن بضع سنين
او انسى شيطان الوهم
المقهور الممنوع المحجوب
عن جناب الحق رسول
المحبة المقرب عند ارتفاع
درجته واستيلائه واستعلاء
سلطانه والتحير فى الجمال
الالهى والسكر الغالب
ذكر يوسف القلب
فى حضرة الشهود لان المحب
المشاهد للجمال حيران
ذاهل عن الخلق كله
وتفاصيل وجوده بل نفسه
مستغرق فى عين الجمع حتى
يتم فناؤه وينقضى سكره
ثم يرجع الى الصحو فيذكر
التفصيل ثم لما انتهى فناؤه
بالانغماس فى بحر الهوية
والانطماس فى الذات
الاحدية وانقضى زمان
السجن احياه الله تعالى
بحياته ووهب له وجودا
من ذاته وصفاته فأراه
صورة التبديل فى صفات
النفس مدة اعتزاله عنها
بالخلوة والسلوك فى الله
بصورة اكل البقرات
العجاف السمان وفى صفات
الطبيعية البدنية بصورة

يعنى قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة واما البقرات العجاف والسنبلات اليا بسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامراى ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعنى عادتكم فى الزراعة والداب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فاحصد تم فذروه فى سنبله) انما امرهم بترك ماحصدوه من الحنطة فى سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعنى ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين الجدبة وهو قوله (ثم يأتى من بعد ذلك) يعنى من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعنى سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس (يأكلن) يعنى يفنين (ماقدمتم لهن) يعنى يؤكل فيهن كل مااعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع فى الكلام (الا قليلا مما تحصنون) يعنى تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشئ فى الحصين بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتى من بعد ذلك) يعنى من بعد هذه السنين الجدبة (عام فيه يغاث الناس) اى يمطرون من الغيث الذى هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثنى من الغوث (وفيه يعصرون) يعنى العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب فى الزروع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب * قوله عز وجل (وقال الملك ائتونى به) وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وماعبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لامحالة فقال ائتونى به حتى ابصر هذا الرجل الذى قد عبر رؤياى بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى ان يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعنى قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعنى الى سيدك وهو الملك (فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز ادبا واحتراما لها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى اخرجه الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ماهو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث فى السجن اورسل الملك فى كشف امره الذى سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء * وقوله (ان ربى بكيدهن عليم) يعنى ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن فى هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و(قال) لهن (ماخطبكن) اى ماشأنكن وامركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون استرلها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها

استيلاء السنبلات اليابسة على الخضر والملك الذى قال (انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ياايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا) قيل هو ريان بن الوليد الذى ملك قطفير على مصر وولاه عليها لا العزيز المسمى قطفير وان كان العزيز بلسان العرب هو الملك فعلى هذا يكون الملك اشارة الى العقل الفعال ملك ملوك الارواح المسمى روح القدس فان الله تعالى لايحيى اهل الولاية عند الفناء التام الذى هو بداية النبوة الا بواسطة نفحه ووحيه وبالاتصال به تظهر التفاصيل فى عين الجمع ولهذا قالوا لما دخل عليه كلمه بالعبرانية فأجابه بها وكان عارفا بسبعين لسانا فكلمه بها فتكلم معه بكلها والملأ الذين قالوا (اضغاث احلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر

وسائر النسوة امرته بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعنى النسوة جميعا مجيبات للملك (حاش لله) يعنى معاذالله (ماعلمنا عليه من سوء) يعنى من خيانة فى شئ من الاشياء (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) يعنى ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امرأة العزيز فعز رنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فأقرت فقالت (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعنى فى قوله هى راودتنى عن نفسى واختلفوا فى قوله (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب) على قولين احد هما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف انى لم اخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم اكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم بالغت فى تأكيد هذا القول فقالت (وان الله لايهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما اقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم انى افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه لايبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعنى العزيز انى لم اخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملاء فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احد هما انه كان فى السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو فى السجن واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابى صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثانى انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس . فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى اشارة للغائب مع حضوره عند هم . قلت قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان فى هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالمشاهد يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم انى لم اخنه بالغيب اى لم اخن العزيز فى حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لايهدى كيد الخائنين يعنى انى لوكنت خائنا لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لايهدى اى لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا فى قوله (وما ابرئ نفسى) من قول من على قولين ايضا احد هما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب من

واخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الاقليلامماتأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن الا قليلا مماتحصنون) هى القوى الشرعية من العقل والفكر المحجوب بالوهم والوهم نفسه المحجوبة عن سر الرياضة والتبديل كما ترى المحجوبين منها الواقفين معها يعدون احوال اهل الرياضات من الخرافات ورسول المحبة الذى اذكر بعد امة انما يذكر بواسطة ظهور ملك روح القدس وايحاءته تفاصيل وجوده بالرجوع الى الكثرة بعد الوحدة والاانكان فيه حالة الفناء ذاهبا فى عين الجمع لايرى فيها وجود القلب ولاغيره فكيف يذكره انما يذكر بظهوره بنور الحق بعدعدمه والعام الذى (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) هو وقت تمنيه للنفس عند الاطمئنان التام والامن الكلى وقول سوة القوى (وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال

قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي
عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه الصلاة
والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولاحين هممت بها
فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس ايضا وهو قول
الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب خاف ان يكون
قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا انفسكم ففى قوله وما
ابرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس فى مقام
العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيآت المقربين
(ان النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل مايهم الانسان من الامور الدنيوية
والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا فى النفس الامارة بالسوء ماهى فالذى عليه
اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة
بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هى صفات لنفس واحدة فاذا
دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس
اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك
الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت
من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة * وقوله (الا مارحم ربى) قال ابن عباس معناه الا من عصم
ربى فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ماطاب لكم من النساء يعنى من طاب لكم وقيل هذا استثناء
منقطع معناه لكن من رحم ربى فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربى غفور)
يعنى غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم * قوله تعالى (وقال الملك ائتونى به استخلصه
لنفسى) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال
ائتونى به يعنى بيوسف استخلصه لنفسى اى اجعله خالصا لنفسى والاستخلاص طلب خلوص
الشئ من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة
الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولايشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك
لما عظم اعتقاده فى يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل
السجن وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله
تعالى امرا هيأ اسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتونى به استخلصه لنفسى (فلما كلمه) فيه
اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الآن بلامعاودة فاجابه روى
ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولاتعم
عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار فى كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا
بيت البلواء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من الدنيا وحسبى ربى
من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال اللهم انى اسألك
بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له

الملك

ارجع الى ربك فاسئله مابال
النسوة اللاتى قطعن ايديهن
ان ربى بكيدهن عليم قال
ما خطبكن اذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش
لله ماعلمنا عليه من سوء)
وقول امرأة العزيز
(قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين
ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب
وان الله لايهدى كيد الخائنين
وما ابرئ نفسى ان النفس
لامارة بالسوء الا مارحم
ربى ان ربى غفور رحيم
وقال الملك ائتونى به
استخلصه لنفسى فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين
امين قال اجعلنى على خزائن
الارض انى حفيظ عليم
وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض يتبوأ منها حيث
يشاء نصيب برحمتنا من نشاء
ولانضيع اجر المحسنين)
اشارة الى تنور النفس
والقوى بنور الحق
واتصافها بصفة الانصاف
والصدق وحصول ملكة
العدالة بنور الوحدة
وظهور المحبة حال الفرق
بعد الجمع وكمال طمأنينة
النفس لاقرارها بفضيلة
القلب وصدقه وذنبها

الملك ماهذا اللسان قال لسان عمى اسماعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال له وماهذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان آبائى قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك اعجبه مارأى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعنى فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لايحسن لاحد ان يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى ايها الملك هذا الذى علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و (قال انك اليوم لدينا مكين امين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اى منزلة وهى الحالة التى يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت امانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل مايحتاج اليه من الفضائل والمناقب فى امر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام احب ان اسمع تأويل رؤياى منك شفاها فقال نعم ايها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذ سبع سنبلات خضر طريات ناعمات ممتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع اخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما انت تقول فى نفسك اى شئ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن فى الثرى والماء اذ هبت ريح فذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا مارأيت ايها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله مااخطأت منها شيأ فما شان هذه الرؤيا وان كان عجبا فما هو باعجب مما سمعت منك وماترى فى تأويل رؤياى ايها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل مايحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال مالا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك (قال) يعنى يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) يعنى على خزائن الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اى اجعلنى على خزائن ارضك التى تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها (انى حفيظ عليم) اى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من يأتينى وقال الكلبى حفيظ

وبراءته فان من كمال اطمئنان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها عما فرط منها حالة كونها امارة وتمكنها بالرحمة الالهية والعصمة الربانية واستخلاص الملك اياه لنفسه استخلافه للقلب على الملك بعد الكمال التام كما جاء فى القصة اجلسه على سريره وتوجه بتاجه وختمه بخاتمه وقلده بسيفه وعزل قطفير وزوجه الملك امرأته زليخا واعتزل عن الملك وجعله فى يده وتخلى بعبادة ربه كل ذلك اشارة الى مقام خلافة الحق كما قال لداود انا جعلناك خليفة فى الارض وتوفى العزيز اشارة الى وصول القلب الى مقامه وذهاب الروح فى شهوده للوحدة وتزوجه بامرأة العزيز اشارة الى تمتيع القلب النفس بعد الاطمئنان بالحظوظ فان النفس الشريفة المتنورة تقوى بالحظوظ على محافظة شرائط الاستقامة وتقنين قوانين العدالة واستنباط اصول العلم والعمل وهما الولدان اللذان جاء فى القصة انها ولدتهما منه افرائيم وميشا وروى انه لما دخل عليها

بتقديره فى السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن
احق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام
الامارة والولاية مع ماورد من النهى عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن
سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الرحمن لاتسأل الامارة فانك ان
اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها عن غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه فى الصحيحين
قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه
فامايوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول
اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة
وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله او بغيره
وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين
وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم
والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول
والتفاخر والتوصل به الى غير مايحل فهذا القدر المذموم فى تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس
ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون
بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم
من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله انى حفيظ عليم
على انه عالم بما يحتاج اليه فى مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين * قوله عز وجل
(وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكذلك اشارة الى ماتقدم يعنى وكما انعمنا على يوسف بان
انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكناله
فى الارض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لاينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة
بقوله (يتبوأ منها حيث يشاء) لانه تفسير التمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم
سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا
بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون
ماربا وضرب له عليه كلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى
الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض
الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان
لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل امره وقضاءه نافذا فى مملكته قالوا
ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاك زوجها فلما دخل يوسف
عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء
ناعمة كماترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك
فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين

قال لها اليس هذا خيرمما
طلبت فوجدها عذراء
وهو اشارة الى حسن حالها
فى الاطمئنان مع التمتع
ومراعاة العدالة وكونها
عذراء اشارة الى ان الروح
لايخالط النفس لتقدسه
دائما وامتناع مباشرته اياها
فان مطالبه كلية لاتدرك
جزئياتها بخلاف القلب
وانما كانت امرأته لتسلطه
عليها ووصول اثر امره
وسلطانه اليها بواسطة
القلب ومحكوميتها له
فى الحقيقة وسؤال التولية
على خزائن الارض ووصف
نفسه بالحفظ والعلم هو ان
القلب يدرك الجزئيات
المادية ويحفظها دون الروح
فيقتضى باستعداده قبول
ذلك المعنى من الواهب
الذى هو ملك روح القدس
وتمكينه فى الارض بتبوئه منها
حيث يشاء استخلافه بالبقاء
بعد الفناء عند الوصول الى
مقام التمكين وهو اجر
المحسن اى العابد لربه
فى مقام الشهود لرجوعه
الى التفصيل من عين الجمع
(ولاجر الآخرة) اى
الحظ المعنوى بلذة شهود
الجمال ومطالعة انوار
سبحات الوجه الباقى (خير

افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر واقام فيه العدل واحبه
الرجال والنساء فلما اطمان يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون
والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين الجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنين
الخصبة ودخلت السنين الجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك
وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان اول من اصابه
الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اول اوان
القحط فهلك فى السنة الاولى من اول سنين القحط كل ما اعدوه فى السنة الخصبة فجعل اهل
مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر
درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر
فى ايدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام حتى لم تبق
دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم
يبق بايدى الناس عبد ولا امة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى اتى عليها
كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة
برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه
الصلاة والسلام فقال اهل مصر ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف
للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هؤلاء قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع
قال فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم
وقيل ان يوسف كان لايشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض
فقال اخاف ان شبعت انسى الجائع وامر يوسف طباخى الملك ان يجعلوا غداءه نصف النهار
واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلاينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار
قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس
فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء (نصيب
برحمتنا من نشاء) يعنى نختص بنعمتنا وهى النبوة من نشاء يعنى من عبادنا (ولانضيع
اجر المحسنين) قال ابن عباس يعنى الصابرين (ولاجر الآخرة) يعنى ولثواب الآخرة
(خير) يعنى افضل من اجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) يعنى يتقون مانهى الله عنه
وفيه دليل على ان الذى اعد الله عزوجل ليوسف عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من
الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله فى الدنيا من الملك * قوله تعالى (وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم
ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان
يوسف لايعطى احدا اكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل
بآل يعقوب مانزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا
يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان
مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشياه

للذين آمنوا) الايمان العينى
(وكانوا يتقون) بقية
الانانية . ولما رجع الى
مقام التفصيل وجلس على
سرير الملك للخلافة جاءه
اخوته القوى الحيوانية
بعد طول مفارقته اياهم
فى سجن الرياضة والخلوة
بمصر الحضرة القدسية
والاستغراق فى عين الجمع
(وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه) متقربين
اليه بوسيلة التأدب بآداب
الروحانيين لاطمئنان
النفس وتنور تلك القوى
بها وتدربها بهيآت الفضائل
والاخلاق ممتارين لاقوات
العلوم النافعة من الاخلاق
والشرائع (فعرفهم) مع
حسن حالهم وصلاحهم
بالذكاء والصفاء وفقرهم
واحتياجهم الى مايطلبون
منه من المعانى (وهم له
منكرون) لارتقائه عن
رتبتهم بالتجرد واتصافه
بما لايمكنهم ادراكه
من الاوصاف ولهذا
استحضر القوة العاقلة
العلمية بقوله (ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم
من ابيكم الا ترون انى
اوف الكيل وانا خير
المنزلين) اذ المعانى الكلية

فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ماتحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد بأول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبئهم بامرهم هذا وهم لايشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله مانحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله تعالى قال وكم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال فكم انتم الآن قالوا عشرة قال واين الآخر قالوا هو عند ابينا لانه اخو الذي هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فأتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم مايحتاجون اليه في سفرهم (قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم) يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين (الاترون اني اوف الكيل) يعني اني اتمه ولاابخس منه شيأ وازيدكم حمل بعير آخر لاجل اخيكم اكرمكم بذلك (وانا خير المنزلين) يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم الاترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لايليق بالصديق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعني بأخيكم الذي من ابيكم (فلا كيل لكم عندي) يعني لست اكيل لكم طعاما (ولاتقربون)

يعني

المتعلقة بالاعمال لايدركها الا تلك القوة واعلم ان المحبوبين يسبق كشوفهم اجتهادهم فيعلمون قواهم الشرائع و الاحكام ويسوسونها بعد الوصول وان اطمأنت نفسهم قبله . واما جهازهم الذي جهزهم به فهو الكيل اليسير من الجزئيات التي يمكنهم ادراكها والعمل بها وقال (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم) من المعاني الكلية الحاصلة (عندي ولا تقربون) لبعد رتبتكم عن رتبتي الا بواسطته ولما كانت العاقلة العلمية اذا لم تفارق مقام العقل المحض الى مقام الصدر لم يمكنها مرافقة القوى الحسية والقاؤها المعاني الجزئية الباعثة اياها على العمل وتحريك القوة النزوعية الشوقية نحو المصالح العقلية (قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون) اي بتصفية الاستعداد لقبول فيضه وقوله (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) اشارة الى امر القلب فتيانه القوى النباتية عند تمتيع النفس حالة الاطمئنان بايراد مواد قواهم التي يتقوون بها

يعني ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادي وهذا هونهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين
الى تحصيل الطعام ولايمكنهم تحصيله الامن عنده فاذا منعهم من العود كان قدضيق عليهم
فعندذلك (قالوا) يعني اخوة يوسف (سنراود عنه اباه) يعني سنجتهدونحتال حتى ننزعه
من عنده (واناالفاعلون) يعني ماامرتنابه * قوله عزوجل (وقال لفتيانه) يعني وقال
يوسف لفتيانه وهم غلمانه واتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) ارادبالبضاعة ثمن الطعام
الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال
والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها)
يعني يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى اهلهم) يعني اذا رجعوا الى اهلهم (لعلهم يرجعون)
الينا واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم
فقيل انهم اذافتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قدردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف
وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف ان لايكون عند ابيه شئ آخر
من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه راى ان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته
لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لايلحقهم فيه لؤم ولا عيب وقيل
اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه
وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذاوجدوها
في رحالهم لانهم انبياء واولاد انبياء وقيل اراد بردالبضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لابيه
ولاخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياابانا) اناقدمنا على خير رجل انزلنا
واكرمنا كرامة عظيمة لوكان رجلا من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا
رجعتم الى ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعولك
بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده واخبروه بالقصة ثم قالوا
ياابانا (منع منا الكيل) وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف بأخيهم من ابيهم طلبوا منه
الطعام لابيهم واخيهم المتخلف عند ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل
اشارة اليه واراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو
اشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولاتقربون وقال الحسن يمنع منا
الكيل ان لم تحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فأرسل معنا اخانا) يعني بنيامين
(نكتل) قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياه معنا
(وانا له لحافظون) يعني نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل
آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف
مافعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم وانا له لحافظون فما
فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فالله خير حافظا)
يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع
الامور (وهو ارحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله
معهم وقد شاهد مافعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل

ويقتدرون على كسب
كمالاتهم اذهي بضاعتهم التي
يمكنهم بها الامتيار
ورحالهم آلات ادراكاتهم
ومكاسبهم (لعلهم يعرفونها)
يعرفون قواهم وقدرهم
على الاكتساب (اذاانقلبوا
الى اهلهم) من سائر القوى
الحيوانية كالغضبية
والشهوانية وامثالهما
(لعلهم يرجعون) الى مقام
الاسترباح والامتيار
من قوت المعاني والعلوم
النافعة بتلك البضاعة (فلما
رجعوا الى ابيهم) بتصفية
الاستعداد والتمرن بهيآت
الفضائل اقتضوه ارسال
القوة العاقلة العلمية معهم
لامدادهم في فضائل
الاخلاق بالمعاني دائما اي
استمدوا من فيضه (قالوا
ياابانا منع منا الكيل فارسل
معنا اخانا نكتل وانا له
لحافظون) اي نستفد
منه وانالانستنزله الى تحصيل
مطالبنا فنهلكه كمافعلنا بحالة
الجاهلية بأخيه بل نحفظه
بالتعهد له ومراعاته في طريق
الكمال واخذ العهد منهم
في ارساله معهم واستيثاقه
عبارة عن تقديم الاعتقاد
الصحيح الايماني على
العمل والزامهم ذلك العقد
والالم يستقم حالهم في العمل

ما كان بينهم وبين يوسف اوان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان
شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك ❁ قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي
حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعني
انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قدرد عليهم ودس في متاعهم
(قالوا يا ابانا ما نبغي) يعني ماذا نبغي واي شئ نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب
احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا
بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا اي شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام
اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن وارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم (هذه بضاعتنا
ردت الينا ونمير اهلنا) يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر
اليهم والمعنى انا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله اليهم (ونحفظ اخانا) يعني بنيامين مما نخاف
عليه حتى نرده اليك (ونزداد كيل بعير) يعني ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير
من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني ان ذلك الحمل الذي نزداده من الطعام هين على الملك
لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل
لايكفينا واهلنا (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله)
يعني لن ارسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهدالله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل
هو المؤكد باشهاد الله عليه (لتأتنني به) دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا
بالله لتأتنني به (الا ان يحاط بكم) قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندي
لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا جميعا فلا
تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله
على ما نقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد وكيل بمعنى انه
موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير
حافظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما بعدما توكلت علي وفوضت امرك
الي وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا
من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه ❁ قوله عز وجل
اخبارا عن يعقوب (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة)
وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة
مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب
وقال السدي اراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف
عليهم العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد
وأمرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن
عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا

ولم يجع (قال هل آمنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل
فالله خير حافظا وهو ارحم
الراحمين ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
قالوا يا ابانا ما نبغي هذه
بضاعتنا ردت الينا ونمير
اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير
قال لن ارسله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله لتأتنني به الا
ان يحاط بكم فلما اتوه
موثقهم قال الله على ما نقول
وكيل وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة) اى
لاتسلكوا طريق فضيلة
واحدة كالسخاوة مثلا
دون الشجاعة اولاتسيروا
على وصف واحد من
اوصاف الله تعالى فان
حضرة الوحدة هي منشأ
جميع الفضائل والذات
الاحدية مبدأ جميع الصفات
فاسلكوا طرق جميع
الفضائل المتفرقة حتى
تتصفوا بالعدالة فتتطرقوا
الى الحضرة الواحدية
وسيروا على جميع الصفات
حتى يكشف لكم عن الذات
وقدورد في الحديث ان الله
تعالى يتجلى على اهل المذاهب

استغسلتم فاغتسلوا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابوداود قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله تعالى قال المازرى اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى يكون مخالفا فى نفسه ولايؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك اويفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل بالملدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانا بينا فى كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث لا يفعل فى غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ماقالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لايقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسد البعض باولى من عكسه فبطل ماقالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لايبعد ان تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر ام لافهذا من مجوزات العقول لايقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطأ فى قطعه وانما هو من الجائزات هذا مايتعلق بعلم الاصول واما مايتعلق بعلم الفقه فان الشرع قدورد بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك فى الموطأ واما صفة وضوء العائن فمذكور فى كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هنالك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه فى قوله لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم فى ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان الله تعالى لم يأذن له فى اظهاره ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف فى وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله (وما اغنى عنكم من الله من شئ) يعنى ان كان الله قضى عليكم قضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعنى وما الحكم الا لله وحده لا شريك له وهذا تفويض من يعقوب فى اموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت)

يوم القيامة فى صورة معتقدهم فيعرفونه ثم تحول الى صورة اخرى فينكرونه (وما اغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) اى لا ادفع عنكم شيأ ان منعكم توفيقه وحجبكم ببعض الحجب عن كمالاتكم فان العقل ليس اليه الا افاضة العلم لا اجادة الاستعداد ورفع الحجاب (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله) اى امتثلوا امر العقل بسلوك طرق جميع الفضائل لم يغن عنهم من جهة الله (من شئ) اى لم يدفع عنهم الاحتجاب بحجاب الجلال والحرمان عن لذة الوصال لان العقل لايهتدى الا الى الفطرة ولا يهدى الا الى المعرفة واما التنور بنور الجمال والتلذذ بلذة الشوق بطلب الوصال وذوق العشق بكمال الجلال والجمال بل جلال الجمال وجمال الجلال فأمر لايتيسر الا بنور الهداية الحقانية (الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) هى تكميلهم بالفضيلة (وانه لذو علم لما علمناه) لتعليم الله

يعنى عليه اعتمدت فى امورى كلهـا لا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) يعنى من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلهـا (ما كان يغنى عنهم من الله من شئ) وهذا تصـديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما اغنى عنكم من الله من شئ (الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الاول فى شئ ومعناه لكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها وهوانه اشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين اوخاف عليهم حسد اهل مصر اوخاف ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه (وانه) يعنى يعقوب (لذو علم) يعنى صاحب علم (لما علمناه) يعنى لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشئ الذى علمناه والمعنى انا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل مايعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن اكثر النـاس لا يعلمون) يعنى لا يعلمون ماكان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه ❊ قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذى امرتنـا ان نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندى ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم انه اضـافهم واجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لوكان اخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معى فاخذه فاجلسـه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندى على فراشى فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم انى ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسـأضمه الى فيكون معى فى منزلى ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعـام فقال روبيل ماراينا مثل هذا فذلك قوله آوى اليه اخاه يعنى ضمه وانزله معه فى منزله فلمـا خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لى اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايهـا الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسـلام وقام وعانقه و (قال) له (انى انا اخوك) يعنى يوسف (فلا تبتئس) يعنى لا تحزن وقال اهـل اللغة تبتئس تفتعـل وهـو الضرر والشـدة والابتئـاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعنى فلا تحزن بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهـلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشئ مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت فى رحل اخيه بنيامين قال السدى وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى

اياه لاذو عيـان وشـهود (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيحسبون الكمال ماعنـد العقـل من العـلم اوناس الحواس لا يعلمون علم العقل الكلى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعمـلون فلما جـهزهم بجهازهم) للتناسب بينهما فى التجرد (جعل السقاية فى رحل اخيه ثم اذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا علـيهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنـا لنفسـد فى الارض وما كنا سارقين قالوا فـا جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيـه ثم اسـتخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف) مشربته التى يكيل بها على الناس اى قوة ادراكه للعلوم ليستفيدبها علوم الشرائع ويستنبط قوانين العـدالة فان العاقلة العلمية تقوى على ادراك المعقولات عند

انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد ان اشهرك بأمر فظيع وانسبك الى ما لا يحمد قال لا ابالى فافعل ما بدالك فانى ادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه) وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد وجعلت فى وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم اذن مؤذن) يعنى نادى مناد واعلم معلم والاذان فى اللغة الاعلام (ايتها العير) وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير والبغال وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله ايتها العير اراد اصحاب العير (انكم لسارقون) فقفوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه فى خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بأمر يوسف ام لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير امره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انه اخوه قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنبا الثانى ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل ان يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم اى عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا اى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن واصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه اصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حمل بعير) يعنى من الطعام (وانا به زعيم) اى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

التجرد عن ملابس الوهم والخيال كما تقوى النظرية وهى القوة المدبرة لامر المعاش المشوبة بالوهم فى اول الحال . ونسبته الى السرقة لتعوده بادراك الجزئيات فى محل الوهم من المعانى المتعلقة بالمواد وبعده عن ادراك الكليات فلما تقوى عليها بالاوى الى اخيه واستفادته منه تلك القوة بالتجرد فكأنه قد سرق ولم يسرق . والمؤذن الذى نسبهم الى السرقة هو الوهم لوجدان الوهم تغير حال الجميع عما كانت عليه وعدم مطاوعتها له وتوهمه لذلك نقصانهم . والحمل الموعود لمن يجئ بالصواع هو التكليف الشرعى الذى يحصل بواسطة العقل العملى عند استفادته علم ذلك من القلب والصواع هو القوة الاستعدادية التى يحصل بها علمه . والفاقد لها المدهش لمتاعهم المستخرج اياها من رحل اخيه هو الفكر الذى يبثه القلب لهذا الشأن ولما كان دين روح القدس تحقق المعارف والحقائق النظرية مما لا يتعلق بالعمل (ما كان ليأخذ اخاه) بالبحث على العمليات

بما فى قوله الحيل غارم والحيل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لايستحق شيأ قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة ولعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعنى اخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولاتدخل الا على اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ماجاؤا لاجل الفساد فى الارض والثانى انهم ماجاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم مايدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من امرهم انهم شدوا افواه دوابهم لئلا تؤذى زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حقه ممتنع واما الثانى وهو انهم ماكانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعنى اصحاب يوسف وهو المنادى واصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعنى فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعنى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعف قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان يجرى مجرى القطع فى شرعنا فاراد يوسف ان يأخذ بحكم ابيه فى السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعنى هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزى الظالمين) يعنى مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزى الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك نجزى الظالمين يعنى السارقين ❁ قوله عز وجل (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه) قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف لابد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لايفتح متاعا ولاينظر وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ماأظن هذا اخذ شيأ قال اخوته والله لانتركك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء اخيه) انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤنث فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ماصنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يابنى راحيل مازال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه فى البرية ان الذى وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى

والاستعمال على الفضائل (فى دين الملك) لان دينه العلم وعلمه التعقل (الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء) اى وقت تنور النفس بنور القلب المستفاد منه وتفسح الصدر القابل للعمليات وذلك هو رفع الدرجات لان النفس حينئذ ترتفع الى درجة القلب والقلب الى درجة الروح فى مقام الشهود (وفوق كل ذى علم) كالقوى (عليم) كالعقل العملى وفوقه العقل النظرى وفوقه الروح وفوقه روح القدس والله تعالى فوق الكل علام الغيوب كلها ومنى (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين) ان القلب استعد لهذا المعنى من قبل دون القوى فبقوا منكرين لهما متهمين اياهما عند أبيهما لتحصيل مطالبهما وطلب لذة وراء مايطلبونها وقيل كان لابراهيم صلوات الله عليه

رحالكم قالوا فاخذ بنيامين برقبته وقبل ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعنى ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق اى مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا فى حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف بأن حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع فى رحل اخيه ليضمه اليه على ماحكم به اخوته وقال ابن الاعرابى الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه فى اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو فى موضع فعل الله معرى من المعانى المذمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيده تدبير مايريده به من حيث لايشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئه بالذى يكون من اجل ان المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ماينويه ويضمره له من الذى يقع به من الكيد فهو من الله تعالى استترا ذهوما ختم الله به عاقبته والذى وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير ماقدروا من اهلاكه وخلوص ابيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفى لطفه سماه كيدا لانه اشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا الى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك * وقوله تعالى (ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك) يعنى فى حكم الملك وقضائه لانه كان فى حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفى قيمة المسروق يعنى فى حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس اخيه عنده فى حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف مادبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الا ان يشاء الله) يعنى ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفى هذه الآية دلالة على ان العلم الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه على وجه الهداية والصواب فى الامور كلها (وفوق كل ذى علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن التعليم وفى الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانبارى يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه فى الغلبة لانه لايخلو عالم من عالم فوقه * قوله تعالى (قالوا) يعنى اخوة يوسف (ان يسرق) يعنى بنيامين الصواع (فقد سرق اخ له من قبل) يعنى يوسف ظاهر الآية يقتضى ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس

وسلامه منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها من اسحق عمة يوسف لكونها كبرى من اولاده وقد حضنته بعد وفاة امه راحيل فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فلم تصبر عنه فحزمت المنطقة تحت ثيابه عليه السلام ثم قالت انى فقدت المنطقة فلما وجدت عليه سلم لها وتركه يعقوب عندها حتى مات وهى اشارة الى مقام الفتوة التى ورثها من ابراهيم الروح قبل مقام الولاية وقت شبابه وحرمتها عليه النفس المطمئنة التى حضنتها وقت وفاة راحيل اللوامة وارادة انتزاع يعقوب اياه منها اشارة الى ان العقل يريد الترقى الى كسب المعارف والحقائق واذا وجده موصوفا بالفضائل فى مقام الفتوة رضى به وتركه عند النفس المطمئنة سالكا فى طريق الفضائل حتى توفيت بالفناء فى الله فى مقام الولاية والله اعلم . واسرار يوسف فى نفسه كلمته علمه بقصورهم عن ادراك مقامه ونقصانهم عن كماله وهى قوله انتم شر مكانا والذى اقترح ان يأخذه يوسف

القلب مكان اخيه العقل العملى هوالوهم لمداخلته فى المعقولات وشوقه الى الترقى الى افق العقل وحكمه فيها لاعلى ماينبغى وميلهم الى سياسته اياهم دون العقل العملى للتناسب الذى بينهم فى التعلق بالمادة ونزوعه الى تحصيل مآربهم من اللذات البدنية ولماوحد القلب متاعه من ادراك المعانى المعقولة عند العقل العملى دون الوهم (قال معاذالله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل مافرطتم فى يوسف) ان اخذنا الوهم مكانه واوينا اليه ماالقينا الى احينا كنا مرتكبين الظلم العظيم لوضعنا الشئ فى غير محله . ويأسهم منه شعورهم بعد تكميل الوهم اياهم وتمتيعهم بدواعيه وحكمه . وكبيرهم الذى ذكرهم موثق ابيهم الذى هو الا عتقاد الايمانى وتفريطهم فى يوسف عند حكومة الوهم هو الفكر ولهذا قال المفسرون هو

بغريب منه فان اخاه الذى هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انالسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابى امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه فى الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينه اخذ دجاجة من الطير الذى كان فى بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يااخناه سلمى الى يوسف فوالله ماقدر على ان يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لااعطيكه فقال لها والله ماانا بتاركه عندك فقالت دعه عندى اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لايشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانبارى وليس فى هذه الافعال كلها مايوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عندالغضب (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) فى هاء الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى (قال) يعنى يوسف (انتم شر مكانا) روى هذا المعنى العوفى عن ابن عباس والثانى ان الضمير يرجع الى الكلمة التى قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التى قالوها فى حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم فى ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعنى منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة فى الحقيقة وخيانتكم حقيقة (والله اعلم بما تصفون) يعنى بحقيقة ما تقولون * قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف (يا ايها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له ابا شيخا كبيرا) قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل اخيه بنيامين نقره وادناه الى اذنه ثم قال ان صواعى هذا يخبرنى انكم اثناعشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله فى رحلى فنقره ثم قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شئ وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد

يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفونى انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك اوانا كفونى انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا اولا صيحن صيحة لايبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه اوخذ بيده فاتى له فلمامسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسنى منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يامعشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا مانزل بهم وراوا ان لاسبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعنى فى السن ويحتمل ان يكون كبيرا فى القدر لانه نبى من اولاد الانبياء (فخذ احدنا مكانه) يعنى بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك (انا نراك من المحسنين) يعنى فى افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف اعوذ بالله معاذا (ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا عن الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق (انا اذا لظالمون) يعنى ان اخذنا بريئا بذنب غيره فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه مافيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع مافيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة كثيرة واحسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لاعن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين ولله تعالى اسرار لايعلمها احد من خلقه فهو المتصرف فى خلقه بما يشاء وهو الذى اخفى خبر يوسف عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله اعلم باحوال عباده ✽ قوله عز وجل (فلما استيأسوا منه) يعنى ايسوا من يوسف ان يجيبهم لما سألوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد عليهم وقال ابو عبيدة استيأسوا اى استيقنوا ان الاخ لايرد اليهم (خلصوا نجيا) يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى فى العقل والعلم لافى السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رأيا فى يوسف لانه نهاهم عن قتله (الم تعلموا ان اباكم) يعنى يعقوب (قد اخذ عليكم موثقا) يعنى عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) يعنى قصرتم فى امر يوسف حتى ضيعتموه (فلن ابرح الارض) يعنى الارض التى انا فيها وهى ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لى ابى) يعنى فى الخروج من ارض مصر فيدعونى اليه (او يحكم الله لى) برد اخى

الذى كان احسنهم رأيا فى يوسف ومنعهم عن قتله وقوله ﴿فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا ياابانا ان ابنك سرق﴾ اى لا احرك الابحكم العقل دون الوهم الى ان اموت وامرهم بالرجوع الى ابيهم سياسته اياهم بامتثال الاوامر العقلية ﴿وماشهدنا الا بما علمنا﴾ اى انا لا نعلم كون ذلك المتاع عند العاقلة العلمية الاتقصا وسرقة لعدم شعورنا به وبكونه كمالا ﴿وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التى كنا فيها﴾ حافظين للمعنى العقلى الغيبى لانا لاندرك الا مافى عالم الشهادة وكذا اهل قريتنا التى هى مدينة البدن من القوى النباتية ﴿والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون﴾ من القوى الحيوانية فاسألهم ليخبروك بسرقة ابنك ﴿قال بل سولت لكم انفسكم امرا﴾ اى زينت طبائعكم الجسمانية لكم امر التلذذ باللذات البدنية والشهوات الحسية فحسبتموها كمالا وتتبع المعقولات والتزام الشرائع والتأمر بالفضائل نقصا

على [او يحكم الله لي] بحكم وترك اخى او يحكم الله لى بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخى (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى فى اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى ابيكم) يعنى يقول الاخ الكبير الذى عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب (فقولوا) له (ياابانا ان ابنك سرق) انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة فى ظاهر الامر لافى حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وماشهدنا الا بما علمنا) يعنى ولم نقل ذلك الابعد ان راينا اخراج الصواع وقد اخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق فى زعم الملك واصحابه لاانانشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اى نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لاتحتاج الى تأويل ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلاتقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هى الاولى وقوله وماشهدنا الا بما علمنا يعنى وماقلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فايدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته الابقولكم قالوا ماشهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه واورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ماذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لايعلمه الا الله فلعل الصواع دس فى رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التى كنا فيها) يعنى واسئل اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور فى كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التى اقبلنا فيها) يعنى واسأل القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا لصادقون) يعنى فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذى اقام بمصر بهذه المقالة مبالغة فى ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم فى سفرهم ذلك وما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعنى زينت لكم انفسكم امرا او هو حمل اخيكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل ما آل امره الى هلاكه ...

(فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل فى العمل بالشرائع والفضائل دائما والوقوف مع حكم الشرع والعقل اوصبر جميل على الاستمتاع على وجه الشرع اجمل بكم من الاباحة والاسترسال بحكم الطبيعة اوفامرى صبر جميل فى فقد يوسف القلب واخوته على استشراق الانوار القدسية واستنزال الاحكام الشرعية واستخراج قواعدها التى لامدخل لى فيها فلابدلى من فراقهم الى اوان فراغهم الى رعاية مصالح الجانبين والوفاء بكلا الامرين اى المعاش والمعاد فان العقل كما يقتضى طلب الكمال واصلاح المعاد يقتضى صلاح البدن وترتيب المعاش وتعديل المزاج بالغذاء وتربية القوى باللذات اوفامرى صبر جميل على ذلك (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) من جهة الافق الاعلى والترقى عن طورى الى ما يقتضيه نظرى ورأيى من مراعاة الطرفين ومقامى ومرتبتى من اختيار التوسط بين المنزلتين (انه هو العليم) بالحقائق (الحكيم) بتدبير العوالم

معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق (فصبر جميل) تقدم تفسيره فى اول السورة * وقوله (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) يعنى يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذى اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجرى عليه وعلى بنيه من اول امره وهو رؤيا يوسف وقوله يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان يأتينى بهم جميعا (انه هو العليم) يعنى بحزنى ووجدى عليهم (الحكيم) فيما يدبره ويقضيه * قوله تعالى (وتولى عنهم) يعنى واعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم (وقال يا اسفا على يوسف) الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك

يقول أتبكى كل قبر رايته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

فأجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام فى قوله يا اسفا على يوسف فقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا الى الله لامنه فقوله يا اسفا على يوسف معناه يارب ارحم اسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ وتلخيصه يا الهى ارحم اسفى اوانت رائى اسفى اوهذا اسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواه فى المعنى ولا مأثم اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفا على يوسف اى اشكو الى الله شدة اسفى على يوسف ولم يشكه الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله (وابيضت عيناه من الحزن) اى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كانها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) اى مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لايبثه قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البنانى ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى ايها

فلا يتركهم مراعين للجهة العلوية ذاهلين عن الجهة السفلية فيخرب مدينة البدن ويهلك أهلها وذلك قبل التمتيع التام الذى اشرنا اليه اذ هو مقام الاجتهاد بعد الكشف والسلوك فى طريق الاستقامة بعد التوحيد (وتولى عنهم وقال يااسفى على يوسف) اى اعرض عن جانبهم وذهل عن حالهم لحنينه الى يوسف القلب وانجذابه الى جهته (وابيضت عيناه من الحزن) اولا بوقوعه فى غياهب الجب وكلال قوة بصيرته لفرط التأسف على فراقه ثم بترقيه عن طوره وفنائه فى التوحيد وتخلفه عنه وعدم ادراكه لمقامه وكماله فبقى بصره حسيرا غير بصير بحال يوسف (فهو كظيم) مملوء من فراقه وقولهم (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اوتكون من الهالكين قال انما اشكوا بثى وحزنى الى الله) اشارة الى شدة حنينه ونزوعه وانجذابه الى جهة القلب فى تلك الحالة دونهم لشدة المناسبة بينهما فى التجرد والميل الى العالم العلوى وقوله (واعلم

الصديق قال يوسف لجبريل صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال
يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين
قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي
اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا اطهر الطاهرين وابن
الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين
الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك
فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بآبائك الصالحين قال يوسف
فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك
فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلاء قال فماله من
الاجر ياجبريل قال اجر مائة شهيد قال امتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ماابالى
مالقيت ان رايته * قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم
(تالله تفتؤا تذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولاتفتر عن حبه يقال مافتئ يفعل كذا
اى مازال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

اى لا ابرح قاعدا * وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال
مجاهد الحرض مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسدا لاعقل
له والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرض الفساد فى الجسم
والعقل من الحزن او الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعنى لا تنتفع
بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (او تكون من الهالكين) يعنى من الاموات فان
قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقته قطعا قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر
اى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عندما راى قولهم له
وغلظتهم عليه (انما اشكو بثى وحزنى الى الله) اصل البث اثارة الشئ وتفريقه وبث
النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان
اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن الهم فعلى
هذا يكون المعنى انما اشكو حزنى العظيم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى
روى الحاكم ابو عبدالله فى صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى اذهب بصرك وما
الذى قوس ظهرك قال اما الذى اذهب بصرى فالبكاء على يوسف واما الذى قوس ظهرى
فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما
تستحيى ان تشكو الى غيرى فقال انما اشكو بثى وحزنى الى الله فقال جبريل الله اعلم بما
تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جارله فقال له يا يعقوب مالى اراك قد تهشمت بالضعف
وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابواك فقال هشمنى وافنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف
فأوحى الله اليه يا يعقوب اتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى

من الله مالاتعلمون) اشارة
الى علم العقل برجوع القلب
الى عالم الخلق ووقوفه مع
العادة بعد الذهاب الى
الجهة الحقانية وانخلاعه
عن حكم العادة عن قريب
كما سئل احدهم ماالنهاية
قال الرجوع الى البداية
ولهذا العلم قال (يابنى
اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه ولاتيأسوا
من روح الله) وذلك عند
فراغه عن السلوك بالكلية
ووصول اثر ذلك الفراغ
الى العقل بقربه الى رتبته
فى التنزل والتدلى فيأمر
القوى باستنزالها الى مقامهم
بطلب الحظوظ فى صورة
الجمعية البدنية وتدبير
معايشهم ومصالحهم الجزئية
وذلك هو الروح الذى
نهاهم عن اليأس منه اذا
المؤمن يجد هذا الروح
والرضوان فى الحياة الثانية
التى هى بالله فيحيابه ويتمتع
بحضوره بجميع انواع النعيم
ولذات جنات الافعال
والصفات والذات بالنفس
والقلب والروح دون
الكافر قال (انه لاييأس
من روح الله الا القوم
الكافرون) وقولهم (فلما
دخلوا عليه قالوا ياايها العزيز

قال قد غفر تهالك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل ان الله اوحى اليه وعزتي وجلالي لا اكشف مابك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال اى رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد على ريحانتي اشمهما شمة قبل ان اموت ثم اصنع ماشئت فأتاه جبريل فقال يايعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك ابشر فوعزتي لوكانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيأ وان احب عبادي الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى امر مناديا ينادي من اراد ان يتغدى فليأت آل يعقوب واذا افطر امر ان ينادي من اراد ان يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى امه وهي تخور فلم يرحمها فان قلت هل في هذه الروايات مايقدح في عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيآت المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشرف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيائه بمحنة فصبر وفوض امره الى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام القى في النار فصبر ولم يشك الى احد واسمعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض امره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمى بعد ذلك اوضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى احد شيأ مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا والدرجات العلا في الآخرة مع من سلف من ابويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا مايرضى ربنا فهذا القدر لايقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس ❊ وقوله ﴿ واعلم من الله مالا تعلمون ﴾ يعني انه تعالى من رحمته واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه واعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال بني

مسنا واهلنا الضر ﴾ اشارة الى عسرهم وسوء حالهم وضيقهم في الوقوف مع الحقوق ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ الى ضعفهم لقلة موادقواهم وقصور غذائهم عن بلوغ مرادهم وقولهم ﴿ فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ﴾ استعطافهم اياه بطلب الحظوظ وقوله ﴿ قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ﴾ اشارة الى تنزل القلب الى مقامهم في محل الصدر ليعرفوه فيتذكروا حالهم في البداية وما فعلوا به في زمان الجهل والغواية وقولهم ﴿ قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي ﴾ تعجب منهم عن حاله تلك الهيئة النورانية والابهة السلطانية وبعدها عن حال بدايته وقوله ﴿ قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ اشارة الى علة ذلك وسبب كماله وقولهم ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ﴾ اشارة الى تهدى القوى عند الاستقامة الى كماله ونقصها وقوله ﴿ قال لا تثريب

يعقوب (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون فى الخير وبالجيم يكون فى الشر ومنه الجاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانبارى يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روى عن عبدالله بن يزيد عن ابى فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما نذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه (ولا تيأسوا) اى ولا تقنطوا (من روح الله) يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك * قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا ايها العزيز) يعنون يا ايها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا واهلنا الضر) اى الشدة والفقر والجوع وارادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) اى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجوز من البائع واصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشئ لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لنقصانها او لرداءتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبى ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش اى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لنتدافع بها الزمان وليست مما ينتفع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فأوف لنا الكيل) يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى انا نريد ان تقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردئ (وتصدق

عليكم اليوم) لكونها مجبولة على افعالها الطبيعية وقوله (يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا) اشارة الى براءتها من الذنب عند التنور بنور الفضيلة والتأمر بأمره عند الكمال . والقميص هو الهيئة النورانية التى اتصف بها القلب عند الوصول الى الوحدة فى عين الجمع والاتصاف بصفات الله تعالى وقيل هو القميص الارثى الذى كان فى تعويذه حين القى فى البئر وهو اشارة الى نور الفطرة الاصلية كما ان الاول اشارة الى نور الكمال الحاصل له بعد الوصول والاول اولى بتبصير عين العقل فان العقل لما لم تكتحل بصيرته بنور الهداية الحقانية عمى عن ادراك الصفات الالهية (وأتونى بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا) اى ارجعوا الى عن آخركم

علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الجيد والردئ ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانبارى ولا كان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل نبينا ام لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد فى تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى برد اخينا علينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لاخوته (هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فباح بالذى كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه ببيعه من مالك وفى آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمتعتنا الى ابينا بمكان كذا وكذا فذلك حين ادركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه اليه لم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدرى من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى مافعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا فى حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اخذ الصواع ما رأينا منكم يا بنى راحيل خيرا (اذ انتم جاهلون) [illegible] انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم [illegible] وقيل جاهلون [illegible] يوسف ﴿ قوله [illegible] ﴾ [illegible] على سبيل الاستفهام [illegible] القراءة قال ابن

فى مقام الاعتدال ومراعاة التوسط فى الافعال فان القلب متوسط بين جهتى العلو والسفل فالة وانضموا الى وائتمروا بأمرى واقربوا منى ولا تبعدوا عن مقامى فى طلب اللذات البدنية بمقتضى طباعكم ، وريحه الذى وجده من بعيد هو وصول آثر رجوع القلب الى عالم العقل والمعقول واقباله اليه من محض التوحيد بتجهيز القوى الحيوانية بجهاز الحظوظ على حكم العدالة وقانون الشرع والعقل فقد قيل انه جهز العير بأجل مايكون ووجهها الى كنعان ، وضلاله القديم هو تعشقه بالقلب ازلا وذهوله عن جهتهم وقوله (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل) اشارة الى سابق علمه

عباس لماقال لهم هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف وقرئ على الخبر وجه ماقال ابن عباس ايضا فى رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال انا يوسف) قال بعض العلماء انما اظهر الاسم فى قوله انا يوسف ولم يقل اناهو تعظيما لمانزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكأنه قال انا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلى بان القيتمونى فى الجب ثم ابعتمونى بأبخس الأثمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال (وهذا اخى) وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا اخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت انا وهو الى ماترون وهو قوله (قد من الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى ديننا ودنيانا (انه من يتق ويصبر) يعنى يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله بأداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لايضيع اجر المحسنين) يعنى اجر من كان هذا حاله (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم فى حقه (تالله لقد آثرك الله علينا) اى اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا اى اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التى اعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء ايضا فليس له عليهم فضل فى ذلك واجيب عنه بأن يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط (وان كنا لخاطئين) يعنى وما كنا فى صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطئ خطأ اذا تعمد واخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون آثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآى لان خاطئين اشبه بما قبلها (قال) يعنى يوسف (لا تثريب عليكم) يعنى لاتعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولايوبخها ولا يثرب اى لايعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفى محل قوله (اليوم) قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثانى ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدأ باليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال ابيه فقال ما حال ابى بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك

برجوع القلب الى مقام العقل . واستغفاره لهم تقريره اياهم على حكم الفضائل العقلية بالاستقامة بعد صفائهم وذكاهم وقبولهم للهيات النورانية بعد خلع الظلمانية . ودخولهم على يوسف هو وصولهم الى مقام الصدر حال الاستقامة . ودخولهم مصر كون الكل فى حضرة الجمعية الالهية الواحدية مع تفاضل مراتبهم فى عين جمع الوحدة . ورفع ابويه على العرش عبارة عن ارتفاع مرتبتى العقل والنفس عن مراتب سائر القوى وزيادة قربهما اليه وقوة سلطنتهما عليها . وخرورهم له سجدا عبارة عن انقياد الكل وطاعتهم له بالامر الوحدانى بلافعل حركة بأنفسهم بحيث لايتحرك منها شعر ولاينبض لها عرق الا بالله . وتأويل رؤياه صورة ماتقرر فى استعداده الاول من قبول هذا الكمال (قد جعلها ربى حقا) اخرجها من القوة الى الفعل (وقد احسن بى) بالبقاء بعد الفناء (اذ اخرجنى من السجن) سجن الخلوة التى كنت فيها

فأعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه والقى فى النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى قصبة من فضة وسد راسها وجعلها فى عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القى يوسف فى البئر عريانا اتاه جبريل واخرج له ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه ريح الجنة فلايقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى فى الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل * وقوله (واتونى باهلكم اجمعين) قال الكلبى كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامراة (ولما فصلت العير) يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى ارض كنعان (قال ابوهم) يعنى قال يعقوب لولد ولده (انى لاجد ريح يوسف) قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير وقال مجاهد اصابت يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ريح الجنة فعلم انه ليس فى الارض من ريح الجنة الا ماكان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال انى لاجد ريح يوسف (لولا ان تفندون) اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراى وقال ابن الانبارى افند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا ان تفندون اى تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلوموني وقيل تجهلوني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعنى اولاد اولاد يعقوب واهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك لفى ضلالك القديم) يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قدمات وهلك ويرون ان يعقوب قدلهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما ان جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدى قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حى فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به

محجوبا عن شهود الكثرة فى عين الوحدة ومطالعة الجمال فى صفات الجلال (وجاء بكم من البدو) بدو خارج مصر الحضرة الالهية (من بعد ان نزغ الشيطان) شيطان الوهم (بينى وبين اخوتى) بتحريضه اياهم على القائى فى قعر بئر الطبيعة بانهما كهم وتهالكهم على اللذات البدنية (ان ربى لطيف لما يشاء) يلطف باحبابه بتوفيقهم للكمال وتدبير امورهم بحسب مشيئته الازلية وعنايته القديمة (انه هو العليم) بما فى الاستعدادات (الحكيم) بترتيب اسباب الكمال وتوفيق المستعد للوصول اليه (رب قد آتيتنى من الملك) اى من توحيد الملك الذى هو توحيد الافعال (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) اى معانى المغيبات وما يرجع اليه صورة الغيب وهو من باب توحيد الصفات (فاطر السموات والارض) سموات الصفات فى مقام القلب وارض توحيد الافعال فى مقام النفس (انت ولى فى توحيد الذات فى الدنيا والاخرة) بتوحيد الذات

حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (القاه على وجهه) يعنى فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعنى فرجع بصيرا بعدما كان عميا وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة * قوله تعالى (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا) يعنى قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا اى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعنى فى صنيعنا (قال سوف استغفر لكم ربى) قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفرلى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما اتوا الى اخيهم يوسف فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبى سوف استغفر لكم ربى قال حتى اسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الاترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى ابيه مائتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجئ ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك فى اربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا و فعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى و لكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (ابويه) قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قدماتت فى نفاس بنيامين وقال الحسن هما ابوه وامه

فى دنيا الملك واخرة الملكوت (توفنى مسلما) افننى عنى فى حالة كونى منقادا لامرك لاطاغيا ببقاء الانية (والحقنى بالصالحين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) الثابتين فى مقام الاستقامة بعد الفناء فى التوحيد (وما يؤمن اكثرهم بالله) الايمان العامى (الاوهم مشركون) باثبات موجود غيره او الايمان العينى الا وهم مشركون باحتجابهم بانانيتهم (افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) حجاب يحجب استعدادهم عن قبول الكمال من هيئة راسخة ظلمانية (اوتأتيهم الساعة) القيامة الصغرى (بغتة وهم لايشعرون) بنور الكشف والتوحيد فلا يرتفع حجابهم فيبقون فى الاحتجاب ابدا (قل هذه) السبيل التى اسلكها

وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول فى قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعنى البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثانى الاستيطان بها اى ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع ابويه على العرش) يعنى على السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا فى النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم فى معنى هذا السجود قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثانى انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغى ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ فى التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رايتهم لى ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهى ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا فى ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (وقال) يعنى وقال يوسف عند ما راى ذلك (يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل) يعنى هذا تصديق الرؤيا التى رأيت فى حال الصغر (قد جعلها ربى حقا) يعنى فى اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسى وعبد الله بن شداد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدى ستة وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزى وزاد غيره عن

وهى سبيل توحيد الذات (سبيلى) المخصوص بى ليس عليه الا انا وحدى (ادعوا الى الله على بصيرة) الذات الاحدية الموصوفة بكل الصفات فى عين الجمع (انا ومن اتبعنى) فى هذه السبيل وكل من يدعوا الى هذه السبيل فهو من اتباعى اذ الانبياء قبلى كلهم كانوا داعين الى المبدا والمعاد والى الذات الواحدية الموصوفة ببعض الصفات الا ابراهيم عليه السلام فانه قطب التوحيد ولهذا كان صلى الله عليه وسلم من اتباعه باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل الصفات الا هو عليه الصلاة والسلام والا لكان غيره خاتما السبيل الحق كما ختم لان كل احد لا يمكنه الدعوة الا الى المقام الذى بلغ اليه من الكمال (وسبحان الله) انزهه من ان يكون غيره على سبيله بل هو السالك سبيله والداعى الى ذاته (وما انا من المشركين) المثبتين للغير فى مقام التوحيد الذاتى المحتجبين عنه بالانانية بل انانيته فانية عنى فهو الداعى الى سبيله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى

الحسن ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة * وقوله (وقد احسن بى) يعنى انعم على يقال احسن بى والى بمعنى واحد (اذا خرجنى من السجن) انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لاتثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من اعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعنى من البادية واصل البد وهو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) يعنى افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربى لطيف لما يشاء) يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربى لطيف لما يشاء اى حسن الاستخراج تنبيها على ما اوصل الى يوسف حيث القاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه (انه هو العليم) يعنى بمصالح عباده (الحكيم) في جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اهنأ عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص اخى يعقوب وكان قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه وعمه رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لايدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) اى يارب (قد آتيتنى من الملك) يعنى من ملك مصر ومن هنا للتبعيض

اليهم من اهل القرى) اى من كان فيه بقية من الرجولية من اهل قرى الصفات والمقامات لامن مصر الذات فان البقاء الحاصل لاهل التمكين لايكون الا بقدر الفناء والرجوع الى الخلق لايكون الا على حسب العروج فالفناء التام والعروج الكامل لايكون الا للقطب الذى هو صاحب الاستعداد الكامل الذى لارتبة الا قد بلغها ويلزم ان يكون الرجوع التام الشامل لجميع تفاصيل الصفات عند البقاء له وهو الخاتم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كان بنيان النبوة تم ورصف وبقى منه موضع لبنة واحدة فكنت انا تلك اللبنة والى هذا المعنى اشار بقوله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (افلم يسيروا في الارض) ارض استعدادهم (فينظروا كيف كان) نهاية الامر (عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) وغاية كمالهم فيبلغوا منتهى اقدامهم ويحصلوا كمالاتهم بحسب استعداداتهم فان لكل احد خاصية واستعداده الخاص يقتضى

لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع فى المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعنى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطرناب البعير اذا شق وظهر وافطر الله الخلق اوجده وابدعه (انت ولي) يعنى معينى ومتولى امرى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما) اى اقبضنى اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة فى الحال ام لا على قولين احدهما انه سأل الله الوفاة فى الحال قال قتادة لم يسأل نبى من الانبياء الموت الا يوسف قال اصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه اسبوع حتى توفى والقول الثانى انه سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت فى الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفنى اذا توفيتنى على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس فى اللفظ مايدل على انه طلب الوفاة فى الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لانفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن احدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه اولى ❁ وقوله (والحقنى بالصالحين) اراد به بدرجة ابائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفى التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه فى النيل فى صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن فى محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه فى النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن فى الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه فى وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان اخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام فى الارض المقدسة ❁ قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وماجرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من انباء الغيب) يعنى اخبار الغيب (نوحيه اليك) يعنى الذى اخبرناك به من اخبار يوسف وحى اوحيناه اليك يا محمد وفى هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذى نشأ فيه صلى الله عليه وسلم ولانه نشأ بين امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة فعلم بذلك ان الذى اتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له دائمة الى آخر الدهر ❁ وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعنى وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (اذ اجمعوا امرهم) يعنى

سعادة خاصة هى عاقبته ومن الاطلاع على خواص النفوس وغايات اقدامهم فى السير يحصل للنفس هيئة اجتماعية من تلك الكمالات هى كمال الامة المحمدية على حسب اختلاف استعداداتهم وهى الدار الآخرة التى هى خير للذين اتقوا صفات نفوسهم التى هى حجب الاستعدادات (افلا تعقلون) ان هذا المقام خير مما انتم عليه من الدار الفانية وتمتعاتها فانها لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (حتى اذا استيأس الرسل) اى ساروا واتقوا وتراخى فتحهم ونصرهم فى الكشوف على كفرة قوى النفس حتى اذا استيأس الرسل الذين هم اشراف القوم من بلوغ الكمال (وظنوا انهم قد كذبوا) كذبتهم ظنونهم فى استعدادهم للكمال او رجائهم (جاءهم نصرنا) بالتأييد والتوفيق من امداد انوار الملكوت والجبروت (فنجى من نشاء) من اهل العناية من الرسل واتباعهم (ولا يرد بأسنا) قهرنا بالحجب والتعذيب (عن القوم المجرمين) باظهار

حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام فى الجب (وهم يمكرون) يعنى يوسف (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ماعندهم فى التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له (وماتسئلهم عليه من اجر) يعنى على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من اجر يعنى اجرا وجعلا على ذلك (ان هو) اى ماهو يعنى القرآن (الا ذكر) يعنى عظة وتذكيرا (للعالمين وكأين من آية) يعنى وكم من آية دالة على التوحيد (فى السموات والارض يمرون عليها) يعنى لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) اى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى باعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون) يعنى ان من ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفى رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفى رواية اخرى عنه ايضا انها نزلت فى تلبية مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لبيك لاشريك لك الاشريك هولك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا فى الدعاء (افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعنى عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعنى الصواعق والقوارع (اوتأتيهم الساعة بغتة) يعنى فجأة (وهم لايشعرون) يعنى بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم فى اسواقهم (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلى) يعنى طريقى التى (ادعو) اليها وهى توحيد الله عزوجل ودين الاسلام وسمى سبيلا لانه الطريق المؤدى الى الله عزوجل والى الثواب والجنة (الى الله) يعنى الى توحيد الله والايمان به (على بصيرة) يعنى على يقين ومعرفة والبصيرة هى المعرفة التى يميز بها بين الحق والباطل (انا ومن اتبعنى) يعنى من آمن بى وصدق بما جئت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبى وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو الى مادعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استأنف على بصيرة انا ومن اتبعنى يعنى انا على بصيرة ومن اتبعنى ايضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قدمات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرقهم فهو لاء كانوا على الصراط المستقيم * وقوله (وسبحان الله) اى وقل سبحان الله يعنى تنزيهاله عما لايليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما انا من المشركين) يعنى وقل

صفات نفوسهم على قلوبهم فيكسبونها الهيآت الفاسقة الحاجبة المؤذية (لقدكان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب) اى مايعبربها عن ظاهرها الى باطنها كما عبرنا فى قصة يوسف الاولى العقول المجردة عن قشور الوهميات الخالصة عن غشاوات الحسيات (ماكان) هذا القرآن (حديثا يفترى) من عند النفس (ولكن تصديق الذى بين يديه) كان ثابتا قبله فى اللوح (وتفصيل كل شئ) اجمل فى عالم القضاء وهداية الى التوحيد (وهدى ورحمة) بالتجليات الصفاتية من وراء استار آياته (لقوم يؤمنون) بالغيب لصفاء الاستعداد

﴿ سورة الرعد ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) اى الذات الاحدية واسمه العليم واسمه الاعظم ومظهره الذى هو الرحمة التامة على ماشير اليه (تلك آيات الكتاب) معظمات علامات كتاب الكل الذى هو الوجود المطلق وآياته الكبرى (و) المعنى (الذى انزل اليك من ربك الحق) من العقل الفرقانى وهذا

يا محمد وما انا من المشركين الذى اشركوا بالله غيره * قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك الارجالا) يعنى وما ارسلنا قبلك يا محمد الارجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك (من اهل القرى) يعنى انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادى لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل البوادى قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم (افلم يسيروا فى الارض) يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وماحل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعنى فعلنا هذا باوليائنا واهل طاعتنا اذا نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما فى الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى الآخرة لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (افلا تعقلون) يعنى يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون * قوله عز وجل (حتى اذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما ارسلنا من قبلك الارجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا انهم قد كذبوا) قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائى كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ماقاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعانى كذبوا من قولهم كذبتك الحديث اى لم اصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو على والضمير فى قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير فى وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى فى قوله افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى مكذبى الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ماروى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا فى وعد قومهم اياهم الايمان اى وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم فى

الذى [illegible] فى الحروف هو الحق (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) اى بعمد غير مرئية هى ملكوتها التى تقومها وتحركها من النفوس السماوية اوسموات الارواح بلا مادة تمسدها فتقوم هى بها بل مجردة قائمة بانفسها (ثم استوى) مستعليا (على العرش) بالتأثير والتقويم اوعلى عرش القلب بالتجلى (وسخر الشمس والقمر) شمس الروح بادراك المعارف الكلية واشراق الانوار العالية وقمر القلب بادراك ما فى العالمين جميعا والاستمداد من فوق ومن تحت ثم قبول تجليات الصفات بالكشف (كل يجرى لاجل مسمى) اى غاية معينة هى كماله بحسب الفطرة الاولى (يدبر الامر) فى البداية بتهيئة الاستعداد وترتيب المبادى (يفصل الآيات) فى النهاية بترتيب الكمالات والمقامات المترتبة فى السلوك على حسب تجليات الافعال والصفات (لعلكم بلقاء ربكم) عنده شاهدات آيات

الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ماوعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن مايخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية واما الظن الذى هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احداهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان اهل الكفر ظنوا ما لايجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولايستحقون ظفرا ولانصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعنى وايقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لايرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطؤا النصر اتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لا انهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطاء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية فى وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا اوكذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وماهو بالظن فقالت ياعروة اجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابى مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا حقيقة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ماوعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا ان يكون معهم من قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة * وقوله تعالى ﴿ جاءهم نصرنا ﴾ يعنى جاء نصر الله النبيين ﴿ فنجى من نشاء ﴾ من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنجى المؤمنين المطيعين ﴿ ولايرد بأسنا ﴾ يعنى عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ يعنى المشركين

المتجليات ﴿ توقنون ﴾ عين اليقين ﴿ وهو الذى مد الارض ﴾ ارض الجسد ﴿ وجعل فيها رواسى وانهارا ﴾ العظام وانهار العروق ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ ثمرات الاخلاق والمدركات ﴿ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ اى صنفين متقابلين كالجود والبخل والحياء والقحة والفجور والعفة والجبن والشجاعة والظلم والعدالة وامثالها وكالسواد والبياض والحلو والحامض والطيب والنتن والحرارة والبرودة والملاسة والخشونة وامثالها ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ ليل ظلمة الجسمانيات على نهار الروحانيات كتغشية القوى الروحانية بآلاتها والروح بالجسد ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فى صنع الله وتطابق عالمية الاصغر والاكبر ﴿ وفى الارض ﴾ ارض الجسد ﴿ قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل ﴾ من العظم واللحم والشحم والعصب وجنات من اشجار القوى الطبيعية والحيوانية والانسانية من اعناب القوى الشهوانية التى يعصر منها خمر هوى النفس

المشركين * قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم) يعنى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) اى موعظة (لاولى الالباب) يعنى يتعظ بها اولوا الالباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة الذى قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال فى اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال فى آخرها لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او يختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شئ) يعنى ان فى هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شئ تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد فى امر دينهم ودنياهم (وهدى) يعنى الى كل خير (ورحمة) يعنى انزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد

قال ابن الجوزى اختلفوا فى نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثانى انها مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدنى منها قوله هو الذى يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس واربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انا الله اعلم وارى وروى عطاء عنه انه قال ان معناه انا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اى آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها * ثم قال (والذى انزل اليك من ربك الحق) يعنى من القرآن كله هو الحق الذى لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة فى قوله تلك الاخبار والقصص اى الاخبار والقصص التى

والقوى العقلية التى يعصر منها خمر المحبة يعصر العشق وزرع القوى النباتية ونخيل سائر الحواس الظاهرة والباطنة (صنوان) كالعينين والاذنين والمنخرين (وغير صنوان) كاللسان وآلة الفكر والوهم والذكر (تسقى بماء واحد) هو ماء الحياة (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات) اكل الادراكات والملكات كتفضيل مدركات العقل الحس والبصر على اللمس وملكة الحكمة على العفة وامثالها (لقوم يعقلون) عجائب صنعه (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) عن قولهم فهو مكان التعجب لان الانسان فى كل ساعة خلق آخر جديد بل العالم لحظة فلحظة خلق جديد بتبدل الهيئة والاحوال والاوضاع والصور فكيف ينكر الخلق الجديد من نظر فى عالم الكون والفساد بعين الاعتبار (اولئك الذين كفروا بربهم) محجوبوا عن شهود افعال الربوبية وتجلياتها فكيف عن تجليات الصفات

قصصناها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذى انزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى انزل اليك يا محمد من ربك الحق اى هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة ارادبآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذى انزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى انزل اليك من ربك هو الحق الذى لاشك فيه ولا تناقض (ولكن اكثرالناس لا يؤمنون) يعنى مشركى مكة نزلت هذه الآية فى الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله (ترونها) قولان احدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعنى وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعنى ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفى العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقبية على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثانى ان الرؤية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول اصح * وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه فى سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعنى ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على مايريد (كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعنى انهما يجريان فى منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوز انها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعنى انه تعالى يدبر امر العالم العلوى والسفلى ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكمل الاحوال لايشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهى خلق السموات والارض ومافيهما من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثانى الموجودات الحادثة فى العالم وهى الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكى توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم

الالهية (واولئك الاغلال فى اعناقهم) فلا يقدرون ان يرفعوا رؤسهم المنكسة الى الارض القاصر نظرها الى مايدانيها من الحس فيروا ملكوت الارواح ويشاهدوا عالم القدرة ومايبعد عن منازل الحس من المعقولات (واولئك اصحاب النار) نيران جهنم الافعال فى قعر هاوية الطبيعة (هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بمناسبة استعدادهم للشر لاستيلاء الهيآت المظلمة والرذائل عليها فينزعون الى الشر لغلبة الشر عليهم (وقد خلت من قبلهم المثلات) عقوبات امثالهم (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم على انفسهم باكتساب تلك الهيآت الفاسقة الحاجبة عن النور لمن لم ترسخ فيه ولم تبطل استعداد فيزيلها بنور رحمته (وان ربك لشديد العقاب) لمن ترسخت فيه وصارت رينا وابطلت الاستعداد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قد انما انت منذر) حجبوا فلم يروا الآيات الشاهد على النبوة

❁ قوله تعالى (وهوالذى مدالارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهى رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكرالدلائل الارضية فقال وهوالذى مدالارض اى بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطحة كالاكف وعند اصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مدالارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعنى فى الارض (رواسى) يعنى جبالا ثابتة يقال رسا الشئ يرسو اذا ثبت وارساه غيره اثبته قال ابن عباس كان ابوقبيس اول جبل وضع على الارض (وانهارا) يعنى وجعل فى الارض انهارا جارية لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعنى صنفين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا (يغشى الليل النهار) يعنى يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان فى ذلك) يعنى الذى تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (لآيات) اى دلالات (لقوم يتفكرون) يعنى فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب فى طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة فى القلب ولهذا روى تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذا كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل فى طلب المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول حقيقتها ❁ قوله عز وجل (وفى الارض قطع متجاورات) يعنى متقاربات بعضها من بعض وهى مختلفة فى الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لاتنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعنى بساتين والجنة كل بستان ذى شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمى جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجتمعن من اصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعنى انهما من اصل واحد (وغير صنوان) هى النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسقى بماء واحد) يعنى اشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل فى حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) يعنى فى الطعم مابين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والنرسيان والحلو والحامض اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وانزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل

من اتصافه بصفات الله لعدم ادراكهم وعمى بصائرهم فلذلك لم يعدوها آيات واقترحوها على حسب هواهم ماعليك الا انذارهم لاهدايتهم اذ الهداية الى الله (ولكل قوم هاد) يناسبهم بحسب الجنسية الفطرية فيألفونه عند كماله وتلقيه النور الالهى ويقبلون الهداية منه فيهديهم الله على مظهره فمن ناسبك بتلك الجنسية الاصلية قبل الهداية منك ومن لا فلا وتلك اسرار خفية لايعلمها الا (الله) الذى (يعلم ماتحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد) فيعلم ماتحمل انثى النفس من ولد الكمال اى مافى قوة كل استعداد وما تزيد ارحام الاستعداد بالتزكية والتصفية وبركة الصحبة من الكمالات وماتنقص منها بالانهماك فى الشهوات (وكل شئ) من الكمالات (عنده بمقدار) معين على حسب القابلية اوكل شئ من قوة قبول فى استعداد مقدر عنده بمقدار فى الازل من فيضه الاقدس لا يزيد ولاينقص اولكل قوم هاد

عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ماجالس القرآن احد الاقام من عنده بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقوله تعالى (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر (لآيات لقوم يعقلون) يعنى فيتدبرون ويتفكرون فى الآيات الدالة على وحدانيته * قوله تعالى (وان تعجب فعجب قولهم) العجب تغيير النفس رؤية المستبعد فى العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب مالايعرف سببه ولهذا قيل العجب فى حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لايخفى عليه خافية والخطاب فى الآية للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يامحمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين مالايضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وماضرب لهم به الامثال مارأوا فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر فى النفوس ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أئذا كنا ترابا) يعنى بعد الموت (أئنا لفى خلق جديد) يعنى تعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله * ثم ان الله تعالى قال فى حقهم (اولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن انكر ذلك فهو كافر (واولئك الاغلال فى اعناقهم) يعنى يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى انهم مقيمون فيها لايخرجون منها ولا يموتون (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجئ وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) يعنى وقد مضت فى الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب * قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعنى من اهل مكة (لولا) اى هلا (انزل عليه) يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعنى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم (انما انت منذر) اى

هو الله تعالى كما قال انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء لعلمه بما فى الاستعدادات من قوة القبول وزيادتها ونقصانها فيقدر بحسبها كمالاتهم (عالم الغيب والشهادة) غيب مافى الاستعدادات من قوة القبول وشهادة الكمالات الحاضرة الخارجة الى الفعل (الكبير) الشأن الذى يجل عن اعطاء مايقتضيه بعض الاستعدادات بل يسع كلها فيعطيها مقتضياتها (المتعال) عن ان ينقطع فيضه فيتأخر عن حصول الاستعداد وينقص عما يقتضيه (سواء منكم من اسر القول) فى مكمن استعداده (ومن جهر به) بابراز العلم من القوة الى الفعل (وهو مستخف بالليل) بليل ظلمة نفسه (و) من هو (سارب بالنهار) بخروجه من مقام النفس وذهابه فى نهار نور الروح (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) امداد متعاقبة من الملكوت واصلة اليه من امر الله (يحفظونه من امر الله) خطفات جن القوى الخيالية والوهمية وغلبات البهيمة والسبعية

ليس عليك يامحمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادى هوالله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعى والمعنى انما عليك الانذار يامحمد والهادى هوالله يهدى من يشاء وقال عكرمة فى رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبى يهديهم وقال ابو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادى هو القائد الى الخير لا الى الشر * قوله تعالى (الله يعلم ماتحمل كل انثى) لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات اخبرهم الله عزوجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعنى من ذكر او انثى سوى الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر (وماتغيض) يعنى وماتنقص (الارحام وماتزداد) قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة فى وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رأت خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فأقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا فى اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعى وقال حماد بن ابى سلمة انما سمى هرم بن حبان هرما لانه بقى فى بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شئ عنده بمقدار) يعنى بتقدير وحد لايجاوزه ولاينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على اكمل الوجود وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذى لايقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ماغاب عن خلقه ومايشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ماغاب عن الحس والشاهد ماحضر الحس (الكبير) اى العظيم الذى يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعنى المنزه عن صفات النقص المتعالى عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص * قوله تعالى (سواء منكم من اسر القول ومن جهر به) اى مستو منكم من اخفى القول او كتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى فى علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) اى مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) اى ذاهب بالنهار فى سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبى السارب المتصرف فى حوائجه قال ابن عباس فى هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار ارى الناس انه برئ من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشئ اذا اظهرته واخفيته اذا

واهلا كها اياه (ان الله لايغير مابقوم) من نعمة وكمال ظاهر او باطن (حتى يغيروا مابأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) من الاستعداد وقوة القبول فان القبض الالهى عام متصل كالماء الجارى المتر الى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فيتلون بلون الاستعداد فمن تكدر استعداده تكدر فيضه فزاده فى شره ومن صفى استعداده تصفى فيضه فزاده فى خيره وكذا النعم الظاهرة لابد فى تغيرها الى النقم من استحقاق جلى او خفى ولهذا قال المحققون ان الدعاء الذى لا يتخلف عنه الاستجابة المشار اليه بقوله ادعونى استجب لكم هو الذى يكون بلسان الاستعداد وعن بعض السلف ان الفأرة مزقت خفى وماعلم ذلك الابذنب احدثته والا ماسلطها الله على وتمثل بقول الشاعر * لوكنت من مازن لم تستبح ابلى * (هو الذى يريكم البرق) برق لوامع الانوار القدسية والخطفة الآلهية (خوفا) اى خائفين

كمته وسارب بالنهار اى متوار دخل فى السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما اضمرت به القلوب اونطقت به الالسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا فى ظلمات الليل اواتى بها ظاهرا فى النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعنى لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكور لان واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بنى آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيآت وكاتب الحسنات امين على كاتب السيآت فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب اويستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عزوجل رفعه بها وان تجبر على الله عزوجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لايدعه يدخل فى فيه شئ من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة املاك موكلون بالعبد فى ليله وخمسة غيرهم فى نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بامر الله واذنه مالم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما امر الله به من الحفظ له قال مجاهد مامن عبد الا وملك موكل به يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شئ يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اى يحفظون عليه الحسنات والسيآت وهذا على قول من يقول ان الآية فى الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيآت وقال عكرمة الآية فى الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير فى قوله له راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فى معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن ابن زيد نزلت هذه الآية فى عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد وكانت قصتهما على مارواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فى نفر من اصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يارسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد مالى ان اسلمت قال لك ماللمسلمين وعليك

من سرعة انقضائه وبطء رجوعه (وطمعا) اى طامعين فى ثباته وسرعة رجوعه (وينشئ السحاب) سحاب السكينة (الثقال) بماء العلم اليقينى والمعرفة الحقة (ويسبح الرعد بحمده) رعد سطوة التجليات الجلالية اى يسبح الله ويمجده عما يتصور فى العقل من ترد عليه تلك التجليات لوجدانه مالايدركه العقل ويحمده حق حمده بالكمال المستفاد من ذلك التجلى حمدا فعليا فيكون التسبيح للرعد الموجب لذلك اوالسطوة تسبح بنفس التجلى المنزه عن ان يدرك بالادراك العقلى (والملائكة من خيفته) اى ملكوت القوى الروحانية من هيبته وجلاله (ويرسل الصواعق) صواعق السبحات الآلهية تجلى القهر الحقيقى المتضمن للطف الكلى فيسلب الوجود عن المتجلى عليه ويفنيه عن بقية نفسه كما ورد فى الحديث ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لوكشفها لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه (فيصيب بها

ماعلى المسلمين قال تجعل الامر لى بعدك قال ليس ذلك لى انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء
قال فتجعلنى على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لى قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها
قال اوليس ذلك لى اليوم ثم معى اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد
اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتنى اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ
اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فارسل الله على اربد صاعقة فى يوم صحو قائظ فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت
ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
يمنعنى الله من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح
ضم اليه سلاحه فخرج له خراج فى اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة
كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض فى الصحراء ويقول ادن
يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت
لانفذنهما برمحى فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه فى التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات
على ظهره واجاب الله عزوجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر بن الطفيل
فمات بالطعن واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عزوجل فى شأن هذه القصة سواء
منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعنى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اى بامر الله وقيل
ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من
بين يديه ومن خلفه * وقوله (ان الله لايغير مابقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل
واربد بن ربيعة يعنى لايغير مابقوم من العافية والنعمة التى انعم بها عليهم (حتى يغيروا امابانفسهم)
يعنى من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله
تعالى (واذا اراد الله بقوم سوء) يعنى هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعنى لايقدر احد ان
يرد ما انزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعنى وليس لهم من
دون الله من وال يلى امرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم * قوله عزوجل (هو الذى
يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عزوجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوء
ذكر فى هذه الآية من عظيم قدرته مايشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال
تعالى هو الذى يعنى هو الله الذى يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال
السحاب وفى كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع
فى نزول المطر الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن فى جرينه يعنى بيدره
التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له فى نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث
ان المطر يخاف منه اذا كان فى غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان فى مكانه وزمانه فان
من البلاد ما اذا امطرت قحطت واذا لم تمطر اخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعنى بالمطر

من يشاء) من عباده
المحبوبين والمحبين العشاق
المشتاقين (وهم يجادلون
فى الله) بالتفكر فى صفاته
والنظر العقلى فى اثباته
ومايجب له ويمتنع عليه
من الصفات (وهو شديد
المحال) القوى فى رفع
الحيل العقلية فى الادراك
وطمس نور بصيرته بالتجلى
واحراقه بنور العشق (له
دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لايستجيبون لهم
بشئ الا كباسط كفيه الى
الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه)
اى الدعوة الحقية التى
ليست بالباطل له لالغيره
يدعو نفسه فيستجيب كما
قال الا لله الدين الخالص
اى الدين الخالص ليس الا
دينه ومعناه ان الدعوة
الحقة الحقيقة بالاجابة هى
دعوة الموحد الفانى عن
نفسه الباقى بربه وكذا الدين
الدين الخالص دينه .
والدعاة القائمون بأنفسهم
لايدعون الا من تصوره
ونحتوه فى خيالهم فلا
يستجاب لهم الا كاستجابة
الجماد الذى يطلب منه الشئ
ولعمرى انه لايدعو الله الا
الموحد وغيره يدعو الغير
الموهوم الذى لا قدرة له

بقال انشا الله السحابة فنشأت اى ابداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء
قاله على بن ابى طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء اولم يكن فيه ماء ولهذا
قيل سحاب جهام وهو الخالى من الماء واصل السحب الجر وسمى السحاب سحابا اما لجر الريح
له اولجره الماء اولانجراره فى سيره (ويسبح الرعد بحمده) اكثر المفسرين على ان الرعد اسم
للملك الذى يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول ماعطف
عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغاير المعطوف عليه وجب
ان يكون غيره واجيب عنه انه لابعد ان يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وانما افرده
بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس
اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ماهو قال ملك من
الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت
الذى يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث امرت قالوا صدقت اخرجه الترمذى مع
زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم
بعضا واراد به هنا آلة تزجربها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره فى حديث آخر وهو
صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال
سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان اصابته
صاعقة فعلى ديته وكان عبدالله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من
يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفى
بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لوان عبادى اطاعونى لسقيتهم المطر بالليل واطلعت
عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء فى نقرة ابهامه
وانه يسبح الله فاذا سبح لايبقى ملك فى السماء الارفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر
وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله
عزوجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عزوجل عن جميع النقائص ووجود
هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن
جميع النقائص وان لم يكن ذلك فى الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شئ الايسبح بحمده
وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله
والملائكة من خيفته يعنى ويسبح الملائكة من خيفة الله عزوجل وهيبته وخشيته وقيل
المراد بهذه الملائكة اعوان السحاب اعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون
وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم اولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة
وهى العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هى الصوت الشديد النازل من
الجو ثم يكون فيه نار او عذاب اوموت وهى فى ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء الثلاثة
تنشأ منها (فيصيب بها) يعنى بالصواعق (من يشاء) يعنى فيهلك بها كما اصاب اربد بن
ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون

فى الله

ولا وجود فلا استجابة
وهو الذى حجب استعداده
بصفات نفسه فلايعلم
ما استحقه فضاع دعاؤه
ولايكون مثل هذا الدعاء
الا فى ضياع اودعوة الحق
جل وعلا لاتكون الاله
اودعوة المدعو الذى هو
الحق هى الدعوة المختصة
بذاته لايدعى بها غيره
من اسمائه وصفاته من دونه
انه لايستجيبهم المدعو الا
استجابة كاستجابة داعى الماء
بالاشارة لكونهم محجوبين
(وما دعاء الكافرين)
المحجوبين (الافى ضلال)
ضياع (ولله يسجد) ينقاد
(من فى السموات والارض
طوعا وكرها) من الحقائق
الروحانيات كاعيان الجواهر
وملكوت الاشياء
(وظلالهم) اى هياكلهم
واجسادهم التى هى اصنام
تلك الروحانيات وظلالها
ولهذا قرأ النبى صلى الله
عليه وسلم فى هذه السجدة
سجدلك وجهى وسوادى
وخيالى اى حقيقة ذاتى
وسواد شخصى وخيال
نفسى اى وجودى وعينى
وشخصى (طوعا وكرها)
اى شاؤا اوابوا والمعنى
يلزمهم ذلك الاضطرار

فى الله) يعنى يخاصمون فى الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت الحبل اذا احكمت فتله نزلت فى شان اربدبن ربيعة حين قال النبى صلى الله عليه وسلم مم ربك من در أم من ياقوت ام من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم اخبرونى عن رب محمد هذا الذى تدعونى اليه هل هو من ذهب اوفضة اوحديد اونحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله مارأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا بل قال أ اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الاولى شيأ بل قال اخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لايزيدهم على مقالته شيأ اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قالوا قداوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله واختلفوا فى هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء فى حال جداله فى الله وذلك ان اربدلما جادل فى الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو استئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون فى الله (وهو شديد المحال) اى شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يمحل به محلا اذا اراد به سوأ وقيل هو من قولهم يمحل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال بأعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولايتوقعونه وقيل المحل من المحول وهوالحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين فى معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال و ذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون فى الله اخبر انه اشد جدالا منهم * قوله تعالى (له دعوة الحق) يعنى لله دعوة الصدق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لااله الاالله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سوله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالانفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثانى ان تضاف الى الحق الذى هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن انه هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ماوجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت اما على قصة

الاان بعضهم طائع وبعضهم كاره (بالغدو والآصال) اى دائما (قل الله قل افاتخذتم من دونه) اى من كل ماعداه كائنا من كان (اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) اذ القادر المالك هو الله لاغير (قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) اى من كل ماعداه كائنا من كان اذ القادر المالك هو الله لاغير انزل من السماء ماء) من سماء روح القدس ماء العلم (فسالت اودية بقدرها) اودية القلوب بقدر استعداداتها (فاحتمل السيل) سيل العلم (زبدا رابيا) من خبث صفات ارض النفس ورذائلها ودناياها (ومما يوقدون عليه فى النار) فى نار العشق من المعارف والكشوف والحقائق والمعانى التى تهيج العشق (ابتغاء حلية) زينة النفس وبهجتها لكونها كالات لها (او متاع) من الفضائل الخلقية التى يحصل بسببها فانها مما يتمتع به النفس (زبد مثله كذلك

اريد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لايكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الاصنام التي يعبدونها (لايستجيبون لهم بشيء) يعني لايجيبونهم بشيء يريدونه من نفع اودفع ضرر ان دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه) يعني الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لايشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاءه اويبلغ فاه وكذلك مايدعونه جماد لايحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولايقدر على نفعهم وقيل شبهم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا اسابعه لايكون في يده منه شيء ولايبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لاتضر ولا تنفع ولايفيده منها شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينيه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلايأتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو عديده الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لاينفعه ذلك مالم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لاينفعهم البتة * ثم ختم هذا بقوله (وما دعاء الكافرين) يعني اصنامهم (الا في ضلال) يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية اصواتهم محجوبة عن الله تعالى * قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففي معنى الآية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لايرجون على سجودهم ثوابا ولايخافون على تركه عقابا بل سجودهم و عبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من

في السموات

يضرب الله الحق والباطل) خبث كالنظر اليها ورؤيتها وتصور النفس كونها كاملة او فاضلة متزينة بزينة تلك الاوصاف واعجابها واحتجابها وسائر مايعد من آفات النفس وذنوب الاحوال (فاما الزبد فيذهب جفاء) مرميا به منفيا بالعلم كما قال ليطهركم به (واما ماينفع الناس) من المعاني الحقية والفضائل الخالصة (فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال) في ارض النفس (للذين استجابوا لربهم) بتصفية الاستعداد عن كدورات صفات النفس (الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهو الكمال الفائض عليهم عند الصفاء المعبر عنه بقوله نور على نور (والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) لم يتزكوا عن الرذائل البشرية والكدورات الطبيعية لايمكنهم الافتداء بكل مافي الجهة السفلية من الاموال والاسباب التي انجذبوا اليها بالمحبة فأهلكوا نفوسهم لان تلك سبب زيادة البعد والهلاك فكيف تكون سببا لخلاصهم عن تلك

في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ❊ وقوله تعالى (وظلالهم بالغدوّ والآصال) الغدوة والغداة اول النهار وقيل الى نصف النهار والغدوّ بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع اصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي مابين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدوّ والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم ❊ قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا اجابوك بذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله (قل الله) اى قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) اى قل يا محمد للمشركين (افاتخذتم من دونه) يعني من دون الله (اولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (ام هل تستوي الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (ام جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل

الظلمات وتبرئهم عنها لا ينفعهم عند رسوخ هيآت التعلق بها في انفسهم (اولئك لهم سوء الحساب) لوقوفهم مع الافعال في مقام النفس الذي هو مقام العدل الالهي فلابد لهم من المناقشة في الحساب (ومأويهم جهنم وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) صفات النفس ونيران الحرمان وهيآت السوء (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم) عند تجلي الصفات في مقام القلب فيشاهدون جلال صفة العظمة ويلزمهم الهيبة والخشية (ويخافون سوء الحساب) عند تجلي الافعال في مقام النفس وينظرون الى البطش والعقاب فيلزمهم الخوف (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة) في سلوك سبيله عن المألوفات طلبا لرضاه واشتغلوا بالتزكية بالعبادات المالية والبدنية

رأو اغيرالله خلق شيأ فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جلو لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكر وبعقولهم وجدوا لله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لايخلقون شيأ حتى يشتبه خلق بخلق الله الشركاء اذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شئ) أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شئ مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شئ من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شئ وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته * وقوله عزوجل (انزل من السماء ماء) لما شبه الله عزوجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء يعنى المطر (فسالت اودية بقدرها) اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت اوديه فيه اتساع وحذف تقديره فسال فى الوادى فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء فى النهر فحذف فى لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بمثلها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لايعم جميع الارض ولايسيل فى كل الاودية بل ينزل فى ارض دون ارض ويسيل فى واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الذى ارسلت به قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله وغيره فى معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش واما قوله وكان منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا فى الصحيحين وهى الارض التى لاتنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابى هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفى رواية الهروى اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى يمسك الماء وقوله وزرعوا كذا هو فى صحيح مسلم من الرعى ووقع فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاى من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض

ويدفعون بالفضيلة رذيلة النفس (اولئك لهم عقبى الدار) بالرجوع الى الفطرة اوصبروا عن صفات نفوسهم ابتغاء وجه ربهم اى لمحبة الذات لا لمحبة الصفات واقاموا صلاة المشاهدة وانفقوا مما رزقناهم من المقامات والاحوال والكشوف والاعمال سرا بالتجريد عن هيآتها وهيآت الركون اليها والمحبة اياها وعلانية بتركها وعدم الالتفات اليها ويدرؤن بالحسنة الحاصلة من تجلى الصفة الالهية السيئة التى هى صفة النفس اولئك لهم عقبى الدار اى البقاء بعد الفناء (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم) اى ثلاثتها يدخلون جنة الذات مع من صلح من اباء الارواح وجنة الصفات بالقلوب وجنة الافعال بمن صلح من ازواج النفوس وذريات القوى (والملائكة) من اهل الجبروت والملكوت (يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الصفات مسلمين محيين اياهم بتحايا الاشراقات النورية والامداد القدسية كل ذلك

وقوله فذلك مثل من فقه فى دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التى اصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التى تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من بلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية للعلوم بما زقت من صفاء الفهوم النوع الثانى من انواع ارض لاتقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهى امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم افهام ثاقبة فيبقى ماعندهم من العلم حتى يجئ المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض سبخة لاتنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شئ من العلم لاينتفعون به فى انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله اعلم ❁ وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد مايعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب وكذلك مايعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبدا (رابيا) يعنى عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما يوقدون عليه فى النار) الايقاد جعل الحطب فى النار لتتقد تلك النار تحت الشئ ليذوب (ابتغاء حلية) يعنى لطلب زينة والضمير فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لاتطلب الامنهما (اومتاع) يعنى اولطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل مايتمتع به ويقال لكل ماينتفع به فى البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاوانى متاع (زبد مثله) يعنى ان ذلك الذى يوقد عليه فى النار اذا اذيب فله ايضا زبد مثل زبد الماء فالصافى من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى لاينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافى الثابت والباطل هو الزبد الطافى الذى لاينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعنى ضائعا باطلا والجفاء مارمى به الوادى من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل ويذهب (واما ماينفع الناس) يعنى الماء الصافى والجوهر الجيد من هذه الاجسام التى تذاب (فيمكث فى الارض) يعنى يثبت ويبقى ولايذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال اهل التفسير والمعانى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق فى بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى الذى ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهو ماينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك

بسبب صبرهم على اللذات الحسية (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الامتاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) اى ليس الهداية والضلال بالآيات فان فى كل شئ آية وكفى بالآيات المنزلة على رسول الله واعاها بالمشيئة الالهية يضل من يشاء لعدم الاستعداد او لحجبهم الغواشى الظلمانية (ويهدى اليه من اناب) بتصفية الاستعداد من الحجبين وكما ان اهل الضلال فريقان عديم الاستعداد وحاجبه بظلمة البشرية فكذلك اهل الهداية قسمان محبوبون يهتدون بغير الانابة لقوة الاستعداد ومحبون يهديهم الله بعد الانابة كما قال يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (الذين آمنوا)

الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافى الذى ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ماقسم لها فى الازل لان الوادى اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادى قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى يذهب البواطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الجيدة كذلك يضرب الله الامثال * وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام فى للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى اجابوه الى مادعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى النعمة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعنى الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وماكانوا عليه (لو ان لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعنى لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (اولئك) يعنى الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعى سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شئ (ومأواهم) يعنى فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعنى وبئس ما مهدلهم فى الآخرة وقيل المهاد الفراش يعنى وبئس الفراش يفرش لهم فى جهنم * قوله تعالى (افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق) يعنى فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو اعمى) يعنى اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل بن هشام وقيل نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل فالاول هو حمزة او عمار والثانى هو ابو جهل وحمل الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى لرشد وربما وقع فى مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان لرشد وهما واقعان فى المهلكة (انما يتذكر اولو الالباب) يعنى انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار * قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعنى الذى عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو تأكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعنى يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثرون

اى الميبون الذين آمنوا الايمان العلمى بالغيب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذكر النفس باللسان والتفكر فى النعم او ذكر القلب بالتفكر فى الملكوت ومطالعة صفات الجمال والجلال فان للذكر مراتب ذكر النفس باللسان والفكر فى النعم وذكر القلب بمطالعة الصفات وذكر السر بالمناجاة وذكر الروح بالمشاهدة وذكر الخفاء بالمناغاة فى المعاشقة وذكر الله بالفناء فيه والنفس تضطرب بظهور صفاتها واحاديثها وتطيش فيتلون القلب بسببها ويتغير باحاديثها فاذا ذكر الله استقرت النفس وانتفت الوساوس كما قال عليه الصلاة والسلام ان الشيطان يضع خرطومه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس فاطمأن القلب وكذا ذكر القلب بالتفكر فى الملكوت ومطالعة انوار الجبروت وامثال الاذكار فلا تكون الا بعد الاطمئنان والعمل الصالح ههنا التزكية والتحلية و (طوبى لهم) بالوصول الى الفطرة وكمال الصفات

على ان المراد به صلة الرحم عن عبدالرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (خ) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأ له في اثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني ان يزيده في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومثراة في المال ومنسأة في الاثر اخرجه الترمذي * وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب واصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (واقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها وهيآتها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر

(وحسن مآب) بالدخول في جنة القلب جنة الصفات (كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) اي يقوم عليها بايجاد كل ما ينسب اليها من مكاسبها قيوم لها وبمكسوباتها وانما سمي مكسوبها وان كان مخلوق الله تعالى لانه انما اظهره عليها لاستعداد فيها ناسبه به قبلته من الله تعالى فمن جهة قبول المحل وصلاحيته لمظهريته ومحليته ينسب الى كسبها مع قيام الحق تعالى بايجاده لانها اقتضته او قائم عليها بحسب كسبها او مقتضاها اي كما يقتضي

مكسوباتهـا من الصفـات والاحـوال التى تعرض لاسـتعدادها يفيض عليها من الجزاء الذى هو الهيآت الكمالية النورانيـة المثيبة اياهـا اوالهيآت الكدرة الظلمانيـة المعـذبة اياها (وجعـلوا لله شركاء قل سـموهم ام تنبؤنه بما لايعلم فى الارض ام بظـاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصـدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عـذاب فى الحيوة الدنيا ولعـذاب الآخرة اشـق ومالهـم من الله من واق مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلهـا دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقـبى الكافرين النـار والذين آتيناهم الكتـاب يفرحون بما انزل اليـك ومن الاحزاب من ينـكر بعضـه قل انما امرت ان اعبـد الله ولااشرك به اليه ادعوا واليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولاواق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسـول

مايخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله ان الحسـنات يذهبن السيآت ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوى بسـنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قدخنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لايكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معنـاه اذا سـفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتـادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبدالله بن المبارك هذه ثمان خلال مشـيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انماهى تسع خلال فيحتمل انه عدخلتين بواحدة ولماذكر الله عزوجل هذه الخلال من اعمـال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (اولئك) يعنى من اتى بهذه الاعمـال (لهم عقبى الدار) يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعنى بسـاتين اقامة يقـال عدن بالمكان اذا اقام به (يدخلونها) يعنى الدار التى تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) يعنى ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسـان لاينفع بغير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه اصلح فى عمله قال الواحدى والصحيح ماقاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه فى اهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على انهم يدخلونهـا كرامة للمطيع العامل الآتى بالاعمال الصالحة ولوكان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولافائدة فى الوعد به اذ كل من كان صـالحا فى عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وازواجهم ليس فيه مايدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها اوماتت عنه وروى انه لما كبرت سودة اراد النبى صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته ان لايفعل ووهبت يومها لعائشة فأمسكها رجاء ان تحشر فى جملة ازواجه فهو كالدليل على ماذكرناه * وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعنى من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعنى يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعنى يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التى كنتم تخافونها فى الدنيا وادخلكم بمـا صبرتم فى دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السـلام قول والصبر فعل ولايكون القول ثوابا بالفعل فعلى هذا يكون قوله سـلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم فى مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوى بسنده عن ابى

امامة

امامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على اريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ اقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعنى فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله احوال السعداء وما اعدلهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء ومالهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا امره ومعنى من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه على انفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يعنى ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة (ويفسدون فى الارض) يعنى بالكفر والمعاصى (اولئك) يعنى من هذه صفته (لهم اللعنة) يعنى الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعنى النار لان منقلب الناس فى العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهى الجنة والكفار لهم سوء الدار وهى النار * قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى يوسع على من يشاء من عبادة فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحيوة الدنيا) يعنى مشركى مكة لما بسط الله عليهم الرزق اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة) يعنى بالنسبة الى الآخرة (الا متاع) اى قليل ذاهب قال الكلبى المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها فى الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لابقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعنى من اهل مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) يعنى هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) اى قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عزوجل وهو قوله (ويهدى اليه من اناب) يعنى ويرشد الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من اناب (وتطمئن قلوبهم) يعنى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (الا بذكر الله تطمئن القلوب) يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا فى الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى فى اول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما فى حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد

ان يأتى بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب) لكل وقت امر مكتوب مقدر ومفروض فى ذلك الوقت على الخلق فالشرائع معينة عند الله بحسب الاوقات فى كل وقت يأتى بما هو صلاح ذلك الوقت رسول من عنده وكذا جميع الحوادث من الآيات وغيرها وما كان لرسول ان يأتى بشئ منها الا باذنه فى وقته لانها معينة بازاء الاوقات التى تحدث فيها من غير تغير وتبدل وتقدم وتأخر (يمحو الله مايشاء) عن الالواح الجزئية التى هى النفوس السماوية من النقوش الثابتة فيها فينعدم عن المواد ويفنى (ويثبت) مايشاء فيها فيوجد (وعنده ام الكتاب) اى لوح القضاء السابق الذى هو عقل الكل المنتقش بكل ما كان ويكون ازلا وابدا على الوجه الكلى المنزه عن المحو والاثبات فان الالواح اربعة لوح القضاء السابق العالى عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى تفصل فيها كليات اللوح الاول

والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ﴾ اختلف العلماء فى تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة اعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفى رواية اخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اى اصبت خيرا وقال ابراهيم النخعى خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء فى الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروى عن ابى امامة وابى هريرة وابى الدرداء ان طوبى اسم شجرة فى الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن اصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن ابى سعيد الخدرى ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هى شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن ابى هريرة قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذى انزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب فرسا او حقة او جذعة ثم دار بأرض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما فى الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوى وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابى هريرة قال ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقى لعبدى عما يشاء فتفتق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة رحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة زاد البخارى فى روايته واقرؤا ان شئتم وظل ممدود * وقوله تعالى ﴿ وحسن مآب ﴾ يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه فى الآخرة وهى الجنة * قوله عز وجل ﴿ كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم ﴾ يعنى كما ارسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبياء قبلك الى امم قد خلت ومضت ﴿ لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك ﴾

ويتعلق باسبابها وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفوس الجزئية السماوية التى ينتقش فيها كل ما فى هذا العالم بشكله وهيئته ومقداره وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بمثابة خيال العالم كما ان الاول بمثابة روحه والثانى بمثابة قلبه ثم لوح الهيولى القابل للصور فى عالم الشهادة والله اعلم ﴿ واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا نأتى الارض ﴾ نقصد ارض الجسد وقت الشيخوخة ﴿ ننقصها من اطرافها ﴾ بتواكل الاعضاء وتخاذل القوى وكلالة الحواس شيأ فشيأ حتى يموت ﴿ والله يحكم ﴾ على هذا الوجه ﴿ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ لاراد ولا مبدل لحكمه او نأتى ارض النفس وقت السلوك ننقصها من اطرافها بافناء افعالها

يعنى لتقرا على امتك الذى اوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمر ولما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الاصاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما نكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعنى انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أ باجهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الحجر يدعو ويقول فى دعائه يا الله يارحمن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الارحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى ﴿ قل ﴾ اى قل يا محمد ان الرحمن الذى انكرتم معرفته ﴿هو ربى لااله الا هو عليه توكلت﴾ يعنى عليه اعتمدت فى امورى كلها ﴿ واليه متاب ﴾ يعنى واليه توبتى ورجوعى * قوله تعالى ﴿ ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ﴾ الآية نزلت فى نفر من مشركى قريش منهم ابو جهل بن هشام وعبدالله بن ابى امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا خلف النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وقيل انه مربهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عزوجل فقال له عبدالله بن ابى امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخرله الجبال تسير معه اوسخرلنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان اواحى لنا جدك قصيا اومن شئت من موتانا لنسأله عن امرك احق اوباطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولوان قرآنا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض ﴿ اوقطعت به الارض ﴾ يعنى شققت فجعلت انهارا وعيونا ﴿ اوكلم به الموتى ﴾ فاحياها واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولوان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لو شئ اتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

اراد لو شئ اتانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولوان قرآنا سيرت به الجبال اوقطعت به الارض اوكلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق فى علمنا فيهم كما قال ولواننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانو ليؤمنوا ثم قال تعالى ﴿ بل لله الامر جميعا ﴾ يعنى فى هذه الاشياء وفى غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿ افلم ييأس الذين آمنوا ﴾ قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبى

بافعالنا اولا كما قال بى يسمع وبى يبصر ثم بافناء صفاتها بصفاتنا ثانيا كما قال كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر ثم بافناء ذاتها بذاتنا كما قال لمن الملك اليوم واجاب نفسه بقوله لله الواحد القهار لفناء الخلق كله وحينئذ لاحكم الا لله يحكم كما يشاء لامعقب لحكمه لعدم غيره

﴿سوره ابراهيم عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) من ظلمات الكثرة الى نور الوحدة او من ظلمات صفات النشأة الى نور الفطرة او من ظلمات حجب الافعال والصفات الى نور الذات (باذن ربهم) بتيسيره وبابداع ذلك النور فيهم بهيئة الاستعداد من الفيض الاقدس من عالم الالوهية وتوفيقه بتهيئة اسباب خروجه الى الفعل من حضرة الربوبية اذ الاذن هبة الاستعداد وتهيئة الاسباب والا لم يكن لاحد اخراجهم (الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما

هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو
عبيد الم ييأس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

اقول لهم بالشعب اذ يأسرونني * الم تيأسوا انى ابن فارس زهدم

يعني الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر آخر

الم ييأس الاقوام انى انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا

يعني الم يعلم الاقوام قال قطرب ييأس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع
اليأس في مكان العلم لان علمك بالشئ ويقينك به ييئسك من غيره وقيل لم يردان اليأس في موضع
من كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم بانتفائه فاذا
معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائى ماوجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال
وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرأب المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم آية ليجتمعوا
على الايمان فقال الله افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا (ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا) يعني من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه افلم ييأس
الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية
قولين احدهما ان ييأس بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ماتقدم
وتمسك اهل السنة بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق
(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والاعمال الخبيثة (قارعة) اى
نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر
وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم
(اوتحل) يعني السرايا اوالبلية (قريبا من دارهم) وقيل معناه اوتحل انت يامحمد قريبا
من دارهم (حتى يأتى وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم (ان الله لايخلف
الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبى صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله
لايخلف الميعاد * قوله عزوجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة
انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم
والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من
قبلك (فأمليت للذين كفروا) يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة (ثم اخذتهم) يعني بالعذاب
بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب)
يعني فكيف كان عقابى لهم (افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعني افمن هو حافظها
ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير اوشر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان
اساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن
نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التى لاتضر ولاتنفع (وجعلوا لله شركاء) يعني وهو
المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعني له وقيل صفوهم

في الارض) القوى الذى
يقهر ظلمات الكثرة بنور
وحدته الحميد بكمال ذاته
وعلى المعنى الثانى صراط
العزيز الذى يقهر صفات
النفس بنور القلب الحميد
الذى يهب نعم الفضائل
والعلوم عند صفاء الفطرة
وعلى الثالث العزيز الذى
يقهر بسبحات ذاته انوار
صفاته ويفنى بحقيقة هويته
جميع مخلوقاته الحميد الذى
يهب الوجود الباقى الكامل
بعد فناء الرذائل الناقص
بوجود ذاته وجمال وجهه
(وويل للكافرين من عذاب
شديد) المحجوبين عن
الوحدة اوالفطرة اوتجلى
الذات وكشفه ويترتب على
الوجوه الثلاثة مراتب
العذاب فهو اما عذاب محبة
الانداد في جحيم التضاد واما
عذاب هيآت الرذائل
ونيران صفات النفس
ومقتضيات الطبائع اوعذاب
حجب الافعال والصفات
والحرمان عن نور الذات
(الذين يستحبون) يؤثرون
(الحياة الدنيا على الآخرة)
الحسية على العقلية
والصورية على المعنوية
لوصفه الضلال بالبعد وكون
عالم الحس في ابعد المراتب

بما يستحقون ثم انظر واهل هي اهل لان تعبد (ام تنبؤنه) يعني ام تخبرون الله (بما لا يعلم في الارض) يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك (ام بظاهر من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد * وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم اى عن الايمان (ومن يضلل الله فما له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة اكثر القراء (لهم عذاب في الحيوة الدنيا) يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة اشق) يعني اشد واغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع (وما لهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه * قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) اى صفة الجنة التي وعد المتقون (تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم) لا ينقطع ابدا (وظلها) يعني انه دائم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهم واصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات اهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله ابو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان تفنى وينقطع اكلها لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله اكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر ان تكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الا ان الذي نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من آيتين احداهما قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دائم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين * وقوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا) يعني ان عاقبة اهل التقوى هي الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) في المراد بالكتاب هنا قولان احدهما انه القرآن والذي اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت

عن الله تعالى (ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) اى بكلام يناسب ما عليه حالهم بحسب استعدادهم وعلى قدر عقولهم والا لم يفهموا لبعد ذلك المعنى عن افهامهم وعدم مناسبته لمقامهم فلم يمكنه ان يبين لهم ما في استعدادهم الاول بالقوة من الكمال اللائق به وما تقتضيه هوياتهم بحسب الفطرة (فيضل الله من يشاء) لزوال استعداده بالهيآت الظلمانية ورسوخها والاعتقادات الباطلة واستقرارها (ويهدى من يشاء) ممن بقي على استعداده او لم يترسخ فيه حواجب هيآته وصور اعتقاداته (وهو العزيز) القوى الذى لا يغلب على مشيئته فيهدى من يشاء ضلاله ويضل من يشاء هدايته (الحكيم) الذى يدبر امر هداية المهتدى بانواع اللطف وامر ضلال الضال باصناف الخذلان على مقتضى الحكمة البالغة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك

بتجدد نزول القرآن (ومن الاحزاب) يعنى الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لاينكرون القرآن بجملته لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيدالله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لاينكرون ذلك ابدا والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد بأهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبدالله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا فى القرآن فى الابتداء فلما اسلم عبدالله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن فى القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الارحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لاينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) اى قل يا محمد (انما امرت ان أعبدالله) يعنى وحده (ولا اشرك به) شيأ (اليه ادعو) اى الى الله والى الايمان به ادعوالناس (واليه مآب) يعنى مرجعى يوم القيامة (وكذلك انزلناه حكما عربيا) اى كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يامحمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت اهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع اهوائهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم فى الصلاة لبيت المقدس (بعدما جاءك من العلم) يعنى بأنك على الحق وان قبلتك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبى صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعلى مرتبة اذا حذركان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى (مالك من الله من ولى ولاواق) يعنى من ناصر ولاحافظ * قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبى صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لوكان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عزوجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله

من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) اى لكل مؤمن بالايمان الغيبى اذ الصبر والشكر مقامان للسالك قبل الوصول حال العقد الايمانى والسير فى الافعال لتحصيل رتبة التوكل وحينئذ آياته التى يعتبر بها ويستمدها ويتمسك بها ويعتمدها فى سلوكه هى الافعال فكلما رأى نعمة اوسمع بها اووصلت اليه من هداية وغيرها شكره باللسان وبالقلب بتصوره من عند الله وبالجوارح بحسن التلقى والقبول والطاعة والعمل بمقتضاها على ماينبغى وكلما رأى اوسمع بلاء اونزل به صبر بحفظ اللسان عن الجزع وقول انالله وانااليه راجعون وربط القلب وتصور ان له فيه خيرا ومصلحة والا لما ابتلاه الله به ومنع الجوارح عن الاضطراب (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذانجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن

عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امراة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك فى نبوته وكان لابيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امراة فلم يقدح ذلك ايضا فى نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا فى نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون وماجعلناهم ملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وماكان لرسول ان ياتى بآية الاباذن الله) هذا جواب لعبد الله بن ابى امية وغيره من المشركين الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقداتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم ان يقترحوا عليه شيأ واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل اجل كتاب) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقدكانوا يستعجلون نزوله اخبرالله عز وجل ان لكل قضاء قضاه كتابا قدكتبه فيه ووقتا يقع فيه لايتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتابا قداثبته فيه وقيل فى الآية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحوالله مايشاء ويثبت) وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه اجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله مايشاء و يثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت مايشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله مايشاء و يثبت الاالرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مربالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر ام انثى فيقضى ربك مايشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب اجله فيقول ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقول ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص اخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه نطفة اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه واجله وشقى اوسعيد ثم ينفخ فيه الروح والذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذى قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لاتتغير عما قدره الله وعلمه فى الازل فيستحيل

شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب قالت لهم رسلهم افى الله شك) مع وضوحه اى كيف تشكون فيما ندعوكم اليه وهو الذى لامجال للشك فيه لغاية ظهوره وانما يوضح مايوضح به (فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) ليستر بنوره ظلمات حجب صفاتكم فلا تشكون فيه عند جلية اليقين (ويؤخركم الى اجل مسمى) غاية يقتضيها استعدادكم من السعادة اذ كل شخص عين له بحسب استعداده الاول كمال هو اجله المعنوى كما ان لكل احد بحسب مزاجه الاول غاية من العمر هى اجله الطبيعى وكما ان الآجال الاخترامية تقطع العمر

دون الوصول الى الغاية المسماة بسبب من الاسباب فكذلك الآفات والموانع التى هى حجب الاستعداد تحول دون الوصول الى الكمال المبين (قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم

زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او الشقى سعيدا وقد صح فى فضل صلة الرحم تزيد فى العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحوا الله مايشاء ويثبت قلت قد تكرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت فى وقت معين استحال ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الآجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد فى الحديث فى فضل صلة الرحم من انها تزيد فى العمر بأجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة فى عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثانى منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله فى الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت اى بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقى سعيدا والسعيد شقيا فيتصور فى الظاهر ايضا الان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصى ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل فى هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلى الذى لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو اذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلها عامة فى كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله مايشاء فى الرزق والاجل وكذا القول فى السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت مايشاء وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل السعادة فأثبتنى فيها وان كنت كتبتنى من اهل الشقاوة فامحنى منها واثبتنى فى اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد فى بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى بسنده عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى فى ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر فى الساعة الاولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه احد غيره فيمحو مايشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص فى بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بنى آدم واقوالهم فيمحو الله مايشاء من ديوان الحفظة مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبى يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يمحو والذى يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو الله

مايشاء

مايشاء يعني من جاء اجله فيذهبه ويثبت من لم يجئ اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله مايشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت مايشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله مايشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يمحو الله مايشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو مايشاء ويثبت مايشاء لااعتراض لاحد عليه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيأ ولا يثبت شيأ الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر ❊ مسئلة ❊ استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتقد شيأ ثم يظهر له خلاف مااعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله مايشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية ❊ وقوله تعالى (وعنده ام الكتاب) يعني اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لايغير ولايبدل وسمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت مايشاء وام الكتاب الذي لايغير شئ منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وسال ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وما خلقه وماهم عاملون (واما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني من العذاب (او نتوفينك) يعني قبل ان نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم ❊ قوله عز وجل (اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) يعني اولم يركفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات انا نأتي الارض يعني ارض الشرك ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان مازاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى اولم يروا انا نأتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالى اراضيهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا انا نأتي الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول

عاصف لايقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص) للخلائق ثلاث برزات برزة عند القيامة الصغرى بموت الجسد وبروز كل احد من حجاب جسده الى عرصة الحساب والجزاء وبرزة عند القيامة الوسطى بالموت الارادي عن حجاب صفات والبروز الى عرصة القلب بالرجوع الى الفطرة وبرزة عند القيامة الكبرى بالفناء المحض عن حجاب الانية الى فضاء الوحدة الحقيقية وهذا هو البروز المشار اليه بقوله وبرزوا لله الواحد القهار ومن كان من اهل هذه القيامة يراهم بارزين لايخفى على الله منهم شئ واما ظهور هذه القيامة للكل وبروز الجميع لله وحدوث التقاول بين الضعفاء والمستكبرين

قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لايسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبدالله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال سليمان لايزال الناس بخير مابقى الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى ❊ اطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازى ويمكن ان يقال ايضا ان هذا الوجه لايليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال اولم يروا ان كما يحدث فى الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذى يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يجوز ايصال الكلام بما قبله ❊ وقوله تعالى (والله يحكم لامعقب لحكمه) يعنى لاراد لحكمه ولاناقض لقضائه والمعقب هو الذى يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لايتعقب حكمه احد غيره بتغيير ولانقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام فى معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل مشركى مكة من الامم الماضية الذين مكر وابانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لايشعر مثل مامكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) يعنى عندالله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين له ومنه اى هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لايضر الاباذنه وارادته وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الامن اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب ان لايكون الخوف الامن الله لامن احد من المخلوقين (يعلم ماتكسب كل نفس) يعنى ان جميع اكتساب العباد وتاثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ماعلم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ماعلم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلاقدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولايحصل ضرر الاباذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين

فهو بوجود المهدى القائم بالحق الفارق بين اهل الجنة والنار عند قضاء الامر الالهى بنجاة السعداء وهلاك الاشقياء (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى) ظهر سلطان الحق على شيطان الوهم وتنور بنوره فأسلم واطاع وصار محقا عالما بان الحجة لله فى دعوته للخلق الى الحق لا له ودعوته الى الباطل بتسويل الحطام وتزيين الحياة الدنيا عليهم واهية فارغة عن الحجة واقربان وعده تعالى بالبقاء بعد خراب البدن والثواب والعقاب عند البعث حق قد وفى به ووعدى بان ليس الا الحياة الدنيا باطل اختلقته فاستحقاق اللوم ليس الا لى قبل الدعوة الخالية عن الحجة فاستجاب لها واعرض عن الدعوة المقرونة بالبرهان فلم يستجب لها (فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم

(وسيعلم الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى اباجهل وقيل اراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة * قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عندالله امره الله بقوله (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء الكفار الذين انكروا نبوّتك (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) المراد بشهادةالله على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ماظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عندالله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب ايضا يشهد على نبوّتك يامحمد وصحتها واختلفوا في الذى عنده علم الكتاب من هو فروى العوفى عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره منهم وقيل انهم مؤمنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوّته قال قتادة هو عبدالله بن سلام وانكر الشعبى هذا وقال هذه السورة مكية وعبدالله بن سلام اسلم بالمدينة المنوّرة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبدالله بن سلام فقال كيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم علم مافى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بينى وبينكم قال الزجاج الا شبه ان الله لايشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهى قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عندالله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم ان القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بينى وبينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام

وهى مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخر الآيتين وهى احدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (الر كتاب انزلناه اليك) يعنى هذا كتاب انزلناه اليك يامحمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعنى

عذاب اليم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) اى نفسا طيبة كما مر فى تسمية عيسى عليه السلام كلمة (كشجرة طيبة) كما شبهها بالزيتونة فى القرآن وبالنخلة فى الحديث (اصلها ثابت) بالاطمئنان وثبات الاعتقاد بالبرهان (وفرعها فى السماء) سماء الروح (تؤتى اكلها) من ثمرات المعارف والحكم والحقائق (كل حين) وقت (باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) تسهيله وتيسيره بتوفيق الاسباب وتهيئتها (ومثل كلمة) نفس (خبيثة كشجرة خبيثة) مثل الحنظلة او الشرحط (اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) استوصلت للطيش الذى فيها وتشوش الاعتقاد وعدم القرار على شئ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الايمان اليقينى بالبرهان الحقيقى (فى الحياة الدنيا) الحسية لاستقامتهم فى الشريعة وسلوكهم فى تحصيل

بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا (باذن ربهم) يعنى بامر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذى امر به عباده والعزيز هو الغالب الذى لايغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره مابعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له مافى السموات ومافى الارض) يعنى ملكا ومافيهما عبيده (وويل للكافرين) يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذى له مافى السموات ومافى الارض وعبدوا من لايملك شيأ البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض (من عذاب شديد) يعنى معدلهم فى الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن سبيل الله) اى ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهاء فى ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام (اولئك) يعنى من هذه صفة (فى ضلال بعيد) يعنى عن الحق وقيل يجوز ان يراد فى ضلال بعيد ذى بعد اوفيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق ❊ قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه مايدعوهم اليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعنى مايأتون ومايذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب وكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم فى عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه كانت دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان اقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم فى ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير اهله واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ فى اجتهاد المجتهدين فى تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) يعنى ان

المعاش طريق الفضيلة والعدالة (وفى الآخرة) اى الحياة الروحانية لاهتدائهم بنور الحق فى الطريقة وكونهم فى تحصيل المعارف على بصيرة من الله وبينة من ربهم (ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) فى الحياتين لنقص استعدادتهم بحظوظ صفات النفس وبقائهم فى الحيرة الاحتجاب عن نور الحق (الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) التى انعم بها عليهم فى الازل من الهداية الاصلية والنور الاستعدادى الذى هو بضاعة النجاة (كفرا) اى احتجابا وضلالة كما قال اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اضاعوا النور الباقى واستبدلوا به اللذة الحسية الفانية فبقوا فى الظلمة الدائمة (وأحلوا قومهم) من فى قوى نفوسهم او من اقتدى بطريقتهم وتأسى بهم وتابعهم فى ذلك (دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا) من متاع الدنيا وطيباتها وشهياتها يحبونها كحب الله اذ كل ما غلب حبه فهو معبود قال الله تعالى

الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادى المضل يفعل مايشاء (وهو العزيز) يعنى الذى يغلب ولا يغلب (الحكيم) فى جميع افعاله * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) المراد بالآيات المعجزات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) اى ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس وابى بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب اى بوقائعهم وانما اراد بما كان فى ايام الله من النعمة والنقمة فاخبر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل بايام الله فى حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت ايدى القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور كثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) لما امر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم (اذ انجاكم من آل فرعون) اى اذكروا انعام الله عليكم فى ذلك الوقت الذى انجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم) فان قلت قال فى سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذفت الواو فى سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفى التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاء فى القوم زيد وعمرو اذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا فى هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لا انه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعنى يتركونهن احياء (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا مافعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكر وانعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ماقال موسى لقومه كانه قيل اذكر والنعمة الله عليكم واذكر واحين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن اى اعلم ولابد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى افعل كانه قيل وآذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الخ (ليضلوا عن سبيله) كل من نظر اليهم من الاحداث المستعدين ومن دان بدينهم (قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) اى اذهبوا فيه بامر الوهم فان تمتعكم قليل سريع الزوال وشيك الفناء وعاقبته وخيمة بالمصير الى النار (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض) سموات الارواح وارض الجسد (وانزل من السماء ماء) سماء عالم القدس ماء العلم (فاخرج به من الثمرات) من ارض النفس ثمرات الحكم والفضائل (رزقا لكم) وتقوى القلب بها (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار) انهار العلم بالاستنتاج والاستنباط والتفريع والتفصيل (وسخر لكم الشمس والقمر) شمس الروح وقمر القلب (دائبين) فى السير بالمكاشفة والمشاهدة (وسخر لكم الليل والنهار) ليل ظلمة

واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعنى يا بنى اسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) يعنى نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم فى الثواب واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهى ان العبد اذا اشتغل بمطالعة اقسام نعم الله عزوجل عليه وانواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتاكد محبة العبد لله عزوجل وهو مقام شريف ومقام اعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور فى مقابلة الشكر (ان عذابى لشديد) يعنى لمن كفر نعمتى ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعنى يا بنى اسرائيل (انتم ومن فى الارض جميعا) يعنى والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على انفسكم بحرمانها الخير كله (فان الله لغنى) يعنى عن جميع خلقه (حميد) اى محمود فى جميع افعاله لانه متفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ) يعنى خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعنى من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لايعلمهم الا الله) يعنى لايعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شئ الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله اقوام وامم مابلغنا خبرهم اصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الآية يقول كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبدالله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لايعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه أبا أبا الى آدم لانه لايعلم اولئك الآباء إلا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا ايديهم فى افواههم) وفى معنى الايدى والافواه قولان احدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم فى معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ماجاؤا به يقال رددت قول فلان فى فيه اى كذبته وقال الكلبى يعنى ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعنى انهم وضعوا الايدى على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا ايديهم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم فى افواههم كما يفعل الذى غلبه الضحك القول الثانى ان المراد بالايدى والافواه غير الجارحتين فقيل المراد

صفات النفس ونهار نور الروح لطلب المعاش والمعاد والراحة والاستنارة (وآتاكم من كل ماسألتموه) بالسنة استعداداتكم فان كل شئ يسأله بلسان استعداده كما لايفيض عليه مع السؤال بلا تخلف وتراخ كما قال يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن (وان تعدوا نعمت الله) من الامور السابقة على وجودكم الفائضة من الحضرة الالهية ومن اللاحقة بكم من امداد التربية الواصلة عن الحضرة الربوبية (لاتحصوها) لعدم تناهيها كما تقرر فى الحكمة (ان الانسان لظلوم) بوضع نور الاستعداد ومادة البقاء فى ظلمة الطبيعة ومحل الفناء وصرفه فيها او بنقص الفناء حق الله او حق نفسه بابطال الاستعداد (كفار) بتلك النعم التى لاتحصى باستعمالها فى غير ماينبغى ان تستعمل وغفلته عن المنعم عليه بها واحتجابه بها عنه (واذقال ابرهيم) الروح بلسان الحال عند التوجه الى الله فى طلب الشهود (رب اجعل هذا البلد) اى

بالايدي، النعم ومعناه ردوا مالوقبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد اي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قداجابوا بالتكذيب وهو ان الامم ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مماتدعوننا اليه مريب) يعني يوجب الريبة اويوقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا واناالفي شك والشك دون الكفر اوداخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لاممهم (افي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع مافيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم ومن حرف من صلة وقيل انها اصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم مابينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى اجل مسمى) يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسل (ان انتم) يعني ما انتم (الابشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون ان تصدونا عما كان يعبدآباؤنا) يعني ماتريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعني حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) يعني ان الكفار لماقالوا لرسلهم ان انتم الابشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كماقلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لاننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وماكان لنا ان نأتيكم بسلطان الاباذن الله) يعني وليس لنا مع ماخصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة ان نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الاباذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرور اعدائهم عنهم (ومالنا ان لانتوكل على الله) يعني ان الانبياء قالوا ايضا قدعرفنا انه لايصيبنا شئ الابقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقدهدانا سبلنا) يعني وقدعرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعني به من قول اوفعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين (* قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اولتعودن في ملتنا) يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل من بلادنا وارضنا واما عودكم في ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم

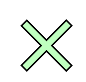
بلدالبدن (آمنا) من غلبات صفات النفس وتنازع القوى وتجاذب الاهواء (واجنبني وبني) القوى العاقلة النظرية والعملية والفكر والحدس والذكر وغيرها (ان نعبد الاصنام) اصنام الكثرة عن المشتهيات الحسية والمرغوبات البدنية والمألوفات الطبيعية بالمحبة (رب انهن اضللن كثيرا من الناس) بالتعلق بها والانجذاب اليها والاحتجاب بها عن الوحدة (فمن تبعني) في سلوك طريق التوحيد (فانه مني ومن عصاني فانك غفور) تستر عنه تلك الهيئة المظلمة بنورك (رحيم) ترحمه بافاضة الكمال عليه بعدالمغفرة (ربنا اني اسكنت من ذريتي) ذرية قواي (بوادغيرذي زرع) اي وادي الطبيعة الجسمانية الخالية عن ذرع الادراك والعلم والمعرفة والفضيلة (عند بيتك المحرم) الذي هو القلب (ربنا ليقيموا الصلاة) صلاة المناجاة والمكاشفة (فاجعل افئدة من الناس) ناس الحواس (تهوي اليهم) فتمدهم بانواع الاحساسات وتمدهم بادراك الجزئيات وتميل

كانوا على ملتهم فى اول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذالله ولكن العودهنا بمعنى الصيرورة وهوكثير فى كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله فقالوا لهم لتعودن فى ملتنا ظنامنهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشؤا على التوحيد لايعرفون غيره (فأوحى اليهم ربهم) يعنى ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعنى ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلاتخافوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) يعنى من بعد هلاكهم (ذلك) يعنى ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعنى خاف مقامه بين يدى يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف افعالها الى انفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) اى وخاف عذابى ❁ قوله عزوجل (واستفتحوا) يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم وذلك انهم لما ايسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعنى وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لايستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقيل الجبار الذى لايرى فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على اقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى ان يقول لااله الاالله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعنى هى امامه وهو صائر اليها قال ابوعبيدة هو من الاضداد يعنى انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى امام وقال الاخفش هوكما يقال هذا الامر من ورائك يعنى انه سيأتيك (ويسقى) يعنى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ماسال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو مايسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) اى يتحساه ويشربه لامرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه (ولايكاد يسيغه) اى لايقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولايسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولايقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولايكاد يسيغه اى يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ماكدت اقوم اى قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على اصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لايجيزه وقيل معناه يكاد لايسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه عن ابى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه اى جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذى عليها ❁ وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان

اليهم بالمشايعة وترك المخالفة بالميل الى الجهة السفلية واللذة البدنية (وارزقهم من الثمرات) من ثمرات المعارف والحقائق من الكليات (لعلهم يشكرون) نعمتك فيستعملون تلك المدركات فى طلب الكمال (ربنا انك تعلم مانخفى) مما فينا بالقوة (ومانعلن) مما اخرجناه الى الفعل من الكمالات (ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) فى ارض الاستعداد ولا فى سماء الروح (الحمدلله الذى وهب لى على الكبر) كبر الكمال (اسمعيل) العاقلة النظرية (واسحق) العلمية (ان ربى لسميع الدعاء) اى لسميع لدعاء الاستعداد كما قال حسبى من سؤالى علمه بحالى (رب اجعلنى مقيم الصلاة) صلاة الشهود (ومن ذريتى) كلا منهم مقيم صلاة تخصه (ربنا وتقبل دعاء) اى طلبى للفناء التام فيك (ربنا اغفر لى) بنورك ذاتك ذنب وجودى فلا احتجب بالطغيان (ولوالدى وللمؤمنين) ولما يتسبب لوجودى من القوابل والفواعل فلاارى غيرك

من اعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه ومن شماله وماهو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلاتخرج من فيه فيموت ولاترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعنى امامه (عذاب غليظ) اى شديد قيل هو الخلود فى النار ❁ قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيمانقص او فيمايتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال اعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ماذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك فى صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو مايسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيأ فى يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قدتقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق اجزاءه بحيث لايبقى منها شئ وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لايبقى منها شئ ثم اختلفوا فى هذه الاعمال ماهى فقيل هى ماعملوه من اعمال الخير فى حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لاتنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التى ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فى الدهر الطويل لكى ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل اراد بالاعمال الاعمال التى عملوها فى الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لاتنفعهم لانها صارت كالرماد الذى ذرته الرياح وصار هباء لاينتفع به وهو قوله تعالى (لايقدرون مما كسبوا) يعنى فى الدنيا (على شئ) يعنى من تلك الاعمال والمعنى انهم لايجدون ثواب اعمالهم فى الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعنى ذلك الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت فلايرجى عودها والبعيد هنا الذى لايرجى عوده (الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق) يعنى لم يخلقهما باطلا ولاعبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعنى ايها الناس (ويأت بخلق جديد) يعنى سواكم اطوع لله منكم والمعنى ان الذى قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق آخرين سواهم لان القادر لايصعب عليه شئ قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يميتكم يامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعنى بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت ❁ قوله عزوجل (وبرزوا لله جميعا) يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله

ولاالتفت الى سواك فأبتلى بزيغ البصر ولمؤمنى القوى الروحانية (يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذوانتقام) حساب الهيآت الروحانية النورانية والنفسانية الظلمانية ايها ارجح (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) تبدل ارض الطبيعة بارض النفس عند الوصول الى مقام القلب وسماء القلب بسماء السر وكذا تبدل ارض النفس بارض القلب وسماء السر





(وفرعها) يعنى اعلاها (فى السماء) يعنى ذاهبة فى السماء (تؤتى اكلها) يعنى ثمرها (كل حين باذن ربها) يعنى بأمر ربها والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر يعنى من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس ايضا وقال على بن ابى طالب ثمانية اشهر يعنى ان مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت ان يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل ابدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فأكلها دائم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة حاصل من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت اصل النخلة فى الارض الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذى هو عال فى السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتى فى كل حين ووقت وكذلك مايكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة فى كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان فى غالب الامر لانها خلقت من فضله طينة آدم وانها اذا قطع راسها تموت كالآدمى بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لاتحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس فى وجه الحكمة فى تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لاتسمى شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لايتم الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان ۞ وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعنى ان فى ضرب الامثال زيادة فى الافهام وتصويرا للمعانى وتذكيرا ومواعظا لمن تذكر واتعظ ۞ قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعنى الحنظل قاله انس بن مالك ومجاهد وفى رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر لانه لايقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعنى استؤصلت وقطعت (من فوق الارض مالها من قرار) يعنى مالهذه الشجرة من ثبات فى الارض لانها ليس لها اصل ثابت فى الارض ولافرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لاخير فيه ولايصعد له قول طيب ولاعمل صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هى الحنظلة اخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح ۞ قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة فى الآية المتقدمة اخبر فى هذه

بالفصل والعقل المستفاد (وزيناها) بالعلوم والمعارف (للناظرين) المتفكرين فيه (وحفظناها من كل شيطان رجيم) من الاوهام الباطلة (الا من استرق السمع) فاخطف الحكم العقلى باستراق السمع لقربه من افق العقل (فاتبعه شهاب مبين) اى برهان واضح فنطرده ونبطل حكمه (والارض) وارض النفس (مددناها) بسطناها بالنور القلبى (والقينا فيها رواسى) الفضائل (وانبتنا فيها من كل شئ) من الكمالات الخلقية والافعال الارادية والمدركات الفاضلة والمدركات الحسية (موزون) معين بقدر عقلى عدلى غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط لكل قوة بحسبها (وجعلنا لكم فيها معايش) بالتدابير الجزئية والاعمال البدنية (ومن لستم له برازقين) ممن ينسب اليكم ويتعلق بكم او جعلنا فى سماء القلب بروجا مقامات كالصبر والشكر والتوكل والرضا والمعرفة والمحبة وزيناها بالمعارف والحكم والحقائق وحفظناها من كل شيطان رجيم من الاوهام

الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هى الكلمة الطيبة وهى شهادة ان لااله الا الله فى قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة فى الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال فى هذه الآية ويضل الله الظالمين يعنى بالكلمة الخبيثة وهى كلة الشرك فى قول جميع المفسرين * وقوله (فى الحيوة الدنيا) يعنى فى القبر عند السؤال (وفى الآخرة) يعنى يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ماروى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل فى القبر يشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر زاد فى رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول اشهد انه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث انس واما المنافق وفى رواية واما الكافر فيقول لاادرى كنت اقول مايقول الناس فيه فيقال لادريت ولاتليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد فى رواية انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابوداود عن انس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع فى قبره اتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبدالله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول دعونى حتى اذهب فأبشر اهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع فى قبره اتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لاادرى فيقال له لادريت ولاتليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول مايقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين واخرجه النسائى ايضا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت اوقال اذا قبر احدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول هو عبدالله ورسوله اشهد ان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول ارجع الى اهلى فأخبرهم فيقولان ثم كنومة العروس الذى لايوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على

والتخيلات الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اى اشراق نورى من طوالع انوار الهداية (وان من شئ الا عندنا خزائنه) اى مامن شئ فى الوجود الا له عندنا خزانة فى عالم القضاء اولا بارتسام صورته فى ام الكتاب الذى هو العقل الكلى على الوجه الكلى ثم خزانة اخرى فى عالم النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ بارتسام صورته فيه متعلقا بأسبابه ثم خزانة اخرى بل خزائن فى النفوس الجزئية السماوية المعبر عنها بسماء الدنيا ولوح القدر بارتسام صورته فيها جزئية مقدرة بمقدارها وشكلها ووضعها (ومانزله) فى عالم الشهادة (الا بقدر معلوم) من شكل وقدر ووضع ووقت ومحل معينة واستعداد مختص به فى ذلك الوقت (وارسلنا الرياح) رياح النفحات الالهية (لواقح) بالحكم والمعارف مصفية للقلوب معدة للاستعدادات لقبول التجليات (فانزلنا من السماء ماء) من سماء الروح ماء من العلوم الحقيقة (فاسقيناكموه) واحييناكم به (وما انتم له) لذلك العلم

رؤسنا الطير وبيده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين اوثلاثا زاد فى رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوامدبرين حين يقال له ياهذا من ربك ومادينك ومن نبيك وفى رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له ومادينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان ومايدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فى رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مدبصره وان كان الكافر فذكرموته قال فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لاادرى فيقولان مادينك فيقول هاه هاه لا ادرى فيقولان ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادرى فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافرشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد فى رواية ثم يقيض له اعمى ابكم اصم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل اخرجه ابو داود عن عبدالرحمن بن شمامة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول مايبكيك يا ابتاه أمابشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان افضل مانعد شهادة ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انامت فلاتصحبنى نائحة ولانار فاذادفنتمونى فشنوا على التراب شنا ثم اقيموا حول قبرى قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربى اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم فى القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق فى الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها فى قلبه اعظم فينبغى للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله فى جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عزوجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت فى القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت فى القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير * وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعنى ان الله تعالى لايهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعنى من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه فى جميع افعاله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله عزوجل (الم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (خ) عن ابن عباس فى قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفى رواية قال هم

والله

(بخازنين) لخلوكم عنها (وانا لنحن نحيى) بالحياة الحقيقية بماء الحياة العلمية والقيام فى مقام الفطرة (ونميت) بالافناء فى الوحدة (ونحن الوارثون) للوجود الباقون بعد فنائكم (ولقد علمنا المستقدمين منكم) اى المتبصرين المشتاقين من المحبين الطالبين للتقدم (ولقد علمنا المستأخرين) المنجذبين الى عالم الحس ومعدن الرجس باستيلاء صفات النفس ومحبة البدن ولذاته الطالبين للتأخر عن عالم القدس (وان ربك هو يحشرهم) مع من يتولونه ويجمعهم الى من يحبونه وينزعون اليه (انه حكيم) يدبر امرهم فى الحشر على وفق الحكمة بحسب المناسبة (عليم) بكل مافيهم من خفايا الميل والانجذاب والمحبة وماتقتضيه هيآتهم وصفاتهم فسيجزيهم وصفهم (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) اى من العناصر الاربعة الممتزجة اذالحمأ هو الطين المتغير والمسنون ماصب عليه الماء حتى خلص عن الاجزاء الصلبة الخشنة الغير المعتدلة المنافية لقبول الصورة

والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (واحلوا قومهم دارالبوار) قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الا فجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فقد كفيتمو هم يوم بدر واما بنوامية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر و بدلوه بالكفر واحلوا قومهم يعنى من تبعهم على دينهم وكفرهم دارالبوار يعنى دارالهلاك ثم فسرها بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعنى المستقر (وجعلوا لله اندادا) يعنى امثالا واشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولاشبيه ولامثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) اى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا فى الدنيا اياما قلائل (فان مصيركم الى النار) يعنى فى الآخرة ❁ قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعنى اقيموا اوليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام اركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل اراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق فى جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق فى جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعنى ينفقون اموالهم فى حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه) قال ابو عبيدة البيع ههنا الفداء فى ذلك اليوم (ولاخلال) يعنى ولاخلة وهى المودة والصداقة التى تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لابيع فيه ولاشراء ولامخاللة ولاقرابة انما هى الاعمال اما ان يثاب بها اويعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة فى هذه الآية التى فى سورة البقر واثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفى الخلة محمولة على نفى الخلة الحاصلة بسبب ميل البيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الاتراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة ففى بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفى بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله فى محبته ❁ قوله عزوجل (الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية فى مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذى لايعجزه شئ اراده فقوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمى السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم

يراد تصويرها التى منه والصلصال ماتخلخل منه بالهواء وتجفف بالحرارة (والجان) اى اصل الجن وهو جوهر الروح الحيوانى الذى تولد منه قوى الوهم والتخيل وغيرها (خلقناه من قبل من نار السموم) اى من الحرارة العزيزية ومن بخارية الاخلاط ولطافتها المستحيلة بها وانما قال من قبل لتقدم تأثير الحرارة فى التركيب بالتمزيج والتعديل واثارة ذلك البخار على صور الاعضاء بل القوى الفعالة المؤثرة متقدمة على التركيب فى الاصل وقدمر معنى انقياد الملائكة له وعدم انقياد ابليس (واذقال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال ياابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها) من جنة عالم القدس التى ترتقى الى افقه (فانك رجيم) مرجوم

يقع على مايحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها فى جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهى من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعنى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لاينتفع به فى سقى الزرع والثمرات ولا فى الشراب ايضا ذكر نعمته على عباده فى تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من اعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الداب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة وداب فى السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لايفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبها فى طاعة الله عزوجل وقال بعضهم معناه يدأبان فى طاعة الله اى فى مسيرهما وتأثيرهما فى ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل بتسخير الله عزوجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعنى يتعاقبان فى الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم (وآتاكم من كل ماسألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التى انعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمرادات مالا يأتى على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ماسألتموه شيأ فحذف شيأ اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعنى وآتاكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصى (وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) يعنى ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد اباجهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعنى ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر فى غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع * قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعنى ذا امن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل فى الاول ان يجعل من جملة البلاد التى يأمن اهلها فيها ولا يخافون وسأل فى الثانى ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) يعنى ابعدنى وبنى ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهى من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه الثانى ان الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فا

مطرود منها لكونك غير مجرد عن المادة (وان عليك اللعنة) لعة البعد فى الرتبة (الى يوم الدين) القيامة الصغرى وتجرد النفس عن البدن بقطع علاقتها او الكبرى بالفناء فى التوحيد (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض) الشهوات واللذات فى الجهة الطبيعية (ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) اى المخصوصين بك الذين اخلصتهم من شوائب صفات النفس وطهرتهم من دنس تعلق الطبيعة وجردتهم بالتوجه اليك من بقايا صفاتهم وذواتهم او الذين اخلصوا اعمالهم لك من غير حظ لغيرك فيها (قال هذا صراط علىّ) حق نهجه و مراعاته (مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين) لا اعوجاج فيه وهو ان لا سلطان لك على عبادى المخلصين الا الذين يناسبونك فى الغواية والبعد عن

الفائدة فى قوله اجنبنى من عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه ايضا ان يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر احد على خراب مكة واورد على هذا ما ورد فى الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجاه فى الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثانى ان يكون المراد جعل اهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الأمن فى بلدهم كما اخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة امن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم امنت واستأنست لعلمها انه لا يهيجها احد فى الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثانى فمن وجوه ايضا الوجه الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهار العجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد احد منهم صنما قط الوجه الثانى انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن اذن الله ان يدعو له فكأنه قال وبنى الذين اذنت لى فى الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية فمن تبعنى فانه منى وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه * وقوله تعالى (رب انهن) يعنى الاصنام (اضللن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعنى فانه منى) يعنى فمن تبعنى على دينى واعتقادى فانه منى يعنى المتدينين بدينى المتمسكين بحبلى كما قال الشاعر

اذا حاولت فى اسد فجورا * فانى لست منك ولست منى

اراد ولست من المتمسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجراى فى القرب والاختصاص (ومن عصانى) يعنى فى غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدى ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصانى فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح

صراطى فيتبعون (لها سبعة ابواب) هى الحواس الخمس والشهوة والغضب (لكل باب منهم جزء مقسوم) عضو خاص به او بعض من الخلق يختصون بالدخول منه لغلبة قوة ذلك الباب عليهم (ان المتقين) الذين تزكوا عن الغواشى الطبيعية وتجردوا عن الصفات البشرية (فى جنات) من روضات عالم القدس (وعيون) من ماء حياة العلم مقولا لهم (ادخلوها بسلام) بسلامة من الهيآت الجسدانية وامراض القلوب المانعة عن الوصول الى ذلك المقام (آمنين) من آفات عالم التضاد وعوارض الكون والفساد وتغيرات احوال الازمنة والمواد (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) اى حقد راسخ وكل هيئة متصاعدة من النفس الى وجه القلب الذى يليها بفيض النور واستيلاء قوة الروح وتأييد القدس وهم الذين غلبت انوارهم على ظلماتهم من اهل العلم واليقين فاضمحلت وزالت عنهم الهيآت النفسانية الفاسقة وآثار العداوة اللازمة

ابوبكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصانى فخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفرله غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين احدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لايغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه الآخر ومن عصانى باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على ان تغفرله وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب * قوله عزوجل اخبارا عن ابراهيم (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولاشئ فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لايضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفى رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم اوقال لولم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لايضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه بامرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد

لهبوط النفس والميل الى عالم التضاد واشرقت فيهم قوة المحبة الفطرية بتعاكس اشعة القدس وانوار التوحيد واليقين من بعضهم الى بعض فصاروا اخوانا بحكم العقد الايمانى والتناسب الروحانى (اخوانا على سرر) مراتب عالية (متقابلين) لتساوى درجاتهم وتقارب مراتبهم وكونهم غير محتجبين (لايمسهم فيها نصب) لامتناع اسباب المنافاة والتضاد هناك (وماهم منها بمخرجين) لسرمدية مقامهم وتنزهه عن الزمان وتغيراته واما كيفية نزول الملائكة على النبيين وتجسد الارواح العالية للمتجردين المنسلخين عن الهيآت البدنية المتقدسين فقد مرت الاشارة اليها فى سورة هود (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لاتوجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلاتكن

البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة واما تفسير الآية فقوله ربنا انى اسكنت من ذريتى من التبعيض اى بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بوادغير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه وادبين جبلين جبل ابى قبيس وجبل اجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرمالانه يحترم عنده مالايحترم عنده مالا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمنه وجعل ماحوله محرمالمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمى محر مالان الزائرين له يحرمون على انفسهم اشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا ايضالانه اعتق من الجبابرة اومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عزوجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتاقد كان فى سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذى جرى فى سابق علمك انه سيحدث فى هذا المكان (ربناليقيموا الصلاة) اللام فى ليقيموا متعلقة باسكنت يعنى اسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل واولاده بهذا الوادى الذى لازرع فيه ليقيموا اى لاجل ان يقيموا اولكى يقيموا الصلاة (فاجعل افئدة من الناس) قال البغوى جمع الوفد (تهوى اليهم) تحن وتشتاق اليهم قال السدى رحمه الله امل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزى افئدة من الناس اى قلوب جماعة من الناس فلهذا جمله جمع فؤاد قال ابن الانبارى وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهدلو قال افئدة الناس لزاحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعى يقال هوى يهوى هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال ايضاتهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول اهل اللغة فى هذا الحرف واما اقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفى هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بانهم ينتفعون بمن يأتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعاء من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ * وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على اداء العبادات واقامة الطاعات (ربنا انك تعلم مانخفى وما نعلن) يعنى انك تعلم السر كما تعلم

من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم

العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا منافلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ماعندك وقيل معناه تعلم مانخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وامه حيث اسكنتها بوادغيرذى زرع ومانعلن يعنى من البكاء وقيل مانخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب ومانعلن يعنى ماجرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لابراهيم عليه السلام الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لايضيعنا (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) قيل هذا من تمة قول ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهوكقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة و ولدله اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشر سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من اعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق فى الدعاء فى وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحق وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ولايرد على هذا ماورد فى الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وامه لان الذى صح فى الحديث انه دعا بقوله ربنا انى اسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فى وقت آخر والله اعلم بحقيقة الحال (ان ربى لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما اكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتدبه وقبله (رب اجعلنى مقيم الصلاة) يعنى ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها فى اوقاتها (ومن ذريتى) اى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التى هى للتبعيض فى قوله ومن ذريتى لانه علم باعلام الله اياه انه قديوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتى واراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سال ابراهيم عليه السلام ربه ان يتقبل دعاءه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفرلى) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شئ الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدى) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انهما ان اسلما

آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا) اى الصفات السبع التى ثبتت لله تعالى وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والتكلم (من المثانى) التى كرروثنى ثبوتها لك اولا فى مقام وجود القلب عند تخلقك بأخلاقه واتصافك باوصافه فكانت لك وثانيا فى مقام البقاء بالوجود الحقانى بعد الفناء فى التوحيد (والقرآن العظيم) اى الذات الجامعة لجميع الصفات وانما كانت لمحمد عليه الصلاة والسلام سبعا ولموسى تسعا لانه ماأوتى القرآن العظيم بل كان مقامه التكليم اى مقام كشف الصفات دون كشف الذات فله هذه السبع مع القلب والروح (ولاتمدن عينيك الى مامتعنابه ازواجا منهم ولاتحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى

وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك اى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة * قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا فى حق الله محال فلابد من تاويل الآية فالمقصود منها انه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد وللظالم واعلام له بان لايعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا اى اثبتوا على انتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لايخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز ان يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لايطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى فى ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول ابى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعى رؤسهم) الاقناع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لاينظر احد الى احد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) اى لاترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لاترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم (وافئدتهم هواء) اى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلاتخرج من افواههم ولاتعود الى اماكنها ومعنى الآية ان افئدتهم خالية فارغة لاتعى شيأ ولاتعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وافئدتهم هواء اى مترددة تهوى فى اجوافهم

انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك) بالتجريد عن عوارض الصفات المتعلقة بالمادة لتكون منزها لله تعالى بلسان الحال حامدا لربك بالاتصاف بالصفات الكمالية لتكون حامد النعم بتجليات صفاته بأوصافك (وكن من الساجدين) بسجود الفناء فى ذاته (واعبد ربك) بالتسبيح والتحميد والسجود المذكورة (حتى يأتيك) حق (اليقين) فتنتهى عبادتك بانقضاء وجودك فيكون هو العابد والمعبود جميعا لاغير

﴿ سورة النحل ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله) لما كان صلى الله عليه وسلم من اهل القيامة الكبرى يشاهدها ويشاهد احوالها فى عين الجمع كما قال بعثت انا والساعة كهاتين





وتعالى يجعل الارض كالطلمة اى الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شئ قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل ماعمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل اولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث اخبارها ثم بعد ذلك بدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم فى الظلمة دون الجسر ذكره البغوى بغير سند ففى هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثانى مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده واسرار كتابه * وقوله تعالى (وبرزوا) يعنى وخرجوا من قبورهم (لله) يعنى لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى قالوا حد الذى لاثانى له ولاشريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذى يقهر عباده على مايريد ويفعل مايشاء ويحكم مايريد * قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعنى مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شددته معه فى رباط واحد (فى الاصفاد) يعنى فى القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقال ابو زيد تقرن ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرابيلهم) يعنى قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل مالبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير اهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود ولو اراد الله المبالغة فى احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطرآن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذى انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعنى تعلوها وتجللها (ليجزى الله كل نفس ماكسبت) يعنى من خير اوشر (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا انما هو اله واحد) يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليذكر اولوا الالباب) يعنى وليتعظ بهذا القرآن ومافيه من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجر

(مكية باجماعهم وهى تسع وتسعون آية وستمائة واربع وخمسون كلمة والفان وسبعمائة وستون حرفا)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ماتضمنته السورة

الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لايخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ماتسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيأ وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم ان الله يعلم مايسرون وما يعلنون انه لايحب المستكبرين

من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعدالله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا واي قرآن كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ كانك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ (يود الذين كفروا) وقيل ما في ربما بمعنى حين اي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا الآن التمني هو تشهي حصول مايوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيامة وشدائده ومايصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ودّ لو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فيأمر الله بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم يعني النخعي فان قلت رب وانما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به

واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء مايزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين) يعني بعض السبل وهي السبل المتفرقة مما عدا سبيل التوحيد جائر عادل عن الحق موصل الى الباطل لا محالة فهي سبيل الضلالة كيفما كانت ولم يشأ هداية الجميع الى السبيل المستقيم لكونها تنافي الحكمة (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم) قد مر ان ان السابقين الموحدين يتوفاهم الله تعالى بذاته واما الابرار والسعداء فقسمان فمن ترقى عن مقام النفس بالتجرد ووصل الى مقام القلب بالعلوم والفضائل يتوفاهم ملك الموت ومن كان في مقام النفس من العباد

فى تحققه كانه قال ربما ردّ قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا فى دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الامل) يعنى ويشغلهم طول الامل من الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ماصنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفى الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم فى الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق المؤمنين قال على بن ابى طالب انما اخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما اهلكنا من قرية) يعنى من اهل قرية واراد هلاك الاستئصال (الا ولها كتاب معلوم) اى اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا فى الوقت الذى حد لهم فى اللوح المحفوظ (ماتسبق من امة اجلها) من زائدة فى قوله من امة كقولك ماجاءنى من احد يعنى احد وقيل هى على اصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك فى افادة عموم النفى آكد ومعنى الآية ان اجل المضروب لهم وهو وقت الموت اونزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما ادخل الهاء فى اجلها لارادة الامة واخرجها من قوله ومايستأخرون لارادة الرجال ﴿ قوله عز وجل (وقالوا) يعنى مشركى مكة (يا ايها الذى نزل عليه الذكر) يعنى القرآن وارادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحى عليه مايشبه الغشى فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله واتى بهذا القرآن العظيم انكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا ايها الذى نزل عليه الذكر فى زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون فى اداتك الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعنى هلا (تأتينا بالملائكة) يعنى يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعنى فى قولك وادعائك الرسالة (ماننزل الملائكة الا بالحق) يعنى بالعذاب او وقت الموت وهو قوله تعالى (وماكانوا اذا منظرين) يعنى لونزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لونزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا فى الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذكر) يعنى القرآن انزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل انه هو الذى نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم (وانا له لحافظون) الضمير فى له يرجع الى الذكر يعنى وانا للذكر الذى انزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد

والصلحاء والزهاد والمتشرعين الذين لم يتجردوا عن علائق البدن بالتزكية والتحلية تتوفاهم ملائكة الرحمة بالبشرى بالجنة اى جنة النفس التى هى جنة الافعال والآثار واما الاشرار الاشقياء فكيفما كانوا تتوفاهم ملائكة العذاب اذ القوى الملكوتية المتصلة بالنفوس تتشكل بهيآت تلك النفوس فاذا كانت محجوبة ظالمة كانت هيآتهم غاسقة ظلمانية هائلة فتتشكل القوى الملكوتية القابضة لنفوسهم بتلك الهيآت لمناسبتها ولهذا قيل انما يظهر ملك الموت على صورة اخلاق المحتضر فاذا كانت رديئة ظلمانية كانت صورته هائلة موحشة غلب على من يحضره الخوف والذعر وتذلل وتمسكن ونزل عن استكباره واظهر العجز والمسكنة وهذا معنى قوله (فالقوا السلم) اى سالموا وهانوا ولانوا وتركوا العناد والتمرد وقالوا (ماكنا نعمل من سوء) فاجيبوا بقولهم (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين

فيه او ينقص منه حرفا واحدا اوكلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب
المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عزوجل
حفظ هذا الكتاب بقى مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل
الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعنى وانا لمحمد لحافظون ممن اراده بسوء
فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر
الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية
اليه لكونه امرا معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه اشبه
بظاهر التنزيل ورد الكناية الى اقرب مذكور اولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة
الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عزوجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان
جعله معجزا باقيا مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو ارادوا
لزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك
ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر احد من الخلق ان
يعارضه وقال آخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله له
العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعى جماعة من الملاحدة واليهود
متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى
(ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين) لما تجرا كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون واساؤا الادب عليه اخبر الله سبحانه وتعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع انبيائهم كذلك فلك يا محمد
اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية
محذوف تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه
وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم
الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من
باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشئ في الشئ
كادخال الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين
كذلك نسلكه اى ندخله في قلوب المجرمين يعنى مشركى مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة
وهى ابين آية في ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعاند وقال الواحدى قال اصحابنا اضاف
الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن
بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق
الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه اى كذلك نسلك الباطل والضلال
في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان
الضمير عائد اليه واجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان

اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة ولدار الآخرة
خير ولنعم دار المتقين جنات
عدن يدخلونها تجرى
من تحتها الانهار لهم فيها
مايشاؤن كذلك يجزى الله
المتقين الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين) الافعال . واما
المتقون عن المعاصى والمناهى
الواقفون مع احكام الشريعة
المعترفون بالتوحيد والنبوة
على التقليد لا التحقيق والا
لتجردوا بعلم اليقين عن
صفات النفس الى مقام
القلب فتتوفاهم الملائكة
طيبين على صورة اخلاقهم
واعمالهم الطيبة الجميلة
فرحين مستبشرين (يقولون
سلام عليكم ادخلوا الجنة)
اى الجنة المعهودة عندهم
وهى جنة النفوس من جنات
الافعال (بما كنتم تعملون
هل ينظرون الا ان تأتيهم
الملائكة اويأتى امر ربك
كذلك فعل الذين من قبلهم
وما ظلمهم الله ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فاصابهم
سيئات ماعملوا وحاق بهم
ماكانوا به يستهزؤن وقال
الذين اشركوا لوشاء الله
ماعبدنا من دونه من شئ)
انما قالوا ذلك عنادا وتعنتا

المراد من قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين انه الكفر والضلال * وقوله تعالى (لايؤمنون به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقدخلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم مثل مانزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب (ولوفتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعنى ولوفتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوماتأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يعرجون يعنى يصعدون والمعارج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لوكشف عن ابصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذلك الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس سدت ابصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل مايقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه اخبرالله سبحانه وتعالى انه لوحصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة * قوله سبحانه وتعالى (ولقدجعلنا فى السماء بروجا) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقدتقدم ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبهاتتم دورة الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلهما وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال ابواسحق يريدون نجوم هذه البروج وهى نجوم على ماصورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعنى المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهوالله الذى اوجد كل شئ وخلقه وصوره (وحفظناها) يعنى السماء (من كل شيطان رجيم) اى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولدعيسى عليه

السلام

عن فرط الجهل والزاما للموحدين بناء على مذهبهم اذلو قالوا ذلك عن علم ويقين لكانوا موحدين لامشركين بنسبة الارادة والتأثير الى الغير لان من علم انه لايمكن وقوع شئ بغير مشيئة من الله علم انه لوشاء كل من فى العالم شيأ لم يشأالله ذلك لم يمكن وقوعه فاعترف بنفى القدرة والارادة عما عدا الله تعالى فلم يبق مشركا قال الله تعالى ولوشاء الله مااشركوا (نحن ولا آباؤنا ولاحرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم) فى تكذيب الرسل بالعناد (فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقدبعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل ومالهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذى

السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق السمع الا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الامن استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) اى لحقه (شهاب مبين) والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهاب بالاجل مافيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريد الخطفة اليسيره وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه او جنبه اويده او حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادى (خ) عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضرب الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء امره فكان ذلك اساس النبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمى ويعضده ماروى ان يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بنى علاج وكان اهدى العرب فقالوا له الم تر ماحدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التى يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هى التى يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لامر اراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية ❊ مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثانى ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد

يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) الفرق بين ارادة الله تعالى وعلمه وقدرته لايكون الا بالاعتبار فان الله تعالى يعلم كل شئ ويعلم وقوعه في وقت معين بسبب معين على وجه معين فاذا اعتبرنا علمه بذلك قلنا بعالميته واذا اعتبرنا تخصيصه بالوقت المعين والوجه المعين قلنا بارادته واذا اعتبرنا وجوب وجوده بوجود مايتوقف عليه وجوده في ذلك الوقت على ذلك الوجه المعلوم قلنا بقدرته فرجع الثلاثة الى العلم ولو اقتضى علمنا وجود شئ ولم يتغير ولم يحتج الى تروو عزيمة غير كونه معلوما وتحريك الآلات لكان فينا ايضا كذلك (والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لوكانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس

ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شئ) اى ذات وحقيقة مخلوقة اية ذات كانت من المخلوقات (يتفيؤا ظلاله) اى يتجسد ويتمثل هياكله وصوره فان لكل شئ حقيقة هى ملكوت ذلك الشئ واصله الذى هو به هو كما قال تعالى بيده ملكوت كل شئ وظلاله هو صفته ومظهره اى جسده الذى به يظهر ذلك الشئ (عن اليمين و) عن (الشمائل) اى عن جهة الخير والشر (سجدا لله) منقادة بامره مطواعة لا تمتنع عما يريد فيها اى يحرك هياكله الى جهات الافعال الخيرية والشرية بأمره (وهم داخرون) صاغرون متذللون لامره مقهورون (ولله يسجد) ينقاد (مافى السموات) فى عالم الارواح من اهل الجبروت والملكوت والارواح المجردة المقدسة (وما فى الارض من دابة

وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال اخبرنى رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكنتم تقولون فى الجاهلية اذا رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم اومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ هذه الخبر السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى اوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن فى شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابى حازم وهو جاهلى

فالعير يرهقها الغبار وجحشها ❊ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلى فانقض كالدرى يتبعه ❊ نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمى بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد فى حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله اعلم ❊ قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها فى الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا اصحاب التفسير بان الله اخبر فى كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم بمراده وكيف مد الارض (والقينا فيها رواسى) يعنى جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فاثبتها بالجبال (وانبتنا فيها) اى فى الارض لان انواع النبات المنتفع به تكون فى الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله تعالى (من كل شئ موزون) وانما يوزن ما تولد فى الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون اى معلوم وقال مجاهد وعكرمة اى مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذى يحتاج اليه الناس فى معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب فى الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت فى الارض والجبال نوعان احدهما مايستخرج من المعادن

وجميع

وجميع ذلك موزون والثـانى النبات وبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمدّ مقدران بالوزن (وجعلنالكم فيهـا معايش) جمع معيشـة وهو مايعيش به الانسان مدة حياته فى الدنيا من المطاعم والمشـارب والملابس ونحو ذلك (ومن لسـتم له برازقين) يعنى الدواب والوحش والطير انتم منتفعون بها ولسـتم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وتكون من فى قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالا ان من لمن يعقل وما لمن لايعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لايعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم مالايعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ للحفظ يقال خزن الشئ اذا احرزه فقيل اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبنى آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه فى حكمه وتصرفه وامره وتدبيره ❋ قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعنى بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لاتنزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسـوقها الى حيث يشـاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لايزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لاينتفع به كالبرارى والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال فى العرش تمثال جميع ماخلق الله فى البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وارسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعنى للشجر وهو قول الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليهـا الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود فى تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه فى السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر فى هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فانزلنا من السماء ماء قال ابوبكر بن عبـاس لاتقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الا ربع فيهـا فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابوعبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان القحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وازن اى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعن لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازى عنه بان قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اى ذات لقاح وقيل ان الريح فى نفسـها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لهـا عقيم اذا لم تأت بخير وورد

والملائكة) فى عالم الاجساد من الدواب والاناسىّ والاشجار وجميع النفوس والقوى الارضية والسماوية (وهم لايستكبرون) لايمتنعون عن الانقياد والتذلل لامره (يخافون ربهم) اى ينكسرون ويتأثرون وينفعلون منه انفعال الخائف (من فوقهم) من قهره وتأثيره وعلوه عليهم (ويفعلون مايؤمرون) طوعا وانقيادا بحيث لايسعهم فعل غيره (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله مافى السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) بنسبة النعمة الى غيره ورؤيته منه وكذا بنسبة الضر الى الغير واحالة الذنب فى ذلك عليه والاستعانة فى رفعه به قال الله تعالى انا والجن والانس فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى وذلك هو كفران النعمة والغفلة عن المنعم المشار اليهما بقوله (ليكفروا بما

آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) وبال ذلك الاعتقاد عليهم او فسوف تعلمون بظهور التوحيد ان لاتأثير لغيرالله فى شئ (ويجعلون لما لا يعلمون) وجوده مماسواه (نصيبا ممارزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون واذابشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشربه ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الاساء مايحكمون للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذالله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذاجاءاجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله مايكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وماانزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى

فى بعض الاخبار ان اللقح الرياح الجنوب وفى بعض الآثار ماهبت رياح الجنوب الا وانبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى اسألك خيرها وخير مافيها وخير ماارسلت به واعوذبك من شرها وشر مافيها وشر ماارسلت به وروى البغوى بسنده الى الشافعى الى ابن عباس قال ماهبت ريح قط الاجثا النبى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا قال ابن عباس فى كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ❊ وقوله سبحانه وتعالى (فانزلنا من السماء ماء) يعنى المطر (فاسقيناكموه) يعنى جعلنا المطرسقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه مايشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب ارضه اوماشيته يقال اسقيناه (وما انتم له) يعنى للمطر (بخازنين) يعنى ان المطر فى خزائننا لافى خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين (وانا لنحن نحيى ونميت) يعنى بيدنا احياء الخلق واماتتهم لايقدر على ذلك احد الاالله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا لنحن يفيدالحصر يعنى لايقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقى بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقى بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما آتاهم فى الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذافنى جميع الخلائق رجع الذى كانوا يملكونه فى الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ❊ قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون فى الصف الاول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اخرجه النسائى واخرجه الترمذى وقال فيه وقدروى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا اشبه ان يكون اصح قال البغوى وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابى هريرة وقال ابن عباس اراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعنى فى الطاعة والخير والمستأخرون يعنى فيهما وقال الاوزاعى اراد بالمستقدمين المصلين فى اول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستأخرين فى صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم

كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشترى دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما نجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لايخفى عليه شئ من احوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يعنى على ماعلم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ماماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه * قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعنى آدم عليه السلام فى قول جميع المفسرين سمى انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسى (من صلصال) يعنى من الطين اليابس الذى اذا نقرته سمعت له صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائى وقال هو من صل اللحم اذا انتن (من حما) يعنى من الطين الاسود (مسنون) اى متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال ابوعبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ماذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وانتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخمره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حما مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوّره صورة انسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تفخر فى الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا * قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفى الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولايموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لايتوالدون ولايأكلون ولايشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم فى الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتى المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعنى من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التى تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التى تكون بالليل الحرور وقال ابوصالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء والحجاب فاذا حدث امر خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهدة التى تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود

اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون

هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حى من الملائكة يسمعون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور * قوله عزوجل (واذ قال ربك للملائكة) اى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (انى خالق بشرا) سمى الآدمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد (من صلصال من حما مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعنى عدلت صورته واتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) النفخ عبارة عن اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح فى النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحى واضاف الله عزوجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتى الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال لله لهم انى خالق بشرا امرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعنى الذين امروا بالسجود لآدم (اجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا فى اوقات متفرقة او فى دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا تكون حالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله سبحانه وتعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لآدم فسجدوا (الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعنى قال الله (يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد ابليس انه افضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه افضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) اى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له (قال رب فانظرنى) يعنى اخرنى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة واراد بهذا السؤال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة

وبنعمت الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) فيقولون هو اعطانى كذا ولولم يعطى لكان كذا وفلان رزقنى واعاننى فيجعلون لغيره تأثيرا فى وصول ذلك اليه وان لم يثبتوا له تأثيرا فى وجوده فقد جعلوا له نصيبا مما رزقهم الله (ضرب الله مثلا) للمجرد والمقيد والمشرك والموحد (عبدا مملوكا) محبا لغير الله مؤثرا له بهواه فان المقيد بالشئ يدين بدينه ويصدر عن حكمه ويتصرف بامره فهو عبده اذ كل من احب شيأ اطاعه واذا اطاعه فقد عبده فمنهم من يعبد الشيطان ومنهم من يعبد الشهوة ومنهم من يعبد الدنيا او الدينار او اللباس كما قال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة وقال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واذا عبده كان مملوكه ورقيقه (لا يقدر على شئ) لان المحب والعابد لا يرتقى همته وتأثيره وقوة نفسه من محبوبه ومعبوده والا لما كان

وهو مابين النفختين ولم تكن اجابةالله تعالى اياه فى الامهال اكراماله بل كان ذلك الامهال زيادةله فى بلائه وشقائه وعذابه وانماسمى يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لايعلمه احد الاالله تعالى فهومعلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهومعلوم بهذا الاعتبار وقيل لماسأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسألت الانظار اليه (قال رب بمااغويتنى) الباء للقسم فى قوله بماوماصدرية وجواب القسم (لازينن) والمعنى فباغوائك اياى لازينن لهم فى الارض وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لازينن (لهم فى الارض) يعنى لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولاغوينهم اجمعين) يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لماعلم انه يموت على الكفر غيرمغفورله حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال (الاعبادك منهم المخلصين) يعنى المؤمنين الذين اخلصوالك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الامن اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانمااستثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لاتعمل فيهم ولايقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصالله عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلايخلوا ماان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط اوغيرالله اومجموع الامرين اما ماكان لله تعالى فهوالخالص المقبول واما ماكان لغيرالله فهوالباطل المردود وامامن كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى اى الجانبين رجح اخذبه (قال) يعنى قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لايعرج الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كمايقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على اى لاتنفلت وقيل معناه على استقامة بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى ورضوانى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) اى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لماقال لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على احد من عبيده سواء كان من المخلصين اولم يكن من المخلصين قال اهل المعانى ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته اى الذين هداهم واجتباهم من عباده (الا من اتبعك من الغاوين) يعنى الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لموعدهم اجمعين) يعنى موعد ابليس واشياعه واتباعه (لها) يعنى لجهنم (سبعة ابواب) يعنى سبع طبقات قال على بن ابى طالب تدرون كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اى سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزأته جعلته

مقهورا له اسيرا فى وثاقه بل ينقص منه ومعبوده عاجز لاتأثيرله بل لاوجود سواء كان جمادا اوحيوانا اوانسانا او ماشئت فهو اعجزمنه واذل ولهذا قيل ان الدنيا كالظل اذاتبعته فاتك وان تركته تبعك فان تابع الدنيا احقر قدرا من الدنيا واقل خطراولا تأثير للدنيا فكيف به حتى يحصل له وبسببه شئ وان الدنيا ظل زائل فهو ظل الظل ولاظل لظل الضل بل الظل للذات ولاذات له فلاملك له ولاقدرة (ومن رزقناه منارزقاحسنا) ومن احبنا واقبل بقلبه علينا وتجرد عما سوانا وانقطع الينا اعطيناه الايد والقوة ورزقناه الملك والحكمة واسبغنا عليه النعمة الظاهرة والباطنة لانه متوجه الى مالك الملك منعم الكل منبع القوى والقدر فاكتسب نفسه القوة والتأثير والقدرة منه وتأثر منه الاكوان والاجرام واطاعه الملك والملكوت كما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يادنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ثم اذا ربت همته الشريفة عن الاكوان ولم

اجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار قال الضحاك فى الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة اهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتى اوقال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك فى قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصى والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية فى الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التى فى الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون او تجرى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجرى فى جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجرى من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) اى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى او بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن فى القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة فى الغل لانها كامنة فى القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعنى فى المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرير قال بعض اهل المعانى السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء الى الجابية (متقابلين) يعنى يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم فى قفا صاحبه وفى بعض الاخبار ان المؤمن فى الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم فيها) يعنى فى الجنة (نصب) اى تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعنى من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله فى كتابه على خلود اهل الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان * قوله سبحانه وتعالى (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعنى لمن تاب منهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادى ذكره البغوى بغير سند (وان عذابى هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعنى لقتل نفسه (خ) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه

تقف بمحبته مع غير الله ولم يلتفت الى ماسواه زدنا فى رزقه فآتيناه صفاتنا ومحونا عنه صفاته فعلمناه من لدنا علما واقدرناه بقدرتنا كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث (فهو ينفق منه سرا وجهرا) ينفق من النعم الباطنة كالعلم والحكمة سرا ومن الظاهرة جهرا اوينفق من كلتيهما سرا كالذى يصل الى الناس من غير تسببه لوصوله ظاهرا وهو فى الحقيقة منه وصل لانه حينئذ واسطة الوجود الالهى ووكيل حضرته وجهرا كالذى يتسبب هو بنفسه ظاهر الوصوله (هل يستوون) استفهام بطريق الانكار وكذا المشرك كالابكم الذى لم يكن له استعداد النطق فى الخلقة لانه ما استعد للادراك والعقل الذى هو خاصية الانسان فيدرك وجوب وجود الحق تعالى وكماله وامكان الغير ونقصانه فيتبرأ عن غيره ويلوذ به عن حول نفسه وغيره وقوتهما (الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون

وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وادخل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عندالله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عندالله من العذاب لم يأمن من النار وفى الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادى وهذا تشريف وتعظيم لهم الاترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل فى هذا التشريف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ فى التأكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله انى وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام فى الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل انى انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابى هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه فى التزام المغفرة والرحمة * قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ماقبله اى واخبر يامحمد عبادى عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى واصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين ارسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (اذدخلوا عليه) يعنى اذدخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) اى نسلم سلاما (قال) يعنى ابراهيم (انا منكم وجلون) اى خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لاتوجل) يعنى لاتخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعنى انهم بشروه بولد ذكر غلام فى صغره عليم فى كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال ابشرتمونى) يعنى بالولد (على ان مسنى الكبر) يعنى على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعنى فبأى شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعنى بالصدق الذى قضاه الله بان يخرج منك ولد اذكرا تكثر ذريته وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير (قال) يعنى ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعنى من ييأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكرالله ولا يحصل الاعند من يجهل كون الله تعالى قادرا على مايريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعنى ابراهيم (فاخطبكم) يعنى فاشأنكم وما الامر الذى جئتم فيه (ايها المرسلون) والمعنى ما الامر الذى جئتم به سوى مابشرتمونى به من الولد (قالوا) يعنى الملائكة (انا ارسلنا الى قوم

وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لايقدر على على شئ) لعدم استطاعته وقصوره وقوته للنقص اللازم لاستعداده (وهو كلّ على مولاه) لعجزه بالطبع عن تحصيل حاجته فهو عبد بالطبع محتاج متذلل للغير ناقص عن رتبة كل شئ لكونه اقل من لاشئ فان الممكن الذى يعبده ليس بشئ سواء كان ملكا او ملكا اوفلكا اوكوكبا اوعقلا اوغيرها (اينما يوجهه لايأت بخير) لعدم استعداده وشرارته بالطبع فلايناسب الا الشر الذى هو العدم فكيف يأتى بالخير (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) والموحد القائم بالله الفانى عن غيره حتى نفسه يقوم بالحق ويعامل الخلق بالعدل ويأمر بالعدل لان العدل ظل الوحدة فى عالم الكثرة فحيث قام بوحدة الذات وقع ظله على الكل فلم يكن الا آمرا بالعدل (وهو على صراط مستقيم) اى صراط الله الذى عليه خاصته من اهل البقاء بعد الفناء الممدود على نار الطبيعة لاهل الحقيقة يمرون عليه كالبرق اللامع

مجرمين) يعنى لهلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعنى اشياعه واتباعه من اهل دينه (انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته) يعنى امرأة لوط (قدرنا) يعنى قضينا وانما اسند الملائكة القدر الى انفسهم وان كان ذلك لله عزوجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك (انها لمن الغابرين) يعنى لمن الباقين فى العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم فى زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعنى لااعرفكم ولااعرف من اى الاقوام انتم ولالاى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه (واتيناك بالحق) يعنى باليقين الذى لاشك فيه (وانا لصادقون) يعنى فيما اخبرناك به من اهلاكهم (فأسر باهلك بقطع من الليل) يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه (واتبع ادبارهم) يعنى واتبع آثار اهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم احد) يعنى حتى لايرى مانزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع فى السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولاتعرج على شئ وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط والا يتخلف احد منهم فيناله العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى الى الشأم وقيل الى الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية معينة ماعمل اهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعنى واوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما ابهم الامر الذى قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه (وجاء اهل المدينة) يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعنى يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر امرهم فى المدينة وقيل ان امرأته اخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعنى فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من امره مايلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فى امرهم (ولا تخزون) يعنى ولا تخجلون (قالوا) يعنى قوم لوط الذين جاؤا اليه (اولم ننهك عن العالمين) يعنى اولم ننهك عن ان تضيف احدا من العالمين وقيل معناه اولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه السنا قد نهيناك ان تكلمنا فى احد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه (هؤلاء بناتى) ازوجكم اياهن ان اسلمتم فأتوا الحلال ودعوا

(ولله غيب السموات والارض) اى ولله علم الذى خفى فى السموات والارض من امر القيامة الكبرى اوعلم مراتب الغيوب السبعة التى اشرنا اليه من غيب الجن والنفس والقلب والسر والروح والخفى وغيب الغيوب او ماغاب من حقيقتهما اى ملكوت عالم الارواح وعالم الاجساد (وما امر الساعة) القيامة الكبرى بالقياس الى الامور الزمانية (الا كلمح البصر) كاقرب زمان يعبر عنه مثل لمح البصر (اوهو اقرب) وهو بناء على التمثيل والا فأمر الساعة ليس بزمانى ومالبس بزمانى يدركه من يدركه لا فى الزمان (ان الله على كل شئ قدير) يقدر على الاماتة والاحياء والحساب لا فى زمان كما يشاهده اهله وخاصته (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير) القوى الروحانية والنفسانية من الفكر والعقل النظرى والعملى بل الوهم والتخيل (مسخرات فى جوّ السماء) اى فضاء عالم

الحرام وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالوالد لامته (ان كنتم فاعلين) يعني ما آمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ماخلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه (انهم لفي سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم (يعمهون) يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فاخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين اضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين اشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال قتادة للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ماروى عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين احدهما مادل عليه ظاهر الحديث وهو مايوقعه الله في قلوب اوليائه فيعلمون بذلك احوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني مايحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك احوال الناس ايضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشئ وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا اي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى ان آثار ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون اثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما انزل بهم (لآية للمؤمنين) يعني المصدقين بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان اصحاب الايكة لظالمين) يعني كان اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وقوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة (لبامام مبين) يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده ❁ قوله عز وجل (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر

الارواح (مايمسكهن) من غير تعلق بمادة ولا اعتماد على جسم ثقيل (الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله) اي هداية النبي اووجوده لما ذكرنا ان كل نبي يبعث على كمال يناسب استعدادات امته ويجانسهم بفطرته فيعرفونه بقوة فطرتهم (ثم ينكرونها) لفسادهم وتعنتهم بسبب غلبة صفات نفوسهم من الكبر والانفة وحب الرياسة اولكفرهم واحتجابهم عن نور الفطرة بالهيآت الفاسقة الظلمانية وتغير الاستعداد الاول (واكثرهم الكافرون) في انكاره لشهادة فطرهم بحقيقته (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) اي نبعث نبيهم

عليها ركب الشام الى الحجاز واهل الحجاز الى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره
بلفظ الجمع للتعظيم اولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة
وولدها والآيات التى كانت فى الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها
وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات
(فكانوا عنها) يعنى عن الآيات (معرضين) يعنى تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين) يعنى خوفا من الخراب اوان يقع عليهم الجبال اوالسقف (فاخذتهم
الصيحة) يعنى العذاب (مصبحين) يعنى وقت الصبح (فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون)
يعنى من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا
ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه واسرع السير حتى جاوز الوادى ✽ قوله سبحانه وتعالى
(وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق) يعنى لاظهار الحق والعذاب وهو ان
يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعنى وان
القيامة لتأتى ليجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم اى فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ماتلقى من اذى
قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالى
والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم) يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ماهم فاعلوه
وما يصلحهم ✽ قوله عزوجل (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) قال ابن
الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير فى
يوم واحد فيها انواع البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها وانفقناها فى سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد اعطيتكم سبع آيات هى خير من
هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لاتمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل
قلت وهذا القول ضعيف اولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع اهل التفسير وليس فيها
من المدنى شئ ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح ان يقال ان سبع قوافل
جاءت فى يوم واحد فيها اموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية واخبرهم
ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله اعلم و فى المراد بالسبع المثانى
اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وفى رواية عنه وابن
عباس وفى رواية الاكثرين عنه وابى هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفى رواية عنه
ومجاهد وعطاء وقتادة فى آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع
المثانى اخرجه ابوداود والترمذى (ق) عن ابى سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته اخرجه
البخارى وفيه زيادة اما السبب فى تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثانى فلانها سبع آيات

على غاية الكمال الذى يمكن
لامته الوصول اليه او
القرب منه والتوجه اليه
لامكان معرفتهم اياه فيعرفونه
ولهذا يكون لكل امة شهيد
غير شهيد الامة الاخرى
ويعرف كل من قصر وخالف
نبيه بالاعراض عن الكمال
الذى يدعو اليه والوقوف
حضيض النقصان قصوره
واحتجابا فلا حجة له ولا
نطق فيبقى متحيرا متحسرا
وهو معنى قوله (ثم لايؤذن
للذين كفروا ولاهم
يستعتبون) ولاسبيل له الى
ادراك مافاته من كماله لعدم
آلته ولايمكن ان يرضى بحاله
لقوة استعداده الفطرى
الذى جبل عليه وشوقه
الاصلى الغريزى اليه فهو
مكظوم لايستعتب ولا
يسترضى (واذا رأى الذين
ظلموا العذاب فلايخفف
عنهم ولاهم ينظرون واذا
رأى الذين اشركوا شركاءهم
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك
فألقوا اليهم القول انكم
لكاذبون والقوا الى الله
يومئذ السلم وضل عنهم
ماكانوا يفترون الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذاباً فوق العذاب

باجماع اهل العلم واختلفوا فى سبب تسميتها بالمثانى فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى فى الصلاة فتقرا فى كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد و بين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث مذكور فى فضل الفاتحة وقيل سميت مثانى لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه الفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابوزيد البلخى لانها تثنى اهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عنانى وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هى السبع المثانى دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القرآن لان افرادها بالذكر فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم مع انها جزء من اجزاء القرآن واحدى سوره لابد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثانى فى تفسير قوله سبعا من المثانى انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفى رواية عنه وابن عباس وفى رواية عنه وسعيد بن جبير وفى رواية عنه والسبع الطوال هى سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا فى السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هى سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى اعطانى السبع الطوال مكان التوراة واعطانى المئين مكان الانجيل واعطانى مكان الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفصل اخرجه البغوى باسناد الثعلبى قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثانى لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهى مكية واجيب عن هذا الايراد بأن الله سبحانه وتعالى حكم فى سابق علمه بانزال هذه السور على النبى صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسير هذه الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثانى هى السور التى هى دون الطوال وفوق المفصل وهى المئين ووجه هذا القول الحديث المتقدم واعطانى مكان الزبور المثانى والقول الرابع ان السبع المثانى هى القرآن كله وهذا قول طاوس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى وسمى القرآن كله مثانى لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن فى قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثانى وهل هو الا عطف الشئ على نفسه قلت اذا عنى بالسبع المثانى فاتحة الكتاب او السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف عليه السلام واذا عنى بالسبع المثانى القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهى القرآن العظيم وانما سمى القرآن عظيما لانه

بما كانوا يفسدون ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) اى الاستسلام والانقياد وقد جاء انكارهم كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وذلك بحسب المواقف فالانكار فى الموقف الاول وقت قوة هيآت الرذائل وشدة شكيمة النفس فى الشيطنة وغاية البعد عن النور الالهى للاحتجاب بالحجب الغليظة والغواشى المظلمة حتى لا يعلم انه كان يراه ويطلع عليه ونهاية تكدر نور الفطرة حتى يمكنه اظهار خلاف مقتضاه والاستسلام فى الموقف الثانى بعد مرور احقاب كثيرة من ساعات اليوم الذى كان مقداره خمسين الف سنة حين زالت الهيآت ورقت وضعفت شراشر النفس فى رذائلها وقرب من عالم النور لرقة الحجب ولمعان نور فطرته الاولى فيعترف وينقاد هذا اذا كان الاستسلام والانكار لنفوس بعينها وقد يكون الاستسلام للبعض الذين لم ترسخ هيآت رذائلهم ولم تغلظ حجبهم ولم ينطفئ نور استعدادهم والانكار

كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم * قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما متعنا به ازواجا) يعنى اصنافا (منهم) يعنى من الكفار متمنيا لها نهى الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة فى الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القرآن العظيم الذى فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعنى لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون ماداعيه الى الشئ اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فيحصل له من ذلك تمنى ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شئ من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعنى ولا تغتم على مافاتك من مشاركتهم فى الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففيه النهى عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوى بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدرى ماهو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابى مريم ماقاتلا لا يموت قال النار (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى اسفل منه لفظ البخارى ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبدالله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احد اكثرهما منى كنت ارى دابة خيرا من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت * وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعنى لين جانبك (للمؤمنين) وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) اى وقل لهم يا محمد (انى انا النذير المبين) لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى انى انا النذير بالعقاب لمن عصانى المبين البين النذارة (كما انزلنا على المقتسمين) يعنى انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب اراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان اقوالهم تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل

لمن ترسخت فيه الهيآت وقويت وغلبت عليه الشيطنة واستقرت وكثف الحجاب وبطل الاستعداد والله اعلم (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) تقدم فى سورة النساء (ونزلنا عليك الكتاب) اى العقل الفرقانى بعد الوجود الحقانى (تبيانا لكل شئ) تبيينا وتحقيقا لحقيقة كل شئ وهداية لمن استسلم وانقاد بسلامة فطرته الى كماله (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) له بتبليغه الى ذلك الكمال بالتربية والامداد وبشارة له ببقائه على ذلك الكمال ابدا سرمدا فى الجنان الثلاث (واوفوا بعهد الله) الذى هو تذكر العهد السابق وتجديده بالعقد اللاحق بالبقاء على حكمه فى الاعراض عن الغير والتجرد عن العوائق والعلائق فى التوجه اليه (اذا عاهدتم) اى تذكرتموه باشراق نور النبى عليكم وتذكيره اياكم (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد

بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مربهم من حجاج العرب لاتغتروا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا ❁ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه اجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشئ اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعنى انهم جعلوا القرآن سحرا ﴿ فوربك لنسألنهم اجمعين ﴾ اقسم الله بنفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عما كانوا يقولونه فى القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم عن لااله الا الله عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لااله الا الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان قلت قال ابن عباس لايسألهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس ايضا انه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون فى بعض المواقف ولايسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لاينطقون وقال تعالى فى آية اخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس اظهر ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اى افرق بالقرآن بين الحق والباطل امر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبدالله بن عبيدة مازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو واصحابه ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ اى اكفف عنهم ولاتلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ اكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ماللنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولاتخف احدا غيرى فانى انا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزؤن بالنبى صلى الله عليه

جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هى اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ماكنتم فيه تختلفون ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولاتشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عندالله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ماعندكم ينفد وماعندالله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ماكانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى) اى عملا يوصله الى كماله الذى يقتضيه استعداده اذ الصلاح فى الشخص توجهه الى كماله اوكونه على ذلك الكمال والفساد بالضد وفى العمل كونه وصلة ووسيلة اليه من صاحب قلب بالغ الى كمال الرجولية او صاحب نفس قابلة لتأثير القلب

وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد بن عبدالعزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبدمناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلاطلة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهرى عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى ابيه وامه قال المفسرون اتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبدالله فقال قد كفيته واوما الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبالاله وعليه بردیمانی وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبران يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضربه فى ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمى فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبدالله فاشار جبريل الى اخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة فى اخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى قال اتاه جبريل وهو قاعد فى اصل شجرة ومعه غلام له وفى رواية فجعل ينطح رأسه فى الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما ارى احد ايصنع بك شيأ غيرك فمات وهو يقول قتلنى محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبدالله على انه خالى فقال جبريل قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفى رواية الكلبى انه خرج من اهله فأصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعنى بك وبالقرآن ﴿ الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ﴾ يعنى اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ يعنى بسبب مايقولون وهو ما كانوا يسمعون من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك امره بالتسبيح والعبادة وهو قوله ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ قال ابن عباس فصل بامر ربك ﴿ وكن من الساجدين ﴾ يعنى من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعنى من المصلين روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا احزنه امر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب فى زوال الحزن

مستفيضة منه ﴿ وهو مؤمن ﴾ اى معتقد للحق اعتقادا جازما اذ صلاح العمل مشروط بصحة الاعتقاد والايم بتصوركماله على ماهو عليه ولم يعتقده على الوجه الذى ينبغى فلم يمكنه عمل يوصله اليه فلا يكون مايعمله صالحا حينئذ فى الحقيقة وان كان فى صورة الصلاح ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ اى حياة حقيقية لاموت بعدها بالتجرد عن المواد البدنية والانخراط فى سلك الانوار السرمدية والتلذذ بكمالات الصفات فى مشاهدات التجليات الافعالية والصفاتية ﴿ ولنجزينهم اجرهم ﴾ من جنان الافعال والصفات ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ اذ عملهم يناسب صفاتهم التى هى مبادى افعالهم واجرهم يناسب صفاتنا التى هى مصادر افعالنا فانظر كم بينهما من التفاوت فى الحسن ﴿ فاذا قرأت القرأن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ فادرج عن مقام النفس بالعروج الى جناب القدس فان النفس مأوى كل كدورة ومنبع كل رجس تناسب وساوس ومن الشيطان وتجردها

عن القلب

عن القلب اذا اتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكانه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء اعطيتني ما احب او كفيتني ما اكره فأنا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشاء ✿ قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لايشك فيه احد والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله الى ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين ابويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها اوقال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النحل

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة احرف ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله سبحانه وتعالى (اتى امر الله) يعني جاء ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجئ بعدما اتى ومعنى الآية اتى امر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعني وقوعا والمراد به مجئ القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شئ قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجئ الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما اخرجاه

بأحاديثها فان ارتقيت من مقرها لم يكن للشيطان عليك سلطان لانه لايطيق نور حضور الحق وحضرة القلب مهبط انواره وجناب صفاته المقدسة ومحل تجلياته النورية فغذاليها وعذبنور الله فيها تستحكم بنيان ايمانك باليقين فان الايمان الذي لايبقى معه سلطان الشيطان كما قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا) اقل درجاته اليقين العلمي الذي محله القلب الصافي ولا يكفي هذا اليقين في نفي سلطانه الا اذا كان مقرونا بشهود الافعال الذي هو مقام التوكل كما قال تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) والفناء في الافعال لايمكن مع بقاء صفات النفس اذ بقاء صفاتها يستدعي افعالها ولهذا قيل لايمكن ايفاء حق مقام وتصحيحه واحكامه الابعد الترقي الى ما فوقه فبالترقي الى مقام الصفات يتم فناء الافعال فيصح التوكل (انما سلطانه على الذين يتولونه) في مقام النفس بالمناسبة التي بينهما في الظلمة والكدورة اذ التولي مرتب على الجنسية (والذين هم به مشركون) بنسبة القوة

في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي
رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين وهو
العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل
النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعاظم بالاوصاف
الحميدة عما يصفه به المشركون * قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي
(من امره) وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء
بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة
مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة
والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق (أن انذروا) يعني بأن اعلموا (انه لا اله الا انا فاتقون)
اي فخافون وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن (خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم
مبين) يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث
فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد مارم
فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه ايضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح
ان الآية عامة في كل مايقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها
بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف
قبيح مافعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم * قوله عز وجل (والانعام
خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق الانسان
ذكر بعده ماينتفع به في سائر ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس
اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى
والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها
ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم
ثم ابتدا فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله
خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال
والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير
ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو
مايستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة
من النعم (ومنافع) يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ماينتفع به من الانعام
(ومنها تأكلون) يعني من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم

والتأثير اليه بل بطاعته
وانقياد اوامره للتولي
المذكور (واذا بدلنا آية
مكان آية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر بل
اكثرهم لايعلمون قل نزله
روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا وهدى
وبشرى للمسلمين ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر
لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي
مبين ان الذين لايؤمنون
بآيات الله لايهديهم الله ولهم
عذاب اليم انما يفتري
الكذب الذين لايؤمنون
بآيات الله واولئك هم
الكاذبون من كفر بالله
من بعد ايمانه) لكون
الظلمة له ذاتية بحسب
استعداده الاول والنور
عارضيا في حجاب خافي
عن نور الايمان ان اعتراه
شعاع قدسي من نفس
الرسول اومن فيض القدس
اواثره وعدا ووعيدا وكلمة
حق في دعوته الى الحق في
حال اقبال من قلبه ودعاه
داعية نفسانية من حصول
نفع ودفع ضر ماليين اوجاه
وعزة بسبب الاسلام آمن
ظاهرا ومقامه ومقره
الكفر فقد استحق

الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها فلمت الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به فى الاغلب واكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب فى الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل ❁ وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) اى فى الانعام (جمال) اى زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الابل بالعشى الى مراحها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ماتكون هذه الراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاء وخرجت العرب للنجعة واحسن ماتكون النعم فى ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشى الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها بها وتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ فى التفرق والانتشار للرعى فى البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل فى الاراحة اكثر منه فى التسريح فوجب تقديمه ❁ وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل اثقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر ومايحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجاراتهم واسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه اولى من تخصيصه ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعنى بالغى ذلك البلد الذى تقصدونه (الا بشق الانفس) يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها (ان ربكم لرؤف رحيم) يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع ❁ قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ماقبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعنى وجعلها زينة مع المنافع التى فيها ﴿ فصل ﴾ احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم اكله فلو كان اكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء

غضب الله لانه محجوب بحسب الاستعداد عن اول مراتب الايمان الذى هو شهود الافعال بالاستدلال من الصنع على الصانع فعقابه من باب الافعال والصفات لا الذى (الا من اكره) على الكفر بالانذار والتخويف (وقلبه مطمئن) ثابت متمكن مملوء (بالايمان) لنورية فطرته فى الاصل وكون النور ذاتيا له بحسب الفطرة والكفر والاحتجاب انما عرض بمقتضى النشأة وقد زال الحجاب العارضى (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اى طاب به نفسا ورضى واطمأن لكونه مستقره ومأواه الاصلى (فعليهم غضب) عظيم اى غضب (من الله ولهم عذاب عظيم) لاحتجابهم عن جميع مراتب الانوار من الافعال والصفات والذات فما اغلظ حجابهم وما اعظم عذابهم (ذلك) اى انشراح الصدر بالكفر والرضا به (ب) سبب (انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) لكونها مبلغ علمهم ونهايته ومابلغ علمهم الى الآخرة لانسداد بصائر قلوبهم ومناسبة

وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه واحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بماروى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفى رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن فى الخيل وفى رواية قال اكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلى هذه رواية البخارى ومسلم وفى رواية ابى داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب من اباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله فى الانعام وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوى ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه فى اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جمعا بين النصين والله اعلم * وقوله تعالى (ويخلق مالا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التى ينتفع بها الانسان فى جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها مالا ينتفع به الانسان فى الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عزوجل فى البر والبحر والسموات اكثر من ان تحصى او يحيط بها عقل احد وفهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق مالا تعلمون يعنى مما اعدالله لاهل الجنة فى الجنة ولاهل النار فى النار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت وخطر على قلب بشر وقال قتادة فى قوله ويخلق مالا تعلمون يعنى السوس فى النبات والدود فى الفواكه * قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا اداك الى مطلوبك وفى الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعنى ومن السبيل سبل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبدالله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبدالله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع (ولو شاء لهداكم اجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ماشاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم اجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ماشاء هدايتهم فلاجرم ماهداكم * قوله عزوجل (هو الذى انزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده

استعدادهم للامور الفاسقة السفلية من المواد الجسمية فاحبوا ماشعروا به ولائم حالهم وحب الدنيا رأس كل خطيئة لاستلزامه الحجاب الاغلظ الذى لاخطيئة الاتحته وفى طيه (وان الله لايهدى القوم الكافرين) اى المحجوبين باغلظ الحجب لامتناع قبولهم للهداية (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم) بقساوتها وكدورتها فى الاصل فلم ينفتح لهم طريق الالهام والفهم والكشف (وسمعهم وابصارهم) بسد طريق المعنى المراد من مسموعاتهم وطريق الاعتبار من مبصراتهم الى القلب فلم يؤثر فيهم شئ من اسباب الهداية من طريق الباطن من فيض الروح والقاء الملك واشراق النور ولا من طريق الظاهر بطريق التعليم والتعلم والاعتبار من آثار الصنع (واولئك هم الغافلون) بالحقيقة لعدم انتباههم بوجه من الوجوه وامتناع تيقظهم من نوم الجهل بسبب من الاسباب (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) الذين ضاعت دنياهم التى استعدوا

بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على العباد فقال وهو الذى انزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الاشياء هو الذى انزل من السماء ماء يعنى المطر (لكم منه) يعنى من ذلك الماء (شراب) يعنى تشربونه (ومنه) يعنى ومن ذلك الماء (شجر) الشجر فى اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف ماجل وعظم وهو الذى يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان احدهما تبقى له ادوحة فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها مالا يبقى له ساق فى الشتاء كالبقول وقال ابو اسحق كل ماينبت على وجه الارض فهو شجر وانشد نطعمها اللحم اذا عز الشجر * اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية يعنى الكلأ ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى انزل من السماء ماترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) يعنى ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت هى اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) اى ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم (به) اى بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر فى الثمار تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبههما لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده * ثم قال تعالى (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من انواع الثمار (لآية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا (لقوم يتفكرون) يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره فى سورة الاعراف (مسخرات) يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذللات (بامره) يعنى بامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وانها ليس لها تصرف فى نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعنى ان كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما اراد منهم (وماذرأ لكم فى الارض) يعنى وماخلق لكم فى الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا الوانه) يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات مع كثرتها حتى لايشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى (وهو الذى سخر) لكم (البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات

فى تحصيلها وسعهم واتلفوا فى طلبها اعمارهم وليسوا من الآخرة فى شئ الا فى عذاب هيآت التعلقات ووبال التحسرات (ثم ان ربك للذين هاجروا) اى تباعد بين هؤلاء المحجوبين الذين ان ربك عليهم بالغضب والقهر وبين الذين ان ربك لهم بالرضا والرحمة وهم الذين هاجروا عن مواطن النفس بترك المألوفات والمشتهيات (من بعد مافتنوا) وابتلوا بحكم النشأة البشرية (ثم جاهدوا) فى الله بالرياضات وسلوك طريقه بالترقى فى المقامات والتجريد عن الهيآت والتعلقات (وصبروا) على ماتحب النفس وتكرهه بالثبات فى السير (ان ربك من بعدها) بعد هذه الاحوال (لغفور) لهم بستر غواشى الصفات النفسانية (رحيم) بافاضة الكمالات وابدال صفاتهم بالصفات الالهية (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لايظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) للنفس المستعدة القابلة الصافية عن

والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به امابالركوب عليه اوبالغوص فيه اوالصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر (لتأكلوا منه لحما طريا) فبدأ بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لان به قوام البدن وفى ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لوكان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى مايعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلقه لابحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد * المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم ليس نسائهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم * المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر فى اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعنى انها اذا جرت يسمع لها صوت قال ابو عبيدة يعنى صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعنى مواقر اى مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعنى الارباح بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (والقى فى الارض رواسى) يعنى جبالا ثقالا (ان تميد بكم) يعنى لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وانهارا) يعنى وجعل فيها انهارا لان فى القى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها فى اسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعنى بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها فى اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبى اراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد بالكل النجوم فمنها مايكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدى اراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف مالا علم له به * قوله سبحانه وتعالى (افمن يخلق كمن لايخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ماذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة

الكدورات المستفيدة من فيض القلب الثابتة فى طريق اكتساب الفضائل الآمنة من خوف فواتها وفنائها المطمئنة باعتقادها (يأتيها رزقها رغدا) من العلوم النافعة والفضائل الحميدة والانوار الشريفة (من كل مكان فكفرت بانعم الله) اى من جميع الجهات الطرق البدنية كالحواس الممتارة اياها قوت العلوم الجزئية والجوارح والآلات التى تطاوعها فى الاعمال الجميلة وتمرين الفضيلة اذا كانت منقادة للقلب مطواعة له قابلة لفيضه باقية على معتقدها من الحق تقليدا ومن جهة القلب كامداد الانوار وهيآت الفضائل فظهرت بصفاتها بطرا واعجابا بزينتها وكمالها ونظرا الى ذاتها ببهجتها وبهائها فاحتجبت بصفاتها الظلمانية عن تلك الانوار ومالت الى الامور السفلية من زخارف الدنيا واللذات الحسية وانقطع امداد القلب عنها وانقلبت المعانى الواردة اليها من طرق الحس هيآت غاسقة من صور المحسوسات التى انجذبت اليها (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف)

المذكورة فى الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التى لاتضر ولاتنفع ولاتقدر على شئ افمن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لايخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التى لاتخلق شيأ البتة لانها جمادات لاتقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (افلا تذكرون) يعنى ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقى فى الآية سؤالان الاول قوله كمن لايخلق المراد به الاصنام وهى جمادات لاتعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من هى لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل فى زعمهم الاترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لايخلقون شيأ فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثانى قوله افمن يخلق كمن لايخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لايخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة فى التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لاتخلق شيأ البتة والله اعلم

﴿ وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) يعنى ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذى يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعى الرجلين الى غير ذلك مما انعم به عليه فى نفسه وفيما انعم به عليه مما خلق له من جميع مايحتاج اليه من امر الدين والدنيا لاتحصى حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التى لايمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها يعنى ولو اجتهدتم فى ذلك واتعبتم نفوسكم لاتقدرون عليه (ان الله لغفور) يعنى لتقصيركم فى القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعنى بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى (والله يعلم ماتسرون وماتعلنون) يعنى ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشياء وهو ماكانوا يمكرون بالنبى صلى الله عليه وسلم ومايعلنون يعنى ومايظهرون من ايذائه فاخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لايخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه الآية ان الاله الذى يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلاتستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام التى تدعونها آلهة من دون الله (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة افمن يخلق كمن لايخلق يدل على ان هذه الاصنام لاتخلق شيأ وقوله سبحانه وتعالى لايخلقون شيأ وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الآية

بانقطاع مدده المعانى والفضائل والأنوار من القلب والخوف من زوال مقتنياتها من الشهوات والمألوفات الحسية والمشتهيات (بما كانوا يصنعون) من كفر ان انعم الله باستعمالها فى طلب اللذات الحسية والزخارف الدنيوية ولظهورها بصفاتها واحتجابها بكمالاتها وركونها الى الدنيا ولذاتها واستيلائها على القلب بهيآتها واقعا لها وحجب صاحبها عن نوره ومدده بطلب شهواتها كما قال امير المؤمنين عليه السلام نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى بقرينة صفتها ماذكر (ولقد جاءهم رسول منهم) اى من جنسهم وهى القوة الفكرية التى هى من جملة قوى النفس بالمعانى المعقولة والآراء الصادقة (فكذبوه) بعدم التأثرها والانقياد لا وامرها ونواهيها العقلية والشرعية وترك العمل بمقتضاها وقلة المبالاة بها ولم رفعوا بها رأسا عن الانهماك فيماهم عليه (فأخذهم العذاب) عذاب الاحتجاب والحرمان عن لذة الكمال فى حالة ظلمهم وزيغهم عن طريق

فما فائدة التكرار قلت فائدته ان المعنى المذكور فى الآية المتقدمة انهم لايخلقون شيأ فقط والمذكور فى هذه الآية انهم لايخلقون شيأ وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار (اموات) اى جمادات ميتة لاحياة فيها (غير احياء) يعنى كغيرها والمعنى لوكانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت احياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق ان يعبد هو الحى الذى لايموت وهذه اموات غير احياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة فى غير موضعها وقوله (ومايشعرون) يعنى هذه الاصنام (ايان يبعثون) يعنى متى يبعثون وفيه دليل عن ان الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه مايدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون ❁ قوله سبحانه وتعالى (الهكم اله واحد) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعنى جاهدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لاجرم) يعنى حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون انه لايحب المستكبرين) يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلايقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطك حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيأ وكذا معنى غمصته اى انتقصت به وازدريته ❁ قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سالهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين) يعنى احاديثهم واباطيلهم (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام فى ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعنى ذنوب انفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التى اصابتهم فى الدنيا واعمال البر التى عملوها فى الدنيا لاتكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لوكان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ❁ وقوله سبحانه وتعالى (ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعنى ويحصل للرؤساء الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لاينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيأ اخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث ان الرئيس اوالكبير اذا سن سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او العقاب مساويا لكل مايستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة او القبيحة وليس المراد

الفضيلة ونقصهم لحقوق صاحبهم (وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة) قد مر ان كل نبى يبعث فى قوم يكون كماله شاملا لجميع كمالات امته وغاية لايمكن لاحد الوصول الى رتبة الا رهى دونه فهو مجموع كمالات قومه ولا يصل اليهم الكمال فى صفة من صفات الخير والسعادة الابواسطته بل وجوداتهم فائضة من وجوده فهو وحده

ان الله

ان الله تعالى يوصل جميع الثواب او العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس
بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا
ماسعى قال الواحدى ولفظة من فى قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض
لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة
والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ ولكنها للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع
وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب
على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الا ساء
مايزرون) يعنى الا بئس مايحملون ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله سبحانه وتعالى (قد
مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك
الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى
السماء ويقابل اهلها فى زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع
وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت رأسه فى البحر وخر عليهم
الباقى فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين
لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوى وفى
هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم
جرهم الذى نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم
عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا فى القديم الزمان بالعربية ويدل
على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين
من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق
الضر والمكر بالغير * وقوله سبحانه وتعالى (فاتى الله بنيانهم من القواعد) يعنى قصد تخريب
بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح قصفت بنيانهم من اعلاه واتاهم بزلازل قلعت بنيانهم
من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا
تفسير الآية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا
بها على انبياء الله واهل الحق من عباده اهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا
بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل
ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس
من حفر بئرا لاخيه اوقعه الله فيه * وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط
عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل
انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر
عليهم اهلكوا وماتوا تحته (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى فى مأمنهم وذلك انهم
لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم)
يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزى هو العذاب
مع الهوان (ويقول) يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة (اين شركائى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم

امة لاجتماعهم بالحقيقة فى ذاته
ولهذا قال عليه الصلاة والسلا
لو وزنت بامتى لرجحت بهم
(قانتا لله) مطيعا له منقادا
بحيث لا يتحرك منه شعرة الا
بامره لاستيلاء سلطان
التوحيد عليه ومحو صفاته
بصفاته واتحاده بذاته ولهذا
سمى خليل الله لمخالة الحق
اياه فى شهوده فحلته عبارة
عن منزج بقية من ذاته تؤذن
الاثنينية اما ترى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما لم يبق
منه شئ من بقيته سمى
حبيب الله فمحو صفاته
فى صفات الحق بالكلية
وبقاء اثر من ذاته دون العين
قنوته لله والا كان قانتا بالله
لا لله كما قال لمحمد عليه الصلاة
والسلام وما صبرك الا بالله
(حنيفا) مائلا عن كل باطل
حق عن وجوده ووجود
كل ماسواه تعالى معرضا
عن انبائه . وما كان (ولم
يك من المشركين) بنسبة
الوجود والتأثير الى الغير
(شاكرا لانعمه) اى
مستعملا لها على الوجه
الذى ينبغى لكونه متصرفا
فيها بصفات الله فتكون
افعاله الهية مقصودة لذاتها
لا لغرض فلا يمكنه ولا يسعه
الا توجيه كل نعمة الى ماهو

(الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى كنتم تعادون وتخالفون بالمؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاقة عبارة من كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم لايحضرون معكم ليدفعوا عنكم مانزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين اوتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزى) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فيكون اعظم فى الهوان والخزى * قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) تقبض ارواحهم الملائكة وهم ملك الموت واعوانه (ظالمى انفسهم) يعنى بالكفر (فالقوا السلم) يعنى انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا (ماكنا نعمل من سوء) يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ماحصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) اى فيقال لهم ادخلوا (ابواب جهنم خالدين فيها) يعنى مقيمين فيها لايخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون اعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض (فلبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الايمان * قوله عزوجل (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومى من دون ان ادخل مكة فالقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبى مبعوث من الله عزوجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعنى انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله اساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى الذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين احسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعنى مالهم

كمالها على مقتضى الحكمة الالهية والعناية السرمدية (اجتباه) اختاره فى العناية الاولى بلا توسط عمل منه وكذا لكونه من المحبوبين الذين سبقت لهم منه الحسنى فتتقدم كشوفهم على سلوكهم (وهداه الى صراط مستقيم) اى بعد الكشف والتوحيد والوصول الى عين الجمع هداه الى سلوك صراطه ليقتدى به ورده من الوحدة الى الكثرة والى الفرق بعد الجمع لاعطاء كل ذى حق حقه من مراتب التفاصيل وتبيين احكام التجليات فى مقام التمكين والاستقامة والا لم يصلح للنبوة (وآتيناه فى الدنيا حسنة) من تمتيعه بالحظوظ لتتقوى نفسه على تقنين القوانين الشرعية والقيام بحقوق العبودية فى مقام الاستقامة والاطاقة بحمل اعباء الرسالة وآتيناه الملك العظيم مع النبوة كما قال وآتيناهم ملكا عظيما ليتمكن من تقرير الشريعة ويضطلع بأحكام الدعوة والذكر الجميل كما قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا والصلاة والسلام عليه كما قال وتركنا عليه فى الآخرين سلام على

فى

في الآخرة مما اعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي اقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجري من تحتها الانهار) يعني تجري الانهار في هذه الجنان من تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاؤن) يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا (كذلك يجزي الله المتقين) اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان اوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضله ورحمته اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى اخبر وخبره صادق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على ان الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه

ابرهيم (وانه في الآخرة) اي في عالم الارواح (لمن الصالحين) المتمكنين في مقام الاستقامة بايفاء كل ذي حق حقه وتبليغه الى كماله وحفظه عليه ما امكن (ثم اوحينا اليك) اي بعد هذه الكرامات والحسنات التي اعطيناه اياها في الدارين شرفناه وكرمناه بامرنا باتباعك اياه (ان اتبع ملة ابراهيم) في التوحيد واصول الدين التي لا تتغير في الشرائع كامر المبدأ والمعاد والحشر والجزاء وامثالها لا في فروع الشريعة واوضاعها واحكامها فانها تتغير بحسب المصالح واختلاف الازمنة والطبائع وما عليه احوال الناس من العادات والخلائق (حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) اي ما فرض عليك انما فرض عليهم فلا يلزمك اتباع موسى في ذلك بل اتباع ابراهيم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك) اي لتكن دعوتك منحصرة في هذه الوجوه الثلاثة لان المدعو اما ان يكون خاليا عن الانكار

لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اى بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله اعلم بمراده * قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (الا ان تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض ارواحهم (او يأتى امر ربك) يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعنى بتعذيبه اياهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيآت ما عملوا) يعنى فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت اولم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت اولم تجئ واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة فى بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى احكام الله وفى افعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه فى احكامه وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكان فى حكم الله وسنته فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدى ومن اضله فهو الضال وهذه سنة الله فى عباده انه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شئ) يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما فى الامم الخالية (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعنى ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا) يعنى كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعنى ان الرسل كانوا يأمرونهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعنى فمن الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعنى هداه الله الى الايمان به وتصديق رسله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعنى ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق فى الازل حتى مات على الكفر والضلال وفى هذه الآية ابين دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف فى عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به فى سابق علمه

اولا فان كان خاليا لكونه فى مقام الجهل البسيط غير معتقد لشئ فاما ان يكون مستعدا غير قاصر عن درك البرهان بل يكون برهانى الطباع اولا فان كان الاول فادعه بالحكمة وكلمة بالبرهان والحجة واهده الى صراط التوحيد بالمعرفة وان كان قاصر الاستعداد فادعه بالموعظة الحسنة والنصيحة البالغة من الانذار والبشارة والوعد والوعيد والزجر والترهيب واللطف والترغيب وان كان منكرا ذا جهل مركب واعتقاد باطل فجادله بالطريقة التى هى احسن من ابطال معتقده بما يلزم من مذهبه بالرفق والمداراة على وجه يلوح له انك تثبت الحق وتبطل الباطل لا غرض لك سواه (بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) فى الازل لشقاوته الاصلية فلا ينجع فيه احد هذه الطرق الثلاثة (وهو اعلم بالمهتدين) المستعدين القابلين للهداية لصفاء الفطرة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم) اى الزموا سيرة العدالة

(فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى فسيروا فى الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم * قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان تحرص يامحمد على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لايهدى من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعنى لايهدى الله من اضله وقيل معناه لايهتدى من اضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادى له (ومالهم من ناصرين) اى مانعين يمنعونهم من العذاب (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قال ابن الجوزى سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذى ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله ان لايبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله ابو العالية وتقرير الشبهة التى حصلت للمشركين فى انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولاحقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم فى انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم (لايبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفى والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان واوجده من العدم ولم يك شيأ فالذى اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية اهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعنى ان الذى وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يعنى لايفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) يعنى من امر البعث ويظهر لهم الحق الذى لاخلف فيه (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) يعنى فى قولهم لابعث بعد الموت (انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لشئ اراده كن فيكون على ما اراد لانه القادر الذى لا يعجزه شئ اراده (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وماينبغى له ان يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له ان يكذبنى اما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا واما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك اما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق بأهون علىّ من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد * وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا) يعنى اوذوا وعذبوا نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابى جندل بن سهل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة

والفضيلة لاتجاوزها فانها اقل درجات كمالكم فان قدم فى الفتوة وعرق راسخ فى الفضل والكرم والمروأة فاتركوا الانتصار والانتقام ممن جنى عليكم وعارضوه بالعفو مع القدرة واصبروا على الجناية فانه (لهو خير للصابرين) الا تراه كيف اكده بالقسم واللام فى جوابه وترك المضمر الى المظهر حيث ماقال لهو خير لكم بل قال لهو خير للصابرين للتسجيل عليهم بالمدح والتعظيم بصفة الصبر فان الصابر ترقى عن مقام النفس وقابل فعل نفس صاحبه بصفة القلب فلم يتكدر بظهور صفة النفس وعارض ظلمة نفس صاحبه بنور قلبه فكثيرا ماينذم ويتجاوز عن مقام النفس وتنكسر سورة غضبه فيصلح وان لم يكن لكم هذا المقام الشريف فلاتعاقبوا المسئ لسورة الغضب باكثر مما جنى عليكم فتظلموا اوتتورطوا بأقبح الرذائل وافحشها فيفسد حالكم ويزيد وبالكم على وبال الجانى (واصبر وماصبرك الا بالله) اعلم ان الصبر اقسام صبر لله وصبر فى الله وصبر مع الله وصبر

وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق واعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم انى رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وان كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به ابوبكر الصديق فقال ياصهيب ربح البيع وما باقيهم فاعطوهم بعض مايريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعدذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها اوامرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه الحديث اخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ❁ وقوله تعالى ﴿ لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ﴾ يعنى لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم فى الدنيا دارا حسنة اوبلدة حسنة وهى المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله فى الدنيا وما ادخرلك فى الآخرة افضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه لنحسنن اليهم فى الدنيا بأن يفتح لهم مكة ويمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين ﴿ ولاجر الآخرة اكبر ﴾ يعنى اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم فى الدنيا ﴿ لوكانوا يعلمون ﴾ قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون مالهم فى الآخرة والمعنى لوكان هؤلاء الكفار يعلمون ان اجر الآخرة اكبر مماهم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لوكانوا يعلمون ما اعد الله لهم فى الآخرة لزادوا فى الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين ﴿ الذين صبروا ﴾ يعنى فى الله على مانالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال فى سبيل الله ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يعنى فى امورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه ﴿ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ﴾ نزلت هذه الآية جوابا لمشركى مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله عزوجل بقوله وما ارسلنا من قبلك يامحمد الا رجالا يعنى مثلك نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عزوجل جارية من اول مبدأ الخلق انه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة ﴿ فاسئلوا اهل الذكر ﴾ يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما

عن الله وصبر بالله فالصبر لله هو من لوازم الايمان واول درجات اهل الاسلام قال النبى عليه الصلاة والسلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهو حبس النفس عن الجزع عند فوات مرغوب اووقوع مكروه وهو من فضائل الاخلاق الموهوبة من فضل الله لاهل دينه وطاعته المقتضى للثواب الجزيل والصبر فى الله هو الثبات فى سلوك طريق الحق وتوطين النفس على المجاهدة بالاختيار وترك المألوفات واللذات وتحمل البليات وقوة العزيمة فى التوجه الى منبع الكمالات وهو من مقامات السالكين يهبه الله لمن يشاء من فضله من اهل الطريقة والصبر مع الله هو لاهل الحضور والكشف عند التجرد عن ملابس الافعال والصفات والتجليات الجمال والجلال وتوارد واردات الانس والهيبة فهو بحضور القلب لمن كان له قلب والاحتراس عن الغفلة والغيبة عند التلوينات بظهور النفس وهو اشق على النفس من الضرب على الهام وان كان لذيذا جدا

امرهم الله بسؤال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلابدوان يخبروهم بأن الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم ياهؤلاء لاتعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا فى المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وماارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الارجالا نوحى اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم فى قوله فاسئلوا اهل الذكر يعنى اهل العلم والمعنى فاسألوا اهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لاتعلمون انتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل مايتكامل به امر الرسالة لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عزوجل (وانزلنا اليك الذكر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وانزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين (لتبين للناس مانزل اليهم) يعنى ما اجمل اليك من احكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلهم يتفكرون) يعنى فيما انزل اليهم فيعملوا به (افأمن الذين مكروا السيآت) فيه حذف تقديره المكرات السيآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا فى اذيتهم والمكر عبارة عن السعى بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السيئ فى اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة (ان يخسف الله بهم الارض) يعنى كما خسف بقرون من قبلهم (اويأتيهم العذب من حيث لايشعرون) يعنى ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما اهلك قوم لوط وغيرهم (او يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى تصرفهم فى الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم فى السفر كما هو قادر على اهلاكهم فى الحضر وقال ابن عباس يأخذهم فى اختلافهم وقال ابن جريج فى اقبالهم وادبارهم يعنى انه تعالى قادر على ان يأخذهم فى ليلهم ونهارهم وفى جميع احوالهم (فماهم بمعجزين) يعنى بسابقين الله اويفوتونه بل هو قادر عليهم (اويأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعنى على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخوف يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشئ حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لايأخذهم بالعذاب اولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبى هو من الخوف يعنى يهلك طائفة فيتخوف

والصبر عن الله هو لاهل الجفاء والحجاب نورانيا كان او ظلمانيا وهو مذموم جدا وصاحبه ملوم حقا وكلما كان اصبر كان اسوأ حالا وابعد وكلما كان فى ذلك اقوى كان الوم واجفى اولاهل العيان والمشاهدة من العشاق والمشتاقين المتقلبين فى اطوار التجلى والاستتار والمتحامين عن الناسوت المتنورين بنور اللاهوت مانقى لهم قلب ولاوصف كلما لاح لهم نور من سبحات انوار الجمال احترقوا وتفانوا وكلما ضرب لهم حجاب ورد وجودهم تشويقا وتعظيما ذاقوا من الم الشوق وحرقة الفرقة ماعيل به صبرهم وتحقق موتهم وهو من احوال المحبين ولا شئ اشق من هذا الصبر واشد تحملا واقل فان اطاقه المحب كان خافيا وان لم يطق كان فانيا فيه هالكا وفى هذا المقام قال الشبلى صابرا لصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا اى صابر الحبيب الصبر فاستغاث به الصبر عند اشرافه على الفساد فصاح المحب بالصبر صبرا على النفاد والهلاك فان فيه النجاح

الآخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة او بآفات تحدث قليلا قليلا ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) يعني انه سبحانه وتعالى لايعجل بالعقوبة والعذاب * قوله سبحانه وتعالى (اولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ماخلق الله من شئ) يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لايكون الابنفس الرؤية التي يكون معها نظر الى الشئ ليتأمل احواله ويتفكر فيه فيعتبر به (يتفيؤ ظلاله) يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي من اول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود في آخر النهار الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشي فيء لانه من فاء يفيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لايكون الابالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو مالم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع (سجدا لله) في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله اولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) اي صاغرون اذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل مايأمر به شاء ام ابى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء * قوله عزوجل (ولله يسجد مافي السموات ومافي الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عزوجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد مافي السموات ومافي الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ مافي قوله مافي السموات ومافي الارض للتغليب لان مالايعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم

للاغلب

والفلاح والصبر بالله هو لاهل التمكين في مقام الاستقامة الذين افناهم الله بالكلية وما ترك عليهم شيأ من بقية الانية والاثنينية ثم وهب لهم وجودا من ذاته حتى قاموا به وفعلوا بصفاته وهو من اخلاق الله تعالى ليس لاحد فيه نصيب ولهذا امره به ثم بين ان ذلك الصبر الذي امرت به ليس من سائر اقسام الصبر حتى يكون بنفسك او بقلبك بل هو صبري لاتباشره الابي ولا تطيقه الابقوتي ولعدم وفاء قوته بهذا الصبر قال شيبتني سورة هود (ولاتحزن عليهم) بالتلوين بظهور القلب بصفته لان صاحب هذا الصبر يرى الاشياء بعين الحق فكل مايصدر عنهم يراه فعل الله وكل صفة تظهر عليهم يراه تجليا من تجلياته وينكر المنكر بحكمه لان الله بصره بانواع التجليات القهرية واللطفية والغضبية والرضوية وعرفه احكامه وامره بانفاذ الاحكام في مواقعها (ولاتك في ضيق مما يمكرون) لانشراح صدرك بي فكن معهم كماتراني معهم سائرا بسيري قائما بي وبامري

للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لواتى بمن التى هى للعقلاء لم يكن فيهادلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ماليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسمانى يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه ممايدب على الارض ولهذا افرد الملائكة فى قوله ﴿ والملائكة ﴾ لانهم اولو اجنحة يطيرون بها اوافردهم بالذكروان كانوا من جملة من فى السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد مافى السموات من الملائكة ومافى الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود مالايعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر ﴿ وهم لايستكبرون ﴾ يعنى الملائكة ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ هوكقوله وهوالقاهر فوق عباده وقدتقدم تفسيره ﴿ ويفعلون مايؤمرون ﴾ عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارى مالاترون واسمع مالاتسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع اربع اصابع الاوملك واضع جبهته ساجدا والله لوتعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وماتلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال ابوذر لوددت انى كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذى وقال عن ابى ذرموقوفا

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها وسماعها * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين ﴾ لما اخبرالله عزوجل فى الآية المتقدمة ان كل مافى السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم فى ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى فى هذه الآية عن الشرك اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لاتتخذوا اثنين الهين يعنى ان الاثنين لايكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الهاواحدا وهوقوله تبارك وتعالى ﴿ انماهواله واحد ﴾ لان الالهين لايكونان الامتساويين فى الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انماهو اله واحد يعنى لايجوز ان يكون فى الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد ﴿ فاياى فارهبون ﴾ يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياى فارهبون يفيد الحصر وهو ان لايرهب الخلق الا منه ولايرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه ﴿ وله مافى السموات والارض ﴾ لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لاشريك له فى الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيداله وفى ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله مافى السموات والارض يعنى عبيدا وملكا ﴿ وله الدين واصبا ﴾ يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احديدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب فى حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة ابدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائمة ابدا ﴿ افغيرالله تتقون ﴾ يعنى انكم عرفتم ان الله

﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ بقاياهم وانياتهم بالاستهلاك فى الوحدة والاستغراق فى عين الجمع ﴿ والذين هم محسنون ﴾ بشهود الوحدة فى عين الكثرة والطاعة فى عين المعصية والقيام بالامر والنهى فى مقام الاستقامة وابقاء حقوق التفاصيل فى عين الجمع فلايحجبهم الفرق عن الجمع ولاالجمع عن الفرق ويسعهم مراعاة الحق والخلق للرجوع الى الكثرة بوجود القلب الحقانى

﴿ سورة بنى اسرائيل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبحان الذى اسرى بعبده ﴾ اى انزهه عن اللواحق المادية والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرد والكمال فى مقام العبودية الذى لاتصرف فيه اصلا ﴿ ليلا ﴾ اى فى ظلمة الغواشى البدنية والتعلقات الطبيعية لان العروج والترقى لايكون الا بواسطة البدن ﴿ من المسجد الحرام ﴾ اى من مقام القلب المحرم عن ان يطوف به مشرك القوى البدنية ويرتكب فيه فواحشها وخطاياها ويحجه غوى القوى الحيوانية

واحد لاشريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ماسواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار * قوله عز وجل (ومابكم من نعمة فمن الله) يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل مااعطاكم من مال اوولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين فى الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لايخافوا الاالله تعالى بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم اذا مسكم الضر) اى الشدة والامراض والاسقام (فاليه تجأرون) يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم مانزل بكم من الضر والشدة واصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر فى بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم) يعنى ثم اذا ازال الشدة والبلاء عنكم (اذا فريق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولايضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لايرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم فى كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظة امر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى انتم فيها الى المدة التى ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة امركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم * قوله سبحانه وتعالى (ويجعلون لما يعلمون نصيبا) قيل الضمير فى قوله لما لايعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين لايعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لاتعلم شيأ البتة لانها جماد والجماد لاعلم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لايعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لايعلمون انه اله ولاله حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لاعلم لها ولافهم * وقوله (مما رزقناهم) يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم واموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره فى سورة الانعام (تالله) اقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون) يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء اولدخول لفظ التأنيث فى تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم

من البهيمية والسبعية المنكشفة سوأتا افراطها وتفريطها العروها عن لباس الفضيلة (الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله) الذى هو مقام الروح الا بعد من العالم الجسمانى بشهود تجليات الذات وسبحات الوجه وتذكر ماذكرنا ان تصحيح كل مقام لايكون الابعد الترقى الى مافوقه لتفهم من قوله (لنريه من آياتنا) مشاهدة الصفات فان مطالعة تجليات الصفات وان كانت فى مقام القلب لكن الذات الموصوفة بتلك الصفات لاتشاهد على الكمال بصفة الجلال والجمال الاعند الترقى الى مقام الروح اى لنريه آيات صفاتنا من جهة انها منسوبة الينا ونحن المشاهدون بها البارزون بصورها (انه هو السميع) لمناجاته فى مقام السر لطلب الفناء (البصير) بقوة استعداده وتوجهه الى محل الشهود وانجذابه اليه بقوة المحبة وكمال الشوق (وآتينا موسى الكتاب) القلب كتاب العلم (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) اى القوى التى هى اسباط اسرائيل الروح (الا تتخذوا

مايشتهون) يعنى ويجعلون لانفسهم مايشتهون يعنى البنين (واذا بشر احدهم بالانثى)
البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح
والسرور بوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر اثره على الوجه وهو
الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين
الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم بالانثى (ظل وجهه مسودا) يعنى
متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء
المشركين لايرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى
ففيه تبكيت لهم وتوبيخ ❊ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعنى انه ظل ممتلئا غما
وحزنا (يتوارى من القوم من سوء مابشر به) يعنى انه يختفى من ذلك القول الذى بشر به
وذلك ان العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة احدهم توارى من القوم الى ان
يعلم ماولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما حتى
يفكر مايصنع بها وهو قوله تعالى (ايمسكه على هون) يعنى على هو ان وانما ذكر الضمير
فى ايمسكه لانه عائد الى مابشر به فى قوله واذا بشر احدهم (ام يدسه فى التراب) يعنى ام
يخفى ذلك الذى بشر به فى التراب والدس اخفاء الشئ فى الشئ قال اهل التفسير ان مضر
وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احياء والسبب فى ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال
ولزوم النفقة اوالحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه اوطمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل
من العرب فى الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى اذا كبرت البسها جبة
من صوف اوشعر وجعلها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا
صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها ويكون قد حفرلها حفرة
فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظرى الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من
خلفها فى تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشئ
من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعمى الذى منع الوائدات ❊ فاحيا الوئيد فلم يوأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤودة فى النار اخرجه
ابوداود وقوله تعالى (الا ساء مايحكمون) يعنى بئس مايصنعون ويقضون حيث يجعلون
لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه
وتعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء مايحكمون فى واد
البنات (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد
الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) اى الصفة العليا المقدسة وهى
ان له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لااله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال
من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال
ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لااله الا الله (وهو العزيز) اى الممتنع
فى كبريائه وجلاله (الحكيم) يعنى فى جميع افعاله ❊ قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم)

من دونى وكيلا) لاتستبدوا
بافعالكم ولاتستقلوا بطلب
كمالاتكم وحظوظكم ولا
تكتسبوا بمقتضى دواعيكم
ولاتكلوا امركم الى شيطان
الوهم فيسول لكم اللذات
البدنية ولاالى عقل المعاش
فيستعملكم فى ترتيبه
واصلاحه بل كلوا امركم
الىّ لادبركم بأرزاق العلوم
والمعارف وهيآت الاخلاق
والفضائل واكملكم بامداد
الانوار من عالم القلب
والروح بتأييد القدس
وانزل عليكم من عوالم
الملكوت والجبروت
مايغنيكم عن مكاسب
الناسوت اعنى (ذرية من
حملنا مع نوح) العقل
فى فلك الشريعة والحكمة
العملية (انه كان عبدا
شكورا) لمعرفته بنعم الله
واستعمالها على الوجه
الذى ينبغى (وقضينا الى بنى
اسرائيل فى الكتاب)
القوى فى كتاب اللوح
المحفوظ اى حكمنا فيه
(لتفسدن فى الارض مرتين)
مرة فى مقام النفس حالة
كونها امارة لتفسدن
فى طلب شهواتكم ولذاتكم
(ولتعلن علوا كبيرا)
باستيلائكم على القلب

يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم فى تلك الآية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان فى جنس الناس الانبياء والصالحون ومن لايطلق عليه اسم الظالم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله (ماترك عليها) يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لاتدب الاعلى الارض (من دابة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الامن كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لايضر الانفسه فقال بئس ماقلت ان الحبارى تموت هزالا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب فى جحرها بذنب ابن آدم وقيل اراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شرالدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤاخذ الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض احد (ولكن يؤخرهم) يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى اجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء اعمارهم (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولاينقصون عنه وقيل اراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله مايكرهون) يعنى لا نفسهم وهى البنات (وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى) يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعنى فى الآخرة لا الجنة (وانهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها اى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اى متقدمكم (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك) يعنى كما ارسلناك الى هذه الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان اعمالهم) يعنى اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا اويهدى احدا وانما له الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) اى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور

وغلبتكم واستعلائكم عليه ومنعكم اياه عن كماله واستخدام قوته المفكرة فى تحصيل مطالبكم ومآربكم ومرة فى مقام القلب عند تزينكم بالفضائل وتنوركم بنور القلب وظهوركم ببهجة كمالاتكم لتفسدن لظهوربكمالاتكم واحتجاب القلب بفضائلكم عن شهود تجلى التوحيد والحجب النورية اقوى من الحجب الظلمانية لرقتها ولطافتها وتصورها كمالات يجب الوقوف معها ولتعلن فى مقام الفطرة بالسلطنة الهيآت العقلية والكمالات الانسية (فاذاجاء وعد اولاهما) اى وعد وبال اولاهما (بعثنا عليكم عبادالنا) من الصفات القلبية والانوار الملكوتية والآراء العقلية (اولى بأس شديد) ذوى سلطنة وقهر (فجاسوا خلال الديار) ديارامانكنكم ومحالكم وقتلوا بعضكم بالقمع والقهر وسبوا ذرارى الهيآت البدنية والرذائل النفسانية ونهبوا اموال المدركات الحسية واللذات البهيمية والسبعية (وكان وعداً) على الله (مفعولا) لابداعه

وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (وما انزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى اختلفوا فيه) يعنى فى امر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعنى وما انزلنا عليك الكتاب الابيانا وهدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به ❊ قوله سبحانه وتعالى (والله انزل من السماء ماء) يعنى المطر (فاحيابه) يعنى بالماء (الارض) يعنى بالنبات والزروع (بعد موتها) يعنى يبسها وجدوبتها (ان فى ذلك لآية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله اى القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم فى الانعام لعبرة) يعنى اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما فى بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان حقه ان يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما فى بطونه وقال فى سورة المؤمنين مما فى بطونها وهذا قول ابى عبيدة والاخفش وقال الكسائى انه رده الى ما ذكر يعنى مما فى بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كأنه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن فاضمر اللبن اذليس لكلها لبن (من بين فرث) وهو ما فى الكرش من الثفل فاذا خرج منها لايسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطحنته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسم بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعنى هنيأ سهلا يجرى فى الحلق بسهولة قيل انه لم يغص احد باللبن قط هذا قول المفسرين فى معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء فى ذلك فقال ولقائل ان يقول الدم واللبن لايتولدان فى الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا ومارأى احد فى كرشها دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة واما السوداء فتذهب الى الطحال واما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى الرخو ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض

قوة الكمال وطلبه فى استعدادكم وذكره ادلة العقل فى فطرتكم (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) الدولة بتنوركم بنور القلب واقبالكم على الصدر وانصرافكم الى مقتضى نظر العقل ورأيه (وامددناكم بأموال) العلوم النافعة والحكم العقلية والشرعية والمعارف القلبية (وبنين) من الفضائل الخلقية والهيآت النورانية (وجعلناكم اكثر نفيرا) بكثرة الفضائل والملكات الفاضلة والآراء العقلية (احسنتم لانفسكم وان اسأتم) باكتساب الرذائل والهيئات البدنية (فلها فاذاجاء وعد) المرة (الآخرة) بالفناء فى التوحيد بعثنا عليكم عبادا من الانوار القدسية والتجليات الجلالية والسبحات القهرية من الصفات الالهية وجنود سلطان العظمة والكبرياء (ليسوؤا وجوهكم) اى وجوداتكم بالفناء فى التوحيد فيغلب عليكم كآبة فقدان الكمالات بقهرها وسلبها (وليدخلوا المسجد) مسجد القلب (كما دخلوه اول مرة) ووصل اثرها عليكم من العلوم والفضائل

اجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش فاللبن تولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع بخلق الله عزوجل بلطيف حكمته فى حلمة الثدى ثقبا صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان كثيفا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا ❊ قوله عز وجل ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴾ يعنى ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب ﴿ تتخذون منه ﴾ الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ماتتخذون منه ﴿ سكرا ورزقا حسنا ﴾ قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر مايتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عزوجل فى معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء فى الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية فى الوقت الذى كانت الخمرة فيه غير محرمة وقيل ان الله عزوجل نبه فى هذه الآية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ماحرم من ثمرتها والرزق الحسن ماحل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لايدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية نزلت بمكة فى وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال ابوعبيدة فى معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اى طعم لك وقال غيره السكر ماسد الجوع من قولهم سكرت النهر اى سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابى عبيدة ان السكر الطعم ﴿ ان فى ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر من انعامه على عباده ﴿ لآية ﴾ يعنى دلالة وحجة واضحة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعنى ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا على مايريد ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واوحى ربك الى النحل ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر فى هذه الآية اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر

(وليتبروا ماعلوا) بالظهور بكماله وفضياته والاحتجاب برؤية زينته وبهجته (تتبيرا) بالافناء بصفات الله (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد القهر بالفناء والمحو بتجليات الصفات بالاحياء ويبعثكم بالبقاء بعد الفناء ويثيبكم بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (وان عدتم) بالتلوين فى مقام الفناء بالظهور بانائيتكم (عدنا) بالقهر والافناء كما قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا (وجعلنا جهنم) الطبيعة (للكافرين) المحجوبين عن الانوار الذين تقواعلى فساد المرة الاولى (حصيرا) محبسا وسجنا يحصرهم فى عذاب الاحتجاب والحرمان عن الثواب (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) اى يبين احوال الفرق الثلاث من السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال يهدى الى طريقة التوحيد التى هى اقوم الطرق للسابقين (ويبشر المؤمنين الذين يعملون

وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى انبيائه وحي والى اوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة والهمها الله تعالى ايضا ان تجعل عليها اميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل امره ويكون هذا الامير اكبرها جثة واعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري والهمها الله سبحانه وتعالى ايضا ان جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها الله سبحانه وتعالى ايضا انها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني اعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا انثها الله تعالى فقال (ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الى الكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي الى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كلي من كل الثمرات) يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فاسلكي سبل ربك) يعني الطرق التي الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات (ذللا) قيل انه نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤوا وارادوا لا تستعصي عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف الوانه) يعني ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا فانا شاهدنا ان النحل تتغذى بالعسل واجاب

الصالحات) من اصحاب اليمين الذين آمنوا تقليدا جازما او تحقيقا علميا وداوموا على اعمال التزكية والتحلية الصالحة لان يتوصل بها الى الكمال (ان لهم اجرا كبيرا) من نعيم جنات الافعال والصفات في عوالم الملك والملكوت والجبروت (وان الذين لا يؤمنون) من اصحاب الشمال (بالآخرة) لكونهم مدنيين محجوبين عن عالم النور محبوسين في ظلمات الطبيعة (اعتدنا لهم عذابا اليما) في قعر سجين الطبيعة مقيدين بسلاسل محبة السفليات واغلال التعلقات ونيران الحرمان عن اللذات والشهوات والتعذيب بالعقارب والحيات من غواسق الهيآت (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين) ليل الكون وظلمة البدن ونهار الابداع ونور الروح يتوصل بهما وبثمرتيهما الى معرفة الذات والصفات (فمحونا آية الليل) بالفساد والفناء (وجعلنا آية النهار مبصرة) بينة باقية ابدا منيرة بكمالها تبصر بنورها الحقائق (لتبتغوا فضلا

من ربكم) اى كمالكم الذى تستعدونه (ولتعلموا عدد السنين والحساب) المراتب والمقامات اى لتحصوها من اول حال بدايتكم الى كبر نهايتكم بالترقى فيها وحساب اعمالكم واحلاقكم واحوالكم فلا تجدوا شيأ من سيآت اعمالكم الا وتكفرونه بحسنة مما يقابله من جنسه ولا رذيلة من اخلاقكم الا وتفكرونها بضدها من الفضيلة ولا ذنبا من ذنوب احوالكم الا وتكفرونه بالانابة الى جناب الحق (وكل شئ) من العلوم والحكم (فصلناه) بنور عقولكم عند الكمال ونزول العقل الفرقانى (تفصيلا) اى علما تفصيليا مستحضرا الاجماليا مغفولا عنه كما فى العقل القرآنى عند البداية (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه) اى جعلنا سعادته وشقاوته وسبب خيره وشره لازما لذاته لزوم الطوق فى العنق كما قال السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه (ونخرج له يوم القيامة) الصغرى عند الخروج من قبر جسده (كتابا) هيكلا مصورا

عن قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعنى من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد فى طعم العسل طعم تلك الازهار التى تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لما اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فعنى جرست نحله العرفط اكلت ورعت من العرفط الذى له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد فى طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ماقاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس فى الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم * وقوله تعالى (فيه) يعنى فى الشراب الذى يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذ الضمير فى قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا فى هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وفى رواية اخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شئ الا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن فى قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول فى الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها التخم والهيضات وقد اجمع الاطباء فى مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت مادامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل ان يكون اسهال الشخص المذكور فى الحديث اصابه من امتلاء او هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ماهو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذى كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب

التى

التي اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه
صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما
لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعده من ان فيه شفاء وكذب بطن
اخيك يعني باستعجالك للشفاء في اول مرة والله اعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه
وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر
بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء
للناس مع انه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه
في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء وان نفعه
اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة
لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للاوجاع
التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لانه
شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح
لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب
وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور * وقوله سبحانه وتعالى
(ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا
وقدرتنا * قوله عز وجل (والله خلقكم) يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود
ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا
(ومنكم من يرد الى ارذل العمر) يعني اراده واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر
الانسان له اربع مراتب اولها من النشو والنماء وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين
سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين
سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين
الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة
سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال
قتادة تسعون سنة (ق) عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ
بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من
فتنة المحيا والممات * وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) يعني ان الانسان يرجع الى
حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي
لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيأ لشدة هرمه وقال الزجاج
المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم الله
من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا
وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه
قادر على احيائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان اجود

بصور اعماله مقلدا في عنقه
(يلقاه) للزومه اياه
(منشورا) لظهور تلك
الهيآت فيه بالفعل مفصلة
لا مطويا كما كان عند كونها
فيه بالقوة يقال له (اقرأ
كتابك) اي اقرأه قراءة
المأمور الممتثل لامر
آمر مطاع يأمره بالقراءة
او تأمره القوى الملكوتية
سواء كان قارئاً او غير
قارئ لان الاعمال
هناك ممثلة بهيآتها وصورها
يعرفها كل احد لا على
سبيل الكتابة بالحروف
فلا يعرفها الامي (كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا)
لان نفسه تشاهد ما فعلته
لازما اياها نصب عينها
مفصلا لا يمكنها الانكار
فيبين لها غيرها (من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها ولا تزر
وازرة وزر اخرى) لرسوخ
هيئة ما فعلته فيها وصيرورتها
ملكة لازمة دون الذي فعل
غيرها ولم يعرض لها منه شئ
وانما يتعذب من يتعذب
بالهيآت التي فيه لا من خارج
(وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا) رسول العقل
بالزام الحجة وتمييز الحق
والباطل الا ترى ان الصبي
والسفيه غير مكلفين او

قال ابن عباس ليس هذا فى المسلمين لان المسلم لايزداد فى طول العمر والبقاء الا كرامة عندالله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرا القرآن لم يرد الى ارذل العمر حتى لايعلم بعد علم شيأ وقال فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس فى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقوله تعالى (ان الله عليم) يعنى بما صنع بأوليائه واعدائه (قدير) يعنى على مايريد * قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض فى الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض فى الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون فى ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم) يعنى من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لايرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقدجعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه فى جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل فى معنى الآية ان الموالى والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعنى فى رزقه (سواء) فلا تحسبن ان الموالى يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدى الموالى للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان الموالى والمماليك فى الرزق سواء وان المالك لايرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى * وقوله (افبنعمة الله يجحدون) فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمة الله وعبدوا غيره * قوله عز وجل (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) يعنى النساء فخلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع فى الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله فى الدعاء واليك نسعى ونحفد اى نسرع الى طاعتك فهذا اصله فى اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعى الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود ايضا انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبى البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفى رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فيحصل بينهم مغايرة

رسول الشرع لظهور مافى الاستعداد من الخير والشر والسعادة والشقاوة بسببه ومقابلته بالاقرار والانكار فان المستعد للكمال يتحرك مافيه بالقوة عند سماع الدعوة فيشتاق ويطلب متقبلا لها بالاقرار والقبول لمايدعوه اليه لمناسبته اياه وقربه وغير المستعد ينكر ويعاند لمنافاته لمايدعوه اليه وبعده (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) ان لكل شئ من الدنيا زوالا وزواله بحصول استعداده يقتضى ذلك وكما ان زوال البدن بزوال الاعتدال وحصول انحراف يبعده عن ظل الوحدة التى هى سبب بقاء كل شئ وثباته فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن اجادة المستقيمة التى هى صراط الله وهى الشريعة الحافظة للنظام فاذاجاء وقت اهلاك قرية فلابد من استحقاقها للاهلاك وذلك بالفسق

(ورزقكم من الطيبات) يعنى النعم التى انتم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (افبالباطل يؤمنون) يعنى بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان لى شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار اى ليس لهم ذلك (وبنعمت الله هم يكفرون) يعنى انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض) يعنى الاصنام التى لاتقدر على انزال المطر الذى فى السموات خزائنه ولايقدرون على اخراج النبات الذى فى الارض معدنه (شيأ) يعنى لايملك من الرزق شيأ قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون مالا يرزق شيأ (ولا يستطيعون) يعنى ولا يقدرون على شئ يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر (فلاتضربوا لله الامثال) يعنى لاتشبهوا الله بخلقه فانه لامثل له ولا شبه ولاشريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعنى ماانتم عليه من ضرب الامثال له (وانتم لاتعلمون) خطأ ماتضربون له من الامثال * قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لمانهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه لاتجوز التسوية بينهما فى التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوى بين الله عزوجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التى لاتملك ولا تقدر على شئ البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذى لايقدر على شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذى لايقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذى لايملك شيا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق فى وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذى ينفق سرا وجهرا فى طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لايقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لايقدر على شئ احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له فى التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لايملك شيأ (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخى كذلك لايستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال عطاء فى قوله عبدا مملوكا هو ابوجهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابوبكر الصديق * ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التى عبدها هؤلاء فانها لاتستحق الحمد لانها جماد عاجزة

والخروج عن طاعة الله فلما تعلقت ارادته باهلاكها تقدمه اولا بالضرورة فسق مترفيها من اصحاب الترف والتنعم بطرا واشرا بنعمة الله واستعمالا لها فيما لا ينبغى وذلك بامر من الله وقدر منه لشقاوة كانت تلزم استعداداتهم وحينئذ وجب اهلاكهم (من كان يريد العاجلة) لكدورة استعداده وغلبة هواه وطبيعته (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) اى لانزيده بارادته زيادة على ماقدرناله من النصيب فى اللوح ولذلك قيده بالمشيئة ثم بقوله لمن نريد يعنى لولم نقدر له شيأ مما اراده لم نعجل له تخليصه انا لانعطى الا ما اردنا من اردنا (ثم جعلنا له جهنم) اى قعر بئر الطبيعة الظلمانية لانجذابه بارادته الى الجهة السفلية وميله اليها (يصلاها) بنيران الحرمان (مذموما) عند اهل الدنيا والآخرة (مدحورا) من جناب الرحمة والرضوان فى سخط الله وقهره (ومن اراد الآخرة) لصفاء استعداده وسلامة فطرته وقام بشرائط ارادته من الايمان والعمل الصالح

لابدلها على احد ولامعروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لالغيره فيجب على جميع العباد حمدالله لانه اهل الحمد والثناء الحسن (بل اكثرهم) يعنى الكفار (لايعلمون) يعنى ان الحمدلله لالهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) هوالذى ولد اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذى لايفهم (لايقدر على شئ) هواشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) اى ثقيل على من يلى امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه اى غليظ ثقيل على مولاه (اينما يوجهه) اى حيثما يرسله ويصرفه فى طلب حاجة اوكفاية مهم (لايأت بخير) يعنى لايأت بنجح لانه اخرس عاجز لايحسن ولايفهم (هل يستوى) يعنى من هذه صفته (هو) يعنى صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعنى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) يعنى على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما فى نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحمته والطافه وللاصنام التى هى اموات جماد لاتضر ولاتنفع ولاتسمع ولاتنطق ولاتعقل وهى كل على عابدها لانها تحتاج الى الكلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذى يأمر بالعدل وهو على صرط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذى لايأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم فى كل مؤمن وكافر وقيل هى على الخصوص فالذى يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذى يأمر بالظلم وهو ابكم ابوجهل وقيل الذى يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق فى سبيل الله تعالى فهو الذى لايأتى بخير وقيل المراد بالابكم الذى لايأتى بخير ابى بن خلف وبالذى يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) اخبر الله عزوجل فى الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلاتخفى عليه خافية ولايخفى عليه شئ منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما امر الساعة) يعنى فى قيامها والساعة هى الوقت الذى يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الا كلمح البصر) يعنى فى السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا (او هو اقرب) يعنى ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا اراد شيأ قال له كن فيكون فى اسرع من لمح البصر وهو قوله (ان الله على كل شئ قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما اراد شيأ كان اسرع مايكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتى فى اقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لايعجزه شئ

* قوله عزوجل (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ) تم الكلام ههنا لان الانسان خلق فى اول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لايهتدى سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى انما اعطاكم هذه الحواس

شكر سعيه بحصول مراده كما قيل من طلب وجد وجد وجد لان الطلب الحقيقى والارادة الصادقة لايكونان الا عند حصول استعداد المطلوب واقتران الاستعداد الدال على ان المطلوب حاصل له بالقوة مقدر له فى اللوح اسباب خروج المطلوب الى الفعل وبروزه من الغيب الى الشهادة وهو السعى الذى ينبغى له ومن حقه ان يسعى له على هذا الوجه المعنى بقوله (وسعى لها سعيها) اى السعى الذى يحق لها بشرط الايمان العينى اليقينى وجب حصوله له (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) اى كلهم من طالبى الدنيا وطالبى الآخرة نمد من عطائنا ليس بمجرد ارادتهم وسعيهم شئ وانما ارادتهم وسعيهم معرفات وعلامات لما قدرنا لهم من العطاء (وماكان عطاء ربك محظورا) ممنوعا من احد لامن اهل الطاعة ولامن اهل المعصية (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الدنيا بمقتضى مشيئتنا وحكمتنا

لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهى الدلائل السمعية لتستدلوا بها على مايصلحكم فى امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معانى الاشياء التى جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس فى هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ماانعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل فى معنى الآية والله خلقكم فى بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى مايسعدكم به فى الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو فى بطن امه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لايدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لاتوجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر فى بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت فى ذلك الوقت الذى ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك * وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعنى انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها فى شكر من انعم بها عليكم (الم يروا الى الطير مسخرات) يعنى مذللات (فى جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع فى الجو اثنى عشر ميلا ولاترتفع فوق ذلك (مايمسكهن الا الله) يعنى فى حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها فى الهواء وفى هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها فى حال طيرانها ووقوفها فى الهواء وهو الله تعالى (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم * قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعنى التى هى من الحجر (سكنا) يعنى مسكنا تسكنونه والسكن ماسكنت اليه وفيه من الف او بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعنى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما مالايمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى مايمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعنى يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى اسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء اومرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى ويخف عليكم ايضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لاتثقل عليكم فى الحالتين (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز (اثاثا) يعنى تتخذون اثاثا الاثاث متاع البيت الكبير واصله من اث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس اثاثا يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبى الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعنى وبلاغا وهو مايتمتعون به

(وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اذ بقدر رجحان الروح على البدن يكون رجحان درجات الآخرة على الدنيا وبقدر تفاضلهما يكون تفاضل درجاتهما (لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد) بتوقع العطاء منه وجعله سببا لوصول شئ لم يقدر الله لك اليك فتصير (مذموما) رذيلة الشرك والشك عند الله وعند اهله (مخذولا) من الله يكلك اليه ولاينصرك وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الامة لواجتمعوا على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا ماكتب الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا ما كتب الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف * قرن سبحانه وتعالى احسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصهما بالعبادة لانه من مقتضى التوحيد لكونهما مناسبين للحضرة الالهية فى سببيتهما لوجودك وللحضرة الربوبية لتربيتهما اياك عاجزا صغيرا ضعيفا لا قدرة لك ولا حراك بك وهما اول مظهر

(الى حين) يعنى الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اى فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواوالعطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثاث ماكثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ماينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله اعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعنى جعل لكم ماتستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال اكنانا) جمع كن وهو مايستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما ان يكون غنيا اوفقيرا فاذا سافر احتاج فى سفره مايقيه من شدة الحر والبرد فاما الغنى فيستصحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً واما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال ومايدفع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بهـا لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) يعنى وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعانى والبرد فا كتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر مايلبس فى الحرب من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وماجعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لايعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقى من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر * وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى كما انعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الوحدانيـة والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون انه لايقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ماهم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لاعليك (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انمـا عليك البلاغ وقد فعلت ذلك * ثم ذمهم الله تعـالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدى نعمة الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسـلام لانه من اعظم النعم التى انعم الله بهـا على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ماعدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونهـا ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبى انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشـفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون

ظهر فيه آثار صفـات الله تعالى من الايجاد الربوبية والرحمـة والرأفة بالنسبة اليك ومع ذلك فانهمـا محتاجان الى قضاء حقوقهما والله غنى عن ذلك فأهم الواجبات بعد التوحيد اذن احسانهما والقيام بحقوقهما ماامكن (وقضى ربك الا تعبـدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عنـدك الكبر احدهما اوكلاهما فلا تقل لهما اف ولاتنـهرهما وقل لهما قولا كـريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم اعلم بما فى نفوسـكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفـورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطـين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتـغاء رحمـة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسـط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولاتقتـلوا اولادكم

بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم لايستعملونها فى طلب رضوانه ولايشكرونه عليها (واكثرهم الكافرون) انما قال سبحانه وتعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل اراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقدكان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويرادبه الجمع * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) لما ذكرالله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيدلهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا) يعنى فى الاعتذار وقيل لايؤذن لهم فى معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هى الغلظة والموجدة التى يجدها الانسان فى نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل مافى نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضاعة واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لايكلفون ان يرضوا ربهم فى ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولايرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار فى الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعنى ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى (العذاب) يعنى عذاب جهنم (فلايخفف عنهم) يعنى العذاب (ولاهم ينظرون) يعنى لايؤخرون ولايمهلون (واذا رأى الذين اشركوا) يعنى يوم القيامة (شركاءهم) يعنى اصنامهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) يعنى اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة (فألقوا) يعنى الاصنام (اليهم) يعنى الى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى فى تسميتنا آلهة ومادعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جماد لاتتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لايبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها واعادها فى الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها ان تكذب الكفار ويراها الكفار وهى فى غاية الذلة والحقارة فيزدادوا بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيأ (وضل عنهم) يعنى وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع مايستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلفوا فى هذه الزيادة ماهى فقال عبدالله بن مسعود عقارب لها انياب كالنخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير

خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلايسرف فى القتل انه كان منصورا ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ولاتمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولاتجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا افأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا ومايزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش

فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو اعدل شاهد عليها (من انفسهم) يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجئنابك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شئ) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني لما امر به وما نهى عنه وقال اهل المعاني تبيانا لكل شئ يعني من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعني من الضلالة (ورحمة) يعني لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل * قوله سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية عنه العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شئ من غير زيادة في شئ ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وقيل يأمر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء ذي القربى) يعني ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الآخر لدك الباغي وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان

سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) ان لكل شئ خاصية ليست لغيره وكما لا يخصه دون ماعداه يشتاقه ويطلبه اذا لم يكن حاصلا له ويحفظه ويحبه اذا حصل فهو باظهار خاصيته ينزه الله عن الشريك والا لم يكن متوحدا فيها فكأنه يقول بلسان الحال اوحده على ما وحدني ويطلب كماله ينزهه عن صفات النقص كانه يقول يا كامل كملني وباظهار كماله يقول كلني الكامل المكمل وعلى هذا القياس حتى ان الابوة مثلا باشفاقها على ولدها تقول ارأفني الرؤف وارحمني الرحيم وبطلب الرزق يا رزاق فالسموات السبع تسبحه بالديمومة والكمال والعلو والتأثير والايجاد والربوبيه وبانه كل يوم هو في شان والارض بالدوام والثبات والخلاقية والرزاقية والتربية والاشفاق والرحمة وقبول الطاعة والشكر عليها بالثواب وامثال ذلك والملائكة بالعلم والقدرة والذوات المجردة منهم

وهو ان تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر فى مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر فى مقابلته البغى وهو ان يتكبر عليهم اويظلمهم حقوقهم * ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعنى انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكى تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع آية فى القرآن لخير وشر هذه الآية وقال اهل المعانى لما قال الله تعالى فى الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بين فى هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فما من شئ يحتاج اليه الناس فى امر دينهم مما يجب ان يؤتى اويترك الا وقداشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن اخى اعد علىّ فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وماهو بقول البشر * قوله عز وجل (واوفوا بعهدالله اذا عاهدتم) لما ذكرالله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر فى هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدا بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكدالحقوق فقال تعالى واوفوا بعهدالله اذا عاهدتم نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل مايلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعدايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبى العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يمينا ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهدالله من العام الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت فى حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة (ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعنى تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غيراليمين لانه اعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ماتفعلون) يعنى من وفاء العهد ونقضه * ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى فى نقض العهد (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبى ومقاتل هذه امراة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قداتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف اوالشعر اوالوبر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ماغزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولاحين عاهد وفى به (انكاثا) جمع نكث وهومانقض من الغزل اوالحبل بعد الفتل (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) يعنى دغلا وخيانة وخديعة والدخل مايدخل فى الشئ على سبيل

بالتجرد عن المادة والوجوب ايضا مع ذلك كله فهم مع كونهم مسبحين اياه مقدسون له (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) لقلة النظر والفكر فى ملكوت الاشياء وعدم الاصغاء اليهم وانما يفقهه من كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد (انه كان حليما) لايعاجلكم بترك التسبيح فى طلب كمالاتكم واظهار خواصكم فان من خواصكم تفقه تسبيحهم وتوحيده كما وحدوه (غفورا) يغفر لكم غفلاتكم واهمالاتكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) لقصور نظرهم عن ادراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات (حجابا مستورا) من الجهل وعمى القلب فلا يرون حقيقة القارئ والا آمنوا وانما لايبصرونك لانهم لايحسبونك الا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين فى بحر الهيولى محجوبين بالغواشى الطبيعية وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وافعاله اذلو عرفوا الحق لعرفوك ولوعرفوا صفاته

الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (ان تكون) يعنى لان تكون (امة هى اربى من امة) يعنى اكثر واعلى من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر من اولئك واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت امة اى جماعة اكثر من جماعة فنها هم الله عن ذلك وامرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (انما يبلوكم الله به) يعنى يختبركم بما امركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعنى فى الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسئ المخالف ❊ قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعنى على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعنى بخذلانه اياه عدلا منه (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسئ باساءته اويغفرله ❊ قوله عز وجل (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى ايمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم واظهارا لعظم امر نقض العهد قال المفسرون وهذا فى نهى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذى بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لايليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته ❊ وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل من وقع فى بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة اوسقط فى ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع فى بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعنى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) يعنى بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعنى بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعنى ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن اوفوا بها (انما عند الله) يعنى فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعنى من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعنى فضل ما بين العوضين ❊ ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب (وما عند الله باق) يعنى من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعنى على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (اجرهم) يعنى ثواب صبرهم (باحسن ما كانوا يعملون) عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ❊ وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر اوانثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح على الاطلاق النوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من ذكر اوانثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة فى تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا فى كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه

لعرفوا كلامه ولم يكن على قلوبهم اكنة من الغشاوات الطبيعية والهيآت البدنية وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) ولو عرفوا افعاله لعلموا القراءة ولم يكن فى آذانهم وقر لرسوخ اوساخ التعلقات (ولوا على ادبارهم نفورا) لتشتت اهوائهم وتفرق هممهم فى عبادة متعبداتهم من اصنام الجسمانيات والشهوات فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة لتألفها بالكثرة واحتجابها بها (نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة اوحديدا اوخلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) اى

حياة طيبة) قال سعيدبن جبير وعطاء هى الرزق الحلال وقال مقاتل هى العيش فى الطاعة وقيل هى حلاوة الطاعة وقال الحسن هى القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عندالله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لايفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة فى ذلك القدر الذى رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر او الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا فى حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولاينال من الرزق الا ماقدرله فظهر بهذا ان عيش المؤمن القنوع اطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة انما تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكدالدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة فى قوله فلنحيينه حياة طيبة هى الجنة وروى عوف عن الحسن قال لاتطيب لاحد الحياة الا فى الجنة لانها حياة بلاموت وغنى بلافقر وصحة بلاسقم وملك بلاهلاك وسعادة بلاشقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لاتكون الا فى الجنة ولقوله فى سياق الآية (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون فى الجنة ۞ قوله عزوجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذبالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا فى القاء الوسوسة فى قلوب بنى آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عندالقراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لاادرى اى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذبالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه السحر وهمزه الموتة اخرجه ابوداود الموتة الجنون والفاء فى قوله فاستعذبالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابى هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهرى قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس فى قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقى الثواب مخلصا فامامذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقداتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذبالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الخ ومثله من الكلام اذا اردت ان تأكل فقل بسم الله واذا اردت ان تسافر فتأهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل فى اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عندقراءة القرآن سواء كانت فى الصلاة او فى غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة وغيرها وقدتقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها فى اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة

تتعلق ارادته ببعثكم فتنبعثون فى اقرب من طرفه عين حامدين له بحياتكم وعلمكم وقدرتكم وارادتكم حمدا واصفين له بالكمال باظهار هذه الكمالات (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) اى فى القبور والمضاجع لذهولكم عن ذلك الزمان كما يجئ فى قصة اصحاب الكهف او فى الحياة الاولى لاستقصاركم اياها بالنسبة الى الحياة الآخرة فيتناول اللفظ القيامات الثلاث الا ان الآية السابقة ترجح الصغرى وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب

ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة اومعذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الاتخويفا واذقلنالك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الاطغيانا كبيرا واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الاابليس قال ءاسجدلمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذى كرمت علىّ لئن اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الاقليلاقال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا) تمكن الشيطان من اغواء العباد على اقسام لان الاستعداد متفاوتة فمن كان ضعيف الاستعداد

فى قلوب بنى آدم باقدارالله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما امرالله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف فى ابدان بنى آدم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعنى ليس له قدرة ولاولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لايغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انماتفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفاوانه لايمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الابعصمة الله ولهذا قال المحققون لاحول عن معصية الله الابعصمة الله ولاقوة على طاعة الله الابتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه) يعنى يطيعونه ويدخلون فى ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعنى بالله وقيل الضمير فى به راجع الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون بالله * قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل) وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا ان محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم وينهاهم عنه غدا ما هو الامفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم اية فأبدلنا مكانه حكما آخر والله اعلم بماينزل اعتراض دخل فى الكلام والمعنى والله اعلم بماينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه وبمايغير ويبدل من احكامه اى هو اعلم بجميع ذلك بما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما انت مفتر) اى تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بماينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كمايقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل اكثرهم لايعلمون) يعنى لايعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ (قل) اى قل لهم يامحمد (نزله) يعنى القرآن (روح القدس) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يامحمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعنى ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعنى وهو هدى وبشرى (للمسلمين) * قوله عزوجل (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عندالله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا فى ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا اعجمى اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا مايجلس عند المروة الى غلام رومى نصرانى عبد لبعض بنى الحضرمى يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبيدالله بن مسلمة كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابافكيهة ويقال للآخر جبر وكانا

يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فربما مربهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبدالعزى كان نصرانيا وقد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عزوجل وهو كاذب فى ذلك فأجاب الله عنه وانزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذى يلحدون اليه) يعنى يميلون ويشيرون اليه (اعجمى) يعنى هو اعجمى والاعجمى هو الذى لايفصح فى كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمى زياد الاعجم لانه كان فى لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابى الذى يسكن البادية والعربى الذى يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا لسان عربى مبين) يعنى بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذى يشيرون اليه رجل اعجمى فى لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذى عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمى على مثله واين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذى يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذى يشيرون اليه ولا هو اتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عزوجل اليه وروى ان الرجل الذى كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) يعنى لا يصدقون انها من عندالله (لايهديهم الله) يعنى لا يرشدهم ولايوفقهم للايمان (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة ثم اخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعنى انما يقدم على فرية الكذب من لايؤمن بآيات الله فهو ردلقول كفار قريش انما انت مفتر (واولئك هم الكاذبون) يعنى فى قولهم انما يعلمه بشر لامحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قدقال تبارك وتعالى انما يفترى الكذب فما معنى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون والثانى هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفترى الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب وفى الآية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفترى هو الذى لايؤمن بآيات الله روى البغوى باسناد الثعلبى عن عبدالله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لاقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله * قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم

استفزه اى استخفه بصوته يكفيه وسوسة وهمس بل هاجسة ولمة ومن كان قوى الاستعداد فان اخلص استعداده عن شوائب الصفات النفسانية او اخلصه الله تعالى عن شوائب الغيرية فليس له الى اغوائه سبيل كما قال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) والا فان منغمسا فى الشواغل الحسية غارزا رأسه فى الامور الدنيوية شاركه فى امواله واولاده بأن يحرضه على اشراكهم بالله فى المحبة يحبهم كحب الله ويسول له التمتع بهم والتكاثر والتفاخر بوجودهم ويمنيه الامانى الكاذبة ويزين عليه الآمال الفارغة وان لم ينغمس فان كان عالما بصيرا بتسويلاته اجلب عليه بخيله ورجله اى مكربه بأنواع الحيل وكاده بصنوف الفتن واتى له فى تحصيل انواع الحطام والملاذ بأنها من جملة مصالح المعاش وغره بالعلم وحمله على الاعجاب وامثال ذلك حتى يصير ممن اضله الله على علم وان لم يكن عالما بل عابدا متنسكا اغواه بالوعد والتمنية وغره بالطاعة والتزكية ايسر مايكون (وكفى بربك

ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا فى الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت قال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى اناس من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لانراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا فى اول الاسلام قبل ان يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر بن الحضرمى اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمى مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى ان يقال ان الآية عامة فى كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فامعنى هذا الاستثناء فى الامن اكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ماشابه ما يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله اعلم

﴿ فصل فى حكم الآية ﴾ قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذى يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفران يعذب بعذاب لاطاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء اول من اظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة ابوبكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه ياسر وامه سمية فامارسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابى طالب واما ابوبكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الآخرون والبسوا ادراع الحديد واجلسوا فى حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابوبكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقداوقدوالى نارا ما اطفاها الاودك ظهرى واجمعوا على ان من اكره على الكفر لايجوزله ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتى بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال مايتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف اوالقتل على ان يشرب الخمر اويأكل الميتة اولحم الخنزير اونحوها جازله ذلك لقوله تعالى ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبركان افضل ومن الافعال مالا يتصور الاكراه عليه كالزنالان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه

وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذامسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الااياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) اى عبادى الخالصة لايكلون امرهم الاالى الله وحده لاالى الشيطان ولاالى غيره وهوكافيهم بتدبير الامور ولايتوكلون الاعليه بشهود افعاله وصفاته (ولقد كرمنا بنى آدم) بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة (وحملناهم فى البر والبحر) اى يسرنا لهم اسباب المعاش والمعاد بالسير فى طلبها فيهما وتحصيلها (ورزقناهم من الطيبات) اى المركبات التى لم نرزق غيرهم من المخلوقات (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) اى ماعدا الذوات المقدسة من الملاء الاعلى واما افضلية بعض الناس كالانبياء على الملائكة

الاكراه و اختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه واكثر العلماء لايقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لااكراه فى الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفى ذاته موجودة فوجب حمله على نفى آثاره والمعنى انه لااثر له ولاعبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وان الله لايهدى القوم الكافرين) يعنى لايرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) تقدم تفسيره (واولئك هم الغافلون) يعنى عما يراد بهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) يعنى ان الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر * قوله عزوجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة التى فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية فى عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه لامه وفى ابى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبدالله بن اسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ماارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية فى عبدالله بن ابى سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات فى السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك * قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها اى بما اسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لاتتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته ولايهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لايقبل منه كقولهم والله ربنا ماكنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ماعملت) يعنى جزاء ماعملت فى الدنيا من خير اوشر (وهم لايظلمون) يعنى لاينقصون من جزاء اعمالهم شيأ بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولانقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وانت لايهمك الانفسك وان جهنم لتزفر زفرة مايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الاجثا على ركبتيه

المقربين فليست من جهة كونهم بنى آدم فانهم من تلك الحيثية لايتجاوزون مقام العقل بل من جهة السر المودوع فيهم المشار اليه بقوله انى اعلم مالاتعلمون وهو ماأعد لذلك البعض من المعرفة الآلية التامة بواسطة الجمعية التى فيه اى مقام الوحدة وحينئذ ليس هو بهذا الاعتبار من بنى آدم كما قيل وانى كنت ابن آدم صورة . فلى فيه معنى شاهد بأبوتى بل هو عين المكرم المعروف كما قيل رأيت ربى بعين ربى . فقال من انت قلت انت وقد فنى ابن آدم فى هذا المقام ومابقى منه شئ والا فما التراب ورب الارباب او ولقد كرمنا بنى آدم بالتقريب ومعرفة التوحيد وحملناهم فى بر عالم الاجساد وبحر عالم الارواح بتسييره فيهما التركيبه منهما وارقائه عنهما فى طلب الكمال ورزقناهم من طيبات العلوم والمعارف وفضلناهم على الجم الغفير ممن خلقنا اى جميع المخلوقات على ان تكون من للبيان والمبالغة فى تعظيمه بوصف المفضل عليهم بالكثرة وتنكير

حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لااسألك الانفسى وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عبـاس فى هذه الآية قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى يد أبطش بها ولارجل امشى بها ولاعين ابصر بها ويقول الجسد يارب انت خلقتنى كالخشبة ليست لى يد ابطش بها ولارجل امشى بها ولاعين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لسانى وبه ابصرت عيناى وبه مشت رجلاى فضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالاعمى لايبصر الثمر والمقعد لايناله فحمل الاعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب * قوله عزوجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى اى معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشـابهة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا اولم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان تكون شيأ مفروضا ويحتمل ان تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة اوغيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب انهـا غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشرى فى كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة فى اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم اى بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثلا لانها هى الممثل بها ويجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة فى تمثيلها بقرية صفتها ماذكر وقال ابن الجوزى فى هذه القرية قولان احدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثانى انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الآية نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة فى اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم مااصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ماقلت الخوف المذكور فى هذه الآية فى قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثها فى قول جميع المفسرين لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة)

الوصف وتقديمه على الموصوف اى كثير واى كثير وهو جميع مخلوقاتنا لدلالة من على العموم (تفضيلا) تاما بينا (يوم ندعوا) اى نحضر (كل اناس بامامهم) طائفة من الامم مع شاهدهم الذى يحضرهم ويتوجهون اليه من الكمال ويعرفونه سواء كان فى صورة نبى آمنوا به كما ذكر فى تفسير قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اوامام اقتدوا به اودين اوكتاب اوماشئت على ان تكون الباء بمعنى مع او نسميهم الى امامهم وندعوهم باسمه لكونه هو الغالب عليهم وعلى امرهم المستعلى محبتهم اياه على سائر محباتهم (فمن اوتى كتابه بيمينه) اى من جهة العقل الذى هو اقوى جانبيه وبعث فى صورة السعداء (فاولئك يقرؤن كتابهم) دون غيرهم لاستعدادهم للقراءة والفهم لان الذى اوتى كتابه بشماله اى من جهة النفس التى هى اضعف جانبيه لايقدر على قراءة كتابه وان كان مقروا لذهاب عقله وفرط حيرته (ولا يظلمون) اى لا

يعني ذات امن لايهاج اهلها ولايغار عليهم (مطمئنة) يعني قارة بأهلها لايحتاجون الى الانتقال
عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا) يعني واسعا (من كل مكان) يعني
يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ وذلك
بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق اهله من الثمرات (فكفرت) يعني هذه القرية
والمراد اهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما
قابلوا نعم الله التي انعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى
(فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين
فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا
فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به
حتى يؤكل حتى كان احدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة
كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ماهذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء
والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون
والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة فكانت
تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس
استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه وهو ان اللباس لايذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع اويقال فاذاقهم الله طعم
الجوع قلت قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد ومايمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب
شبه مايدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله
على اللابس ماغشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع
والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ماغشيهم من الجوع
والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان مايشهد لصحة ماقال وقال الامام فخر الدين الرازي
جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو
الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا
فصار كأنه احاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع
حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها اثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن
التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار
تقول ناظر فلانا وذق ماعنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ماظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال
وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت
لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير

ينقصون من صور اعمالهم وكمالاتهم واخلاقهم شيأ قليلا (ومن كان في هذه اعمى) عن الاهتداء الى الحق (فهو في الآخرة اعمى) كذلك (واضل سبيلا) مما هنا لانه في هذه الحياة آلات وادوات واسبابا يمكنه الاهتداء بها وهو في مقام الكسب باقي الاستعداد ان كان ولم يبق هناك شئ من ذلك (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره) هو من باب التلوينات التي تحدث لارباب القلب بظهور النفس ولارباب الشهود والفناء بوجود القلب فانه عليه السلام افرط شفقه وحرصه على ايمانهم بوجود القلب كاد يميل اليهم في بعض مقترحاتهم ويرضى ببعض ماهو خلاف شريعته ويضيف الى الله ماليس منه طلبا للمناسبة التي كان يتوقع ان تحدث بينه وبينهم بذلك فيحبونه كما قال (واذا لاتخذوك خليلا) عسى ان يقبلوا قوله ويهتدوا به واستمالة وتطييبا لقلوبهم عسى ان يلينوا وينزلوا عن شدة انكارهم فيرق حجابهم وتتنور قلوبهم فتشددوا اقيم من عند الله ولهذا قالت

فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه اراد اهل القرية والمعنى فعلنا بهم مافعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم انعم الله عزوجل عليهم بالنعمة العظيمة وهى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا فى ايذائه وارادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين اظهرهم * قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعنى اهل مكة (رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعنى الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم فى الآية (وهم ظالمون) يعنى كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) فى المخاطبين بهذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثانى انهم هم المشركون من اهل مكة قال الكلبى لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يامعشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم (حلالا طيبا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى احل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعنى التى انعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية واحكامها فى سورة البقرة فلم نعده هنا * وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) يعنى ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعنى البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يحلون اشياء ويحرمون اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله امرنا بذلك، فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ماهم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعنى بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى انما حرمنا عليهم ماحرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم * وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان

السوء

عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن تعنى انه عليه الصلاة والسلام كلما ظهرت نفسه وهمت بما ليس بفضيلة نبه من عند الله وثبت بتنزيل آية تقومه وترده الى الاستقامة حتى بلغ مقام التمكين وهذا وامثاله من قوله تعالى ما كان لنبى ان تكون له اسرى وقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم وقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقوله عبس وتولى يدل على انه كان اكثر سلوكه فى الله بعد الوصول فى زمان النبوة وزمان الوحى (اذا لاذقناك) اى لو قاربت فتنتهم وكدت توافقهم لاذقناك عذابا مضاعفا فى الحيوة وعذابا مضاعفا فى الممات فان شدة العذاب بحسب علو المرتبة وقوة الاستعداد اذ النقصان الموجب للعذاب يقابل الكمال الموجب للذة فكما كان الاستعداد اتم والادراك اقوى كانت المرتبة فى الكمال والسعادة واللذة اقوى فكذا ما يقابله من النقص والشقاوة ابعد واسفل والالم اشد (ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا

السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصى وكل مالا ينبغى وكل من عمل
من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من
كفر اومعصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر مايترتب عليه من العقاب اولجهله
بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوأ
بجهالة ثم تاب واصلح العمل فى المستقبل ان يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من
بعد ذلك) يعنى من بعد عمل ذلك السوء (واصلحوا) يعنى اصلحوا العمل فى المستقبل وقيل
معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد عمل السوء بالجهالة
والتوبة منه (لغفور) يعنى لمن تاب وآمن (رحيم) يعنى بجميع المؤمنين والتائبين * قوله
سبحانه وتعالى (ان ابرهيم كان امة) حكى ابن الجوزى عن ابن الانبارى انه قال هذا مثل قول
العرب فلان رحمة فلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهى فى المعنى الذى
يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته
الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع فيه من
صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع فى امة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

ثم للمفسرين فى معنى هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعنى انه كان معلما
للخير يأتم به اهل الدنيا الثانى قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا
المعنى كان امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله
امة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة
الاصنام الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الاوهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة
بمعنى مفعولة وهو الذى يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله
سبحانه وتعالى انى جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذى لاجله
جعلت امته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق
المسبب على السبب وقيل انما سمى ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة فى عبادة
الله (قانتا لله) يعنى مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله (حنيفا) مسلما يعنى مقيما على
دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج (ولم
يك من المشركين) يعنى انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره
(شاكرا لانعمه) يعنى انه كان شاكرا لله على النعم التى انعم بها عليه (اجتباه) اى
اختاره لنبوته واصطفاه لخلته (وهداه الى صراط مستقيم) يعنى هداه الى دين الاسلام
لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلة
وقيل هى لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام فى جميع الامم فان الله حببه الى
جميع خلقه فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم
وقيل هو قول المصلى فى التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه اولادا ابرارا على الكبر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين)

ليستفزونك من الارض
ليخرجوك منها واذا
لا يلبثون خلافك الا قليلا
سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا ولا تجد لسنتنا
تحويلا اقم الصلاة لدلوك
الشمس) اعلم الصلاة على
خمسة اقسام صلاة المواصلة
والمناغاة فى مقام الخفاء
وصلاة الشهود فى مقام
السر وصلاة الحضور
فى مقام القلب وصلاة
المطاوعة والانقياد فى مقام
النفس فدلوك الشمس هو
علامة زوال شمس الوحدة
عن الاستواء على وجود
العبد بالفناء المحض فانه
لا صلاة فى حال الاستواء
الا الصلاة عمل يستدعى
وجودا الحالة لا وجود
للعبد حتى يصلى كما ذكر
فى تأويل قوله واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين الاترى
الشارع عليه السلام كيف
نهى عن الصلاة وقت
الاستواء فاما عند الزوال
اذا احدث ظل وجود العبد
سواء عند الاحتجاب بالخلق
حالة الفرق قبل الجمع او
عند البقاء حالة الفرق بعد
الجمع فالصلاة واجبة (الى
غسق الليل) ليل النفس
(وقرآن الفجر) فجر القلب

يعنى فى اعلى مقامات الصالحين فى الجنة وقيل معناه وانه فى الآخرة لمع الصالحين يعنى الانبياء فى الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عزوجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية امر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم) يعنى دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الا مانسخ منها ومالم ينسخ صار شرعاله وقال ابوجعفر الطبرى امره باتباعه فى التبرى من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وماكان من المشركين) تقدم تفسيره * وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعنى انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله فى كل سبعة ايام يوما فاعبدوه فى يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من صنعتكم وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لانريد الااليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام ايضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لانريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عزوجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفى رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون فى الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم قال العلماء فى معنى الحديث نحن الآخرون فى الزمان والوجود السابقون فى الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعنى غير انهم اوالا انهم وقوله فهذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضى عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف احبارهم فى تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعنى القاضى عياضا وقد جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضله فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضى ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيى الدين النووى ويمكن ان يكونوا امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا فى ابداله قال الامام فخر الدين الرازى فى قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعنى على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم فى السبت كان اختلافا على نبيهم فى ذلك اليوم اى لاجله وليس معنى

فاول الصلوات والطفها صلاة المواصلة والمناغات وافضلها واشرفها صلاة الشهود للروح المشار اليها بصلاة العصر كما فسرت الصلاة الوسطى اى الفضلى فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات الوسطى بها واوحاها واخفها صلاة السر بالمناجاة اول وقت الاحتجاب بظهور السرعة انقضاء وقتها ولهذا استحب التخفف فى صلاة المغرب فى القراءة وغيرها لكونها علامة وازجر الصلاة للشيطان واوفرها تنويرا لباطن الانسان صلاة الحضور للقلب المومأ اليها بقرآن الفجر فانها فى وقت تجليات انوار الصفات ونزول المكاشفات ولهذا استحب التكثر فى جماعة صلاة الصبح وأكد استحباب الجماعة فيها خاصة وتطويل القراءة وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) اى محضورا بحضور ملائكة الليل والنهار اشارة الى نزول صفات القلب وانوارها وذهاب صفات النفس وزوالها واشدها تثبيتا للنفس وتطويعا لها صلاة

قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدى على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف فى السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد افضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدا فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين فى السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق فى ستة ايام وبدا بالخلق والتكوين فى يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك العمل فى هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدا بخلق الاشياء فى يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو اولى ووجه آخر وهو ان الله عزوجل خلق فيه اشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو ابو البشر وفيه تاب عليه وكان يوم الجمعة اشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيأ وكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ يوم الاحد فى شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وفى معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير فى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة فى تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيأ وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة * وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى فى امر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب * قوله عزوجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لايخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم (وجادلهم بالتى هى احسن) يعنى بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة اقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس

النفس للطمانينة والنبات ولهذا سن فيما جعل آية لها من صلاة العشاء السكوت بعدها حتى النوم الا بذكر الله وحيث امكن للشيطان سبيل الى الوسوسة استحب فيما جعل علامة لها الجهر كصلاة النفس والقلب والسر للزجر ولا مدخل له فى مقام الروح والخفاء فأمر بالاخفات (ومن الليل فتهجد به) اى خصص بعض الليل بالتهجد (نافلة لك) زيادة على مافرض خاصة بك لكونه علامة مقام النفس فيجب تخصيصه بزيادة الطاعة لزيادة احتياج هذا المقام الى الصلاة بالنسبة الى سائر المقامات فيقتدى بك السالكون من امتك فى تطويع نفوسهم ويقوى تمكنك فى مقام الاستقامة كما قال افلا اكون عبدا شكورا (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) اى فى مقام يجب على الكل حمده وهو مقام ختم الولاية بظهور المهدى فان خاتم النبوة فى مقام محمود من وجه هو جهة كونه خاتم النبوة غير محمود من وجه هو جهة ختم الولاية فهو من هذا الوجه فى مقام الحامدية

وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم اصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة اى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى احسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين فى الدعوة وجادلهم بالتى هى احسن اى اعرض عن اذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) يعنى انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بعمله ۞ قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية بالمدينة فى سبب شهداء احد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن ابى عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل فى بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرنى ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد وكفر عن يمينه عن ابى بن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة انزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ۞ واما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثانى للمزاوجة فى الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية العدل والانصاف فى هذه الآية فى باب استيفاء الحقوق يعنى ان رغبتم فى استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه فى عدل الله وشرعه ورحمته وفى الآية دليل على

ان

فاذاتم ختم الولاية يكون فى مقام محمود من كل وجه (وقل رب ادخلنى) حضرة الوحدة فى عين الجمع (مدخل صدق) مدخلا حسنا مرضيا به بلا آفة زيغ البصر بالالتفات الى الغير ولا الطغيان بظهور الانانية ولا شوب الاثنينية (واخرجنى) الى الكثرة عند الرجوع الى التفصيل بالوجود الموهوب الحقانى (مخرج صدق) مخرجا حسنا مرضيا به من غير آفة التلوين بالميل الى النفس وصفاته ولا الضلال بعد الهدى بالانحراف عن جادة الاستقامة والزيغ عن سنن العدالة الى الجور كالفتنة الداودية (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة ناصرة بالتثبيت والتمكين بان اكون بك فى الاشياء فى حال البقاء بعد الفناء لا بنفسى كما قال عليه الصلاة والسلام لاتكلنى الى نفسى طرفة عين اوعزا وقوة قهرية بك اقوى بها دينك واظهره على الاديان كلها (وقل جاء الحق) اى الوجود الثابت الواجب الحقانى الذى لايتغير ولايتبدل (وزهق الباطل) اى الوجود

ان الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترك اولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يعنى ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين العافين

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت قبل براءة فامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثانى انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمة اكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبى والنخعى وابن سيرين والثورى قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة فى تعليم حسن الادب فى كيفية استيفاء الحقوق فى القصاص وترك التعدى وهو طلب الزيادة وهذه لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم * قوله عز وجل (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعنى ان الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه (ولاتك فى ضيق مما يمكرون) يعنى ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ فى ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال ابو عبيد الضيق بالكسر فى قلة المعاش وفى المسكن واما ما كان فى القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبى الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولاتك فى امر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة فى قوله ولاتك فى ضيق هى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) اى اتقوا المثلة والزيادة فى القصاص وسائر المناهى (والذين هم محسنون) يعنى بالعفو عن الجانى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان اردت ايها الانسان انا اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفى هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية فى المال ولا مال لى ولكنى اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه

البشرى الامكانى القابل للفناء والتغير والزوال (ان الباطل) اى الوجود الممكن (كان زهوقا) فانيا فى الاصل لا شيأ ثابتا طرأ عليه الفناء ففنى بل الفانى فان فى الازل والباقى باق لم يزل وانما احتجنا لتوهم فاسد باطل فكشف (وننزل من القران) العقل القرآنى الجامع بالتدريج نجوم تفاصيل العقل الفرقانى نجما فنجما على الوجود الحقانى على حسب ظهور الصفات اى نفصل ما فى ذلك مجملا مكنونا تفصيلا بارزا ظاهرا عليك ليكون شفاء لامراض قلوب المستعدين المؤمنين بالغيب من امثلك كالجهل والشك والنفاق وعمى القلب والغل والحقد والحسد وامثالها فيزكيهم ورحمة تفيدهم الكمالات والفضائل وتحليهم بالحكم والمعارف (ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين) الناقصين استعدادهم بالرذائل والحجب الظلمانية الا خسين حظوظهم من الكمال بالهيآت البدنية والصفات النفسانية (الا خسارا) بزيادة ظهور

تفسير سورة الاسرا

﴿ فصل في نزولها ﴾ قال ابن الجوزى هي مكية الاثمان في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هي مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب ادخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا ان ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

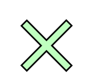
* قوله عز وجل (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شئ هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده وتزاهته عن كل مالا ينبغى الذى اسرى يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة فى ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

لاتدعنى الا بياعبدها * فانه اشرف اسمائى

قيل لما بلغ رسول صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله عز وجل اليه يامحمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لايكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به فى بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر اواكثر فدل تنكير الليل على البعضية ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتى بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار امهانئ بنت ابى طالب وهى بنت عم اخت على رضى الله تعالى عنه فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ يعنى الى بيت المقدس سمى اقصى لبعده عن المسجد الحرام اولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ يعنى بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السماء

اولا

انفسهم بصفاتها كالانكار والعناد والمكابرة واللجاج والرياء والنفاق منضمة الى مالهم من الشك والجهل والعمى والعمه (واذا انعمنا على الانسان) بنعمة ظاهرة (اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا) لوقوفه مع النفس والبدن وكون القوى البدنية متناهية لاتتدبر الامور الغير المتناهية الممكنة الوقوع من سبب النعمة وردها عند عدمها وسائر الغير ولايرى الا العاجل وتكبر لاستعلاء نفسه على القلب وظهوره بانانيته وتفرعنه فنأى اى بعد عن الحق فى جانب النفس وطوى جنبه معرضا وكذا فى جانب الشر اذا مسه يئس لاحتجابه عن القادر وقدرته ولو نظر بعين البصيرة شاهد قدرة الله تعالى فى كلتا الحالتين وتيقن فى الحالة الاولى ان الشكر رباط النعم وفى الثانية ان الصبر دفاع النقم فشكر وصبر وعلم ان المنعم قدر فلم يعرض عند النعمة بطرا واشرا خائفا زوالها غير غافل عن المنعم ولم ييأس عند النقمة جزعا وضجرا راجيا





اولالاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر به من العلامات التى فيه و صدقوه عليها اخبر بعد ذلك بعر وجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء * وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعنى من عجائب قدرتنا فقد راى محمد صلى الله وسلم فى تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورای الآيات العظام فان قلت لفظة من فى قوله من آياتنا تقتضى التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولاقائل به فاوجهه قلت ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله ايضا ولآيات الله افضل من ذلك واكثر والذى اراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لا قواله و دعائه (البصير) لا فعاله الحافظ له فى ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازى كل عامل بعمله وحمله على العموم اولى

﴿ فصل ﴾ فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به قال بينما انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذا تانى آت فقد قال وسمعته يقول فشق مابين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبى مايعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبى ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق يااباحزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل عليه السلام حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه

كشفا مراعيا لجانب المبلى (قل كل يعمل على شاكلته) اى خليقته وملكته العالية عليه من مقامه فمن كان مقامه النفس وشاكلته مقتضى طباعها عمل ماذكرنا من الاعراض واليأس ومن كان مقامه القلب وشاكلته السجية الفاضلة عمل بمقتضاها الشكر والصبر (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) من العاملين عامل الخير بمقتضى سجية القلب وعامل الشر بمقتضى طبيعة النفس فيجازيهما بحسب اعمالهما (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى) ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لايتجاوز ادراكهم عن الحس والمحسوس بالتشبيه ببعض ماشعروا به والتوصيف بل من عالم الامر اى الابداع الذى هو الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور ادراككم وعلمكم عنه (وما اوتيتم من العلم الاقليلا) هو علم المحسوسات وذلك شئ نزر

آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر قال ماهذا ياجبريل قال
هذا الكوثر الذى خبالك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له
الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به
واهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم
فاوعيت منهم ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وآخر فى الخامسة ولم احفظ اسمه وابراهيم
فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم اظن ان يرفع على احدثم
علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه
قاب قوسين او ادنى فاوحى الله فيما اوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى
بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يامحمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم
وليلة قال ان امتك لاتستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى صلى الله عليه
وسلم الى جبريل كانه يستشيره فى ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى
فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فان امتى لاتستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع
الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى
عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومى على ادنى من هذا فضعفوا فتركوه
فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك
يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه
عند الخامسة فقال يارب ان امتى ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم فخفف عنا
فقال الجبار يامحمد قال لبيك وسعديك قال انه لايبدل القول لدى كما فرضت عليك فى ام الكتاب
قال فكل حسنة بعشر امثالها فهى خمسون فى ام الكتاب وهى خمس عليك فرجع الى موسى
فقال كيف فعلت فقال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى قد والله راودت بنى
اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ياموسى قد والله استحييت من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو
فى المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخارى وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه
فى حديث ثابت البنانى المسند فذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو
حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس فى حديث ثابت من هذه الالفاظ
الا ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التى يربطها
الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء
من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح

نزول الملائكة مع كونهم
نفوسا مجردة على الهيئة
الملكية فى الارض بل لو نزلت
لم ينزلوا الا متجسدين كما
قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم
مايلبسون والا لم يمكنكم
ادراكهم فبقيتم على انكاركم
واذا كانوا متجسدين
ماصدقتم كونهم ملائكة
فشأنكم الانكار على الحالين
بل على اى حال كان كانكار
الخفاش ضوء الشمس
(من يهد الله) بمقتضى العناية
الازلية فى الفطرة الاولى
بنوره (فهو المهتد) خاصة
دون غيره (ومن يضلل)
بمنع ذلك النور عنه (فلن
تجد لهم) انصارا يهدونه
(من دونه اولياء) او يحفظونه
من قهره (ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم) اى
ناكسى الرؤس لانجذابهم
الى الجهة السفلية او على
وجوداتهم وذواتهم التى
كانوا عليها فى الدنيا كقوله
كما تعيشون تموتون وكما
تموتون تبعثون اذ الوجه
يعبر به عن الذات الموجودة
مع جميع عوارضها
ولوازمها اى على الحالة
الاولى من غير زيادة ونقصان
(عميا) عن الهدى كما كانوا

لنافاذا انا بآدم فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقدبعث اليه قال قدبعث اليه ففتح لنافاذا انا بنى الخالة عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا فرحبابي ودعوالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقدبعث اليه قال قدبعث اليه ففتح لنافاذا انا بيوسف عليه السلام فاذا هو قداعطى شطر الحسن قال فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعالى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قدبعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ماغشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لايطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف على امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عنى خمسا قال ان امتك لاتطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذى مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة اسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هكذا ماركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النسائى مختصرا والمعنى واحد وفى آخره قال فرجعت الى ربى فسألته التخفيف فقال انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها امر الله جرى بقول ختم فلم ارجع

﴿ فصل ﴾ قال البغوى قال بعض اهل الحديث ماوجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيأ لايحتمل مخرجا الاحديث شريك بن ابى نمر عن انس واحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحى واتفق اهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنتى

فى الحياة الاولى (وبكما) عن قول الحق لعدم ادراكهم المعنى المراد بالنطق اذ ليسوا ذوى قلوب يفهم بها ويفقه فكيف التعبير عما لم يفهم (وصما مأواهم جهنم) عن سماع المعقول لعدم الفهم ايضا فلايؤثر فيهم موجب الهداية لامن جهة الفهم من الله تعالى بالالهام ولا من طريق السمع من كلام الناس ولامن طريق البصر بالاعتبار (كلما خبت زدناهم سعيرا) كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بل ابلغ منه ذلك بسبب احتجابهم عن صفاتنا خصوصا قدرتنا على البعث وانكارهم له انكروا وما استدلوا بخلق السموات والارض على القدرة (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم) لوقوفكم مع صفات نفوسكم التى من لوازمها الشح الجبلى

عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوى وهذا الاعتراض عندى لايصح لان هذا كان رؤيا فى النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التى راها من قبل كما انه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك فى هذا الحديث اوهام انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء اقل ماقيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين واشبه الاقوال قول الزهرى وابن اسحق واما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولاحجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة اول وصول الملك اليه وليس فى الحديث مايدل على كونه نائما فى القصة كلها هذا كلام القاضى عياض وهذا الذى قاله فى رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها قدقاله غيره وقدذكر البخارى فى رواية شريك هذه عن انس فى كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبدالحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابى نمر عن انس قد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال والاحاديث التى تقدمت قبل هذا هى المعوّل عليها

﴿ فصل ﴾ فى شرح بعض الفاظ حديث المعراج ومايتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت فى رجب ويقال فى رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر فى الفصل الذى قبل هذا واختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وعن معاوية نحوه والصحيح ماعليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته

لكون ادراكها مقصورا على مايدرك بالحس من الامور المادية المحصورة واحتجابها عن البركات الغير المتناهية والرحمة الواسعة الغير المنقطعة التى لاتدرك الا عند اكتحال البصيرة بنور الهداية فتحشى نفادها وانقطاعها (خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) مرت الاشارة اليها فى سورة الحجر (فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يافرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) اى ماانزلنا القرآن الابعد زوال بشرية النبى عليه الصلاة والسلام بالكلية فى مقام الفناء وانتفاء الحدثان عن وجه القدم

اولشدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلالئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد
ربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لايقدح فى التوكل
اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه
اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرت يعنى فطرة الاسلام
وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة
بخلاف الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بى حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا
فانه مكروه وفيه ان للسماء ابوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد ارسل اليه
وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام
عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لايخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل
غيره وقوله فاذا انا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء اهل الفضل والصلاح
بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر افضل من المزور فيه جواز مدح
الانسان فى وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم
مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها
وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى
الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة
ينتهى اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك
لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها
كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين او اكثر قوله
فرجعت الى ربى قال الشيخ محيي الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه اولا
فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى
عز وجل قلت واما الكلام على معنى الرؤية ومايتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير
سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على امتى خمسين
صلاة الى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا
ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف
واما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما اثبت
من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى آخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر
والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشئ قبل فعله
وفى اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا فى صغره وهو
عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة
المعراج وقوله اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا
وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون
هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها فى صدرى فان قلت الحكمة

وانقشاع ظلمة الامكان
عن سبحات الوجه الواجب
بالباقى بالفرق الثانى ليكون له
محل وجودى فما كان انزاله
الاظهور احكام التفاصيل
من عين الجمع على المظهر
التفصيلى فكان انزاله بالحق
من الحق على الحق ونزوله
بالحق على هذا التأويل هو
كما يقال نزل بكذا اذا حل به
على ان تكون الباء الثانية
للظرفية كقولك نزلت
ببغداد والاولى للحال اى
ملتبسا بالحق على معنيين
اما بالحق الذى هو نقيض
الباطل اى بالحقيقة والحكمة
واما بالحق الذى هو الله تعالى
اى انزل على صفته وهو
الحق (وقرآنا فرقناه) على
حسب ظهور استعدادات
المظاهر المقتضية لقبوله
بحسب الاحوال والمصالح
والصفات كما اشرنا اليه
فى قوله ولولا ان ثبتناك
(لتقرأه على الناس على
مكث ونزلناه تنزيلا قل
آمنوا به اولاتؤمنوا) اى
ان وجودكم كالعدم عندنا
ليس المراد منه هدايتكم
لكونكم مطبوعا على قلوبكم
لامحل لكم عند الله ولا
فى الوجود لكونكم احلاس
بقعة الامكان معدومى

والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل فى الطست شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببالهما وهذا من احسن المجاز وقوله فى صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره فى الحديث بانه نسم بنيه يعنى ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المؤمنين فى السماء وارواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون فى السماء والجواب عنه انه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو فى السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله فى ادريس مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبى صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جده فكان ينبغى أن يقول بالنبى الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين ليس فى الحديث مايمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو اخ وان كان ابا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله اعلم

﴿ فصل ﴾ فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق احاديث تتعلق بالاسراء قال البغوى روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به وكان بذى طوى قال ياجبريل ان قومى لايصدقونى قال يصدقك ابوبكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة اسرى بى الى السماء اصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت ان الناس يكذبونى فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابوجهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم اسرى بى الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابوجهل ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابوجهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتنى به قال نعم قال ابوجهل يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى قال نعم اسرى بى الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد اناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابى بكر فقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا اوتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة قبل ان يصبح قال نعم انى اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء فى غدوة اوروحة فلذلك سمى ابوبكر الصديق قال وكان فى القوم من اتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت انعت حتى التبس على قال فجئ بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وانا انظر اليه فقال

الاعيان بالذات انما الاعتبار بالعلماء الذين لهم وجود عند الله فى عالم البقاء المقتدبهم فى الانبياء فانظر كيف تراهم عند تلاوته عليهم وسماعهم اياه (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون) اى ينقادون له ويعترفون به ويعرفون حقيقته لعلمهم به ومعرفتهم اياه بنورية الاستعداد ومناسبته له وبنور كمالهم لتجردهم وعلمهم بانه كان كتابا من عند الله موعودا ليس هو الااياه لما وجدوه مطابقا لما اعتقدوه يقينا فان الاعتقاد الحق لايكون الا واحدا (للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) باللين والانقياد لحكمه لتأثرهم به وحسن تلقيهم لقبوله (قل ادعوا الله) بالفناء فى الذات الجامعة لجميع الصفات (اوادعوا الرحمن) بالفناء فى الصفة التى هى ام الصفات (ايا ماتدعوا) طلبت من هذين المقامين لست هناك بموجود ولا لك بقية ولا اسم ولا عين ولا اثر اذ الرحمن لايصلح اسما لغير

القوم امانعت فوالله لقداصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن غيرنا فهى اهم الينا هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بغير بنى فلان وهى بالروحاء وقداضلوا بعيرا وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية اخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى اتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذه سحر مبين (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لى انظر اليه ما يسألونى عن شئ الا انبأتهم به وقد رايتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى واذا ابراهيم قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فامتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدانى بالسلام (ق) عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبنى قريش قمت الى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه زاد البخارى فى رواية له لما كذبنى قريش حين اسرى بى الى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسرى به عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلى فى قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذى فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلى فى قبره وكيف صلى بالانبياء فى بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم فى السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم فى الدار الآخرة قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء فى بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلى بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى اراه اياهم فى السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم واما مروره بموسى وهو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج واما صلاة الانبياء وهم فى الدار الآخرة فهم فى حكم الشهداء بل افضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء فالانبياء احياء بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من اعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد فى الحديث انهم يلهمون التسبيح

تلك الذات ولا يمكن ثبوت تلك الصفة اى الرحمة الرحمانية لغيرها فلا يلزم وجود البقية بخلاف سائر الاسماء والصفات (فله الاسماء الحسنى) كلها فى هذين المقامين لالك (ولا تجهر بصلاتك) فى صلاة الشهود باظهار صفة الصلاة عن نفسك فيؤذن بالطغيان وظهور الانائية (ولا تخافت بها) غاية الاخفات فيؤذن بالانطماس فى محل الفناء دون الرجوع الى مقام البقاء فلا يمكن احدا الاقتداء بك (وابتغ بين ذلك سبيلا) يدل على الاستقامة ولزوم سيرة العدالة فى عالم الكثرة وملازمة الصراط المستقيم بالحق (وقل الحمد لله) اى اظهر الكمالات الآلهية والصفات الرحمانية التى لا تكون الا للذات الاحدية (الذى لم يتخذ ولدا) اى لم يكن علة لموجود من جنسه لضرورة كون المعلول محتاجا اليه ممكنا بالذات معدوما بالحقيقة فكيف يكون من جنس الموجود حقا الواجب بذاته من جميع الوجوه (ولم يكن له شريك

كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبرانه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني اسرائيل ان لاتتخذوا) يعني وقلنا لهم لاتتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا كفيلا (ذرية) يعني ياذرية (من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما اوشرب شرابا اولبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عزوجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) يعني اعلمناهم واخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاول قتلهم شعياء في الشجرة وارتكابهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من اهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلي وهو الاصح (اولى بأس شديد) يعني ذوي بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائنا لازما لاخلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) يعني اكثر عددا (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) يعني لها ثوابها وجزاء احسانها (وان اسأتم فلها) يعني فعليها اساءتها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيي عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسؤا وجوهكم) يعني ليحزنوكم وقرئ بالنون اي ليسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه اول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ماعلوا تتبيرا) يعني وليهلكوا ماغلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا

﴿ ذكر القصة في هذه الآيات ﴾

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان اول مانزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولاينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيي وشعياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشري اورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله

سنجاريب

في الملك) من يساويه في قوة القهر والمملكة من الشريك في الملك والالكانا مشتركين في وجوب الوجود والحقيقة فامتياز كل واحد منهما عن الآخر لابد وان يكون بامر غير الحقيقة الواجبية فلزم تركبهما فكانا كلاهما ممكنين لاواجبين وايضا فان لم يستقلا بالتأثير لم يكن احدهما الها وان استقل احدهما دون الآخر فذلك هو الاله دونه فلاشريك له وان استقلا جميعا لزم اجتماع المؤثرين المستقلين على معلول واحد ان فعلا معا والالزام الهية احدهما دون الآخر رضي بفعله اولم يرض (ولم يكن له ولي من الذل) اي لم يكن له ناصر علة كان اوجزء علة تقويه وتنصره من ذلة الانفعال والعدم والالم يكن الها واجبا بل ممكنا لتكون حبيبا قائمابه لاينفك (وكبره) من ان يتقيد بصفة دون اخرى اوصورة غير اخرى او يلحقه شئ من هذه النقائص فينحصرون في وجود خاص تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا (تكبيرا) لايقدر قدره ولايعرف كنهه لامتناع

سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعياء النبى اليه وقال ياملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة الف راية وقدهابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل اتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتنى وحى فى ذلك فبينماهم على ذلك اوحى الله الى شعياء النبى ان ائت ملك بنى اسرائيل فمره ان يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعياء ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد اوحى الى ان آمرك ان توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة ياقدوس يامتقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وانت اعلم به من سرى وعلانيتى لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعياء ان يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعياء فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت انت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت الاول والآخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين انت الذى اجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه اوحى الله الى شعياء ان قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فقال الملك لشعياء سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له انى قد كفيتك عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم بختنصر فلما اصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب فى مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوابهم الملك فلما رآهم خرساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنجاريب قد اتانى خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادى فلم اطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى ولو سمعت اوعقلت ماغزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بماشاء وان ربنا لم يمتعك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتك ومن معك ولدمك ودم من معك اهون على الله من دم قراد لوقتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل امر امير حرسه ان يقذف فى رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس

وجود شئ غيره يفضل عليه وينسب اليه بل كل مايتصور ويعقل ولايكبر غيره بهذا التكبير والله الحق الموفق

﴿ سورة الكهف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب) اثنى الله تعالى بلسان التفصيل على نفسه باعتبار الجمع من حيث كونه منعوتا بانزال الكتاب وهو ادراج معنى الجمع فى صورة التفصيل فهذا الحامد والمحمود تفصيلا وجمعا فالحمد اظهار الكمالات الالهية والصفات الجمالية والجلالية على الذات المحمدية باعتبار العروج بعد تخصيصه اياه بنفسه فى العناية الازلية المشار بالاضافة فى قوله عبده وذلك جعل عينه فى الازل قابلة للكمال المطلق من فيضه وايداع كتاب الجمع فيه بالقوة التى هى الاستعداد الكامل وانزال الكتاب عليه ابراز تلك الحقائق عن مكمن الجمع الوحدانى على ذلك المظهر الانسانى فهما متماكسان باعتبار النزول والعروج حمد الله تعالى لبينه اذا المعانى الكامنة

في غيب الغيب مالم ينزل على
قلبه فلم يمكنه حمد الله حق
حمده فلم يحمده الله لم يحمد
الله بل حمده حمده كما قال
لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك حمدا ولا
في عين الجمع نفسه باعتبار
التفصيل ثم عكس فقال
الحمد لله (ولم يجعل له) اى
لعبده (عوجا) اى زيغا
وميلا الى الغير كما قال مازاغ
البصر وماطغى اى لم ير الغير
في شهوده (قيما) اى جعله
قيما يعني مستقيما كما امر بقوله
فاستقم كما امرت والمعنى
جعله موحدا فانيا فيه غير
محتجب في شهوده بالغير
ولا بنفسه لكونها غيرا ايضا
ممكنا مستقيما حال البقاء كما
قال ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا . او جعله قيما
بامر العباد وهدايتهم
اذ التكميل يترتب على
الكمال لانه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من تقويم
نفسه وتزكيتها اقيمت نفوس
امته مقام نفسه فامر بتقويمها
وتزكيتها ولهذا المعنى سمي
ابراهيم صلوات الله عليه
امة وهذه القيمة اى القيام
بهداية الناس داخلة
في الاستقامة المأمور هو بها
في الحقيقة (لينذر) متعلق

وايلياء وكان رزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك
صديقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فامر بهم الى السجن فاوحى الله الى شعياء النبي ان قل
لملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى
يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما
قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص
عليك خبر ربهم وخبر نبيهم واوحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي امة لايستطيعها احد مع ربهم
وكان امر سنجاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان
سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل
بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج
امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لايقبلون منه فلما
فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك حتى اوحي على لسانك فلما قام اطلق الله لسانه بالوحي
فقال يا سماء استمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان يقص شأن بني اسرائيل الذي رباهم بنعمته
واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لاراعي
لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها
فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر
فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لايدرون انى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه
وان الحمار مما يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وان
هؤلاء القوم لايذكرون من حيث جاءهم الخير وهم اولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير واني
ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خرابا زمانا لاعمران فيها وكان لها رب
حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي اويقال ضيع وهو حكيم
فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان
والنخيل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذا رأي وهمة حفيظا قويا
امينا فلما اطلعت جاء طلعها خروبا فقالوا بئست الارض هذه فترى ان يهدم جدارها وقصرها
ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لاعمران
فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي
وان الغراس هم وان الخروب الذي اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة واني قد قضيت عليهم
قضاءهم على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم
ولا آكله ويدعون ان يتقربوا الي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها وايديهم
مخضوبة منها وثيابهم مترملات بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون اجوافها
وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم
واخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها واي حاجة الى تزويق
المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكروا سبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا
وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء

الذئاب فى كل ذلك لايستجاب لنا قال الله فاسألهم ماالذى يمنعنى ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب للداعى اللين وانما استمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضائى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لوشاؤا ان يأتوا بحديث مثله فعلوا ولوشاؤا ان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء اثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه اجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه اوفى اى زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بمايشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها امضيت فانى مظهره على الدين كله ولوكره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا مايشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التى ادبربها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قدقضيت يوم خلقت السماء والارض ان اجعل النبوة فى الاجراء وان اجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن اعوان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا اميا ليس اعمى من عميان ولاضالا من ضالين وليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق ولامتزين بالفحش ولاقوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبرشعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتى الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف يطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون لى الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى اوتيه من اشاء واناذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشة بن اموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارمياء سمى الخضر لانه

يعامل قيما اى جعله قيما يأمر العباد لينذر (بأسا شديدا) وحذف المفعول الاول للتعميم لان احدا لايخلوا من بأس مؤمنا كان اوكافرا كما قال تعالى انذر الصديقين بأنى غيور وبشر المذنبين بأنى غفور اذا البأس عبارة عن قهره ولذلك عظمه بالتنكير اى بأس يليق بعظمته وعزته ووصفه بالشدة وخصصه بقوله (من لدنه) والقهر قسمان قهر محض ظاهره وباطنه قهر كالمختص بالمحجوبين بالشرك وقسم ظاهره قهر وباطنه لطف وكذا اللطف كما قال امير المؤمنين على عليه السلام سبحان من اشتدت نقمته على اعدائه فى سعة نعمته واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته ومن القسم الثانى القهر المخصوص بالموحدين من اهل الفناء اطلق الانذار للكل تنبيها ثم فصل اللطف والقهر مقيدين بحسب الصفات والاستحقاقات فقال (ويبشر المؤمنين) اى الموحدين لكونهم فى مقابلة المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا (الذين يعملون الصالحات) اى

جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده
ويرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله الى
ارمياء ان ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمى وعرفهم باحداثهم
فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى قال الله تعالى
اولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتى وان القلوب والالسنة بيدى اقلبها كيف شئت انى
معك ولن يصل اليك شئ معى فقام ارمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله عزوجل فى الوقت
خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عزوجل وانى
حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع
من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل
بيافث ويافث من اهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس
بجنوده ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ
كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا
من فى بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين
الف صبى فلما خرجت غنائم جنده واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك
لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسمهم بين الملوك
الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمان وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق ثلثا
اقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بآنية بيت المقدس وبالصبيان السبعين الفا حتى
اقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى انزل الله عزوجل ببنى اسرائيل بظلمهم فذلك قوله
سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد يعنى بختنصر واصحابه
ثم ان بختنصر اقام فى سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيا اصابه فانساه الذى رأى
فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا اخبرنا
بها نخبرك بتاويلها فقال ما اذكرها ولئن لم تخبرونى بها وبتأويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا
من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا
قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه
وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه وقد اعجبك ارسل الله صخرة من السماء
فدقته فهى التى انستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان الين
ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا والفخار اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه
ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وافضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد
ملكك فهو اشد واعز مما قبله والصخرة التى رأيت ارسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من
السماء فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم اهل بابل قالوا لبختنصر ارأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل
الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن
عنا اليهم فاخرجهم من بين اظهرنا او اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن احب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل
فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عزوجل وقالوا يارنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا

الباقيات من الخيرات
والفضائل لان الاجر
الحسن هو من جنة الآثار
والافعال التى تستحق
بالاعمال واعلم ان الانذار
والتبشير اللذين هما من باب
التكميل اللازم لكونه قيما
عليهم كلاهما اثر ونتيجة
عن صفتى القهر واللطف
الالهيين اللذين محل
استعداد قبولهما من نفس
العبد الغضب والشهوة فان
العبد ما استعد لقبولهما
الا بصفتى الغضب والشهوة
وفنائهما كما لم يستعد لفضيلتى
الشجاعة والعفة الا
بوجودهما فلما استفنتا قامتا
مقامهما الان كلا منهما ظل
لواحدة من تينك نزول
بحصولهما فعند ارتواء
القلب منهما وكمال التحاق
بهما حدث عن القهر
الانذار عند استحقاقية
المحل بالكفر والشرك
وعن اللطف التبشير
باستحقاقية الايمان والعمل
الصالح اذ الافاضة لاتكون
الا عند استحقاق المحل
(ان لهم اجرا حسنا ماكثين
فيه ابدا وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا مالهم به من علم
ولا لآبائهم) اى مالهم بهذا
القول من علم بل انما يصدر

فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل
ثم لما اراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن فى يده من بنى اسرائيل ارأيتم هذا البيت
الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وماهذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من
ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب
الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر
وظن انه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرائيل قال فاخبرونى كيف لى ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من
فيها واتخذها لى ملكا فانى قد فرغت من اهل الارض قالوا مايقدر عليها احد من الخلائق قال
لتفعلن اولاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته
بعوضة فدخلت منخره حتى عضت ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على ام
دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى
الله من بقى من بنى اسرائيل فى يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن
ما كانوا عليه ويزعمون ان الله سبحانه وتعالى احيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا
الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين
كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاء
رجل فقال له ياعزير ما يبكيك قال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لا يصلح
ديننا وآخرتنا غيره قال افتحب ان يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك
هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه
فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة فى
صدره فرجع الى بنى اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حبا لم يحبوا حبه شيأ قط ثم
قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث
فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من انبيائهم
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا
عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا
من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم
امر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت
بالهى لئن انا ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم فى وسط عسكرى الا ان
لا اجد احدا اقتله فامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس
فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يابنى اسرائيل
ماشأن هذا الدم يغلى اخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى
ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتمونى فقالوا لو كان كاول
زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان
منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من
غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعة آلاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ

عن جهل مفرط وتقليد
للاباء لا عن علم ويقين ويؤيده
قوله (كبرت كلمة) اى
ما اكبرها كلمة (تخرج من
افواههم) ليس فى قلوبهم
من معناه شئ لانه مستحيل
لا معنى له اذ العلم اليقينى
يشهد ان الوجود الواجبى
العلى احدى الذات لا يماثله
الوجود الممكن المعلول
والولد هو المماثل لوالده
فى النوع المكافئ له فى القوة
والشهود الذاتى يحكم بفناء
الخلق فى الحق والمعلول
فى المشهود فلم يكن ثم سواه
شئ غيره فضلا عن الشبيه
والولد كما قال احدهم هذا
الوجود وان تكثر ظاهرا
. وحياتكم ما فيه الا انتم
(ان يقولون الا كذبا)
لتطابق الدليل العقلى
والوجدان الذوقى الشهودى
على احالته (فلعلك باخع)
اى مهلك (نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا) من شدة
الوجد والاسف على توليهم
واعراضهم وذلك لان
الشفقة على خلق الله والرحمة
عليهم من لوازم محبة الله
وتابعه ولما كان صلى الله
عليه وسلم حبيب الله ومن
لوازم محبوبيته محبته الله

لقوله يحبهم ويحبونه وكلما كانت محبته للحق اقوى كانت شفقته ورحمته على خلقه اكثر لكون الشفقة عليهم ظل محبته لله اشتد تعطفه عليهم فانهم كاولاده واقاربه بل كاعضائه وجوارحه فى الشهود الحقيقى فلذلك بالغ فى التأسف عليهم حتى كاد يهلك نفسه وايضا علم ان المحب اذا تقوى بالمحبوب فى استمرار الوصل ظهر قبوله فى القلوب لمحبة الله اياه فلما لم يؤمنوا بالقرآن استشعر ببقية من نفسه وتوجس بنقصان حاله فعلاه الوجد وعزم على قهر النفس بالكلية طلبا للغاية وكان ذلك من فرط شفقته عليهم وكمال ادبه مع الله حيث احال عدم ايمانهم على ضعف حاله لا على عدم استعدادهم ولذلك سلاه بقوله (انا جعلنا ما على الارض) اى لا تحزن عليهم فانه لا عليك ان يهلكوا جميعا انا نخرج جميع الاسباب من العدم الى الوجود للابتلاء ثم نفنيها ولا حيف ولا نقص اوانا جعلنا ما على ارض البدن من النفس ولذاتها وشهواتها وقوى صفاتها وادراكاتها ودواعيها

فلما رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدا قال لهم يا بنى اسرائيل ويلكم اصدقونى واصبروا على امر ربكم فقد طالما ملكتم فى الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر ولا انثى الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كنا ارشدنا وكان يخبرنا عن امركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك ومن قتل منهم فاهدا باذن ربك قبل ان لا ابقى من قومك احدا الا قتلته فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وايقنت انه لا رب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش امرنى ان اقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لا استطيع ان اعصيه قالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا ان ما فى الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بنى اسرائيل اوكاد ان يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى انزل الله ببنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشأم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا واحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا فى امة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلى وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا اعطاها ما سألت سألت رأس يحيى بن زكريا وان يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لا افعل حتى تعطينى ما اسألك قال فما تسألينى قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا تحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلى فأمر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى سكن دمه * قوله عز وجل (عسى ربكم ان يرحمكم) يعنى يا بنى

اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) اى الى المعصية (عدنا) اى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) اى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش * قوله تعالى (ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم) اى الى الطريقة التى هى اصوب وقيل الى الكلمة التى هى اعدل وهى شهادة ان لااله الاالله (ويبشر) يعنى القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) يعنى الجنة (وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنالهم عذابا اليما) يعنى النار فى الآخرة (ويدع الانسان) اى على نفسه وولده وماله (بالشر) يعنى قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) اى كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاه على نفسه لهلك ولكن الله لايستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) اى بالدعاء على مايكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لاصبر له على سراء ولاضراء * قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) اى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الآية قولان احدهما ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين اما فى الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما فى الدنيا فلأن مصالح العباد لاتتم الابها ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى ان يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لايستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) اى تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو اثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) اى لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) اى باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) اى ماتحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولاوقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار (وكل شئ فصلناه تفصيلا) يعنى وكل شئ تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر احوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على اهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا * قوله عز وجل (وكل انسان الزمناه طائره

(زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) لينظر ايهم اقهر لنا واعصى لهواها فى رضاى واقدر على مخالفتها لموافقتى (وانا لجاعلون) بتجلينا وتجلى صفاتنا (ماعليها) من صفاتها هامدة كارض ملساء لانبات فيها اى نفنيها وصفاتها بالموت الحقيقى او بالموت الطبيعى ولانبالى بلأ (صعيدا جرزا . ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) اى اذا شاهدت هذا الانشاء والافناء فليس حال اصحاب الكهف آية عجيبة من آياتنا بل هذه اعجب واعلم ان اصحاب الكهف هم السبعة الكمل القائمون بامر الحق دائما الذين يقوم بهم العالم ولا يخلو عنهم الزمان على عدد الكواكب السبعة السيارة وطبقها فكما سخرها الله تعالى فى تدبير نظام عالم الصورة كما اشار اليه بقوله فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا على بعض التفاسير وكل نظام عالم المعنى وتكميل نظام الصورة الى سبعة انفس من السابقين كل ينتسب بحسب الوجود الصورى الى واحد منهم

فى عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لايفارقه حتى يحاسب به وقيل مامن مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى اوسعيد وقيل اراد بالطائر ماقضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة اوشقاوة وقيل هو من قولك طارله سهم اذا خرج يعنى الزمناه ماطارله من عمله لزوم القلادة او الغل لاينفك عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك اى قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين اويشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة او الحلى فى العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل فى عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيآته فاذامات طويت الصحيفتان وجعلتا معه فى عنقه فلاينشر ان الى يوم القيامة (اقرا كتابك) اى يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى احاسب نفسى فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولايتعدى منه الى غيره * وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) اى لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الآثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ماوجب انما وجب بالسمع لا بالعقل * قوله سبحانه وتعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) فى معنى الآية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى يامرهم فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثانى امرنا مترفيها اى كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى امرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى ابطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) اى خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) اى وجب عليها العقاب (فدمرناها تدميرا) اى اهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قداقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب قلت يارسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اى الشر * قوله تعالى (وكم اهلكنا من القرون) اى المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف

الله

والقطب هو المنتسب الى الشمس والكهف هو باطن البدن والرقيم ظاهره الذى انتقش بصور الحواس والاعضاء ان فسر باللوح الذى رقمت فيه اسماؤهم والعالم الجسمانى ان جعل اسم الوادى الذى فيه الجبل والكهف والنفس الحيوانية ان جعل اسم الكلب والعالم العلوى ان جعل اسم قريتهم على اختلاف الاقوال فى التفاسير ومنهم الانبياء السبعة المشهورون المبعوثون بحسب القرون والادوار وان كان كل نبى منهم على ذكر وهم آدم وادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لانه السابع المخصوص بمعجزة انشقاق القمر اى انفلاقه عنه لظهوره فى دورة ختم النبوة وكمل به الدين الالهىّ كما اشار اليه بقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض اذ المتأخر بالزمان والظهور اى الوجود الحسى هو الحائز لصفات الكل وكالاتهم كالانسان بالنسبة الى سائر الحيوانات ولهذا قال كان بنيان النبوة قدتم وبقى منه

الله بذلك كفار قريش قال عبدالله بن ابى اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اول قرن ويزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعنى انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شئ من احوال الخلق * وقوله عزوجل (من كان يريد العاجلة) اى الدار العاجلة يعنى الدنيا (عجلناله فيها ما نشاء) اى من البسط او التقتير (لمن نريد) ان نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل فى معنى الآية عجلناله فيها ما نشاء لمن نريد اى القدر الذى نشاء نعجله له فى الدنيا لا الذى يشاء هو ولمن نريد ان نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لايدرك منها الاماقدرله (ثم جعلناله) اى فى الآخرة (جهنم يصلاها) اى يدخلها (مذموما مدحورا) اى مطرودا مباعدا * قوله سبحانه وتعالى (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) اى عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) اى مقبولا قيل فى الآية ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجا فى عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * قوله عزوجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء) اى نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعنى يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما فى المآل (وماكان عطاء ربك محظورا) اى ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء فى الدنيا اذلاحظ للكافر فى الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) اى فى الرزق والعمل يعنى طالب العاجل وطالب الآخرة (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) يعنى ان تفاضل الخلق فى درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم فى درجات منافع الآخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته فى طلب الدنيا فلان تقوى وتشتد رغبته فى طلب الآخرة اولى لانها دار المقامة * قوله تعالى (لاتجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها آخر وهذا اولى (فتقعد مذموما) اى من غير حد (مخذولا) اى بغير ناصر * قوله سبحانه (وقضى ربك) اى وامر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه واوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهى قراءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولاشك انه طعن عظيم فى الدين (الاتعبدوا الا اياه) فيه وجوب

موضع لبنة واحدة فكنت انا تلك اللبنة وقد اتفق الحكماء المتألهة من قدماء الفرس ان مراتب العقول والارواح على مذهبهم فى التنازل تتضاعف اشراقاتها فكل ما تأخر فى الرتبة كان حظه من اشراقات الحق وانواره وسبحات اشعة وجهه واشراقات انوار الوسايط اوفر وازيد فكذا فى الزمان فهو الجامع الحاصر لصفات الكل وكمالاتهم الحاوى لخواصهم ومعانيهم مع كماله الخاص به اللازم للهيئة الاجتماعية كما قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن هذا ظهر تقدمه عليهم بالشرف والفضيلة ومن جهة ان ابراهيم عليه السلام كان مظهر التوحيد الاعظمى الذاتى وكان هو الوسط فى الترتيب الزمانى بمنزلة الشمس فى الرتبة كان قطب النبوة ولزمهم كلهم اتباعه وان لم يظهر فى المتقدمين عليه بالزمان كارتباط الكواكب الستة فى سيرها بها ولكن لا كالقمر فتبعه بالحقيقة محمد صلى الله عليه وسلم واعلم ان الارواح فى عالمها مراتب متعينة

عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية
التعظيم ونهاية التعظيم لاتليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق
للعبادة لاغيره (وبالوالدين احسانا) اى وامر بالوالدين احسانا اى برا بهما وعطفا عليهما واحسانا
اليهما (اما يبلغن عندك الكبر احدهما اوكلاهما) معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف
والعجز فيصيران عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى اول العمر * واعلم ان الله
سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان فى حق الوالدين خمسة اشياء * الاول
قوله تعالى (فلا تقل لهما اف) وهى كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة
انه اذا سقط عليك تراب اورماد ونفخت فيه تزيله تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه
الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم * والثانى قوله (ولا تنهرهما) اى تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لايعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التأفيف ابلغ من المنع من الانتهار
فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير
والمراد من قوله ولاتنهرهما المنع من اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليهما * الثالث
قوله (وقل لهما قولا كريما) اى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو
يا اماه يا ابتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو ان تقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ
الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) اى الن لهما جانبك واخفضه
لهما حتى لا تمتنع عن شئ احباه (من الرحمة) اى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما
اليوم اليك كما كنت فى حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس * قوله سبحانه وتعالى
(وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) اى وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية واراد به
اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ فى حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان
للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن
يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل فى معنى هذه الآية ان الله سبحانه
وتعالى بالغ فى الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم
ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم
ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

﴿ فصل ﴾ فى ذكر الاحاديث التى وردت فى بر الوالدين (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال امك
ثم اباك ثم ادناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه
رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة
(م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولد والده الا ان يجده مملوكا
فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال احىّ والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين اخرجه
الترمذى مرفوعا وموقوفا قال وهو اصح عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله

وصفوف مرتبة واستعدادات
متفاوتة متهيئة فى الازل
بمحض العناية الاولى
والفيض الاقدس فاهل
الصف الاول هم السابقون
المفردون المقربون المحبوبون
المخصوصون بفضل عنايته
وسابقة كرامته المتعارفون
بنوره المتحابون فيه
والباقون يتباينون
فى الدرجات وبحسب تقاربها
وتباعدها يتعارفون
ويتناكرون فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها
اختلف الى آخر الصفوف
فلها مراكز ثابتة واصول
راسخة فى العالم العلوى
وعند التعلق بالابدان
تتفاوت درجات كمالاتها
وغاية سعاداتها بحسب مالها
من الاستعداد الاول
المخصوص بكل منها
من مباديها فى الازل كما قال
عليه الصلاة والسلام
الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة حتى انتهت
الدرجات فى العلو الى الفناء
فى التوحيد الذاتى فبهذا
الاعتبار يكون محمد عليه
السلام عين آدم بل عين
السبعة وكذا باعتبار كونه
جامعا لصفاتهم كما قيل انه
سئل ابو يزيد رحمة الله عليه

عليه

عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب اواحفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبدالله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم اى قال برالوالدين قلت ثم اى قال الجهاد فى سبيل الله تعالى ❁ قوله سبحانه وتعالى (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) اى من برالوالدين واعتقاد مايجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) اى ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصيركان منكم فى القيام بمالزمكم من حق الوالدين اوغيرهما اوقيل فرط منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر ومالايخلو منه البشر ممايؤدى الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير فى هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه لايريد بذلك الاالخير فانه لايؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم لذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ماروى عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذارمضت الفصال اخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وان تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهى اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين ❁ قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قال الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم امره الله سبحانه وتعالى ان يؤتى اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد برالوالدين بالقرابة ان يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب ابى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده اوولد على والديه فحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولاتبذر تبذيرا) اى لاتنفق مالك فى المعصية وقيل لوانفق الانسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولوانفق درهما اومدا فى باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وقيل هو انفاق المال فى العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى اولياءهم واصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم فى الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) اى جحود النعمة فما ينبغى ان يطاع لانه يدعو الى مثل عمله ❁ قوله عزوجل (واماتعرضن عنهم) نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسالون النبى

انت من السبعة فقال انا السبعة وباعتبار علو مرتبته ومكانته وسبقه فى القدم وارتفاع درجة كماله وفضيلته كان اقدمهم واولهم وافضلهم كما قال اوّل ماخلق الله نورى وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين فهو مقدم عليهم بالرتبة والعلية والشرف والفضيلة متأخر عنهم بالزمان وهو عينهم باعتبار السر والوحدة الذاتية فالحاصل ان اختلافهم وتباينهم روحا وقلبا ونفسا لاينافى اتحادهم فى الحقيقة وكذا افتراقهم بالازمنة لاينافى معيتهم فى الازل والابد وعين الجمع كما قال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض مع قوله لانفرق بين احد منهم ويجوز ان يكون المراد بأصحاب الكهف روحانيات الانسان التى تبقى بعد خراب البدن وقول من قال ثلاثة اشارة الى الروح والعقل والقلب والكلب هى النفس الملازمة لباب الكهف ومن قال خمسة اشارة الى الروح والقلب والعقل النظرى والعقل العملىّ والقوة القدسية للانبياء التى هى الفكر لغيرهم

صلى الله عليه وسلم فى الاحايين مايحتاجون اليه ولايجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرت ان تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اى انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) اى لينا جيلا اى عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان يقول رزقنا الله واياكم من فضله ❁ قوله سبحانه وتعالى (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر اتى صبى فقال يارسول الله ان امى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاقميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا بعد الينا وقتا آخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فأذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك اى لاتمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير كالمغلولة يده لايقدر على مدها (ولاتبسطها) اى بالعطاء (كل البسط) اى فتعطى جميع ماعندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) اى عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك واصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم (محسورا) اى منقطعا لاشئ عندك تنفقه وقيل محسورا اى نادما على مافرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولالبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) اى يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده ومايصلحهم فالتفاوت فى ارزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد ❁ قوله عز وجل (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق) اى فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة اويخافون عليهم من النهب والغارات او ان ينكحوهن لغيرا كفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اى اثما كبيرا (ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة) اى قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) اى بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلايعرف الرجل ولد من هو ولايقوم احد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم ❁ قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية فقال الا بالحق اى الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل دم امرئ

ومن قال سبعة فلك الخمسة مع السر والخفاء والله اعلم (اذ اوى الفتية الى الكهف) اى كهف البدن بالتعلق به (فقالوا) بلسان الحال (ربنا آتنا من لدنك) اى من خزائن رحمتك التى هى اسماؤك الحسنى (رحمة) كما لايناسب استعدادنا ويقتضيه (وهيئ لنا من امرنا) الذى نحن فيه من مفارقة العالم العلوى والهبوط الى العالم السفلى للاستكمال (رشدا) استقامة اليك فى سلوك طريقك والتوجه الى جنابك اى طلبوا بالاتصال البدنى والتعلق بالآيات الكمال واسبابه الكمال العلمى والعملى (فضربنا على آذانهم فى الكهف) اى انمناهم نومة الغفلة عن عالمهم وكالهم نومة ثقيلة لاينبههم صفير الخفير ولا دعوة الداعى الخبير . فى كهف البدن (سنين عددا) ذوات عدد اى كثيرة اومعدودة اى قليلة هى مدة انغماسهم فى تدبير البدن وانغمارهم فى بحر الطبيعة مشتغلين بها غافلين عما وراءها من عالمهم الى اوان بلوغ الاشد الحقيقى والموت الارادى اوالطبيعى

مسلم

مسلم يشهد ان لااله الاالله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجاه فى الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) اى قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف فى القتل) اى الولى قال ابن عباس لايقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لايرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقربائه وقيل معناه انه لايمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى انه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه او الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل اراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور من قبلى عليه باستيفاء القصاص منه * قوله سبحانه وتعالى (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) اى بالطريقة التى هى احسن وهى تنميته وحفظه عليه (حتى يبلغ اشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر (واوفوا بالعهد) اى الاتيان بما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل اراد بالعهد مايلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلا) اى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيم قتلت * قوله عز وجل (واوفوا الكيل اذا كلتم) المراد منه اتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان اوكبيرا من ميزان الدراهم الى ماهو اكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والاصح انه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل اى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعيا فى ابقاء الاموال على اربابها (ذلك خير واحسن تأويلا) اى احسن عاقبة من آل اذا رجع وهو مايؤل اليه امره * قوله سبحانه وتعالى (ولاتقف) اى ولاتتبع (ماليس لك به علم) اى لاتقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لاترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لاتتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كانه يقفو الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد انه لايتكلم فى احد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى اولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يانبى الله علمنى تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب قوله وشر منيى يعنى ماءه وذكره

كما قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (ثم بعثناهم) اى نبهناهم عن نوم الغفلة بقيامهم عن مرقد البدن ومعرفتهم بالله وبنفوسهم المجردة (لنعلم) اى ليظهر علمنا فى مظاهرهم اومظاهر غيرهم من سائر الناس (اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق) المختلفين فى مدة لبثهم وضبط غايته الذين يعينون المدة ام يكلون علمه الى الله فان الناس مختلفون فى زمان الغيبة يقول بعضهم يخرج احدهم على رأس كل الف سنة وهو يوم عند الله لقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ويقول بعضهم على رأس كل سبعمائة عام او على رأس كل مائة وهو بعض يوم كما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والمحققون المصيبون هم الذين يكلون علمه الى الله كالذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ولهذا لم يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ظهور المهدى عليه السلام وقال كذب الوقاتون (انهم فتية آمنوا بربهم) ايمانا يقينا علميا على طريق الاستدلال او المكاشفة (وزدناهم

❁ قوله عز وجل (ولا تمش فى الارض مرحا) اى بطرا وكبرا وخيلاء (انك لن تخرق الارض) اى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) اى لاتقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لاينال بكبره وبطره شيأ كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لايحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذى فى الشمائل قوله تكفؤا التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ اى كانه ينحدر من موضع عال عن ابى هريرة قال مارأيت شيأ احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه ومارأيت احدا اسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذى قوله لغير مكترث اى شاق والاكتراث الامر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) اى ماذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة اى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر ❁ قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ماتقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الآيات (مما اوحى اليك ربك من الحكمة) اى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لاتقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى الواح موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يحب ان يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه ان يذكر له ان الفعل الذى اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذى لاناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ❁ قوله سبحانه وتعالى (افأصفاكم ربكم) يعنى افخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ماليس بصفوة (بالبنين) يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لانهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى

خاصة

ندى) اى هداية موصلة الى عين اليقين ومقام المشاهدة بالتوفيق (وربطنا على قلوبهم) قويناها بالصبر على المجاهدة وشجعناهم على محاربة الشيطان ومخالفة النفس وهجر المألوفات الجسمانية واللذات الحسية والقيام بكلمة التوحيد ونفى الهية الهوى وترك عبادة صنم الجسم بين يدى جبار النفس الامارة من غير مبالاة بها حين عاتبتهم على ترك عبادة اله الهوى وصنم البدن واوعدتهم بالفقر والهلاك اذ النفس داعية الى عبادته وموافقته وتهيئة اسباب حظوظه مخيفة للقلب من الخوف والموت او جسرناهم على القيام بكلمة التوحيد واظهار الدين القويم والدعوة الى الحق عند كل جبار هو دقيانوس وقته كنمروذ و فرعون وابى جهل واضرابهم ممن دان بدينهم واستولى عليه النفس الامارة فعبد الهوى او ادعى لطغيانه وتمرد انانيته وعدوانه الربوبية من غير مبالاة عند معاتبته اياهم على ترك عبادة الصنم المجعول كما هو عادة بعضهم

خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه انفسهم حيث يجعلون له مايكرهون لانفسهم يعني البنات
* قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والامثال والاحكام
والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير (ليذكروا) اى ليتعظوا ويعتبروا
(ومايزيدهم) اى تصريفنا وتذكيرنا (الانفورا) اى تباعدا عن الحق (قل) اى قل يامحمد
لهؤلاء المشركين (لوكان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) اى لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة (الى
ذى العرش سبيلا) اى بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل
معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا مايقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه
فقال عزوجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة
والبعد عما يصفونه به * قوله عزوجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) يعني
الملائكة والانس والجن (وان من شئ الايسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شئ حى الايسبح
بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لاتسبح وقيل ان التراب
يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت
التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح ما دام
جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش
والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وقيل وان من شئ جماد اوحى الايسبح
بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا كان اوجمادا وتسبيحها
سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة
وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة
من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك
والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل اخرجه البخارى (م) عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت وانى لاعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح
يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشئ ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم
وانه يسبح وقال بعض اهل المعانى تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى
العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك ويصير لها
بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لمادلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله
تعالى علما في الجمادات لايقف عليه غيره فينبغى ان نكل علمه اليه * وقوله تعالى (ولكن لاتفقهون
تسبيحهم) اى لاتعلمون ولاتفهمون تسبيحهم ماعدا من يسبح بلغتكم ولسانكم (انه كان حليما
غفورا) اى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح * قوله عزوجل (واذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) اى يحجب قلوبهم عن
فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن اعين الناس فلايرونه كما روى عن سعيد بن جبير انه
قال لما نزلت تبت يدا ابى لهب جاءت امرأة ابى لهب ومعها حجر والنبى صلى الله عليه وسلم مع ابى

اوصنم نفسه كما قال فرعون
اللعين ماعلمت لكم من اله
غيرى وانا ربكم الاعلى
(اذقاموا فقالوا ربنا رب
السموات والارض لن
ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة)
اشارة الى النفس الامارة
وقواها لان لكل قوم الها
تعبده وهو مطلوبها ومرادها
والنفس تعبد الهوى كقوله
افرأيت من اتخذ الهه هواه
اوالى اهل زمان كل
من خرج منهم داعيا
الى الله اذ كل من عكف على
شئ بهواه فقد عبده (لولا
يأتون عليهم) اى على
عبادتهم والهيتهم وتأثيرهم
ووجودهم (بسلطان بين)
اى حجة بينة دليل على فساد
التقليد وتبكيت بان اقامة
الحجة على الهية غير الله
وتأثيره ووجوده محال كما
قال ان هى الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ماانزل الله بها
من سلطان اى اسماء بلا
مسميات لكونها ليست بشئ
(فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا واذ اعتزلتموهم) اى
فارقتم نفوسكم وقواها
بالتجرد (ومايعبدون الا الله)
من مراداتها واهوائها

بكر فلم تره فقالت لابى بكر ان صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال لها ابو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال ابو بكر ما رأتك يارسول الله قال لا لم يزل ملك بينى وبينها (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اى اغطية (ان يفقهوه) اى لئلا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) اى ثقلا لئلا يسمعوه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يعنى اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلوا القرآن (ولوا على ادبارهم نفورا) جمع نافر (نحن اعلم بما يستمعون به) اى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو التكذيب (اذ يستمعون اليك) اى وانت تقرأ القرآن (واذهم نجوى) اى بما يتناجون به فى امرك وقيل معناه ذو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر اوشاعر (اذ يقول الظالمون) يعنى الوليد بن المغيرة واصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) اى مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

ارانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

اى نغذى بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) اى فى جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) اى الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) اى بعد الموت (ورفاتا) اى ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) اى قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) اى فى الشدة (اوحديدا) اى فى القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر تعجيز اى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة او حديد فى القوة (او خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السماء والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات وقيل يعنى به الموت لانه لا شئ فى نفس ابن آدم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) اى من يبعثنا بعد الموت (قل الذى فطركم) اى خلقكم (اول مرة) فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤسهم) اى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعنى البعث والقيامة (قل عسى ان يكون قريبا) اى هو قريب (يوم يدعوكم) اى من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) اى فى الدنيا وقيل فى القبور (الا قليلا) وذلك لان الانسان لو مكث فى الدنيا وفى القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى احسن اى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان

(فأووا الى الكهف) الى البدن لاستعمال الآلات البدنية فى الاستكمال بالعلوم والاعمال واخزلوا فيه منكسرين مرتاضين كأنهم ميتون بترك الحركات النفسانية والنزوات البهيمية والسطوات السبعية اى موتوا موتا اراديا (ينشر لكم ربكم من رحمته) حياة حقيقية بالعلم والمعرفة (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) كما لا ينتفع به بظهور الفضائل وطلوع انوار التجليات فتلتذون بالمشاهدات وتتمتعون بالكمالات كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وقال عليه السلام فى ابى بكر رضى الله عنه من اراد ان ينظر ميتا يمشى على وجه الارض فلينظر ابا بكر اى ميتا عن نفسه يمشى بالله او واذ اعتزلتموهم قومكم ومعبوداتهم غير الله من مطالبهم المختلفة ومقاصدهم المتشتتة واهوائهم المتفننة واصنامهم المتخذة فأووا الى كهوف ابدانكم وانقطعوا عن فضول الحركات والخروج فى آثار الشهوات واعكفوا على الرياضات

الشيطان ينزغ بينهم) اى يفسد و يلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة * قوله عز وجل (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم) اى يوفقكم للايمان فتؤمنوا (او ان يشأ يعذبكم) اى يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجكم من اهل مكة او ان يشأ يعذبكم اى يسلطهم عليكم (وما ارسلناك عليهم وكيلا) اى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) يعنى ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم مايليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم واديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لاينبغى لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب انزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا احكام فان قلت لم خص داود فى هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء قلت فيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور فى هذه الآية والمراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان لانبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) اى الجوع والقحط (ولا تحويلا) اى الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (اولئك الذين يدعون) اى الذين يدعونهم المشركون آلهة (يبتغون الى ربهم الوسيلة) اى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل هذه الآية وقوله تعالى (ايهم اقرب) معناه ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) اى جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون

ينشر لكم ربكم من رحمته زيادة كمال وتقوية ونصرة بالامداد الملكوتية والتاييدات القدسية فيغلبكم عليهم ويهيئ لكم دينا وطريقا ينتفع به وقبولا يهتدى بكم الخلائق ناحين وفى الاوى الى الكهف عند مفارقتهم سر آخر يفهم من دخول المهدى فى الغار اذا خرج ونزل عيسى والله اعلم وفى نشر الرحمة وتهيئة المرفق من امرهم عند الاوى الى الكهف اشارة الى ان الرحمة الكامنة فى استعدادهم انما تنشر بالتعلق البدنى والكمال بتهيآته (وترى الشمس) اى شمس الروح (اذا طلعت) اى ترقت بالتجرد عن غواشى الجسم وظهرت من افقه تميل بهم من جهة البدن وميله ومحبته الى جهة اليمين اى جانب عالم القدس وطريق اعمال البر من الخيرات والفضائل والحسنات والطاعات وسيرة الابرار فان الابرار هم اصحاب اليمين (تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) اى هوت فى الجسم واحتجبت به واختفت فى

ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) اى حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق * قوله سبحانه وتعالى (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) اى بالموت والخراب (او معذبوها عذابا شديدا) اى بالقتل وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين الامانة وفي حق الكفار العذاب قال عبدالله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) اى في اللوح المحفوظ (مسطورا) اى مكتوبا ثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وماهو كائن الى يوم القيامة الى الابد اخرجه الترمذي قوله سبحانه وتعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) قال ابن عباس سأل اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وان ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان استأني بهم فعلت وان شئت ان اوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابل تستأني بهم فانزل الله عزوجل وما منعنا ان نرسل بالآيات اى التي سالها كفار قومك الا ان كذب بها الاولون اى فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات اهلكناهم لان من سنتنا في الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) اى بينة وذلك لان آثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) اى جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (ومانرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) اى ومانرسل بالآيات الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه ومانرسل بالآيات يعني العبر والدلالات الا تخويفا اى انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون * قوله عزوجل (واذ قلنا لك) اى واذكر يامحمد اذ قلنا لك (ان ربك احاط بالناس) اى ان قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لايقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لايقدرون على امر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلاتهبهم وامض لما امرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وماجعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس) الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها ماراى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة اسرى به الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس انكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين

ظلماته وغواشيه وحجب نورها تقطعهم وتفارقهم كائنين في جهة الشمال اى جانب النفس وطريق اعمال السوء فينهمكون في المعاصي والسيئات والشرور والرذائل وسيرة الفجار الذين هم اصحاب الشمال (وهم في فجوة منه) اى في مجال متسع منهم هو مقام النفس والطبيعة فان فيه متفسحا لايصيبهم فيه نور الروح واعلم ان الوجه الذي يلي الروح من القلب موضع منور بنور الروح يسمى العقل وهو الباعث على الخير والمطرق لالهام الملك والوجه الذي يلي النفس منه مظلم بظلمة صفاتها يسمى الصدر وهو محل وسوسة الشيطان كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فاذا تحرك الروح واقبل القلب بوجهه اليه تنور وتقوى بالقوة العقلية الباعثة المشوقة الى الكمال ومال الى الخير والطاعة واذا تحركت النفس واقبل القلب بوجهه اليها تكدر واحتجب عن نور الروح واظلم العقل ومال الى الشر والمعصية وفي هاتين الحالتين

في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل اراد بهذه الرؤيا ما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فجعل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون
فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضها ثم دخل
مكة في العام المقبل وانزل الله عزوجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى في المنام ان ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان
الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان
الواقعتان كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه لايبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم راى
ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الزقوم
التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة
فيها ان اباجهل قال ان ابن ابي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة
ثم يزعم انه تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبدالله بن الزبعرى قال
ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال ابوجهل ياجارية تعالى فزقمينا
فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فان هذا مايخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين
عجبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم
في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن
وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من
الرحمة وهي في اصل جهنم في ابعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة
الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجر والشوك فيجففه (ونخوفهم فما يزيدهم) اى
التخويف (الا طغيانا كبيرا) اى تمردا وعتوا عظيما * قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) اى من طين وذلك
ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق
من الملح فهو شقي (قال) يعني ابليس (ارايتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني (هذا
الذي كرمت علي) اى فضلته علي (لئن اخرتني) اى امهلتني (الى يوم القيامة لاحتنكن
ذريته) اى لاستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم
بالاغواء (الا قليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) اى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي
هو ضد المجيء (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) اى جزاؤك وجزاء اتباعك (جزاء موفورا)
اى مكملا قوله سبحانه وتعالى (واستفزز) اى استخف واستزل واستجهل وازعج (من
استطعت منهم) اى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله
وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو
واللعب (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) اى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثثهم على
الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال انه له خيلا ورجلا من الجن
والانس فكل من قاتل او مشى في معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل

تطرق الملك للالهام
والشيطان للوسواس
وخلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا وفي الآية لطيفة هي
انه استعمل في الميل الى
الخير الازرار عن الكهف
وفي الميل الى الشر قرضهم
اى قطعهم وذلك ان الروح
يوافق القلب في طريق الخير
ويأمره ويوافقه معرضا
عن جانب البدن وموافقاته
ولا يوافقه في طريق الشر
بل يقطعه ويفارقه وهو
منغمس في ظلمات النفس
وصفاتها الحاجبة اياه
عن النور وهو اشارة الى
تلوينهم في السلوك فان
السالك مالم يصل الى مقام
التمكين وبقي في التلوين قد
تظهر عليه النفس وصفاته
فيحتجب عن نور الروح
ثم يرجع ذلك اى طلوع
نور الروح واختفاؤه من
آيات الله التي يستدل بها
ويتوصل منها اليه والى
هدايته (ذلك من آيات الله
من يهد الله) بايصاله الى مقام
المشاهدة والتمكين فيها
(فهو المهتد) بالحقيقة لاغير
(ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا) يحجبه عن نور روحه
فلا هادي له ولا مرشد
او من يهد الله اليهم الى حالهم

كما تقول للرجل الجد فى الامر جئتنا بخيلك ورجلك ﴿ وشاركهم فى الاموال والاولاد ﴾ اما المشاركة فى الاموال فكل مال اصيب من حرام او انفق فى حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام واما المشاركة فى الاولاد فروى عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هى تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان رغبوا اولادهم فى الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امرأته وانزل فى فرجها كما ينزل الرجل وروى فى بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شاركهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفى فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن ﴿ وعدهم ﴾ اى منهم الجميل فى طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلابد ان يقرر اولا انه لا مضرة فى فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عنده المدعو انه لا مضرة البتة فى هذه المعاصى واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان فى الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم اى شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل وبالجملة كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ اى يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو ازجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء ويعقبها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ يعنى بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ اى حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما امكن ابليس ان يأتى بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف فى قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اى فالله سبحانه وتعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفى بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب اخرجتنى من الجنة لاجل آدم فسلطنى عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدنى قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتى وانى لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدنى قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدنى قال التوبة معروضة ما دام الروح فى الجسد قال رب زدنى فقال يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفى الخبر ان ابليس قال يارب بعثت انبياء وانزلت

كتبا فاقراءتى قال الشعر قال فاكتابتى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنه قال اى شئ مطعمى قال مالم يذكر عليه اسمى قال فاشرابى قال كل مسكر قال واين مسكنى قال الحمامات قال واين مجلسى قال فى الاسواق قال وما حبائلى قال النساء قال وما اذانى قال المزمار ❊ قوله سبحانه وتعالى (ربكم الذى يزجى) اى يسوق ويجرى (لكم الفلك) اى السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) اى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها (انه كان بكم رحيما) اى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (واذا مسكم الضر فى البحر) اى الشدة وخوف الغرق فى البحر (ضل من تدعون) اى ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها (الا اياه) او الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) اى اجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم (الى البر اعرضتم) اى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) اى جحودا (افامنتم) اى بعد انجائكم (ان نخسف بكم جانب البر) اى نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته براكان او بحرا بل ان كان الغرق فى البحر ففى جانب البر ماهو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء (او نرسل عليكم حاصبا) اى نمطر عليكم حجارة من السماء كما امطرناها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) اى مانعا وناصرا (ام امنتم ان نعيدكم فيه) اى فى البحر (تارة) اى مرة (اخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس اى عاصفا وهى الريح الشديدة وقيل هى الريح التى تقصف كل شئ من شجر وغيره (فنغرقكم بما كفرتم) اى بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجيناكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى انا نفعل مانفعل بكم ثم لا تجدون لكم احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا ❊ قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) قال ابن عبـاس هو انهم يأكلون بالايدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع مافى الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير امة اخرجت للناس (وحملناهم فى البر) اى على الابل والخيل والبغل والحمير (والبحر) اى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخرلهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم (ورزقناهم من الطيبات) يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم ممالا يخفى وقيل ان جميع الاغذية امانباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم ان الله تعالى قال فى اول الآية ولقد كرمنا بنى آدم فى آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى

اولو ليت منهم للاسرار عنهم وعن معاداة الانهم لميلات الى اللذات الحسية والامور الطبيعية (ولملئت منهم رعبا) من احوالهم ورياضاتهم اولو اطلعت عليهم بعد الوصول الى الكمال وعلى اسرارهم ووقفت مالهم فى الوحدة لاعرضت عنهم وفررت من احوالهم وملئت منهم رعبا لما البسهم الله من عظمة كبريائه وان الحدث من العدم وان اسع الوجود المطلق (وكذلك بعثناهم) اى مثل ذلك البعث الحقيقى والاحياء المعنوى بعثناهم (ليتساءلوا بينهم) اى ليتباحثوا عن المعانى المودعة فى استعدادهم الحاصلة المكمونة فى ذواتهم فيعملوا ابرازها واخراجها الى الفعل وهو اول الابتداء الذى تسمه المعهود بالحقيقة (قال قائل منهم كم لبثتم) من أولياء والمحققون منهم هم الذين (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) هذا هو زمان استبصارهم واستعدادهم واستكمالهم والوقف هو ما نفعهم من العلوم الاولية

هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على ان فضل بني آدم على كثير من خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قال الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو الاولى والراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة افضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده * قوله عز وجل (يوم ندعوا كل اناس بامامهم) اى بنبيهم وقيل بكتابهم الذي انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلال وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنا (فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم) فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرؤنه ايضا قلت الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة واصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه احسن قراءة وابينها (ولا يظلمون فتيلا) اى ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شئ (ومن كان في هذه اعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى اى عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) اى التي لم تعاين ولم تر (اعمى واضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة اعمى اى اشد عمى واضل سبيلا اى اخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة اعمى لانه في الدنيا تقبل توبته وهو في الآخرة لا تقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك) قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدثت نفسه ما على ان افعل ذلك والله يعلم اني لها كاره بعد ان يدعوني استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدثت نفسه فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث

التي لا تحتاج الى كسب اذ بها تستفاد الحقائق الذهنية من العلوم الحقيقية والمعارف الالهية والمدينة محل الاجتماع اذ لابد من الصحبة والتربية او مدينة العلم من قوله عليه السلام انا مدينة العلم وعلي بابها وانما بعثوا احدهم لان كمال الكل غير موقوف على التعليم والتعلم بل الكمال الاشرف هو العامي فيكفي تعلم البعض عن كل فرقة وتنبيه الباقين كما قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم (فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه) اى اي اهلها اطيب وافضل علما وانقى من الفضول واللغو والظواهر كعلم الخلاف والجدل والنحو وامثالها التي لا تتقوى ولا تكمل بها النفس كقوله لا يسمن ولا يغني من جوع اذ العلم غذاء القلب كالطعام للبدن وهو الرزق الحقيقي الالهي (وليتلطف) في اختيار الطعام ومن يشترى منه اى ليختر المحقق لركى النفس الرشيد السمت الفاضل السيرة التي

خصال قال وماهن قالوا لا نجبي في الصلاة اي لانحني ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاخير في دين لاركوع فيه ولا سجود واما ان لاتكسروا اصنامكم بايديكم فذاك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يارسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم مالم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وان كادوا اي هموا ليفتنونك اي ليصرفونك عن الذي اوحينا اليك (لتفتري) اي لتختلق وتبتدع (علينا غيره) اي مالم نقله (واذا) اي لوفعلت مادعوك اليه (لاتخذوك خليلا) اي والوك ووافوك وصافوك (ولولا ان ثبتناك) اي على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) اي تميل (اليهم شيأ قليلا) اي قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم (اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) اي اوفعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنالك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجدلك علينا نصيرا) اي ناصرا يمنعك من عذابنا * قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فاتوه فقالوا ياابا القاسم لقد علمت ماهذه بارض الانبياء وان ارض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا ارض المدينة وقيل الارض ارض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالآية لان ماقبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز الازعاج (واذا لايلبثون خلفك الاقليلا) اي لايبقون بعد اخراجك الازمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم وان لايعذبهم مادام بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم (ولاتجد لسنتنا تحويلا) اي تبديلا * قوله سبحانه وتعالى (اقم الصلوة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن واكثر التابعين

السريرة الكامل المكمل دون الفضولي الظاهري الخبيث النفس المتسالم المتصدر لافادة ماليس عنده ليستفيد بصحبته ويظهر كماله بمجالسته ويستبصر بعلمه فيفيدنا او ليتلطف في امره حتى لايشعر بحالكم ودينكم جاهل من غير قصد له (ولا يشعرن بكم احدا) من اهل الظاهر المحجوبين وسكان عالم الطبيعة المنكرين وان اولا اصحاب الكهف بالقوى الروحانية فالمبعوث هو الفكر والمدينة محل اجتماع القوى الروحانية والنفسانية والطبيعية والذي هو اركى طعاما العقل دون الوهم والخيال والحواس لان كل مدرك له طعام والرزق هو العلم النظري على كلا التقديرين ولا يشعرن بكم احدا من القوى النفسانية (انهم ان يظهروا) اي يغلبوا (عليكم يرجموكم) بحجارة الاهواء والدواعي من الغضب والشهوة وطلب اللذة فيقتلوكم بمنعكم عن كمالكم (او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا) باستيلاء الوهم وغلبة الشيطان والامالة الى

ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة المواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ﴿ الى غسق الليل ﴾ اى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لاتجوز الابقرآن ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ اى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزا وتجتمع ملائكة الليل و ملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخرالدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من اول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة و ظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار اما اذا ابتدا بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى اول وقتها افضل ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ اى قم بعد نومك والتهجد لايكون الابعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل الصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الامة فى الابتداء لقوله تعالى ياايها المزمل قم الليل الاقليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا فى حق الامة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه وبقى الوجوب ثابتا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ اى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التى فرضها الله عليك روى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا فى حقه كما فى حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت مامعنى التخصيص اذا كان زيادة فى حق المسلمين كما فى حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبى صلى الله عليه وسلم قد غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة فى رفع الدرجات

﴿ فصل ﴾ فى الاحاديث الواردة فى قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهنى قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته اوفسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابى داود (ق) عن ابى سلمة بن عبدالرحمن انه سأل

الهوى وعبادة الاوثان وعلى التأويل الاول ظهور العوام واستيلاء المقلدة والحشوية المحجوبين واهل الباطل المطبوعين ورجمهم اهل الحق ودعوتهم اياهم الى ملتهم ظاهر كما كان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك اعثرنا عليهم) اى مثل ذلك البعث والانامة اطلعنا على حالهم المستعدين القابلين لهديهم ومعرفة حقائقهم (ليعلموا) بصحبتهم وهدايتهم (ان وعدالله) بالبعث والجزاء (حق وان الساعة لاريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم) اى حين يتنازع المستعدون الطالبون بينهم امرهم فى المعاد فمنهم من يقول ان البعث مخصوص بالارواح المجردة دون الاجساد ومنهم من يقول انه بالارواح والاجساد معافعلموا بالاطلاع عليهم ومعرفتهم انه بالارواح والاجساد فعلموا الجسمانى حق (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) اى فلما توفوا قالوا ذلك كالخانقاهات والمشاهد والمزارات المبنية على الكمل المقربين من الانبياء والاولياء عليهم الصلاة

عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على اكثر من احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر مايسجد ويقرا احدكم خمسين آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة البقرة لايمر بآية رحمة الاوقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الاوقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا بآل عمران ثم قرا سورة النساء اخرجه ابو داود والنسائي * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة اخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والاتوضا وخرج * عن انس قال ماكنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الارأيناه ولانشاء ان نراه نائما الا رأيناه اخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لايفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيأ * وقوله عزوجل ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شئ ثم احرمه كان ذلك عارا عليه والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لايعطيه ما اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيأ (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لاتنبغي الالعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع الدعاء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول

والسلام (ربهم اعلم بهم) من كلام اتباعهم من اممهم والمقتدين بهم اي هم اجل واعظم شأنا من ان يعرفهم غيرهم الموجودون الهالكون في الله المتحققون به فهو اعلم بهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبائي لايعرفهم غيري (قال الذين غلبوا على امرهم) من اصحابهم والذين يلون امرهم تبركا بهم وبمكانهم (لنتخذن عليهم مسجدا) يصلى فيه (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب) اي الظاهريون من اهل الكتاب والمسلمين الذين لاعلم لهم بالحقائق وقوله رجما بالغيب اي رميا بالذي غاب عنهم يعني ظنا خاليا عن اليقين بعد قولهم وتوسيط الواو الدالة على ان الصفة مجامعة للموصوف لاتفارقه وانه لاعدد وراءه بين قوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم) وبين ثامنهم كلبهم وقوله (مايعلمهم الاقليل فلاتمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا) بعده يدل على ان العدد هو سبعة لاغير فالقليل هم المحققون

لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن على ربي تعالى فيؤذن لي فاذا انا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة قال فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي من وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك او قال ليس ذاك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع اي مجتمع الذهن والرأي * عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون انت ابونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني

القائلون به وان اولئك هم القوى الروحانية فهم العاقلتان النظرية والعلمية والفكر والوهم والتخيل والذكر والحس المشترك المسمى بنطاسيا والكلب النفس والشمس الروح على كلا التأويلين ولهذا روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال انهم كانوا سبعة ثلاثة عن يمين الملك وثلاثة عن يساره والسابع هو الراعي صاحب الكلب فان صحت الرواية فالملك هو دقيانوس النفس الامارة والثلاثة الذين كانوا عن يمينه يستشيرهم هم العاقلتان والفكر والثلاثة الذين كانوا عن يساره يستوزرهم هم التخيل والوهم والذكر والراعي هو بنطاسيا صاحب اغنام الحواس والذين قالوا هم ثلاثة ارادوا القلب والعاقلتين والذين قالوا خمسة زادوا عليهم الفكر والوهم وتركوا المدرك للصور والذكر لعدم تصرفهما وكون كل منهما كالخزانة وعلى هذا التأويل فالاطلاع للفئة المحققين من الحضرة الالهية على بقاء النفس بعد خراب البدن والتنازع هو التجاذب

عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتونى فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويرحبون بى فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد اخرجه الترمذى قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التى صدرت منه وقوله فاقعقعها اى احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترس وغيره مماله صوت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا ولواء الحمد يومئذ بيدى وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر اخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى وانا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى يطوف على خدم كأنهن بيض مكنون او لؤلؤ منثور (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع زاد الترمذى قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى * عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه افضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه اهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ماهذا الذى تحدثونا والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذى تقولون قال اتقرا القرآن قلت نعم قال فاقرا ماقبله انه فى الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذلك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ماخرج غير رجل واحد اوكما قال والاحاديث فى الشفاعة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق اهل السنة وروى ابو وائل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى ان يبعثك ربك

والتغالب الواقع بين القوى فى الاستيلاء على البدن الذى يبعثون فيه وهو البنيان المأمور ببنائه والآمرون هم الغالبون الذين قالوا لنتخذن عليهم مسجدا يسجد اى ينقاد فيه جميع القوى الحيوانية والطبيعية والنفسانية والمأمورون هم المغلوبون الفاعلون فى البدن المبعوث فيه والله اعلم (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) ادبه بالتأديب الالهى بعد مانهاه عن المماراة والسؤال فقال لاتقولن الاوقت ان يشاء الله بان يأذن لك فى القول فتكون قائلا به وبمشيئته او الا بمشيئته على انه حال اى ملتبسا بمشيئته يعنى لاتقولن لما عزمت عليه من فعل انى فاعل ذلك فى الزمان المستقبل الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله اى لاتسند الفعل الى ارادتك بل الى ارادة الله فتكون فاعلا به وبمشيئته (واذكر ربك) بالرجوع اليه والحضور (اذا نسيت) بالغفلة عند ظهور النفس والتلوين بظهور صفاتها (وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا) اى من الذكر عند التلوين واسناد

مقـاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبدالله بن سـلام قال يقعد على الكرسى * قوله عزوجل (وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صـدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلنى مدخل صدق المدينة واخرجنى مخرج صـدق من مكة نزلت حين امر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بالهجرة وقيل معناه اخرجنى من مكة آمنا من المشركين وادخلنى مكة ظاهرا عليهـا بالفتح وقيل ادخلنى فى امرك الذى ارسلتنى به من النبوة مدخل صدق واخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب على من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه ادخلنى فى طاعتك مدخل صدق واخرجنى من المناهى مخرج صدق وقيل معناه ادخلنى حيثما ادخلتنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عندالله (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) اى حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرنى به على من عادانى وعزا ظـاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له واجاب دعاءه فقـال له والله يعصمك من النـاس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية * قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعنى الاسـلام والقرآن (وزهق الباطل) اى الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) اى مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة فى وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبدالله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسـلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان البـاطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ البـاطل وما يعيد * قوله سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من فى قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ماهو شفاء اى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شـفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثانى الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضـاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع واما النوع الثانى وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القرآن شـفاء من جميع الامراض الباطنة واما كونه شـفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتـاب وما يدريك انها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمؤمنين (ولايزيد الظـالمين الاخسارا) لان الظـالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن احد الاقام عنه بزيادة اونقصان

قضاء

الفعل الى صفاته بالتمكين والشـهود الذاتى المخلص عن حجب الصفات (رشدا) اسـتقامة وهو التمكـين فى الشهود الذاتى (ولبثوا فى كهفهـم ثلثمائة سـنين) من التى تبتنى على دور القمر فتكون كل سنة شهرا ومجموعها خمسة وعشرون سنة وذلك وقت انتباههم وتيقظهم (وازدادوا تسعا) هى مدة الحمـل وروعيت فى الآية نكتة هى انه لم يقل ثلثمائة سـنة وتسع سـنين لاستعمال السنة فى العرف وقت نزول الوحى فى دورة شمسية لاقمرية فأجمل العدد ثم بينه بقوله سنين فاحتمل ان يكون المميز غيرهـا كالشهر مثلا ثم بين ان المدة سـنين مبهمة غير معينـة اذلو قيل ثلثمائة شهر سنين فأبدل سـنين من مجموع حكاية كلام اهل الكتاب ثمة سيقولون وقوله قل الله اعلم رد عليهم وفى مصحف العدد كانت العبارة صحيحة والمراد سـنين كذا عددا اى خمسة وعشرين ويؤيده قوله بعـده (قل الله اعـلم بما لبثوا) وقال قتادة هو حكاية كلام اهل الكتاب من ثمة سـيقولون وقوله قل الله اعلم رد عليهم وفى مصحف عبدالله وقالوا لبثوا وذلك ان اليقين غير محقق ولا

قضاه الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا ❊ قوله سبحانه وتعالى (واذا انعمنا على الانسان) اى بالصحة والسعة (اعرض) اىعن ذكرنا ودعائنا (ونأىبجانبه) اى تباعدمنابنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيلمعناه تكبر وتعظم (واذا مسه الشر) اى الشدة والضر (كان يؤسا) اى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمومن ان يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ❊ قوله عزوجل (قل كل) اى كل احد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة اى على طريقته التى جبل عليها وفيهوجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم اعلم بمنهواهدى سبيلا) اى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتبا عاللحق ❊ قوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عنالروح قلالروح منامرربى) (ق)عنعبدالله بنمسعود قال بينما انا امشى معالنبى صلىالله عليهوسلموهومتوكأ على عسيب معه فمر بنفرمن اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه يسمعكم ماتكرهون فقاموا اليهوفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يااباالقاسم ماالروح فسكت وفى رواية فقالو احدثنا عنالروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفتانه يوحىاليه فتأخرت حتى صعدالوحىقال ويسألونكعنالروحقلالروح منامرربىوما اوتيتم منالعلم الاقليلا فقالبعضهم لبعضقدقلنا لكم لاتسألوه وفىروايةوما اوتوامنالعلمالاقليلاقالالاعمش هكذافىقراءتناالعسيب جريدالنخل وسعفه وقالابن عباسانقريشا اجتمعوا وقالوا انمحمدا نشأفينا بالامانةوالصدق وما اتهمناه بكذب قط وقدادعىماادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم اهلكتاب فبعثوا جماعة اليهمفقالت اليهود سلوه عنثلاثة اشياء فاناجاب عنكلها اولم يجب عنشئ منها فليس بنبىوان اجاب عن اثنتين ولم يجبعن واحدة فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوافى الزمن الاولماكانشأنهم فانه كانلهمحديث وعجيب وعنرجل بلغمشرق الارض ومغربها ماخبره وعنالروح قالفسألوا النبى صلىالله عليهوسلم فقالاخبركم بماسألتمغداولم يقلان شاءالله فلبثالوحى قالمجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسةعشر يوماوقيل اربعينيوما واهل مكةيقولون قدوعدنا محمدغدا وقداصبحنا لايخبرنا بشئ حتىحزن رسولالله صلىالله عليهوسلم منمكث الوحى وشق عليهمايقوله اهلمكة ثمنزل جبريل عليهالسلام بقولهتعالى ولاتقولن لشئ انىفاعل ذلكغدا الاان يشاءالله ونزلفىالفتية امحسبت اناصحابالكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمنبلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذىالقرنين ونزل فى الروح ويسألونك عنالروح قل الروح من امر ربى واختلفوا فىالذى وقع السؤال عنهفروى عنابنعباس انهجبريلوعن علىانه ملكله سبعونالفوجه فى كل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبحالله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنىآدملهم ايدوارجل ورؤس ليسوا بملائكة ولاناس يأكلون الطعام وقالسعيدبن جبيرلم يخلقالله خلقااعظم منالروح غيرالعرش لوشاء ان يبتلع السموات والارض ومن

مطرد (لهغيب السموات والارض ابصربه واسمع مالهم مندونهمنولى ولا يشرك فىحكمهاحدا واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك) يجوز انتكون من لابتداء الغاية والكتاب هو اللوح الاول المشتمل علىكل العلوم الذى منه اوحى الى مناوحى اليه وان تكون بيانا لما اوحى والكتاب هو العقل الفرقانى وعلى التقديرين (لامبدل لكلماته) التىهى اصول الدين من التوحيد والعدل وانواعهما (ولن تجدمندونه ملتحدا) تميل اليه لامتناع وجود ذلك (واصبر نفسك) امربالصبر معاللهواهلهوعدمالالتفات الى غيره وهذا الصبر هو منبابالاستقامة والتمكين لايكون الا باالله (معالذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ) اى دائما هم الموحدون من الفقراء المجردين الذين لايطلبون غيراللهولا حاجةلهمفىالدنيا والآخرة ولا وقوف مع الافعالوالصفات (يريدون وجهه) اى ذاته فحسب يدعونه ولا يحتجبون عنه بغيره وقت ظهورها غداة

فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين او اقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم الاترى ان الانسان اذا مات لايفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء الاترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها واولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله عزوجل وهو قول اهل السنة قال عبدالله بن بريدة ان لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من امر ربي اي من علم ربي الذي استأثر به (وما اوتيتم من العلم) اي من علم ربي (الا قليلا) اي في جنب علم الله عزوجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشئ بالقلة مضافا الى مافوقه بالكثرة مضافا الى ماتحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عزوجل استأثر بعلم الروح * قوله عزوجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك عن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ماتدري ماالكتاب (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) معناه لاتجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك) معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عزوجل قلت المراد منه محو مافي المصاحف واذهاب مافي الصدور قال عبدالله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع مافي صدورهم فيصبحون لايحفظون شيأ ولايجدون بما في المصاحف شيأ ثم تفيضون في الشعر وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال لاتقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب اتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) اي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله) اي لايقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) اي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عزوجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام

الفناء ووقت احتجابهم بهم عند البقاء فالصبر معهم هو الصبر مع الله ومجاوزة العين عنهم المنهي عنها هو الالتفات الى الغير (ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين) اى المشركين المحجوبين عن الحق لقوله ان الشرك لظلم عظيم (نارا) عظيمة (احاط بهم سرادقها) من مراتب الاكوان كالطباع العنصرية والصور النوعية المادية المحيطة بالاشخاص الهيولانية (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) من جنس الغساق والغسلين اى المياه المتعفنة التي تسيل من ابدان اهل النار مسودة فيها دسومات يغاثون بها اوغسالاتهم القذرة اومن جنس الغصص والهموم المحرقة (يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا) بالتوحيد الذاتي لكونهم في مقابلة المشركين (وعملوا الصالحات) من الاعمال المقصودة لذاتها في مقام

في اعلى طبقات البلاغة لايشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) اى رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها (فأبى اكثر الناس الا كفورا) اى جحودا * قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) اى لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لماتبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات اخرو بينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتغالون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابنى ربيعة واباسفيان بن حرب والنضر بن الحرث وابا البختري بن هشام والاسود بن عبدالمطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة واباجهل بن هشام وعبدالله بن ابى امية وامية بن خلف والعاص ابن وائل ونبيها ومنبها ابنى الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدالهم في امره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يامحمد انابعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لانعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ماادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ومابقى من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنالك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى بك رئيا تراه قد غلب عليك لاتستطيع رده بذلنالك اموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ماتقولون ماجئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم فقالوا يامحمد ان كنت غير قابل مناماعرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا منا فسل لناربك الذى بعثك فليسير عناهذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الانهار كانهار الشأم والعراق وليبعث لنامن مضى من آبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك ان يبعث ملكا يصدقك واساله ان يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ماتريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبدالله بن ابى امية وهو ابن عمته عاتكة

الاستقامة (انا لانضيع اجر من احسن عملا) اجرهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الاجر انما يستحق بالعمل دون العلم اذبه يستحق ارتفاع الدرجة والرتبة (اولئك لهم جنات عدن) من الجنان الثلاث (تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب) اى يزينون فيها بانواع الحلى من حقائق التوحيد الذاتى ومعانى التجليات العينية الاحدية اذ الذهبيات من الحلى هى العينيات والفضيات هى الصفاتيات النورانيات كقوله وحلوا اساور من فضة (ويلبسون ثيابا خضرا) يتصفون بصفات بهجة حسنة نضرة موجبة للسرور (من سندس) الاحوال والمواهب لكونها الطف (واستبرق) الاخلاق والمكاسب لكونها اكثف (متكئين فيها على الارائك) ارائك الاسماء الالهية التى هى مبادى افعاله لاتصافهم باوصافه وكون الصفة مع الذات هى الاسم المستند هو عليه في جنة الصفات والافعال (نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا

بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم امورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها فتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعنى ارض مكة ينبوعا اى عيونا (اوتكون لك جنة من نخيل وعنب) اى بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) اى تشقيقا (اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) اى قطعا (اوتأتى بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا اى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ماتقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا (او يكون لك بيت من زخرف) اى من ذهب واصله الزينة (او ترقى) اى تصعد (فى السماء ولن نؤمن لرقيك) اى لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) امرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن ابى امية (قل) اى قل يا محمد (سبحان ربى) امره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت الابشرا رسولا) اى كسائر الرسل لاممهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو اراد ان ينزل ماطلبوا لفعل ولكن لاينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما انا الابشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد اعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات مايغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وما اشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى اعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم * قوله عز وجل (وما منع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى) اى الوحى والمعنى ومامنعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الاشبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الا ان قالوا) اى جهلا منهم (ابعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) اى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اى من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) اى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) اى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهدالله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن انس ان رجلا قال يارسول الله قال الله الذين يحشرون

على

لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا ولولا اذدخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا اويصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب

على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى الحدب كل ما ارتفع من الارض (عميا وبكما وصما) اى لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه اوجه احدها قال ابن عباس معناه عميا لايبصرون مايسرهم بكما لاينطقون بحجة صما لايسمعون مايسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ماوصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لايرون ولاينطقون ولايسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) اى سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير ان يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لايفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو (زدناهم سعيرا) اى وقودا وقيل معناه خبت اى نضجت جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) اجابهم الله ورد عليهم بقوله (اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض) اى فى عظمها وشدتها (قادر على ان يخلق مثلهم) اى فى صغرهم وضعفهم (وجعل لهم اجلا) اى وقتا لعذابهم (لاريب فيه) اى لاشك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) اى جحودا وعنادا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) اى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لانهاية لها (اذا لامسكتم) اى لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قتورا) اى ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لابد وان يحب مايدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل ان يحب المدحة اورجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل فى الانسان البخل ❊ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) اى دلالات واضحات قال ابن عباس هى العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظى عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال

لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) فى مقابلة بئس الشراب وساءت مرتفقا (ويوم نسير الجبال) اى نذهب جبال الاعضاء بالتفتيت فنجعلها هباء منثورا (وترى الارض) ارض البدن (بارزة) ظاهرة مستوية مسطحة بسيطة كما كانت لاصورة عليها ولا تركيب فيها ترابا خالصا (وحشرناهم) الضمير اما للقوى المذكورة واما لافراد الناس (فلم نغادر منهم احدا) غير محشور (وعرضوا على ربك) عند البعث (صفا) اى مصطفين مترتبين فى المواقف لايحجب بعضهم بعضا كل فى رتبته (لقد جئتمونا) اى قلنا لهم ذلك اليوم لقد جئتمونا حفاة عراة غرلا فرادى اى (كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم) بانكاركم البعث (الن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ماوعدتم على

ياغلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هى آيات الكتاب وهى الاحكام يدل عليه ماروى عن صفوان بن غسان ان يهود ياقال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبى فقال الآخر لاتقل نبي فانه لوسمع صارت له اربعة اعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لاتشركوا بالله شيأ ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولاتأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرىء الى سلطان ليقتله ولاتسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبى قال فما يمنعكم ان تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لايزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يامحمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (اذجاءهم) يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عندالله عز وجل (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اى مسحورك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده (ماانزل هؤلاء الا رب السموات والارض) يعنى الآيات التسع (بصائر) اى بينات يبصربها (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فاراد ان يستفزهم من الارض) معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبنى اسرائيل من ارض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا) اى اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) اى من بعد هلاك فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) يعنى ارض مصر والشام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى القيامة (جئنابكم لفيفا) اى جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ۞ قوله سبحانه وتعالى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) يعنى ان ماارد نا بانزال القرآن الا تقريره للحق فلما اردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا القرآن الا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (وماارسلناك الا مبشرا) يعنى بالجنة للمطيعين (ونذيرا) اى مخوفا بالنار للعاصين ۞ قوله عز وجل (وقرآنا فرقناه) اى فصلناه وبيناه وقيل فرقنابه بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) اى تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) اى على حسب الحوادث (قل آمنوابه اولا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين اوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وابى ذروغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس اراد بها الوجوه (سجدا) اى يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) اى تعظيما لربنا لانجازه ماوعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا

السنة الانبياء من البعث والنشور (ووضع الكتاب) اى كتاب القالب المطابق لما فى نفوسهم من هيآت الاعمال الراسخة فيهم (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) لعتورهم به على ماتسوا (ويقولون ياويلتنا) يدعون الهلكة التى هلكوا بها من اثر العقيدة الفاسدة والاعمال السيئة (مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) لكون آثار حركاتهم واعمالهم كلها باقية فى نفوسهم صغيرة كانت اوكبيرة ثابتة فى الواح النفوس الفلكية ايضا مضبوطة فيها تظهر عليهم على التفصيل فى نشأتهم الثانية لامحيص لهم عنها وهذا معنى قوله (ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك احدا واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) مر معنى سجود الملائكة واباء ابليس وقوله (كان من الجن ففسق) كلام مستأنف كان قائلا قال مابال ابليس لم يسجد قال كان من الجن اى من القوى البدنية المخالفة بالمواد فلذلك فسق (عن امر ربه) اى لا تجاه

لمفعولا) اى كائنا وانه (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) اى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذى والنسائى وزاد النسائى فى منخرى مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله اخرجه الترمذى ✻ قوله عزوجل (قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده ياالله يارحمن فقال ابوجهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم اوبهذا الاسم (اياماتدعوا) ماصلة ومعناه اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم اومن جميع اسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعنى اذا حسنت اسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن اصحابك فلاتسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان اعراب من بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله عزوجل ولاتجهر بصلاتك اى لاترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولاتخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) اى اطلب (بين ذلك سبيلا) اى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن ابى قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وانت تقرا القرآن وانت تخفض من صوتك فقال انى اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرا وانت ترفع من صوتك فقال انى اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذى عرفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد افاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عزوجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولى من الذل) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيرا) اى وعظمه عن ان يكون له ولد اوشريك اوولى وقيل اذا كان

بالمادة ولو احقها (افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركاءى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين اويأتيهم العذاب قبلا ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسى ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب

منزها عن الولد والشريك والولى كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول مايدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء
والضراء عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله رأس الشكر
ماشكر الله عبد لايحمده عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل
الدعاء الحمد لله وافضل الذكر لااله الاالله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن
سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع لااله الاالله
والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لايضرك بايهن بدأت اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الكهف

وهى مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها الف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة
وحروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب) اثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه
بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى
الاسلام وماانزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم
وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص
وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) اى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج
فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله
مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق (قيما)
اى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها
(لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب
بئيس (من لدنه) اى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا)
يعنى الجنة (ماكثين فيه) اى مقيمين فيه (ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من
علم) اى بالولد وباتخاذه يعنى ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت
اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق
الموصل اليه وقد يكون فى نفسه محالا لايستقيم تعلق العلم به (ولا لآبائهم) اى ولا لاسلافهم
من قبل (كبرت) اى عظمت (كلمة تخرج من افواههم) اى هذا الذى يقولونه لاتحكم به
عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكانه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد
(ان يقولون الا كذبا) اى مايقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذى لايطابق
المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى
وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولايعلمون كونه باطلا
فعلمنا ان كل خبر لايطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف
عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب * قوله عز وجل (فلعلك

بل لهم موعد لن يجدوا
من دونه موئلا وتلك القرى
اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعدا واذ قال
موسى لفتاه) ظاهره على
ماذكر فى القصص ولاسبيل
الى انكار المعجزات واما
باطنه فان يقال واذ قال موسى
القلب لفتى النفس وقت
التعلق بالبدن (لاابرح) اى
لاانفك عن السير والمسافرة
اولاازال اسير (حتى ابلغ
مجمع البحرين) اى ملتقى
العالمين عالم الروح وعالم
الجسم وهما العذب والاجاج
فى صورة الانسانية ومقام
القلب (او امضى حقبا)
اى اسير مدة طويلة (فلما
بلغا مجمع بينهما) فى الصورة
الحاضرة الجامعة (نسيا
حوتهما) وهو الحوت الذى
ابتلع ذا النون عليه السلام
بالنوع لا بالشخص لان
غداهما كان قبل الوصول
الى هذه الصورة فى الخارج
من ذلك الحوت الذى امر
بتزوده فى السفر وقت
العزيمة (فاتخذ سبيله
فى البحر) فى بحر الجسد
حيا كما كان اولا (سربا)
نقبا واسما كما قيل بقى طريقه
فى البحر منفرجا لم ينضم
عليه البحر (فلما جاوزا)

باخع نفسك) اى قاتل نفسك (على آثارهم) اى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث)
يعنى القرآن (اسفا) اى حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها) اى مما يصلح
ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا ومايستحسن منهـا وقيل يعنى النبات والشجر
والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع
مافى الارض هو زينة لها فان قلت اى زينة فى الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها
تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع مافى الارض ثلاثة معدن ونبـات
وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لايدخل فى هذه الزينة المكلف بدليل
قوله تعـالى (لنبلوهم) فمن يبلو يجب ان لايدخل فى ذلك ومعنى لنبلوهم لنختبرهم (ايهم
احسن عملا) اى اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها (وانا لجاعلون ماعليها)
اى من الزينة (صعيدا جرزا) يعنى مثل ارض لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبـة
والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذى لاينبت فيه شئ * قوله
سبحانه وتعالى (ام حسبت) اى ظننت يامحمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)
اى هم عجب من آياتنـا وقيل معناه انهم ليسـوا باعجب آياتنا فان ماخلقنا من السموات والارض
ومافيهن من العجائب اعجب منهم والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه
اسماء اصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من
حجارة وعن ابن عبـاس ان الرقيم اسم الوادى الذى فيه اصحاب الكهف وقال كعب الاحبار
هو اسم للقرية التى اخرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه اصحاب الكهف ثم
ذكر الله عز وجل قصة اصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذ اوى الفتية الى الكهف) اى
صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من
لدنك رحمة) اى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسـانك وهب لنا الهداية
والنصر والامن من الاعداء (وهيئ لنا) اى اصلح لنا (من امرنا رشدا) اى حتى نكون
بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل امرنا رشدا كله

﴿ ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه ﴾

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسـار مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت
الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله
وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح
للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها احدا الا فتنه عن
دينه حتى يعبد الاصنام اويقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه
اهل الايمان وهربوا فى كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اولئك
الشرط يتبعون اهل الايمان فى اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة
الاصنام فمنهم من رغب فى الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك اهل الشدة فى
الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ماقطع من اجسادهم
على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا

مكان مفارقة الحوت والتى
على موسى النصب والجوع
ولم ينصب فى السفر ولا جاع
قبل ذلك على ماحكى تذكر
الحوت والاغتـداء منـه
وطلب الغداء من فتاه وانما
قال (قال لفتيه آتنا غداءنا)
لان حاله ذلك نهارا بالنسبة
الى ماقبله فى الرحم (لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا)
هو نصب الولادة ومشقتها
(قال ارأيت) ماعرانى
(اذاوينا الى الصخرة) اى
النحر للارتضـاع (فانى
نسيت الحوت) لاستغنائنا
عنه (وماانسانيه الا الشيطان
ان اذكره) اى وماانسانى
ان اذكره الا الشيطان على
ابدال ان اذكره من الضمير
وذلك لان موسى كان راقدا
حين اتخذ الحوت سـبيله
فى البحر على ماقيل وفى
النفس يقظان فأنسى شيطان
الوهم الذى زين الشجرة
لآدم وذكر النفس الحوت
لموسى لكون الحال حال
ذهول والسبيل المتعجب
منه هو السرب المذكور
(واتخذ سبيله فى البحر عجبا
قال ذلك) اى تماص الحوت
واتخاذه سبيله الذى كان عليه
فى جبانه (ماكنانبغ) نطلبه
لان هنـاك مجمع البحرين

واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عزوجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينماهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عزوجل فقال لهم الشرط ماخلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتي بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم مامنعكم ان تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم اختاروا اماان تذبحوا الآلهتنا واماان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها ابدا اصنع بنا مابدالك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وانجز لكم ما اوعدتكم من العقوبة ومايمنعني ان اعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبانا حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا اوخافوا اذاقدم ان يذكرهم فأتمروا بينهم واتفقوا على ان واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجاوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه فيصنع بهم مايشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون مني لاتخشوا مني انا احب احباب الله عزوجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عزوجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجلهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينماهم على ذلك اذ ضرب الله عزوجل على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه مااصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم

الذي وعد موسى عنده بوجود من هو اعلم منه اذ الترقي الى الكمال بمتابعة العقل القدسي لايكون الا في هذا المقام (فارتدا على آثارهما) في الترقي الى مقام الفطرة الاولى كما كانا اولا يقصان (قصصا فوجدا عبدا من عبادنا) اي يتبعان آثرهما عند الهبوط في الترقي الى الكمال حتى وجدا العقل القدسي وهو عبد من عباد الله مخصوص بمزية عناية ورحمة (آتيناه رحمة من عندنا) اي كمالا معنويا بالتجرد عن المواد والتقدس عن الجهات والنورية المحضة التي هي آثار القرب والعندية (وعلمناه من لدنا علما) من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشري وقوله (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا) هو ظهور ارادة السلوك والترقي الى الكمال (قال انك لن تستطيع معي صبرا) لكونك غير مطلع على الامور الغيبية والحقائق المعنوية لعدم تجردك واحتجابك بالبدن وغواشيه فلاتطيق مرافقتي وهذا معنى قوله (وكيف

عند روسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقدساء فى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقدظنوا ان بى غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من امرى ماكنت لاجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا الهتى فقال عظماء المدينة ماانت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قدكنت اجلت لهم اجلا ولوشاؤا لرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضبا غضبا شديدا ثم ارسل الى آبائهم فاتى بهم فقال اخبرونى عن ابنائكم المردة الذين عصونى فقالوا امانحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا واهلكوها فى اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدرى مايصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفسه ان يأمر بسد باب الكهف عليهم واراد الله عزوجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كماهم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختار وقبرالهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عزوجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فدغشيه ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم الآخرر وناس اهتما ان يكتبا شأن هؤلاء الفتية واسماءهم وانسابهم واخبارهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس مابقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك ❊ وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب واخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان فى قلوبهم فآمنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال فى نفسه اخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ماجمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذاهم جميعا على الايمان واذا الكهف فى جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانسابهم فى لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شان ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل

تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاءالله صابرا) لقوة استعدادى وثباتى على الطلب (ولا اعصى لك امرا) لتوجهى نحوك وقبولى امرك لصفائى وصدق ارادتى والمقاولات كلها بلسان الحال قال (فان اتبعتنى) فى سلوك طريق الكمال (فلا تسألنى عن شئ) اى عليك بالاقتداء والمتابعة فى السير بالاعمال والرياضات والاخلاق والمجاهدات ولا تطلب الحقائق والمعانى (حتى) يأتى وقته (احدث لك منه) اى من ذلك العلم (ذكرا) واخبرك بالحقائق الغيبية عند تجردك بالمعاملات القالبية والقلبية (فانطلقا حتى اذاركبا فى السفينة) فى سفينة البدن البالغ الى حد الرياضة الصالح للعبودية الى العالم القدسى فى بحر الهيولى للسير الى الله (خرقها) اى نقصها بالرياضة وتقليل الطعام واضعف احكامها واوقع الخلل فى نظامها واوهنها (قال اخرقتها لتغرق اهلها) اى اكسرتها لتغرق القوى الحيوانية والنباتية التى فيها فى بحر الهيولى فتهلك (لقد

الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون لاحياة الاالحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ماهم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لاريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من اهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف اذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لايرى فى وجوههم ولا الوانهم شئ ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا بما قال الناس فى شأننا عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك فى انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد ان يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك احدا وابتغ لنا طعاما فائتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التى كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى اشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذى اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ياليت شعرى ماهذا اما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة

جئت شيأ امرا) وهذا الانكار عبارة عن ظهور النفس بصفاتها وميل القلب اليها والتضجر عن حرمان الحظوظ فى الرياضة وعدم القناعة بالحقوق (قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) تنبيه روحى وتحريض قدسى على ان العزيمة فى السلوك يجب ان تكون اقوى من ذلك (قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا) اعتذار فى مقام النفس اللوامة (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) هو النفس التى تظهر بصفاتها فتحجب القلب فتكون امارة بالسوء وقتله باماتة الغضب والشهوة وسائر الصفات (قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا) اعتراض لتحنن القلب على النفس و (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) تذكير وتعيير روحى وقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) اعتذار واقرار بالذنب واعتراف وكلها من التلوينات عند كون النفس لوامة (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما

في هذه المدينة ويسخفون بها واليوم ظاهرة اهلى نائم حالم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في اسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما ادري ماهذا اماعشية امس فليس كان على الارض من يذكر عيسى بن مريم الاقتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم لايخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يافتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مساا وامرا اذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه واعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فلايعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا على قد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلاحاجة لي به فقالوا له يافتى من انت وماشانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخفف عليك ماوجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شئ كنت احذر منه فقالوا له يافتى انك والله لاتستطيع ان تكتم ماوجدت وجعل تمليخا ما يدري مايقول لهم وخاف حتى لم يجر على لسانه اليهم شئ فلما راوه لايتكلم اخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قداخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من اهل هذه المدينة ومارايناه فيها قط ومانعرفه وجعل تمليخا لايدري مايقول لهم وكان متيقنا ان اباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينماهو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس واسم الآخر طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض افرغ على اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت وياليتهم يأتونني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواثقنا على الايمان بالله وان لا نشرك به احدا ابدا ولانفترق في حياة ولاموت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس وطنطيوس ورأى انه لم يذهب الى دقيانوس افاق وذهب عنه البكاء واخذ اريوس

فوجدا فيها جدارا) هم القوى البدنية واستطعامهما منهم هو طلب الغذاء الروحاني منهم اي بواسطتهم كانتزاع المعاني الكلية من مدركاتها الجزئية وانما ابوا ان يضيفوهما وان اطعموهما قبل ذلك لان غذاءهما حينئذ كان من فوقهم من الانوار القدسية والتجليات الجمالية والجلالية والمعارف الالهية والمعاني الغيبية لامن تحت ارجلهم كما كان قبل خرق السفينة وقتل الغلام بالرياضة والقوى والحواس مانعة من ذلك لاممدة بل لانتهيا الابعد نعاسهم وهدوهم كما قال موسى لاهله امكثوا . والجدار الذي (يريدان ينقض فاقامه) هو النفس المطمئنة وانما عبر عنها بالجدار لانها حدثت بعد قتل النفس الامارة وموتها بالرياضة فصارت كالجماد غير متحركة بنفسها وارادتها ولشدة ضعفها كادت تهلك فعبر عن حالها بارادة الانقضاض . واقامته اياها تعديلها بالكمالات الخلقية والفضائل الجميلة بنور القوة النطقية حتى قامت الفضائل مقام صفاتها من الرذائل وقول موسى عليه السلام

وطيلوس الورق ونظرا اليها وعجبا منهـا و قالا اين الكنز الذى وجدت يافتى فقـال
تمليخا ماوجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربهـا ولكن والله
ما ادرى ماشأنى وما اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقـال تمليخا اما انا فكنت ارى
انى من اهل هذه المدينة فقيل له ومن ابوك ومن يعرفك بهـا فأخبرهم باسم ابيه فلم يوجد
من يعرفه ولا اباه فقـال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول
غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس
بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا
اتظن انا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق
اكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شـاب اتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط
وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا
الضرب درهم ولا دينـار وانى لاظننى سآمر بك فتعذب عذابا شـديدا ثم اوثقك حتى
تعترف بهذا الكنز الذى وجدته فقـال لهم تمليخا اخبرونى عما اسألكم عنه فان انتم فعلتم
صدقتكم عما عندى فقالوا له سل لانكتمك شيأ فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا مانعرف
على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الاملك هلك فى الزمان الاول وله دهر طويل
وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا لحيران وما يصـدقنى احد من الناس فيما اقول
لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك اكرهنـا على عبادة الاصـنام والذبح للطواغيت
فهربنا منه عشية امس فأتينا الى الكهف الذى فى جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت
لاشترى لاصحابى طعاما واتجسس الاخبار فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف
اريكم اصحابى فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله
عز وجل لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنـا معه حتى يرينا اصحـابه فانطلق اريوس
وطيلوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم
فلما رأى الفتية اصحـاب الكهف تمليخـا قداحتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى
كان يأتى فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينماهم يظنون ذلك ويتخوفونه
اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسـل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم
ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا
بنا نأت اخانا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبـار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينما هم يقولون
ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذهم بأريوس واصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم
تمليخا ودخل وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله
فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا
للبعث وليعلموا ان الساعة لاريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فرأى تابوتا من نحـاس
مختوما بخاتم فضـة فوقف على الباب ودعا جـماعة من جماعة من عظماء اهل المدينة وامر بفتح
التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصـاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا
ومرطونس وكشـطونس وبيرونس ودينموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا

(قال لوشئت لاتخذت عليه اجرا) تلوين قلبى لافـنى وهوطلب الاجر والثواب باكتسـاب الفضـائل واستعمال الرياضة ولهذا اجابه بقوله (قال هذا فراق بينى وبينك) اى هذا هو مفـارقة مقامى ومقامك ومباينتهمـا والفرق بين حالى وحالك فان عمـارة النفس بالرياضة والتخلق بالاخـلاق الحميدة ليست لتوقع الثواب والاجر والا فليست فضائل ولا كمالات لان الفضيـلة هى التخلق بالاخـلاق الالهية بحيث تصدر عن صاحبها الافعال المقصودة لذاتها لالغرض وماكان لغرض فهو حجاب ورذيلة لافضيلة والمقصود هوطرح الحجاب وانكشاف غطاء صفات النفس والبروز الى عالم النور لالنيل المعـانى الغيبية بل الاتصاف بالصفات الالهية بل التحقق بالله بعد الفناء فيه لاالثواب كما زعمت (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) اى لما اطمأنت النفس واستقرت القوى امكنك قبول المعانى وتلقى الغيب الذى نهيتك عن السؤال عنه حتى احدث لك منه ذكرا فـأذكر لك

فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثربهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى اراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى اراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس ان عجل اعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة واكثر فلما اتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك اللهم رب السموات والارض واعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم اخبر بذلك اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه فى منامه فقالوا له انالم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس اومنذ ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا فى الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة على الواح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى اسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الآخرين فقال تمليخا هم اصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى حتى ادخل على اصحابى فابشرهم فانهم ان رأوكم معى ارعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عزوجل اذ اوى الفتية الى الكهف اى صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اى هداية فى الدين وهيء لنا اى يسر لنا من امرنا رشدا اى ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس اى مخرجا من الغار فى سلامة ❁ قوله سبحانه وتعالى (فضربنا على آذانهم) اى القينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (فى الكهف سنين عددا) اى انمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) اى من نومهم (لنعلم) اى علم مشاهدة وذلك ان الله عزوجل لم يزل عالما وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم

وانبئك بتأويل هذه الامور اذا استعددت لقبول المعانى والمعارف (اما السفينة فكانت لمساكين) فى بحر الهيولى اى القوى البدنية من الحواس الظاهرة والقوى الطبيعية النباتية واعمالها مساكين لدوام سكونها وملازمتها لتراب البدن وضعفها عن ممانعة القلب فى السلوك والاستيلاء عليه كسائر القوى الحيوانية وحكى انهم كانوا عشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر وذلك اشارة الى الحواس الظاهرة والباطنة (يعملون فى البحر فأردت ان اعيبها) بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الامارة غصبا وهو الملك الذى كان وراءهم اى قدامهم (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) بالاستيلاء عليها واستعمالها فى اهوائه ومطالبه (واما الغلام فكان ابواه) اللذان هما الروح والجسمانية (مؤمنين) مقرين بالتوحيد لانقيادهما فى سلك طاعة الله وامتثالهما لامر الله واذعانهما لما اراد الله منهما (فخشينا ان يرهقهما) اى يغشيهما (طغيانا) عليهما لظهوره بالانانية عند شهود

ليزدادوا ايمانا واعتبارا (اى الحزبين) اى الطائفتين (احصى لما لبثوا امدا) اى احفظ
لما مكثوا فى كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف * قوله تعالى
(نحن نقص عليك نبأهم بالحق) اى نقرأ عليك خبر اصحاب الكهف بالحق اى بالصدق
(انهم فتية) اى شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) اى ايمانا و بصيرة (وربطنا على قلوبهم)
اى شددنا قلبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم
ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف (اذ قاموا) يعنى بين يدى
دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا) اى الفتية (ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا
اذا شططا) قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعنى
اهل بلدهم (اتخذوا من دونه) اى من دون الله (آلهة) يعنى اصناما يعبدونها (لولا) اى
هلا (يأتون عليهم) اى على عبادة الاصنام (بسلطان بين) اى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان
الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اى وزعم ان له شريكا
او ولدا ثم قال بعضهم لبعض (واذ اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك انهم كانوا
يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا
عبادته (فأووا الى الكهف) اى الجؤا اليه (ينشر لكم) اى يبسط لكم (ربكم من رحمته
ويهيئ) اى يسهل (لكم من امركم مرفقا) اى ما يعود اليه يسركم ورفقكم * قوله سبحانه وتعالى
(وترى الشمس اذا طلعت تزاور) اى تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) اى جانب اليمين
(واذا غربت تقرضهم) اى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) اى متسع
من الكهف (ذلك من آيات الله) اى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى
ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى
مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند
الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها
ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله اى ان شأنهم
وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعنى مثل اصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم
(ومن يضلل) اى ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) اى معينا (مرشدا) اى
يرشده * قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل احد (ايقاظا) اى منتبهين لان
اعينهم مفتحة (وهم رقود) اى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا
يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم
عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان
كلبا اغر وعنه انه كان فوق القلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقيل كان اصفر
وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل
صهبان قيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) اى
فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان

الروح (وكفرا) لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه
اوكفرا بالحجاب فيفسد
عليهما امرهما ودينهما
ويبطل عبوديتهما الله
(فاردنا ان يبدلهما ربهما
خيرا منه زكاة) كما بدلهما
بالنفس المطمئنة التى هى خير
منه زكاة اى طهارة ونقاء
(واقرب رحما) تعطفا
ورحمة لكونها اعطف على
الروح والبدن وانفع لهما
واكثر شفقة ويجوز ان
يكون المراد بالابوين الجد
والاب فكان كناية
عن الروح والقلب وكونه
اقرب رحما انسب لهما
واشد تعطفا (واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين
فى المدينة) اى العاقلتين
النظرية والعملية المنقطعتين
عن ابيهما الذى هو روح
القدس لاحتجابهما عنه
البدنية اوالقلب الذى مات
اوقتل قبل الكمال باستيلاء
النفس فى مدينة البدن
(وكان تحته كنز لهما) اى
كنز المعرفة التى لا تحصل
الا بهما فى مقام القلب لامكان
اجتماع جميع الكليات
والجزئيات فيه بالفعل وقت
الكمال وهو حال بلوغ
الاشد واستخراج ذلك

ينقلب مع اصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليهـا واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها (لوا طلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيو قظهم الله من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) اى خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم مفتحة كالمتيقظ الذى يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقـال ابن عبـاس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لوا طلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم * قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعنى كما انمناهم فى الكهف وحفظنا اجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التى تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) اى ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) اى فى نومكم و ذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم مافاتهم من الصـلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قدبقى منها بقية فقالوا (اوبعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسلمينا لمـا سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بمـا لبثتم (فابعثوا احدكم) يعنى تمليخـا (بورقكم) هى الفضـة مضروبة كانت اوغير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هى طرسـوس وكان اسمها فى الزمن الاول قبل الاسـلام افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما واجوده وقيل اكثر طعاما وارخصه (فليأتكم برزق منه) اى قوت وطعام تاكلونه (وليتلطف) اى وليترفق فى الطريق وفى المدينة وليكن فى ستر وكتمان (ولايشعرن) اى ولايعلمن (بكم احدا) اى من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) اى يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معنـاه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يعذبوكم (اويعيدوكم فى ملتهم) اى الكفر (ولن تفلحوا اذا ابدا) اى ان عدتم اليه * قوله عزوجل (وكذلك اعثرنا عليهم) اى اطلعنا النـاس عليهم (ليعلموا ان وعدالله حق) يعنى قوم بيدروس الذين انكروا البعث (وان الساعة لاريب فيها) اى لاشك فيهـا انها آتية (اذ يتنازعون بينهم امرهم) قال ابن عباس فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى بنيـانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم فى البعث فقال المسلمون تبعث الاجسـاد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) يعنى بيدروس واصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) * قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى ان السيد والعاقب واصحابهما

الكنز وقال بعض اهـل الظاهر من المفسرين كان الكنز صحفا فيها علم (وكان ابوهما) على كلا التأويلين (صالحا) وقيل كان اباعلى لهما حفظهما الله له فعلى هـذا لا يكون الا روح القدس . قصة ذى القرنين مشهورة وكان روميا قريب العهـد والتطبيق ان ذا القرنين فى هـذا الوجود هو القلب الذى ملك قرينة اى خافقيه شرقها وغربها (فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمـة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكـم منـه ذكرا انا مكنا له فى الارض) فى ارض البدن بالاقتدار والتمكين على جميع الاحوال من المعانى الكلية والجزئيـة والسير الى اىّ قطر شـاء من المشرق والمغرب (وآتيناه من كل شئ) اراده من الكمالات (سببا) اى طريقا يتوصل به اليه (فاتبع سببا) طريقا بالتعلق البدنى والتوجه الى العالم السفلى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) اى مكان غروب شـمس الروح

من نصارى نجران كانوا عندالنبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) اى وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعدما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك فى السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى فى كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربى اعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لايكون الا لله تعالى اومن اخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من اولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وساريونس وذونواس و كشفيططونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) اى لاتجادل ولاتقل فى عددهم وشأنهم (الا مراء ظاهرا) أى الا بظاهر ماقصصنا عليك فقف عنده ولاتزد عليه (ولاتستفت فيهم) اى فى اصحاب الكهف (منهم) اى من اهل الكتاب (احدا) اى لاترجع الى قول احدمنهم بعد ان اخبرناك قصتهم * قوله سبحانه وتعالى (ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعنى اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى اياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل (واذكر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعدسنة وجوزه الحسن مادام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى الآية واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب فى التورات والانجيل ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب وقيل الآية فى الصلاة يدل عليه ماروى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكرى متفق عليه زاد مسلم أونام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) أى يثبتنى على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى امره ان يذكره اذا نسى شيأ ويسأله ان يذكره اويهديه لماهو خيرله من ان يذكر مانسى وقيل ان القوم لماسألوه عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله سبحانه وتعالى ان يخبرهم ان الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقدفعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ماهو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شئ امرالله ان يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك ان يقول

(وجدها تغرب فى عين حمئة) اى مختلطة بالحمأة وهى المادة البدنية الممتزجة من الاجسام الفاسقة كقوله من نطفة امشاج (ووجد عندها قوما) هم القوى النفسانية البدنية والروحانية (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب) بالرياضة والقهر والاماتة (واماان تتخذ فيهم حسنا) بالتعديل وايفاء الحظ (قال اما من ظلم) بالافراط وعدم الاستسلام والانقياد كالشهوة والغضب والوهم والتخيل (فسوف نعذبه) بالرياضة (ثم يرد الى ربه) فى القيامة الصغرى (فيعذبه) بالالقاء فى نار الطبيعة (عذابا نكرا) اى منكرا اشد من عذابى اوفى القيامة الكبرى فيعذبه عذاب القهر والافناء (واما من آمن) بالعلم والمعرفة كالعاقلتين والفكر والحواس الظاهرة (وعمل صالحا) بالسعى فى اكتساب الفضائل والانقياد والطاعة (فـ[illegible] ر[illegible]ء المثوبة (الحسنى) من جنة الصفات وتجليات انوارها وانهار علومها (وسنقول له من امرنا يسرا) اى قولا ذا يسر بحصول الملكات الفاضلة (ثم اتبع

مع قوله ان شاء الله عسى ان يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله ردقولهم بقوله (قل الله اعلم بما لبثوا) والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا يعنى ان نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف فقل انت الله اعلم بما لبثوا اى هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا اوازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران اما الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية (له غيب السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف (ابصر به واسمع) معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شئ يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (مالهم) اى ما لاهل السموات والارض (من دونه) اى من دون الله (من ولى) اى ناصر (ولا يشرك فى حكمه احدا) قيل معناه لا يشرك الله فى علم غيبه احدا وقيل فى قضائه * قوله سبحانه وتعالى (واتل) اى واقرأ يا محمد (ما أوحى اليك من كتاب ربك) يعنى القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا مبدل لكلماته) اى لا مغير للقرآن ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ فى الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت فى وقته الى وقت طريان الناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما اوعد الله بكلماته اهل معاصيه (ولن تجد من دونه) اى من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) اى ملجأ وحرزا تعدل اليه * قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك اى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) يعنى طرفى النهار (يريدون وجهه) اى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله

سببا) طريقا هى طريق الترقى والسلوك الى الله بالتجرد والتزكى (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) اى مطلع شمس الروح (وجدها تطلع على قوم) هم العاقلتان والفكر والحدس والقوة القدسية (لم نجعل لهم من دونها سترا) اى حجابا لتنورهم بنورها وادراكهم المعانى الكلية (كذلك) اى امره كما وصفنا (وقد احطنا بما لديه) من العلوم والمعارف والكمالات والفضائل (خبرا) اى علما ومعناه لم يحط به غيرنا لكونه الحضرة الجامعة للعالمين فليس فى الوجود من يقف على معلوماته الا الله ولامر ما سمى عرش الله (ثم اتبع سببا) طريقا بالسير فى الله (حتى اذا بلغ بين السدين) اى الكونين وذلك مرتبته ومقامه الاصلى بين صدفى جبلى الاله والسير فى المشرق والمغرب سفرة تنزلا وترقيا (وجد من دونهما قوما) هم القوى الطبيعية البدنية والحواس الظاهرة (لا يكادون يفقهون قولا) لكونها غير مدركة للمعانى ولا ناطقة بها (قالوا ياذا القرنين) بلسان الحال

عليه وسلم لايرجعون الى تجارة ولاالى زرع ولاضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما
نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم
(ولا تعد) لاتصرف ولاتجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) اى تطلب مجالسة
الاغنياء والاشراف وصحبة اهل الدنيا (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) اى جعلنا قلبه
غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف (واتبع هواه) اى في طلب
الشهوات (وكان امره فرطا) ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا
وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) اى قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم
عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك
شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا
ماشئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم اى لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم
فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ماوصف الله
لاهل طاعته وعن ابن عباس في معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر
(انا اعتدنا) اى هيأنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) اى الكافرين (نارا احاط بهم
سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعون سنة اخرجه الترمذي
قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة
وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) اى من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل)
قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب
اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه الترمذي وقال رشدين احد رواة الحديث قد تكلم
فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر
المذاب (يشوي الوجوه) اى ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) اى ذلك الذي
يغاثون به (وساءت) اى النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا
واصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل
النار ولا متكأ * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من
احسن عملا) اى لانترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله
انا لانضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
(اولئك لهم جنات عدن) اى دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من
تحتهم الانهار) وذلك لان افضل المساكن ماكان يجري فيه الماء (يحلون فيها من اساور
من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار
من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج
الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين

(ان ياجوج) الدواعي
والهواجس الوهمية
(وماجوج) الوساوس
والنوازع الخيالية (مفسدون
في الارض) في ارض البدن
بالتحريض على الرذائل
والشهوات المنافية للنظام
والحث على الاعمال الموجبة
للخلل فيه وخراب القوانين
الخيرية والقواعد الحكمية
واحداث النوائب والفتن
والاهواء والبدع المنافية
للعدالة المقتضية افساد
الزرع والنسل (فهل
نجعل لك خرجا) بامدادك
بكمالاتنا وصور مدركاتنا
(على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا) لايتجاوزونه وحاجزا
لايعلونه وذلك هو الحد
الشرعي والحجاب القالبي
من الحكمة العملية (قال
مامكني فيه ربي) من المعاني
الكلية والجزئية الحاصلة
بالتجربة والسير في المشرق
والمغرب (خير فأعينوني
بقوة) اى عمل وطاعة
(اجعل بينكم وبينهم ردما)
هو الحكمة العلمية
والقانون الشرعي (آتوني
زبر الحديد) من الصورة
العلمية واوضاع الاعمال
(حتى اذا ساوى بين
الصدفين) بالتعديل

والملوك

والملوك (فيها) اى فى الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى السرر فى الحجال * ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) اى نعم الجزاء (وحسنت) اى الجنات (مرتفقا) اى مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا * قوله عزوجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت فى اخوين من اهل مكة من بنى مخزوم وهما ابو سلمة عبدالله بن عبدالاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا واخوه الاسود بن عبدالاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بنى اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس وقيل يمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة والصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار وانى قد اشتريت منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم انى اخطب اليك امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى منك خدما ومتاعا بالف دينار فى الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبى لعل ينالنى منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شانك قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعيننى بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا واخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيأ فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى انه لما اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لاحدهما جنتين) اى بستانين (من اعناب وحففناهما) اى اطفناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زرعا) اى وجعلنا بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما اى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلتا الجنتين آتت) اى اعطت كل واحدة من الجنتين (اكلها) اى ثمرها تماما (ولم تظلم منه شيا) اى ولم تنقص منه شيأ (وفجرنا خلالهما) شققنا وسطهما (نهرا وكان له) اى لصاحب البستان (ثمر) قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعنى صاحب البستان (لصاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) اى يخاطبه (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) اى عشيرة رهطا وقيل خدما وحشما (ودخل جنته) يعنى الكافر آخذا بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها (وهو ظالم لنفسه) أى بكفره (قال ما اظن ان تبيد) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (ابدا) وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا يفنى ابدا وانكر البعث فقال (وما اظن الساعة قائمة) اى كائنة (ولئن رددت الى ربى) فان قلت كيف قال لئن رددت الى ربى وهو

والتقدير (قال) للهوى الحيوانية (انفخوا) فى هذه الصور نفخ المعانى الجزئية والهيآت النفسانية من فضائل الاخلاق (حتى اذا جعله نارا) اى علما برأسه من جملة العلوم يحتوى على بيان كيفية الاعمال (قال آتونى افرغ عليه قطرا) النية والقصد الذى يتوسط بين العلم والعمل فيتحد به روح العلم وجسد العمل كالروح الحيوانى المتوسط بين الروح الانسانى والبدن فحصل سد اى قاعدة وبنيان من زبر الاعمال ونفخ العلوم والاخلاق وقطر العزائم والنيات واطمأنت به النفس وتدربت فآمنت (فما اسطاعوا ان يظهروه) ويعلوه لارتفاع شأنه وكونه مشتملا على علوم وحجج لم يمكنهم دفعها والاستيلاء عليها (وما استطاعوا له نقبا) لاستحكامه بالملكات والاعمال والاذكار (قال هذا) السد اى القانون (رحمة من ربى) على عباده يوجب امنهم وبقاءهم (فاذا جاء وعد ربى) بالقيامة الصغرى (جعله دكاء وكان وعد ربى حقا) باطلا منهدما لامتناع العمل به عند

منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربى على ماتزعم من ان الساعة آتية (لاجدن خيرا منها منقلبا) اى يعطينى هنالك خيرا منها لانه لم يعطنى الجنة فى الدنيا الاليعطينى فى الآخرة افضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب) اى خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب فى خلقه فكان خلقاله (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) اى عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال(لكنا هو الله ربى) مجازه لكن انا هو الله ربى (ولا اشرك بربى احدا ولولا) اى هلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى مارزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بانها وكل خيرفيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا (لاقوة الابالله) اى وقلت لاقوة الابالله اقرارا بان ماقويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة الله وتأييده ولا اقدر على حفظ مالى ودفع شئ عنه الابالله روى عن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى من ماله شيأ يعجبه اودخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لاقوة الابالله الحائط البستان (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) اى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعسى ربى) اى فلعل ربى (ان يؤتينى) اى يعطينى (خيرا من جنتك) يعنى فى الآخرة (ويرسل عليها) اى على جنتك (حسبانا) قال ابن عباس نارا وقيل مرامى (من السماء) وهى الصواعق فتهلكها (فتصبح صعيدا زلقا) اى ارضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هائلا (اويصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لاتناله الايدى ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعنى ان طلبته لم تجده (واحيط بثمره) يعنى احاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها من السماء نارا فأهلكتها وغار ماؤها (فاصبح) يعنى صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهر البطن تأسفا وتلهفا (على ماانفق فيها) المعنى فاصبح يندم على ماانفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) اى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض (ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احدا) يعنى انه يذكر موعظة اخيه المؤمن فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لولم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) اى جماعة (ينصرونه من دون الله) اى يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) اى ممتنعا لايقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لايقدر على رد ماذهب منه ❁ قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعنى السلطان فى القيامة (لله الحق) وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعنى انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه فى الدنيا (هو خير ثوابا) اى افضل جزاء لاهل طاعته لوكان غيره يثيب (وخير عقبا) يعنى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة ❁ قوله عز وجل (واضرب لهم) اى اضرب يا محمد لقومك (مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء) يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اى خرج منه كل لون وزهرة (فاصبح) اى عن قريب (هشيما) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شئ مقتدرا) اى قادرا ❁ قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعنى التى يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنياء (زينة الحيوة الدنيا) يعنى ليست من زاد الآخرة قال على بن ابى طالب

رضى الله

الموت وخراب الآلات البدنية (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) بالاضطراب والاختلاط اى تركناهم يختلطون لاجتماعهم فى الروح مع عدم الحيلولة (ونفخ فى الصور) للبعث فى النشأة الثانية (فجمعناهم جمعا) او بالقيامة الكبرى حال الفناء وظهور الحق جعله دكا لارتفاع العلم والحكمة هناك وظهور معنى الحل والاباحة تجلى الافعال الالهية وانتفاء الغير وفعله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض حيارى مختلطين شيأ واحدا لاحراكهم ونفخ فى الصور بالايجاد بالوجود الحقانى حال البقاء فجمعناهم جمعا فى التوحيد والاستقامة والتمكين وكونهم بالله لا بانفسهم (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) اى يوم القيامة الصغرى يتعذب المحجوبون عن الحق بانواع العذاب والنيران كما ذكر فى سورة الانعام اوفى ذلك الشهود اى ظهر لصاحب القيامة الكبرى تعذبهم فى نار جهنم (الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى) اى محجوبة

رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة ويجمعهما لاقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وماهن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه * وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة (خير عند ربك ثوابا) اي جزاء (وخير املا) اي ما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) اي نذهب بها وذلك ان تجعل هباء منثورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) اي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها (وحشرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم نغادر منهم احدا) اي لم نترك منهم احدا (وعرضوا على ربك صفا) اي صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة) يعني احياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الا وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا قوله غرلا اي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف اعمال العباد توضع في ايدي الناس في ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) اي خائفين (مما فيه) يعني من الاعمال السيئة (ويقولون) يعني اذا رأوها (ياويلتنا) اي ياهلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا

محجوبة عن آياتي وتجليات صفاتي الموجبة لذكرى (وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) اي تحولا لبلوغهم الكمال الذي يقتضيه استعدادهم فلا شوق لهم الى ماوراءه وان وجد كمال وراء ذلك لعدم ادراكهم له فلا ذوق ولا شوق وكونهم في مقابلة المشركين المحجوبين عن الحق بالغير وكون جناتهم جنات الفردوس يدل على ان المراد بهم هم الموحدون الكاملون الاستعداد الذين لا كمال فوق كمالهم فلا يبقى شيء وراء مرتبتهم يريدون

بالويل (مال هذا الكتاب لايغادر) اى لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) اى من ذنوبنا (الا احصاها) اى وعدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقر الذنوب فانما مثل محقر الذنوب مثل قوم نزلوا فى بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشئ الصغير التافه وقوله لموبقات اى مهلكات (ووجدوا ماعملوا حاضرا) اى مكتوبا مثبتا فى كتابهم (ولايظلم ربك احدا) اى لاينقص ثواب احد عمل خيرا ولايؤاخذ احدا بجرم لم يعمله * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذى وقال لايصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابى موسى * قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا) اى واذكر يامحمد اذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس وكونه من الملائكة لاينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج مالولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله افتتخذونه وذريته فاثبت له ذرية والملائكة لاذرية لهم واجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لايسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن * وقوله تعالى (ففسق عن امر ربه) اى خرج عن طاعة ربه (افتتخذونه) يعنى يابنى آدم افتتخذون ابليس (وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو) يعنى اعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ قيل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دونى فعلمت انه لاتكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلب وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل

وعجيزة

التحول اليه (قل لوكان البحر) اى بحر الهيولى القابلة للصور الممدة لها فى الظهور (مدادا لكلمات ربى) من المعانى والحقائق والاعيان والارواح (لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى) لكونها غير متناهية وامتناع وفاء المتناهى بغير المتناهى (ولوجئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) والله اعلم

﴿ سورة مريم ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا) قد تقدم فيما سلف ان كل طالب ينادى ربه ويدعوه انما يستحق الاجابة اذا دعاه بلسان الحال وناداه باسمه الذى هو مصدر مطلوبه بحسب اقتضاء استعداده فى ذلك الحال علم اولم يعلم اذ العطاء والفيض لايكون الا بحسب الاستعداد والاستعداد لايطابق الا مقتضى ذلك الاسم فيجيبه بتجلى ذلك الاسم الذى يجبر نقصه ويقضى حاجته بافادة مطلوبه كما ان المريض اذا قال

وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى افواه الناس لايجدون لها اصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع اويحسن موضعه واذا اكل ولم يسم اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه روى ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء اخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن ابى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها علىّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ ثم يجيء احدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه ✽ وقوله ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ يعنى بئس مااستبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ماأشهدتهم ﴾ اى مااحضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة ﴿ خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم ﴾ والمعنى مااشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها ﴿ وما كنت متخذ المضلين ﴾ يعنى الشياطين الذين يضلون الناس ﴿ عضدا ﴾ يعنى انصارا واعوانا ✽ قوله عز وجل ﴿ ويوم يقول نادوا ﴾ يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا ﴿ شركائى ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين زعمتم ﴾ يعنى انهم شركائى ﴿ فدعوهم ﴾ اى فاستغاثوا بهم ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ اى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعنى بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى وبين اهل الضلال ﴿ موبقا ﴾ يعنى مهلكا قال ابن عباس هو واد فى النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك ﴿ ورأى المجرمون ﴾ اى المشركون ﴿ النار فظنوا ﴾ اى ايقنوا ﴿ انهم مواقعوها ﴾ اى داخلوها وواقعون فيها ﴿ ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ اى معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها ✽ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد صرفنا ﴾ اى بينا ﴿ فى هذا القرآن للناس من كل مثل ﴾ اى ليتذكروا ويتعظوا ﴿ وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾ اى خصومة فى الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحرث وجداله فى القرآن وقيل اراد به ابى بن خلف وقيل اراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال الاتصليان فقلت يارسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان اكثر شيء جدلا ✽ قوله عز وجل ﴿ ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى ﴾ يعنى القرآن واحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ويستغفروا ربهم ﴾ والمعنى انه لامانع لهم من الايمان ولامن الاستغفار

يارب فمراده ياشافى اذا الحق يبريه بذلك الاسم عند اجابته وكذا الفقير اذا ناداه اجابه باسمه المغنى اذ هو ربه . فنادى زكريا عليه السلام ربه ليهب له وليا يقوم مقامه فى امر الدين وتوسل اليه بامرين واعتذر اليه ممتلا بامرين توسل بالضعف والشيخوخة والوهن والعجز عن القيام بامر الدين فى قوله (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) فاجابه باسمه الكافى فكفاه ضعفه واعطاه القوة وايده بالولد ثم بعنايته به فدعا بقوله (ولم اكن بدعائك رب شقيا) فاجابه باسمه الهادى وهداه الى مطلوبه بالبشارة والوعد لان العناية المقتضية للسعادة المستلزمة اسباب الشقاوة كما اشار اليها بلازمها عبارة عن علمه تعالى فى الازل بعين فى العدم وتقتضى باستعدادها سعادة تناسبها وهو عين ارادته تعالى ذلك الكمال لها عند وجودها فلابد من هدايته لها اليه والهداية انما تتم بالتوفيق وهو ترتيب الاسباب الموافقة لذلك المطلوب المؤدية اليه ولم يجدها موافقة ووجد خلافها فخاف واعتذر اليه

والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم لم يقدموا على الايمان والاستغفار ﴿ الا ان تأتيهم سنة الاولين ﴾ يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال ﴿ او تأتيهم العذاب قبلا ﴾ قال ابن عباس اي عيانا من المقابلة وقيل فجأة ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ﴾ اي بالثواب على الطاعة ﴿ ومنذرين ﴾ بالعقاب لمن عصى ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ﴿ ليدحضوا ﴾ اي ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ ويزيلوه ﴿ واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ﴾ فيه اضمار يعني اتخذ وما انذروا به وهو القرآن استهزاء ۞ قوله عز وجل ﴿ ومن اظلم ممن ذكر ﴾ اي وعظ ﴿ بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ اي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿ ونسي ما قدمت يداه ﴾ اي ما عمل من المعاصي من قبل ﴿ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ اي اغطية ﴿ ان يفقهوه ﴾ يريد لئلا يفهموه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ اي ثقلا وصمما ﴿ وان تدعهم ﴾ يا محمد ﴿ الى الهدى ﴾ اي الدين ﴿ فلن يهتدوا اذا ابدا ﴾ وهذا في اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون ﴿ وربك الغفور ﴾ اي البليغ المغفرة ﴿ ذو الرحمة ﴾ اي الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ اي يعاقب الكفار ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ اي في الدنيا ﴿ بل لهم موعد ﴾ يعني البعث والحساب ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ اي ملجأ ﴿ وتلك القرى ﴾ يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ اهلكناهم لما ظلموا ﴾ اي كفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ اي اجلا لاهلاكهم ۞ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه ﴾ الآيات اكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوي ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا اراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال فخذ معك حوتا فاجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا

بالخوف من الموالي لعدم صلاحيتهم لذلك فاجابه باسمه الواقي فوقاه شرهم وبامتناع وجود الولي من نسله لعدم الاسباب بقوله (واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا) فاجابه باسمه العليم لانه علم عدم الاسباب الذي تعلل به محتجا بها عن المسبب وعلم وجوده مع عدمها وما علمه لا بد من كونه كما قالت الملائكة لامرأة ابراهيم عليه السلام كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ولما بشره بالولد وهداه الى مقتضى العلم تعجب منه لضراوته في عالم الاسباب بالحكمة وكرر التعلل بعدم الاسباب بقوله انى يكون لي غلام الخ لانه كان يطلب ولدا حقيقيا يلي امره ويحذو حذوه ويسلك طريقه في القيام بامر الدين وان لم يكن من نسله لعدم اهلية مواليه لذلك فكرر البشارة وهداه الى سهولة ذلك في قدرته فالتمس علامة تدل عليه فهداه اليها وانجز وعده باسمه الصادق فرحمه بهبة يحيى له فاقتضت الاحوال الاربعة مع حال الوعد والبشارة اجابته

لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امره الله به فقال له فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وماانسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب ابيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بأرضك السلام فقال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه وانت على علم الله علمكه الله لا اعلمه فقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيأ امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر مانقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذا بصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى مائلا فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى اوددت انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافر اوكان ابواه مؤمنين وفى رواية عن ابى ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال اى رسول الله هل فى الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال اى رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفى رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد فى رواية وفى اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لايصيب من مائها شئ الا حيى فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير * قوله سبحانه وتعالى (لاابرح) اى لاازال اسير (حتى ابلغ مجمع البحرين) قيل اراد بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (اوامضى حقبا) يعنى او اسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى

بالرحمة عليه بالاسماء الخمسة فعلى هذا يكون (ك) اشارة الى الكافى الذى اقتضاه حال ضعفه وشيخوخته وعجزه و (هـ) اشارة الى الهادى الذى اقتضاه عنايته به وارادة مطلوبه له و(ى) اشارة الى الواقى الذى اقتضاه حال خوفه من الموالى و (ع) اشارة الى العالم اقتضاه اظهاره لعدم الاسباب و (ص) اشارة الى الصادق الذى اقتضاه الوعد ومجموع الاسماء الخمسة هو الرحيم بهبة الولد وافاضة مطلوبه فى هذه الاحوال فذكر هذه الحروف وتعدادها اشارة الى ان ظهور هذه الصفات التى حصل بها هذه الاسماء هو ظهور رحمة عبده زكريا وقت ندائه وذكرها ذكر تلك الرحمة التى هى وجود يحيى عليه السلام ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما (ك) عبارة عن الكافى و (هـ) عن الهدى و (ى) عن الواقى و (ع) عن العالم و (ص) عن الصادق والله اعلم والتطبيق ان يقال نادى زكريا الروح فى مقام استعداد العقل الهيولانى نداء خفيا واشتكى ضعفه

الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيأ الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) اي بين البحرين (نسيا) اي تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) اي الحوت (سبيله في البحر سربا) اي مسلكا وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفتاه آتنا غداءنا) اي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (ارايت اذ اوينا الى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعود (فاني نسيت الحوت) اي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين راى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسي ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد * ثم قال (وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره) اي وما انساني ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل اي شئ اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه * قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) اي رجعا يقصان الذي جاآ منه ويتبعانه (فوجدا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى راى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب اي مغطى بثوب وقوله واني بارضك السلام معناه من اين بارضك التي انت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب

وتوسل بعنايته واشتكى خوف موالي القوى النفسانية وعقر امرأة النفس ولد القلب (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) العقل الفعال (واجعله رب رضيا) موصوفا بالكمالات المرضية (يازكريا انا نبشرك بغلام) القلب (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) لحياته ابدا (قال رب اجعل لي آية) اتوصل بها اليه (قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) ناس الحواس بالشواغل الحسية والمخالطة بالامور الطبيعية (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) اي كونوا على عبادتكم المخصوصة بكل واحد منكم بالرياضة وترك الفضول دائما (يا يحيى) القلب (خذ الكتاب بقوة) كتاب العلم المسمى العقل الفرقاني (وآتيناه الحكم) اي الحكمة (صبيا) قريب العهد بالولادة المعنوية (وحنانا من لدنا)

البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا (آتيناه رحمة) اى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) اى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لايخلو اما ان يكون الخضر من بنى اسرائيل او من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من امة موسى ولاجائز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلى شانا منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وانى فضلتكم على العالمين اى على عالمى زمانكم (قال له موسى هل اتبعك) معناه جئت لاصحبك واتبعك (على ان تعلمن مما علمت رشدا) اى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وبنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرنى بهذا فحينئذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معى صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا منكرة ولايجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) اى علما (قال) موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا اعصى لك امرا) اى لا اخالفك فيما تامرنى به (قال فان اتبعتنى) اى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألن عن شئ) اى مما اعمله مما ينكره ولا تعترض عليه (حتى احدث لك منه ذكرا) معناه حتى ابتدئ بذكره فابين لك شانه ☆ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) اى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكن ارى وجوه الانبياء وروينا عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اى بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا فى البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من الواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال) يعنى موسى له (اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيأ امرا) اى اتيت شيأ عظيما منكرا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال) يعنى موسى (لاتؤاخذنى بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسى شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقنى) اى لاتغشنى (من امرى عسرا) والمعنى لاتعسر على متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لاتكلفنى مشقة ولاتضيق على امرى (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) فى القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضئ الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ راسه فاقتلعه بيده وروى عبدالرزاق هذا الخبر وفيه واشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع راسه وروى انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث

اى رحمة بكمال تجليات الصفات (وزكاة) اى تقدسا وطهارة بالتجرد (وكان تقيا) مجتنبا صفات النفس (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) الروح والنفس (وسلام عليه) اى تنزه وتقدس عن ملابسة المواد (يوم ولد ويوم يموت) بالفناء فى الوحدة (ويوم يبعث) بالبقاء بعد الفناء (حيا) بالله (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا) المكان الشرقى هو مكان العالم القدسى لاتصالها بروح القدس عند تجردها وانتباذها عن مكان الطبيعة ومقر النفس واهلها القوى النفسانية والطبيعية . (فاتخذت من دونهم حجابا) والحجاب الذى اتخذته من دونهم هو حظيرة القدس الممنوع من اهل علم النفس بحجاب الصدر الذى هو غاية مبلغ علم القوى المادية ومدى سيرها ومالم تترق الى العالم القدسى بالتجرد لم يمكن ارسال روح القدس اليها كما أخبر عنه تعالى فى قوله (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن

ولم يكن نبي الله موسى يقول اقتلت نفسازاكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه ابواه (ق) عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم (قال) يعني موسى (اقتلت نفسازاكية) اى لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي اذنبت ثم تابت (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيأ نكرا) اى منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه (قال) يعني الخضر (الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يانبي الله اذكر العهد الذي انت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني او فارقني ولا تصاحبني (قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس اى قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا انه عجل رأى العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر رأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة اى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعني لمته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك * قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد الارض من السماء وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما) قال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم اتيا اهل قرية لئاما فطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروى انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة قال اطعمتهما امرأة من اهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) اى يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة (فاقامه) اى سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه (قال) يعني موسى (لو شئت لاتخذت عليه اجرا) يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قد علمت انا جياع وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك اجرا (قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك اخذ الاجر هو المفرق بيننا (سأنبئك) اى سوف اخبرك (بتأويل مالم تستطع عليه صبرا

منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين) وانما تمثل لها بشر اسوى الخلق حسن الصورة لتتأثر نفسها به وتستأنس فتتحرك على مقتضى الجبلة ويسرى الاثر من الخيال في الطبيعة فتتحرك شهوتها فتنزل كما يقع في المنام من الاحتلام وتقذف نطفتها في الرحم فيتخلق منه الولد وقد مر أن الوحي قريب من المنامات الصادقة لهدء القوة البدنية وتعطلها عن افعالها عنده كما في النوم فكل ما يرى في الخيال من الاحوال الواردة على النفس الناطقة المسماة في اصطلاحنا قلبا والاتصالات التي لها بالارواح القدسية يسرى في النفس الحيوانية والطبيعية وينفعل منه البدن وانما امكن تولد الولد من نطفة واحدة لانه ثبت في العلوم الطبيعية ان منى الذكر في تكون الولد بمنزلة الانفحة في الجبن ومنى الانثى بمنزلة اللبن اى العقد من منى الذكر والانعقاد

وقيل

وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر ﴿ اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر اي يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لايزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة اشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ اي اجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ اي امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول اصح ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ اي كل سفينة صالحة فخرقها وعيبها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هددبن بددوروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال اردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها وانتفعوا بها * قوله عز وجل ﴿ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ﴾ اي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ﴿ ان يرهقهما ﴾ اي يغشيهما وقيل يكلفهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ قيل معناه فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه ﴿ فاردنا ان يبدلهما ربهما ﴾ الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه ﴿ خيرا منه زكاة ﴾ اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى اقتلت نفسا زاكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة ﴿ واقرب رحما ﴾ اي ويكون المبدل منه اقرب عطفا ورحمة بأبويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية تزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ﴾ قيل كان اسمهما اصرم وصريم ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما ﴿ وكان ابوهما صالحا ﴾ قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذكر ولدي فأزيد في صلاتي ﴿ فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ﴾ اي يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثماني عشرة سنة

من مني الانثى لا على معنى ان مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الانثى بالقوة المنعقدة بل على معنى ان القوة العاقدة في مني الذكر اقوى والمنعقدة في مني الانثى اقوى والا لم يمكن ان يتحدا شيأ واحدا ولم ينعقد مني الذكر حتى يصير جزأ من الولد فعلى هذا اذا كان مزاج الانثى قويا ذكوريا كما تكون امزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى وكان مزاج كبدها حارا كان المني المنفصل عن كليتها اليمنى اكثر كثيرا من الذي ينفصل عن كليتها اليسرى فاذا اجتمعا في الرحم وكان مزاج الرحم قويا في الامساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام الذكر في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام المني الانثى في قوة الانعقاد فيتخلق الولد هذا وخصوصا اذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية يسري اثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن ويغير المزاج ويمد جميع القوى في افعالها بالمدد الروحاني فيصير اقدر على افعالها بما لا ينضبط بالقياس والله اعلم (ولنجعله

فان قلت كيف قال فى الاولى فأردت وفى الثانية فأردنا وفى الثالثة فأرادربك وماوجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكرالعيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولماذكر القتل عبرعن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء فى علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولماذكر رعاية المصالح فى مال اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح احوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى (ويستخرجا كنزهما) يعنى اذا بلغا وعقلا وقويا (رحمة من ربك) اى نعمة من ربك (وما فعلته عن امرى) اى باختيارى ورأيى بل فعلته بامرالله والهامه اياى لان تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لايكون الابالنص وامرالله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امرى على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحى وذلك للانبياء والصحيح انه ولى لله وليس بنبى واجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) اى لم تطق ان تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال اوصنى قال لاتطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء فى ان الخضر احى ام ميت فقيل انه حى وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة والحكايات فى رؤيته والاجتماع به ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح فى فتاواه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب فى حياة الخضر فيما حكى انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرالله تعالى واخطا ذوالقرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لايعيش بعده ❁ وقوله عزوجل (ويسئلونك عن ذى القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس كذا صح الرومى وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره نقل الامام فخرالدين فى تفسيره عن ابى الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابوكرب سمى بن عيربن بن افريقيس الحميرى وهو الذى افتخر به احد شعراء حمير حيث يقول

قدكان ذوالقرنين جدى مسلما ❁ ملكا علا فى الارض غير مفند ❁ بلغ المشارق والمغارب يبتغى اسباب ملك من كريم مرشد ❁ فراى مآب الشمس عند غروبها ❁ فى عين ذى خلب وثاطة حرمد

قوله فراى مآب الشمس اى ذهاب الشمس وقوله فى عين ذى خلب اى حماة والثاطة الحماة

ايه للناس) دالة على البعث والنشور (ورحمة منا) منا عليهم بتكميلهم به بالشرائع والحكم والمعارف وهدايتهم بسبب فعلنا ذلك فهو صورة الرحمة الالهية المعنوية (وكان امرا مقضيا) فى اللوح مقدرا فى الازل وعن ابن عباس فاطمأنت اليه بقوله انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فدنا منها فنفخ فى جيب الدرع اى البدن وهو سبب ازالها على ما ذكرنا كالغلمة مثلا والمعانقة التى كثيرا ما تصير سببا للانزال وقيل ان الروح المتمثل لها هو روح عيسى عليه السلام عند نزوله واتصاله بها وتعلقه بنطفتها والحقوا به روح القدس لانه كان السبب الفاعلى لوجوده كما قال لاهب لك غلاما زكيا واتصال روح عيسى بالنطفة انما يكون بعد حصول النطفة فى الرحم واستقرارها فيه ريثما تمتزج وتتحد وتقبل مزاجا صالحا لقبول الروح (فحملته فانتبذت به) اى معه (مكانا قصيا) اى بعيدا من المكان الاول الشرقى لانها وقعت به فى المكان الغربى الذى هو عالم الطبيعة والافق الجسمانى

ايضا والجمع ثأط والحرمدالطينالاسود وقيل سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربهـا وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه راى فى المنـام كأنه اخذبقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذوابتان حسـنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لايكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سـئل على عن ذى القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فنا صحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لـمامات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكـندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بهـا وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان الفا وثلاثين سـنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين ﴿ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ﴾ اى خبرا يتضمن حاله * قوله سبحانه وتعـالى ﴿ انا مكناله فى الارض ﴾ اى وطاناله والتمكين تمهيد الاسـباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طرقها ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء ﴿ سببا ﴾ اى علما يتسبب به الى كل مايريد ويسير به فى اقطـار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنـاله اقطار الارض ﴿ فاتبع سببا ﴾ اى سلك طريقا ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ اى ذات حماة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية اى حارة وسال معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس واين تغرب قال نجد فى التوراة انها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز ان يكون معنى فى عين حمئة اى عندها عين حمئة اوفى راى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب فى وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كانها تغيب فى البحر ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ اى عند العين امة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية حرجسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع النـاس وجبة الشمس حين تجب اى تغيب ﴿ قلنا ياذا القرنين ﴾ يسـتدل بهذا من زعم انه كان نبيا فان الله

ولهذا قال ﴿ فأجاءها المخاض الى جذع النخـلة ﴾ نخـلة النفس ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ﴾ اى ناداها جبريل من الجهـة السفلية بالنسـبة الى مقامها من القلب اى من عالم الطبيعة الذى كان حزنها من جهته وهو الحمل الذى هو سبب نشورها واقتضاحهـا ﴿ الا تحزنى قدجعل ربك تحتك سريا ﴾ اى جدولا من غرائب العلم الطبيعى وعلم توحيد الافعال الذى خصـك الله بهـا واصطفاك كما رأيت من تولد الجنين من نطفتك وحدها ﴿ وهزى اليك بجذع النخلة ﴾ نخـلة نفسـك التى بسقت فى سماء الروح باتصـالك روح القدس واخضرت بالحياة الحقيقية بعد يبسـها بالرياضة وجفافها بالحرمان عن ماء الهوى وحيـاته واثمرت المعارف والمعانى اى حركها بالفكر ﴿ تساقط عليك ﴾ من ثمرات المعارف والحقـائق ﴿ رطبا جنيـا فكلى ﴾ اى من فوقك رطب الحقائق والمعارف الالهية وعـلم تجليـات الصفات والمـواهب والاحـوال ﴿ واشربى ﴾ من تحتك ماء

خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره (اما ان تعذب) يعنى تقتل من لم يدخل فى الاسلام (واما ان تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال اما من ظلم) اى كفر (فسوف نعذبه) اى نقتله (ثم يرد الى ربه) اى فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) اى منكرا يعنى بالنار لانها انكر من القتل (واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) اى جزاء اعماله الصالحة (وسنقول له من امرنا يسرا) اى نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا (ثم اتبع سببا) اى سلك طريقا ومنازل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قيل انهم كانوا فى مكان ليس بينهم و بين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا فى اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج * قوله سبحانه وتعالى (كذلك) اى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم فى القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم الذين عند مغربها وهو الاصح (وقد احطنا بما لديه خبرا) اى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره * قوله عز وجل (ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) هما هنا جبلان فى ناحية الشمال فى منقطع ارض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) اى امام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لا يفهمون قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج ومأجوج) اصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذوا لقرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعة آلاف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة

العلم الطبيعى وبدائع الصنع وغرائب الافعال الالهية وعلم التوكل وتجليات الافعال والاخلاق والمكاسب كما قال تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (وقرى عينا) بالكمال والولد المبارك الموحود بالقدرة الموهوب بالعناية (فاما ترين من البشر احدا) اى من اهل الظاهر المحجوبين عن الحقائق بظواهر الاسباب وبالصنع والحكمة عن الابداع والقدرة الذين لا يفهمون قولك ولا يصدقون بك وبحالك لوقوفهم مع العادة واحتجابهم بالعقول المشوبة بالوهم المحجوبة عن نور الحق (فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكوة مادمت حيا وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا) اى

ذراع وهؤلاء لايقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى
لايمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم
بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط
في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب
فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب
بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه
وتعالى له اني باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب
الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض
احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تأويل وامم
في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين باي قوة اكابدهم وباي
جمع اكاثرهم وباي لسان اناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني ساقويك وابسط لسانك واشد
عضدك فلا يهولنك شئ والبسك الهيبة فلا يروعك شئ واسخر لك النور والظلمة واجعلهما
من جنودك فالنور يهديك من امامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس
فوجد جمعا وعددا لايحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم
الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم
الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق
يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل
ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم اخذ ناحية اليسرى فاتى تاويل ففعل بهم
كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في وسط الارض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق
قالت له امة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهائم يفترسون
الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض
وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا شك انهم يملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل
نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني فيه ربي خير وقال اعدوا الى الصخور
والحديد والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ
طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب واضراس كالسباع ولهم هلب
شعر يواري اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش
احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث
التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس مابينهما وحفر له الاساس حتى
بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج (مفسدون في الارض) قيل
فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلا يدعون فيها شيأ اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا حملوه وادخلوه ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس
وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) اي جعلا واجرا من الاموال
(على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) اي حاجزا فلا يصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (مامكني
فيه ربي خير) اي ماقواني به ربي خير من جعلكم (فاعينوني بقوة) يعني لا اريد منكم المال بل

لاتكلمهم في امرك شيأ
ولا تماديهم فيما لايمكنهم
قبوله حتى ينطق هو بحاله
(والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث
حيا) في المواطن الثلاثة كما
على يحيى لكون ذاتي مجردة
مقدسة لاتحتجب بالمواد
حتى في الطفولة اذ معنى
السلام التنزه عن العيوب
اللاحقة بواسطة تعلق المادة
(ذلك عيسى بن مريم قول
الحق الذي فيه يمترون)
اي كلمة التي هي عبارة عن
ذات مجردة ازلية كما مر غير
مرة (ماكان لله ان يتخذ
من ولد سبحانه اذا قضى
امرا) لامتناع وجود شئ
آخر معه عن ان يوجد معه
شئ (فانما يقول له كن
فيكون) اي يبدعه بمجرد
تعلق ارادته به من غير زمان
(وان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل
للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم اسمع بهم وابصر يوم
يأتوننا لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين وانذرهم
يوم الحسرة اذ قضي الامر
وهم في غفلة وهم لايؤمنون
انا نحن نرث الارض ومن
عليها والينا يرجعون واذكر

اعينونى بايد انكم وقوتكم (اجعل بينكم وبينهم ردما) اى سدا قالوا وماتلك القوة قال فعلة
وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وماتلك الآلة قال (آتونى) اى اعطونى وقيل جيئونى
(زبر الحديد) اى قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب
(حتى اذا ساوى بين الصدفين) اى بين طرفى الجبلين (قال انفخوا) يعنى فى النار (حتى اذا
جعله نارا) اى صار نارا (قال آتونى افرغ عليه) اى اصب عليه (قطرا) اى نحاسا مذابا
فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد
كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع
وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى
صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف
تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما اسطاعوا
ان يظهروه) اى يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) اى من اسفله لشدته
وصلابته (قال) يعنى ذو القرنين (هذا) اى السد (رحمة من ربى) اى نعمة من ربى
(فاذا جاء وعد ربى) قيل يعنى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) اى ارضا ملساء
وقيل مدكوكا مستويا مع الارض (وكان وعد ربى حقا) (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين
قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس اصبعك السبابة فى وسط
الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الا خلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فى السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال
فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس
قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين
تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون الماء وتفر منهم الناس وفى رواية تحصن الناس فى
حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الارض وعلونا
من فى السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيهلكون فوالذى نفس محمد
بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا اخرجه الترمذى وقوله قسوة وعتوا
اى غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون فى انوف الابل والغنم وقوله وتسكر يقال
شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلاء ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ اجسادها لحما وتسمن
(خ) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت
وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج * قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض)
قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج اى يدخل بعضهم فى بعض كموج
الماء ويختلط بعضهم فى بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم فى
بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى (ونفخ فى الصور) فيه دليل على ان خروج
يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) اى فى صعيد واحد (وعرضنا)
اى ابرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت اعينهم فى غطاء)

فى الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا نبيا) فى القيامة
الكبرى بالفناء المطلق
والشهود الذاتى . الصدق
اصل كل فضيلة وملاك كل
كمال وخميرة كل مقام
واستعداد كل موهبة (اذ قال
لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر) مما سوى الله
من الاكوان التى تطلبها
وتنسب التأثير اليها (ولا يغنى
عنك شيأ) فى الحقيقة لعدم
تأثيره (يا ابت انى قد جاءنى
من العلم ما لم يأتك فاتبعنى
اهدك صراطا سويا يا ابت
لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا يا ابت انى
اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان
وليا قال اراغب انت عن
آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته
لارجمنك واهجرنى مليا)
اى التوحيد الذاتى (قال
سلام عليك) اى جرد الله
ذاتك عن المواد التى
احتجبت بها (سأستغفر لك
ربى انه كان بى حفيا) سأطلب
منه ستر ذاتك بنوره ومحو
غشاوات صفاتك بصفاته
ودناءة هيئات نفسك بافعاله
ان امكن (واعتزلكم وما
تدعون من دون الله وادعوا
ربى عسى الا اكون بدعاء

اى

اى غشاء وستر (عن ذكرى) اى عن الايمان والقرآن والهدى والبيـان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لايستطيعون سمعا) اى سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لايستطيعون ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له * قوله تعالى (افحسب) اى افظن (الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء) يعنى اربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم اعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيرى اوليـاء وانى لا اغضب لنفسى فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء (انا اعتدنا) اى هيانا (جهنم للكافرين نزلا) اى منزلا قال ابن عباس رضى الله عنهما هى مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف * قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمـالا) يعنى الذين اتعبوا انفسهم فى عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عبـاس هم اليهود والنصـارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم فى الصـوامع وقال على بن ابى طـالب هم اهل حروراء يعنى الخوارج (الذين ضـل سعيهم) اى بطل عملهم واجتهادهم (فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون) اى يظنون (انهم يحسنون صنعا) اى عملا ثم وصفهم فقال تعـالى (اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقـائه) يعنى انهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (فحبطت اعمـالهم) اى بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لانقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسـنات والسيآت من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال ابو سعيد الخدرى يأتى اناس باعمال يوم القيـامة هى عندهم من العظم كجبال تهـامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فذلك قوله تعـالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدرى بهم فليس لهم عندنا حظ ولاقدر ولاوزن (ق) عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ماذكر من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتى ورسلى هزوا) يعنى سخرية واستهزاء * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن ابى هريرة عن النبى صـلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس فى الجنات جنة اعلى من جنة الفردوس فيهـا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى فيه الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هوما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمهـا نزلا وقيل فى معنى كانت لهم اى فى علم الله تعـالى قبل ان يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) اى لا يطلبون (عنهـا حولا) اى تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون

ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) بالكسر اى مجردا ذاته وعلمه فى السلوك لوجه الله لم يلتفت الى ماسواه من وجهة حتى صفاته تعالى بل نفاها عن ذاته وهو مازاغ البصر وماطغى بقوله ارنى انظر اليك ومخلصا بالفتح اى اخلصه الله عن انانيتـه وافنى البقيـة منه فخلص من الطغيان المذكور بالتجلى الذاتى التام واستقام بتمكين الله اياه كما قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليـك من ذنب ظـهور الانانية (وكان رسولا نبيا) مقام الرسالة دون مقـام النبوة لكونها مبنية للاحكام كالحـلال والحرام منبهـة على الاوضـاع كالصـلاة والصيام فهى متعلقة ببيان احكام المكلفين واما النبوة فهى عبارة عن الانباء عن المعـانى الغيبيـة كاحوال المعـاد والبعث والنشور والمعارف الالهية كتعريف الصفـات والاسماء وما

ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى * قوله تعالى (قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا وقد اوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الاقليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الاقليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى اى ماءيستمده الكاتب ويكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد لوكان البحر مداد القلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفد البحر) اى لنفد ماؤه (قبل ان تنفد كلمات ربى) اى علمه وحكمته (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى ولوكان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات ربى ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا وزيادة * قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول انا آدمى مثلكم الا انى خصصت بالوحى واكرمنى الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الهكم اله واحد) لاشريك له فى ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) اى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) اى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولايشرك بعبادة ربه احدا) اى لايرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيد ان احدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى ان يكون مبرا من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبدالله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به قوله من سمع سمع الله به اى من عمل عملا مراآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به اى اسمعه المكروه (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه برئ هو والذى عمله عن سعيد بن ابى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن الشرك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام

هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن

يليق بالله من التحميدات والتمجيدات والولاية فوقهما جميعا لكونها عبارة عن الفناء فى ذات الله من غير اعتبار الخلق فهى اشرف المقامات لكونها تتقدم عليهما لانها ما لم تحصل اولا لم تمكن النبوة ولا الرسالة لكونها مقومة اياها ولهذا قدم كونه مخلصا فى القرآن بالفتح واخرت النبوة عن الرسالة لكونها اشرف وادل على المدح والتعظيم منها ولم يؤخر الولاية عنهما باعتبار الشرف لانها وان كانت اشرف لكنها باطنة لايعرف شرفها وفضلها الا الافراد من العرفاء المحققين المخصوصين بدقة النظر دون غيرهم فلا يفيد المدح والتعظيم ولا الاقتصار عليه بقوله مخلصا وان كانت اشرف لانها قد توجد بدونهما بخلاف العكس فلا يحسن وصفه الاعلى هذا الترتيب (وناديناه من جانب الطور الايمن) اى طور وجوده الذى هو نهاية طور القلب فى مقام السر الذى هو محل المناجاة ولهذا قال (وقربناه نجيا) وسمى كليم الله وانما وصفه بالايمن الذى هو الاشرف

القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده (ذكر) اي هذا الذي نتلوعليك ذكر (رحمته ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (اذنادى) اي دعا (ربه) في المحراب (نداء خفيا) اي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء اولى لانه ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب اني وهن) اي رق وضعف (العظم مني) اي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) اي ابيض الشعر (شيبا) اي شمط (ولم اكن بدعائك رب شقيا) اي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم اشق بترك الايمان (واني خفت الموالي من ورائي) اي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتي عاقرا) اي لا تلد (فهب لي من لدنك وليا) اي اعطني من عندك ولدا مرضيا (يرثني ويرث من آل يعقوب) اي وليا ذا رشاد وقيل اراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا احكامه وذلك لما ان شاهد من بني اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضيا) اي برا تقيا مرضيا ﴿ قوله تعالى (يازكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يازكريا (انا نبشرك بغلام) اي بولد ذكر (اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا) اي لم يسم احد قبله بيحيي وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيي وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه (قال رب انى يكون لي) اي من اين يكون لي (غلام وكانت امرأتي عاقرا) وقد بلغت من الكبر عتيا) اي يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو علي هين) اي يسير (وقد خلقتك من قبل) اي من قبل يحيي (ولم تك شيأ قال رب اجعل لي آية) اي دلالة على حمل امرأتي (قال آيتك) اي علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) اي صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه ﴿ قوله عزوجل (فخرج على قومه من المحراب) اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) اي فأوما واشار (اليهم) وقيل كتب لهم في الارض (ان سبحوا) اي صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما

والاقوى والاكثر بركة احترازا عن جانبه الايسر الذي هو الصدر لان الوحي انما يأتي من عالم الروح الذي هو الوادي المقدس (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) ان كان بمعنى المكانة فهو قربه من الله ورتبته في مقام الولاية من عين الجمع وان كان بمعنى المكان فهو الفلك الرابع الذي هو مقر عيسى عليه السلام لما ذكر من كونه مركز روحه في الاصل والمبدأ الاول لفيضانه اذا فاض عن محرك فلك الشمس ومعشوقه (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) سمعوا بالنفس من كل آية ظاهرها وبالقلب باطنها وفهموا بالسر حدها وصعدوا بالروح مطلعها

كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة اشارة * قوله عزوجل (يايحيي) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيي وقلنا له يايحيي (خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعني النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت لان اصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل ان يبلغ فهو ممن اوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) اى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

تحنن على هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

اى ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا في اخلاصه (وكان تقيا) اى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى ان لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو ابلغ من العاصى والمراد وصف يحيي بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وامان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل اوحش مايكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يحيي في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها * قوله عزوجل (واذكر في الكتاب) اى في القرآن (مريم اذ انتبذت) اى تنحت واعتزلت (من اهلها) اى من قومها (مكانا شرقيا) اى مكانا في الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقه تفلى راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) اى فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس اى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب امرد وضئ الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) يعني جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) اى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم

فشاهدوا المتكلم موصوفا بالصفة التى تجلى بها في الآية فخروا سجدا فنوا في ذلك الاسم الذى تجلى به عند ظهوره بتلك الصفة الكاشفة عنها تلك الآية وبكوا اشتياقا الى مشاهدته بسائر الصفات المشتمل عليه الرحمن او الله وهو بكاء القلب ان لم يكن مستلزما لبقاء النفس من خوف البعد كما قال الشاعر

ويبكى ان نأوا شوقا اليهم
ويبكى ان دنوا خوف الفراق

(فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اضاعوا صلاة الحضور لكونهم في مقام النفس والحضور انما يكون بالقلب ولا صلاة الا به ولذلك الاحتجاب بصفات النفس عن مقام القلب لزم اتباع الشهوات (فسوف يلقون غيا) شرا وضلالا اذ كلما امعنوا في اتباعها ازداد ضلالهم وارتكبت الذنوب على الذنوب فازداد تورطهم فيها كما قال عليه الصلاة والسلام الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الاول (الامن تاب) عن الذنب الاول فرجع الى مقام القلب (وآمن) باليقين

جبريل

جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرته من بعيد (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) اى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى اى ينبغى ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى ان تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما انا رسول ربك لاهب) اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (انى يكون لى) اى من اين يكون لى (غلام ولم يمسسنى بشر) اى ولم يقربنى زوج (ولم اك بغيا) اى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح اوسفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) اى هكذا قال ربك (هو علىّ هين) اى خلق ولدك بلا اب (ولنجعله آية للناس) اى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) اى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان امرا مقضيا) اى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل ✻ قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفخ فى كمها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام فى الحال (فانتبذت به) اى فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) اى بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من اهلها وقومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة اشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك آية اخرى له لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولدلستة اشهر وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبرئها راى ماظهر منها من الحمل فأول ماتكلم به ان قال انه وقع فى نفسى من امرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرايت ان اتكلم به اشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تر ان الله انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكنى اقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله خلق آدم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ماعنده من التهمة وكان

(وعمل صالحا) باكتساب الفضيلة (فاؤلئك يدخلون الجنة) المطلقة بحسب استحقاقهم ودرجتهم فى الايمان والعمل (ولا يظلمون) اى لا ينقصون مما اقتضاء حالهم ومقامهم (شيأ جنات عدن) مرتبة بحسب درجاتهم فى مقام النفس والقلب والروح (التى وعد الرحمن) المفيض بجلائل النعم واصولها وعمومها (عباده بالغيب) فى حالة كونهم غائبين عنها (انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما) اى مايسلمهم من النقائص ويجردهم عن المواد من المعارف والحكم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) اى دائما اوبكرة فى جنة وقت ظهور نور شمس الروح وعشيا فى جنة النفس وقت غروبه (تلك الجنة) المطلقة التى تقع على واحدة منها (التى نورث من عبادنا من كان تقيا) مطلقا بحسب تقواه فان اتقى الرذائل والمعاصى نورثه جنة النفس اى جنة الآثار وان اتقى افعاله بالتوكل فله جنة القلب وحضور تجليات الافعال وان اتقى

ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها اوحى الله اليها ان اخرجى من ارض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا * قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) اى الجاها وجاء بها والمخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعنى شيأ حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها (ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) اى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هنالك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنت النخلة اليابسة فأورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اى تحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وان امرته بالامساك امسك وقيل معنى سريا اى عيسى وكان عبدا سريا رفيعا (وهزى اليك) اى حركى اليك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم مالنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلى واشربى) اى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى عينا) اى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقول اقر الله عينك اى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر احدا) معناه يسألك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) اى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله امرها ان تقول هذا اشارة وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب (فلن اكلم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس * قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال ياأماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) اى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع (ياأخت هرون) اى ياشبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن

صفاته فى مقام القلب فله جنة الصفات وان اتقى ذاته ووجوده بالفناء فى الله فله جنة الذات (وما نتنزل الا بأمر ربك) تنزل الملائكة واتصال النفس بالملا الاعلى انما يكون بأمرين استعداد اصلى وصفاء فطرى يناسب به جوهر الروح العالم الاعلى واستعداد حالى بالتصفية والتزكية ولا يكفى مجرد حصولها فيه بل المعتبر هو الملائكة الاترى الى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة كيف رتب التنزل على الاستقامة التى هى التمكين الدال على الملكة والى قوله فى تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كيف اورد فى حصول استعداد تنزلهم بناء المبالغة الدال على الملكة والدوام فكذا لا تتنزل الملائكة الاعلى الصديق الخير وهذا الاستعداد الثانى اذا اجتمع مع الاول كان علامة اذن الحق وامره اذ الفيض عام تام غير منقطع فحيث تأخر ما تأخر لعدم الاستعداد فلذا لما استبطأ الوحى وقل صبره نزلت اى وما نتنزل باختيارنا بل باختياره ليس الا (له ما بين

شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوالى انكم تقرؤن ياأخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء انبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون اخا مريم لابيها وقيل كان من امثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا اخا تميم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا اعظم الفسق فشبهوها به (ماكان ابوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت امك) يعنى حنة (بغيا) اى زانية فمن اين لك هذا الولد (فاشارت اليه) اى اشارت مريم الى عيسى ان كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع مافعلت تسخر بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) قيل اراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما اشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و (قال انى عبد الله) قال وهب اتاها زكرياء عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبد الله اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ماتكلم لئلا يتخذاها فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى من ازالة التهمة عن امه فلهذا اول ماتكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لايفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك اولى (آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه اوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه الهم التوراة وهو فى بطن امه (وجعلنى مباركا اينما كنت) معناه انى نفاع اينما توجهت وقيل معلما للخير ادعو الى الله والى توحيده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعنى (واوصانى بالصلوة والزكوة) اى امرنى بهما وكلفنى فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله واوصانى بالصلاة والزكاة لايدل على انه تعالى اوصاه باداتهما فى الحال بل المراد اوصاه باداتهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا القول اظهر فى سياق قوله (مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبرا بوالدتى) اى وجعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) اى عاصيا لربى متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وانا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لاتجد العاق الا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولايتوب (والسلام على يوم ولدت) اى

ايديا) من اطوار الجبروت التى فوقنا وتتقدم اطوارنا التى وجوهنا اليها ولايحيط علمنا بها (وما خلفنا) من اطوار الملكوت الارضية التى دون اطوارنا (وما بين ذلك) من الاطوار الملكوتية التى نحن فيها كلهم فى ملكة قهره وتحت سلطة امره واحاطة علمه (وماكان ربك نسيا) ناسى شيأ يستعد لكمال نفيض عليه اوتاركا لمستحق بدون حقه يحيط بكل الاستعدادات علما ويفيض الكمال عليها وينزل مقتضاها مع الحصول دفعة فان تأخر الوحى فانما كان من جهتك لامن جهته هو (رب السموات والارض وما بينهما) رب كلا منهما باسم يخصه ويدبره ويفيض مايقتضيه حاله عليه فيرب الكل بجميع اسمائه (فاعبده) بعبادتك التى يقتضيها حالك حتى تستعد لقبول الفيض ونزول الوحى ولا يكفى وجود العبادة بتهيئة الاستعداد بالتصفية مرة اومرتين بل الدوام على ذلك معتبر قدم على ذلك الصفاء الموجب للقبول (واصطبر لعبادته) بالتوجه

السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم اموت) اى عند الموت من الشرك (ويوم ابعث حيا) اى من اهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) اى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) اى هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذى فيه يمترون) اى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله ان يتخذ من ولد) اى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك (سبحانه اذا قضى امرا) اى اذا اراد ان يحدث امرا (فانما يقول له كن فيكون) اى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى اراده (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لارب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذى اخبرتكم به ان الله امرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة حتى (اسمع بهم وابصر) اى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة مالم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) قيل اراد باليوم الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطأ بين وفى الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الآخرة فى ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ❊ قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) يعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمى بذلك لان المسئ يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد فى الاحسان يدل عليه ماروى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يارسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذى قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشئ الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعنى يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش املح فينادى مناد يا اهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر يا اهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال اشرف الى الشئ اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش اوغيره فعلى هذا يتأول الحديث

اليه على الدوام (هل تعلم له سميا) مثلا فتلتفت اليه وتقبل بوجهك نحوه فيفيض عليك مطلوبك (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) فى عالم الشهادة محسوسا اوشيأ يعتد به كما قال لم يكن شيأ مذكورا الا ان الوجود العينى فى الازل قبل الخلق كلا وجود لانطماسه فى عين الجمع (فوربك لنحشرنهم والشياطين) اى لنحشرن المحجوبين المنكرين للبعث مع الشياطين الذين اغووهم واضلوهم عن الحق لان نفوس المحجوبين تناسب فى الكدورة والبعد عن النور نفوس الشياطين فبالضرورة يحشرون معهم خصوصا اذا اتبعوهم فى الاعتقاد (ثم لنحضرنهم حول جهنم) الطبيعة فى العالم السفلى لاحتجابهم بالغواشى الهيولانية والفواسق الظلمانية فى الهياكل السجنية مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران (جثيا) لاعوجاج هيآتهم بسبب عوج نفوسهم فلا يستطيعون قياما (ثم لننزعن

على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح يموت ولا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لازوال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد يا اهل الجنة لاموت ويا اهل النار لاموت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة احد الأرى مقعده من النار لواساء ليزداد شكرا ولايدخل النار احد الأرى مقعده من الجنة لواحسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخارى * وقوله تعالى (اذ قضى الامر) اى فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت (وهم فى غفلة) اى عما يراد بهم فى الآخرة (وهم لايؤمنون) اى لايصدقون (انا نحن نرث الارض ومن عليها) اى نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم (والينا يرجعون) فنجزيهم باعمالهم * قوله عزوجل (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) اى كثير الصدق وهو مبالغة فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله اياه واى رتبة اعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لابيه) يعنى آزر وهو يعبد الاصنام (يا ابت لم تعبد مالايسمع) يعنى صوتا (ولايبصر) ولاينظر شيأ (ولايغنى عنك) اى يكفيك (شيأ) وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك ان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلايستحقها الامن له ولاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلايستحق العبادة الاهو (يا ابت انى قد جاءنى من العلم) يعنى بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) اى على دينى (اهدك صراطا سويا) اى مستقيما (يا ابت لاتعبد الشيطان) اى لاتطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) اى عاصيا (يا ابت انى اخاف) اى اعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان يؤمن فيكون من اهل الجنة او يصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على مايدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه فى الايمان ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على مالاينبغى بقوله انى اخاف (ان يمسك) اى يصيبك (عذاب من الرحمن) اى ان اقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) اى قرينا فى النار وقيل صديقا له فى النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع ابيه لامور احدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبى الهادى الى الحق لابد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب اولى (قال) يعنى اباه مجيبا له (اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم) اى اتاركها انت

من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى لنخصن من كل فرقة من هو اشد عتيا على الرحمن بعذاب اشد ما علمنا من حاله فنحن اعلم به منه فنصليه بعذاب هو اولى به (وان منكم الا واردها) اى لابد لكل احد عند البعث والنشور ان يرد عالم الطبيعة لكونها مجاز عالم القدس (كان على ربك حتما مقضيا) اى حكما جزما مقطوعا به ومن بعث برد روحه الى الجسد لايمكنه الجواز على الصراط الا بالجواز على جهنم لان المؤمن لما جاء اطفأ نوره لهبها فلم يشعر بها كما روى انها تقول جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى ولو سألته بعد دخول الجنة كيف كان حالك فى النار لقال ما احسست بها كما سئل الصادق عليه السلام اتردونها انتم ايضا فقال جزناها وهى خامدة وعن ابن عباس يردونها كأنها اهالة وعن جابر بن عبدالله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا

وثارك عبادتها (لئن لم تنته) اى ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها (لارجمنك) قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عنى بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرنى) اى اجتنبنى قال ابن عباس اعتزلنى سالما لايصيبنك منى معرة (مليا) اى دهرا طويلا (قال) يعنى ابراهيم (سلام عليك) اى سلمت منى لااصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربى) قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربى توبة تنال بها المغفرة (انه كان بى حفيا) اى برا لطيفا والمراد انه يستجيب لى اذا دعوته لانه عودنى الاجابة لدعائى (واعتزلكم وماتدعون من دون الله) اى افارقكم وافارق ماتعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وادعو ربى) اى اعبد ربى الذى خلقنى وانعم على (عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا) اى ارجوان لا اشقى بدعاء ربى وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عزوجل (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) اى ذهب مهاجرا (وهبنا له) اى بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) اى آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد اكرم على الله من ابيه (وكلا جعلنا نبيا) اى انعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) اى مع ماوهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء حسنا رفيعا فى اهل كل دين حتى ادعاهم اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم * قوله عزوجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام اى اخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح اى مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبى ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الايمن) اى من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين ورأى النار فنودى ياموسى انى انا الله رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته اى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) اى مناجيا (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون اكبر من موسى * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيأ الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا الى اى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا

فكل

ان ترد النار فيقال ... وردتموها وهى خامدة وعنه رحمه الله انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى بر ولافاجر الادخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها (ثم ننجى الذين اتقوا) لتجردهم بالجواز على الصراط الذى هو سلوك طريق العدالة الى التوحيد كالبرق (ونذر الظالمين) الذين نقصوا انوار استعدادهم فى الظلمات اووضعوه غير موضعه (فيها جثيا) لاحراقهم بهم لتوردهم فى المواد الظلمانية كما قال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو

مكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده فى وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة اخرى (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان ابو قبائل اليمن (نبيا) اى مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر اهله) اى قومه وجميع امته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهى الحنيفية التى افترضت علينا وقيل كان يبدا باهله فى الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عندربه مرضيا) اى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية فى المدح لان المرضى عندالله هو الفائز فى كل طاعة باعلى الدرجات * قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب ادريس) هوجد ابى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر فى علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هى الرفعة بعلو المرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ماروى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ماقاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سالنى ان اخفف عنك حلها وحرها فاجبته قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يساله فكان مماساله ان قال انى اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى لعلى ازداد شكرا وعبادة فقال الملك لايؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لااجده يموت الاعند مطلع الشمس قال انى اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الاوقدمات فوالله مابقى من عمر ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع اهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فأبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استأذنت ربى ان اصحبك فقال لى اليك حاجة قال وماهى قال تقبض روحى فأوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ماالفائدة

من هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اى كايمد اهل الضلالة فى ضلالتهم بالخذلان مدا يزداد فيه ضلالهم واحتجابهم كلما امعنوا فى جهلهم ورذائلهم كذلك يزيد الله المهتدين بالتوفيق كلما عملوا بماعلموا استعدوا لقبول علم آخر فورثوه كما قال عليه السلام من عمل بماعلم اورثه الله علم مالم يعلم فيزيدهم عندالعمل بمقتضى العلم اليقينى عين اليقين وعندالعمل بمقتضاه حق اليقين (والباقيات الصالحات) من العلوم والفضائل (خير عند ربك ثوابا) لادائها الى التجليات الوصفية والجنات القلبية (وخير مردا) بالرجوع الى الذات الاحدية (افرأيت الذى كفروا باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب مايقول ونمدله من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا الم تر انا ارسلنا الشياطين على

فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس لى اليك حاجة اخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما هى قال اريد ان اسأل مالكا ان يرفع ابو ابها فأردها ففعل قال فكما اريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت ابو ابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الاواردها فأنا وردتها وقال وماهم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى انه حى فى السماء ام ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حى واستدل بهذا وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض وهما الخضر والالياس واثنان فى السماء وهما ادريس وعيسى * قوله عز وجل (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين) اولئك اشارة الى المذكورين فى هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعنى ادريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) اى ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابرهيم) يعنى اسحق واسمعيل ويعقوب (واسرائيل) اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (وممن هدينا واجتبينا) اى هؤلاء ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام (اذاتتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الايات ماخصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عندسماع القرآن

﴿ فصل ﴾ وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عندتلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما ناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عندتلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذبك ان اكون من المستكبرين عن امرك * قوله تعالى (فخلف من بعدهم) اى من بعد النبيين المذكورين (خلف) اى قوم سوء ارادبهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم فى هذه الامة (اضاعوا الصلوة) اى تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهوان لايصلى الظهر حتى يأتى العصر ولاالعصر حتى تأتى المغرب (واتبعوا الشهوات) اى آثروا شهوات انفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصى وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون فى آخر الزمان ينزو بعضهم

الكافرين تؤزهم ازا) قد مر فى باب تنزل الملائكة ان النفوس الخيرة تستمد من الملكوت والملائكة السماوية لاتصالها بهم فى الصفاء والتجرد والنورية والنفوس الشريرة تستمد من النفوس المظلمة الارضية لمناسبتها اياهم ومجانستها لهم فى الظلمة والكدورة والخبث فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة ظلمتهم وتماديهم فى الغواية والاحتجاب حيث تنزل عليهم الشياطين دائما فتؤزهم اى تحرصهم وتخذلهم بالقاء الوساوس والهواجس من انواع الشر على التوالى (فلاتعجل عليهم انما نعدلهم عدا) اى انفاسهم المقربة لهم الى المصير الى وبال كفرهم واعمالهم وعذاب هيآتهم وعقائدهم فان لكل اجلا معينا سيصير اليه عن قريب (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) انما ذكر اسم الرحمن لعموم رحمته بحسب مراتب تقواهم كما ذكر فى قوله من كان تقيا ولهذا لما سمعها بعض العارفين قال ومن كان مع الرحمن فالى من يحشر فأجابه بعضهم بقوله من اسم الرحمن الى اسم الرحمن

على بعض فى الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغىّ واد فى جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعدللزانى المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذى لاينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد فى جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ❀ قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى الا من تاب من التقصير فى الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيأ) اى لاينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) اى بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) اى انهم لا يرونها فهى غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده مأتيا) اى آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا اى يأتيه اولياء الله واهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) اى باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (الا سلاما) يعنى بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لايسمعون فيها مايؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال اهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولانهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم فى نور ابدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كعادتهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولاتقتير وقيل كانت العرب لاتعرف افضل من الرزق الذى يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك ❀ وقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا) اى نعطى وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) اى المتقين من عباده ❀ قوله عزوجل (وماتتنزل الا بأمر ربك (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل مايمنعك ان تزورنا اكثر مماتزورنا فنزلت وماتتنزل الا بأمر ربك له مابين ايدينا وماخلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن امر الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطأت على حتى ساء ظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت اشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وماتتنزل الا بأمر ربك وانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى ❀ وقوله (له مابين ايدينا وماخلفنا) اى له علم مابين ايدينا وماخلفنا وقيل اكد ذلك بقوله له مابين ايدينا وماخلفنا اى هو المدبر لنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له مابين ايدينا من امر الآخرة والثواب والعقاب وماخلفنا اى مامضى من الدنيا (ومابين ذلك) اى من هذا الوقت الى ان تقوم الساعة وقيل مابين ذلك اى مابين

وعن اسم القهار الى اسم اللطيف فان المتقى عن المعاصى والرذائل وصفات النفس الذى هو فى اول درجة التقوى قد يحشر الى الرحمن فى جنة الافعال ثم الصفات ثم بعد الوصول الى الله فى جنة الصفات له سير فى الله بحسب تجليات الصفات واذا انتهى السير الى الذات يكون السير سيرالله وفدا مكرمين (ونسوق المجرمين) لاعمالهم الخبيثة (الى جهنم) الطبيعة (وردا) كأنهم ابل عطاش فيوردهم النار (لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا العهد هو ماعاهدالله اهل الايمان من الوفاء بالعهد السابق بالتوبة والانابة اليه فى الصفاء الثانى بعد الصفاء الاول وذلك الانسلاخ عن حجب صفات النفس والاتصاف بصفات الرحمن والاتصال بعالم القدس الذى هو حضرة الصفات ولهذا ذكر الرحمن المعطى لاصول النعم وجلائلها المشتمل على سائر الصفات اللطيفة اى لايملك احد ان يشفع له بالامداد الملكوتية والانوار القدسية الا من استعد لقبول الرحمة الرحمانية واتصل بالجناب

ذلك اى مابين النفختين وهومقدار اربعين سنة وقيل مابين ايدينا مابقى من الدنيا وماخلفنا مامضى منها ومابين ذلك اى مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) اى ناسيا اى ماذسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض ومابينهما) اى من يكون كذلك لايجوز عليه النسيان لانه لابد ان يدبر احوالهما كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) اى اصبر على امره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غير الله ❊ قوله تعالى (ويقول الانسان) اى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابى بن خلف الجمحى وكان منكرا للبعث (ائذا مامت لسوف اخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (اولا يذكر الانسان) اى يتذكر ويتفكر يعنى منكر البعث (انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد فى بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار ماقدروا عليه اذلا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ❊ ثم اقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) اى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) اى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التى لايطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) اى لنخرجن (من كل شيعة) اى من كل امة واهل دين من الكفار (ايهم اشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعنى جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم فى الشرك والمعنى انه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشد منهم تمردا فى كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل واجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال فى جميعهم (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) ولا يقال اولى الامع اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الآية انهم احق بدخول النار ❊ قوله عزوجل (وان منكم الاواردها) اى ومامنكم الاواردها وقيل القسم فيه مضمر اى والله مامنكم من احد الاواردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود ههنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا منها يدل عليه ماروى ان نافع بن الازرق سال ابن عباس فى الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرا ابن عباس انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم

الالهى بالعهد الحقيق وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عندكل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك انى اشهد ان لااله الاانت وحدك لاشريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لااثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقدجئتم شيأ ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) لكونهم فى حيز الامكان ومكمن العدم لاوجودلهم ولاكمال الابه افاض باسم الرحمن وجوداتهم وكمالاتهم فهم انفسهم ليسوا شيأ فلولم يعبدوه حق عبادته باستعدا دات اعيانهم فى العدم لما وجدوا ولولم يعبدوه بعدالوجود بالقيام

انتم لها واردون ادخلها هؤلاء ام لا ثم قال يانافع والله انا وانت سنردها واما انا ارجو ان يخرجنى الله منها وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت فى حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذى على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الآية فى الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يعنى القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا اى الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفى رواية فيلج النار الا تحلة القسم اخرجاه فى الصحيحين اراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة وفى الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء قوله فيح جهنم اى وهجها وحرها * وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورود جهنم قضاء لازما قضاه الله تعالى عليكم واوجبه (ثم ننجى الذين اتقوا) اى الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) اى جميعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة فى الآية دليل على صحة مذهبهم فى ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد فى النار بدليل ان الله بين ان الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى فى النار ابدا واجيب عنه بان المتقى هو الذى يتقى

بحقوق نعمه التى انعمها عليهم لما كلفوا فهم مربوبون مجبورون وفى طى قهره وملكته مقهورون (لقد احصاهم) فى الازل بافادة اعيانهم واستعداداتهم الازلية من فيضه الاقدس وتعيينها بعلمه (وعدهم عدا) فماهياتهم وحقائقهم انما هى صور معلومات ظهرت فى العدم بمحض عالميته وبرزت الى الوجود بفيض رحمانيته فكيف تماثله وتناسبه (وكلهم آتيه يوم القيامة) الصغرى مفردا مجردا عن الاسباب والاعوان كما كان فى النشأة الاولى ويوم القيامة الوسطى (فردا) من العلائق البدنية مجردا عن الصفات النفسانية والقوى الطبيعية واما فى القيامة الكبرى فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (ان الذين آمنوا) الايمان الحقيقى العلمى او العينى (وعملوا الصالحات) من الاعمال المزكية المصفية المعدة لقبول تجليات الصفات بالتجرد عن ملابس صفاتهم (سيجعل لهم الرحمن ودا) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به

الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك ان من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتق جزء من المتق من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيأ فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من اهل النار امر الله الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم بآثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة رأى نكهتها وبهجتها سكت ماشاء الله تعالى ان يسكت ثم يقول يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد اعطيت المواثيق والعهود ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان اعطيت ذلك ان لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله ان يسكت فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما اغدرك أليس قد اعطيت العهد والميثاق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول يارب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت امنيته قال الله تمن كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي

قومالدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا) كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وفي الحقيقة هذا الوداد ونتيجة العناية الاولى المستفادة من قوله يحبهم ويحبونه فاذا احبه قبل الظهور في مكمن الغيب بمحبة الاجتباء الزمه حبه لله عند البروز وحركه الى الوفاء بالعهد السابق فتجدد ذلك العهد بالعهد اللاحق الذي هو العهد مع الله بالوفاء بذلك في متابعة الحبيب المطلق كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وان تحت المتابعة في الاعمال والاحوال احبه الله محبة الاصطفاء فوق المحبة التي هي ثمرة المحبة الاولى لكون الاولى عينية كامنة ولكونها كمالية بارزة وقعت محبته في قلوب الخلق وظهر له القبول عند اهل الايمان الفطري وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله اذا احب الله عبدا يقول الله تعالى يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه

هريرة وعشرة امثاله قال ابوهريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابوسعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة امثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا اتانا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه * قلت اما مايتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب اى اهلكته والمجدل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا اى احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه وقوله قشبني ريحها اى آذاني والقشب السم فكانه قال قد سمني ريحها قوله واحرقني ذكاؤها اى اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر اهل النار خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها او ان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه اى اضراسه وانيابه وقيل هي آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والحمالة كل ماجاء به السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون * قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) اى دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون افخر ثيابهم (اى الفريقين خير مقاما) اى منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة (واحسن نديا) اى مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا) اى متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا (ورئيا) اى منظرا من الروية (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره (حتى اذا راوا ماوعدون اما العذاب اى الاسر والقتل في الدنيا (واما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) اى

جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل عبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وهذا معنى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا والله اعلم

سورة طه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) الطاء اشارة الى الطاهر والهاء الى الهادي وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حنوه وتعطفه على قومه لكونه صورة الرحمة ومظهر المحبة تأسف من عدم تأثير التنزيل في ايمانهم واستشعر البقية كما ذكر في قوله لعلك باخع نفسك على آثارهم وزاد في الرياضة فكان يحيي الليالي بالتهجد وبالغ في القيام حتى تورمت قدماه فاخبر ان عدم ايمانهم ليس من جهتك بل من جهتهم وغلظ حجابهم وعدم استعدادهم لا لبقاء صفات نفسك او بقية انائيتك او وجود نقصك وقصورك في الهداية كما استشعرت فلانت نفسك ونودي باسمين من اسماء الله

عندلك (من هو شر مكانا) اى منزلا (واضعف جندا) اى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون اهم خير وهم فى النار ام المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ❊ قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اى ايمانا وايقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) اى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) اى عاقبة ومرجعا ❊ قوله تعالى (افرأيت الذى كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فاتيته اتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجئته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى اموت وابعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرأيت الذى كفر بآياتنا (وقال لاوتين مالا وولدا) الى قوله ويأتينا فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (اطلع الغيب) قال ابن عباس معناه انظر فى اللوح المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى علم اهو فى الجنة ام لا (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) رد عليه يعنى لم يفعل ذلك (سنكتب مايقول) اى سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به فى الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول (ونمد له من العذاب مدا) اى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه مايقول) معناه اى ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ماعنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعنى يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث فى الآخرة بمال وولد ❊ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى منعة يعنى يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب (كلا) اى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعنى تجحد الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) اى اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداءلهم وكانوا اولياءهم فى الدنيا ❊ قوله عز وجل (الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين) اى سلطناهم عليهم (تؤزهم ازا) اى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) اى لا تعجل بطلب عقوبتهم (انما نعدلهم عدا) يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى اجل لعذابهم ❊ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى اذكر لهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا اى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) اى الكافرين (الى جهنم وردا) اى مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل

تعالى دالين على راحته عن الامرين المذكورين وجود البقية او القصور عن الهداية فقيل ياطاهر عن لوث البقية ياهادى (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى) وتتعب بالرياضة لكن لتذكير من يلين قلبه ويستعد لقبوله بعد صفائه وطهارته وقد حصل الامران بحمد الله وانت كاملا مكملا وما المقصود بالرياضة الاهذان الامران اللذان ظهرا فيك تجليا عليك بالاسمين المذكورين فلم تتعب نفسك وانما لم يحصل الاهتداء بهدايتك لقسوة القلوب التى هى ضد الخشية واللين الذى هو شرط فى حصوله لا قصورك ويجوز ان يكون قسما بالاسماء اى اقسم بالاسمين اللذين يرسمهما وتجلى بهما له لافادة الهداية والطهارة اذ المقصود بالانزال حصول اثرهما فيك لا التعب والمشقة وقد حصل فلا تفرط فى الرياضة وبهذا المعنى سمى آل محمد آل طه اى محصول المعنيين لهم وظهور مسمى الاسمين فيهم (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) معناه انزلناه تنزيلا

يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا المؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله اى لا يشفع الا للمؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأ ادا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) اى تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) اى تسقط وتنطبق عليهم (ان دعوا) اى من اجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول كدت ان افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة الثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصوير الاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) اى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لابد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سروره به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) اى آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد احصاهم وعدهم عدا) اى عد انفاسهم وايامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) اى وحيدا ليس معه من احوال الدنيا شئ * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل فقال انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى

ممن اتصف بجميع الصفات الجمالية والجلالية فكان لذاتك نصيب من جميعها والا لما امكنك قبوله وحمله اذ الاثر الوارد لابد وان يناسب المورود كما ناسب المصدر فلما كان مصدره الذات الموصوفة بجميع الاسماء الحسنى وجب ان يكون مورده الذى هو ذاتك كذلك موصوفة بها فكما خلق السموات العلا والارض اى عالم الارواح وعالم الاجسام الذى هو الجسم المطلق وجعلها حجب جلاله الساترة لجماله كذلك حجبك بسموات طبقات غيوبك من الحجب السبعة المذكورة التى هى روحانيتك ومراتب كمالك وارض شهادتك التى هى بدنك (الرحمن على العرش استوى) اى ربك الجليل المحتجب بحجب المخلوقات لجلاله هو الجميل المتجلى بجمال رحمته على الكل اذ لا يخلو شئ من الرحمة الرحمانية والا لم يوجد ولهذا اختص الرحمن به دون الرحيم لامتناع عموم الفيض للكل الا منه فكما استوى على عرش وجود الكل بظهور الصفة الرحمانية فيه وظهور

السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض واذا
ابغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول انى ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى
فى اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء فى الارض قال هرم ابن حيان
ما اقبل عبد بقلبه الى الله عزوجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال
كعب مكتوب فى التوراة لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عزوجل ينزلها
على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا * قوله
تعالى (فانما يسرناه) اى سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعنى المؤمنين
(وتنذر به) اى بالقرآن (قوما لدا) اى شدادا فى الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد
الظالم الذى لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله
تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا
ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصى اقرب ثم اكد ذلك فقال تعالى
(هل تحس منهم) اى هل ترى وقيل هل تجد منهم اى من القرون (من احد او تسمع لهم ركزا)
اى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة طه

وهى مكية وهى مائة واربعة وقيل خمس وثلاثون آية والف وستمائة واحدى واربعون كلمة
وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التى فيها البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة
البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل (طه) قيل هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من اسماء الله فالطاء
افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يا رجل والمراد به النبى صلى الله عليه
وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب
هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه
طا الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله
فانزل الله تعالى هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك
فنزلت (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتعنى وتتعب (الا تذكرة لمن يخشى) اى لكن
انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا ممن خلق
الارض والسموات العلى) اى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر
على خلقها فى عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه

اثرها اى الفيض العام منه
الى جميع الموجودات فكذا
استوى على عرش قلبك
بظهور جميع صفاته فيه
ووصول اثرها منه الى جميع
الخلائق فصرت رحمة
للعالمين وصارت نبوتك
عامة خاتمة فمعنى الاستواء
ظهوره فيه سويا تاما اذ لا
يطابق كلها مظهر غيره فلا
يستوى ولا يستقيم الا عليه
ولذلك لم يكن له عليه السلام
ظل اذ لم يبق من ذاته مع
صفاته بقية لم تحقق بالحق
بالبقاء بعد الفناء التام (له
ما فى السموات وما فى
الارض وما بينهما وما تحت
الثرى) بيان لشمول قهره
وملكته للكل اى كلها تحت
ملكته وقهره وسلطته
وتأثيره لا توجد ولا تحرك
ولا تسكن ولا تتغير ولا تثبت
الا بامره وكذلك فنيت
بالكلية مقهورة بوحدانيته
وفناء قهاريته لا تسمع
ولا تبصر ولا تبطش ولا تمشى
الا به وبامره (وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى)
بيان لكمال لطفه اى علمه
نافذ فى الكل بعلم ظواهرها
وبواطنها والسر وسر السر
فكذلك ان تجهر وان تخفت
فيعلمه يجهر ويخفت ولما

فى سورة الاعراف مستوفى ﴿ له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما ﴾ يعنى الهواء ﴿ وما تحت الثرى ﴾ اى انه مالك لجميع ما فى الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ماوراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبست * قوله تعالى ﴿ وان تجهر بالقول ﴾ اى تعلن به ﴿ فانه يعلم السر واخفى ﴾ قال ابن عباس السر ما تسر فى نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسر به ابن آدم فى نفسه واخفى ما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ما اسره الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة والترغيب فى الطاعات ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى ان يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو الذى يسره المرء فى نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة * ثم وحد نفسه فقال تعالى ﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ تأنيث الاحسن والذى فضلت به اسماؤه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن * قوله عز وجل ﴿ وهل اتاك حديث موسى ﴾ اى وقد اتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ﴿ اذ رأى نارا ﴾ وذلك ان موسى استأذن شعيبا فى الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن له فخرج بأهله وماله وكانت ايام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فى شهرها لا يدرى اليلا تضع ام نهارا فسار فى البرية غير عارف بطرقها فألجأ المسير الى جانب الطور الغربى الايمن وذلك فى ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿ فقال لاهله امكثوا ﴾ اى اقيموا ﴿ انى آنست نارا ﴾ اى ابصرت نارا ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس ﴾ اى شعلة من نار فى طرف عود ﴿ او اجد على النار هدى ﴾ اى اجد عند النار من يدلنى على الطريق ﴿ فلما اتاها ﴾ اى اتى النار رأى شجرة خضراء من اعلاها الى اسفلها اطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال اهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من

ولما كانت الصفات المذكورة هى الامهات التى لا صفة الا تحت شمولها ولا اسم الا كان مندرجا فى هذه الاسماء المذكورة ولم تتكثر الذات بها قال (الله) اى ذلك المنزل الموصوف بهذه الصفات هو الله (لا اله الا هو) لم تتكثر ذاته الاحدية وحقيقة هويتها ولم يتعدد فهو هو فى الابد كما كان فى الازل لا هو الا هو ولا موجود سواه باعتبار واحديته ومصدريته لما ذكر (له الاسماء الحسنى) التى هى ذاته مع اعتبار تعينات الصفات (وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا) هى روح القدس التى ينقدح منها النور فى النفوس الانسانية رآها باكتحال عين بصيرته بنور الهداية (فقال لاهله) القوى النفسانية (امكثوا) اسكنوا ولا تتحركوا اذا السير انما يصير الى العالم القدسى ويتصل به عند هذه القوى البشرية من الحواس الظاهرة والباطنة الشاغلة لها (انى آنست نارا) اى رأيت نارا (لعلى آتيكم منها بقبس) اى هيئة نورية اتصالية ينتفع بها كالحكم

نورالرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ماروى عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لوكشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل ان موسى اخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة فعند ذلك ﴿ نودى ياموسى انى انا ربك ﴾ قال وهب نودى من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ومايدرى من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا ارى مكانك فأين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لاينبغى الالله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا ❁ وقوله ﴿ فاخلع نعليك ﴾ كان السبب فيه ماروى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادى ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ اى المطهر ﴿ طوى ﴾ اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى وادمستدير عميق مثل المطوى فى استدارته ﴿ وانا اخترتك ﴾ اصطفيتك برسالاتى وبكلامى ﴿ فاستمع لمايوحى ﴾ فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتأهب له ﴿ اننى انا الله لااله الا انا فاعبدنى ﴾ ولاتعبد غيرى ﴿ واقم الصلاة لذكرى ﴾ اى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لاتشوبه بذكر غيرى وقيل لاخلاص ذكرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولاتقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها ﴿ق﴾ عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل اذا ذكرها لاكفارة لها الا ذلك وتلا قتادة واقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة اوغفل عنها فليصلها اذاذكرها فان الله عزوجل يقول واقم الصلوة لذكرى ﴿ ان الساعة آتية اكاد اخفيها ﴾ قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا فى الكتمان للشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى اى اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لايخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء اجله اشتغل بالمعاصى الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى اويتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة الاجل ❁ قوله تعالى ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ اى بما تعمل من خير وشر ﴿ فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها ﴾ اى فلايصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لايؤمن بها ﴿ واتبع هواه ﴾ اى مراده وخالف امر الله ﴿ فتردى ﴾ اى فتهلك ❁ قوله عزوجل ﴿ وماتلك بيمينك ياموسى ﴾ سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة ﴿ قال هى عصاى ﴾ قيل كان لها

فيه نور وتصير ذاته فصلة ﴿ او اجد على النار هدى ﴾ من يهدينى بالعلم والمعرفة الموجب للهداية الى الحق اى اكتسب بالاتصال بها الهيئة النورية او الصور العلمية ﴿ فلما اتاها ﴾ اى اتصل بها ﴿ نودى ﴾ من وراء الحجب النورية التى هى سرادقات العزة والجلال المحتجبة بها الحضرة الالهية ﴿ ياموسى انى انا ربك ﴾ محتجبا بالصورة النارية التى هى احد استار جلالى متجليا فيها ﴿ فاخلع نعليك ﴾ اى نفسك وبدنك اوالكونين لانه اذا تجرد عنهما فقد تجرد عن الكونين اى كما تجردت بروحك وسرك عن صفاتهما وهيئاتهما حتى اتصلت بروح القدس تجرد بقلبك وصدرك عنهما بقطع العلاقة الكلية ومحو الآثار والفناء عن الصفات والافعال وانما سماهما نعلين ولم يسمهما ثوبين لانه لولم يتجرد عن ملابسهما لم يتصل بعالم القدس والحال حال الاتصال وانما امره بالانقطاع اليه بالكلية كما قال وتبتل اليه تبتيلا فكأنه بقيت علاقته معهما والتعلق بهما يسوّخ قدمه التى هى الجهة السفلية من القلب

شعبتان وفى اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (اتوكأ عليها) اى اعتمد عليها اذامشيت واذا عييت وعند الوثبة (واهش بها على غنمى) اى اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولى فيها مآرب اخرى) اى حاجة ومنافع اخرى واراد بالمآرب ماكان يستعمل فيه العصا فى السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له مايأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا اراد الاستقاء من البئر ادلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقى وكانت تضئ بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (القها يا موسى) اى انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها (فالقاها) اى فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هى حية) صفراء من اعظم مايكون من الحيات (تسعى) اى تمشى بسرعة على بطنها وقال فى موضع آخر كانها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال فى موضع آخر كانها ثعبان وهو اكبر مايكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من اعظم مايكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) اى بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف مالقى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها (سنعيدها سيرتها الاولى) اى الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قدخللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله تعالى ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو امر الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتيها فى الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون اراد الله تعالى ان يرى موسى ما اعطاه من الآية التى لايقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون ※ قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) اى الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) اى نيرة مشرقة (من غير سوء) اى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية اخرى) اى لادلة اخرى على صدقك

المسماة بالصدر فهما بعد التوجه الروحى والسرى نحو القدس فامره بالقطع عنهما فى مقام الروح ولهذا علل وجوب الخلع بقوله (انك بالواد المقدس طوى) اى عالم الروح المنزه عن آثار التعلق وهيئات اللواحق والعلائق المادية المسمى طوى لطى اطوار الملكوت واجرام السموات والارضين تحته ولقد صدق من قال امر بخلعهما لكونهما من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل لما نودى وسوس اليه الشيطان انك تنادى من شيطان فقال افرق به انى اسمع من جميع الجهات الست بجميع اعضائى ولا يكون ذلك الابتداء الرحمن (وانا اخترتك فاستمع لما يوحى) هذا وعد بالاصطفاء الذى كان بعد التجلى التام الذاتى الذى الذى جعل جبل وجوده دكا بالفناء فيه بالاندكاك وخروره صعقا عند افاقته بالوجود الحقانى كما قال تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وهذا التجلى هو تجلى

سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر آياته * قوله عزوجل (اذهب الى فرعون انه طغى) اى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى البستك جلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى امرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلق بطر نعمتى وامن مكرى حتى جحد حقى وانكر ربوبيتى وانى اقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) اى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذ علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر لى امرى) اى سهل على ما امرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى واراد ان يقتله فقالت له آسية انه صبى لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية ايها الملك انه صبى لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى احدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فاراد ان يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولى) اى احلل العقدة كى يفهموا قولى (واجعل لى وزيرا من اهلى) اى معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون اخى) وكان هرون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون وكان موسى آدم اقنى جعدا (اشدد به ازرى) اى قوبه ظهرى (واشركه فى امرى) اى فى امر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسبحك كثيرا) اى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) اى نحمدك ونثنى عليك بما اوليتنا من جميل نعمك (انك كنت بنا بصيرا) اى خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد اوتيت سؤلك يا موسى) اى اعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة اخرى) اى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (اذ اوحينا الى امك ما يوحى) اى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (ان اقذفيه فى التابوت) اى الهمناها ان اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ البحر (يأخذه عدو لى وعدو له) يعنى فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم القته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجئ به

الصفات قبل تجلى الذات ولهذا ارسله ولم يسبقه بالوحى هنا وامره بالرياضة والحضور والمراقبة ووعده وقوع القيامة الكبرى عن قريب فهذا الاختيار قريب من الاجتباء الاصلى المشار اليه بقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى متوسط بينه وبين الاصطفاء وكرر (انى انا الله) بالتأكيد وتبديل الرب بالله لئلا يقف مع الصفات فى الحضرة الاسمائية فيحتجب عن الذات اذ الرب هو الاسم الذى تجلى له اذ لا رب به عند طلب الهداية والقبس الا بذلك الاسم العليم الهادى الذى هو جبريل اى اى الواحد الموصوف بجميع الصفات (لا اله الا انا) لم انكثر ولم يتعدد انائيتى واحديتى بكثرة المظاهر وتعدد الصفات (فاعبدنى) خصص عبادتك بذاتى دون اسمائى وصفاتى بالعبادة الذاتية وتهيئة استعداد فناء الآنية فى حقيقتى والتسبيح المطلق الذاتى (واقم الصلوة لذكرى) اى صلاة الشهود الروحى لذكر ذاتى فوق صلاة الحضور القلبى لذكر صفاتى (ان الساعة) القيامة

الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من اصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم تمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (والقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه احد الا احبه لملاحة كانت فى عينى موسى (ولتصنع على عينى) لتربى ويحسن اليك وانا راعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشى اختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل ادلكم على من يكفله) اى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى امك كى تقر عينها) اى بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) اى وليذهب عنها الحزن (وقتلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) اى من غم القتل وكربه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا (فلبثت) اى مكثت (سنين فى اهل مدين) هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفوراء بنة شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر ياموسى) اى جئت على القدر الذى قدرت ان تجئ فيه قيل على رأس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى انبياء فيه (واصطنعتك لنفسى) اى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب انت واخوك بآياتى) اى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) اى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا (فى ذكرى) اى لا تقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا) اى دارياه وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما امرهما بالملاطفة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رايه وكان هرون بمصر فامر الله موسى ان يأتى هرون واوحى الله الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحى اليه * وقوله تعالى (لعله يتذكر او يخشى) اى يتعظ فيخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

الكبرى بالصفاء المحض فى عين الاحدية (آتية اكاد اخفيها) باحتجابى بالصفات لتنفصل المراتب وتظهر النفوس والاعمال (لتجزى كل نفس بما تسعى) بحسب سعيها من الخير والشر وتميز الكمال والنقصان والسعادة والشقاوة فلا اظهرها الا لافراد خواصى واحدا بعد واحد لانى ان اظهرتها ظهر فناء الكل فلا نفس ولا عمل ولا جزاء ولا غير ذلك (فلا يصدنك عنها) فتبقى فى حجاب الصفات (من لا يؤمن بها) لقصور استعداده فيقف فى بعض المراتب محجوبا اما بالصفات او الافعال والآثار او الانداد اى الشرك الخفى والجلى (واتبع هواه فتردى) فى مقام النفس او القلب فان الهوى باق ببقاء الانائية فتهلك انت كما هلك من صدرك (وما تلك بيمينك ياموسى) اشارة الى نفسه اى التى هى فى يد عقله اذ العقل يمين يأخذ به الانسان العطاء من الله ويضبط به نفسه (قال هى عصاى أتوكأ عليها) اى اعتمد فى عالم الشهادة وكسب الكمال والسير

وقد سبق فى علمه انه لايتذكر ولايسلم قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر اويخشى خاش اذا رأى برّى والطافى بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين الجاء الغرق وقرارجل عند يحيى بن معاذ الرازى هذه الآية فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيى وقال الهى هذا رفقك بمن يقول انا لاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله ﴿ قالا ﴾ يعنى موسى وهرون ﴿ ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ﴾ قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة ﴿ اوان يطغى ﴾ اى يجاوز الحد فى الاساءة الينا ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لاتخافا اننى معكما اسمع وارى ﴾ قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك ﴾ اى ارسلنا اليك ربك ﴿ فأرسل معنا بنى اسرائيل ﴾ اى خل عنهم واطلقهم من اعمالك ﴿ ولا تعذبهم ﴾ اى لاتتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ قال فرعون وماهى فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من اسلم ﴿ انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ﴾ اى انما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ فمن ربكما ياموسى ﴾ اى فمن الهكما الذى ارسلكما ﴿ قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ اى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شئ صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شئ صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والحمار الاتان ثم هدى الهمه كيف ياتى الذكر الانثى ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ فما بال القرون الاولى ﴾ اى ما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ علمها عند ربى ﴾ اى اعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه ﴿ فى كتاب ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿ لايضل ربى ﴾ اى لايخطئ وقيل لايغيب عنه شئ ﴿ ولا ينسى ﴾ اى فيتذكر وقيل لاينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها ﴿ الذى جعل لكم الارض مهادا ﴾ اى فراشا وقيل مهدها لكم ﴿ وسلك لكم فيها سبلا ﴾ اى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها ﴿ وانزل من السماء ماء ﴾ يعنى المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى ﴿ فاخرجنا به ﴾ اى بذلك الماء ﴿ ازواجا ﴾ اى اصنافا ﴿ من نبات شتى ﴾ اى مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ماهو للناس ومنها ماهو للدواب ﴿ كلوا وارعوا انعامكم ﴾ اى اخرجنا

الى الله والتحلق باخلاقه عليها اى لايمكن هذه الامور الابها ﴿ واهش بها على غنمى ﴾ اى اخبط اوراق العلوم النافعة والحكم العلمية من شجرة الروح بحركة الفكر بها على غنم القوى الحيوانية ﴿ ولى فيها مآرب اخرى ﴾ من كسب المقامات وطلب الاحوال والمواهب والتجليات وانما سأله تعالى لازالة الهيبة الحاصلة له بتجلى العظمة عنه وتبديلها بالامن وانما اراد الجواب على السؤال لشدة شغفه بالمكالمة واستدامة ذوق الاستئناس ﴿ قال القها ياموسى ﴾ اى خلها عن ضبط العقل ﴿ فالقاها ﴾ اى خلاها وشأنها مرسلة احتطها من انوار تجليات صفات القهر الالهى ﴿ فاذا هى حية تسعى ﴾ اى ثعبان تحرك من شدة الغضب وكانت نفسه عليه السلام قوية الغضب شديدة الحدة فلما بلغ مقام تجليات الصفات كان من ضرورة الاستعداد حظه من التجلى القهرى اوفر كما ذكر فى الكهف فبدل غضبه عند فنائه فى الصفات بالغضب الالهى والقهر الربانى فصور ثعبانا يتلقف ما يجد ﴿ قال

اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى (ان فى ذلك) اى الذى ذكر (لآيات لاولى النهى) اى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) اى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) اى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة اخرى) اى يوم القيامة للبعث والحساب * قوله تعالى (ولقد اريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التى اعطاها الله موسى (فكذب وابى) يعنى فرعون و زعم انها سحر وابى ان يسلم (قال) يعنى فرعون (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) يعنى مصر (بسحرك ياموسى) تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) اى اضرب اجلا وميقاتا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا انت مكانا سوى) اى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيدلهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) اى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) يعنى فرعون (كيده) يعنى مكره وسحره وحيله (ثم اتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثنى عشر الفا (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) اى فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) اى خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى * قوله تعالى (فتنازعوا امرهم بينهم) اى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى امر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر (واسروا النجوى) اى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنواسرائيل يعنى يريد ان ان يذهبابهم لانفسهما وقيل معنا يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى انتم عليه (فاجمعوا كيدكم) اى لاتدعوا شيأ من كيدكم الاجئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم (ثم ائتوا صفا) اى جمعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به (وقد افلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة (ياموسى اما ان تلقى) اى عصاك (واما ان نكون اول من القى) اى عصينا (قال) يعنى موسى (بل القوا) يعنى انتم اولا (فاذا حبالهم) فيه اضمار اى فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) قيل انهم لما القوا الحبال والعصى اخذوا اعين الناس فراى موسى كان الارض امتلأت حيات وكانت قد اخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورآها كانها تسعى (فاوجس) اضمر وقيل وجد (فى نفسه خيفة موسى)

خذها) اى اضبطها بعقلك كما كانت (ولاتخف) من استيلائها عليك وظهورها فيكون ذنب حالك بالتلوين فان غضبك قدفنى فيكون متحركا بامرى وليس هو مستورا بنور القلب فى مقام النفس حتى يظهر بعد خفائه (سنعيدها سيرتها الاولى) اى ميتة فانية صائرة الى رتبة القوة النباتية التى لاشعورلها ولا داعية ولاماتته عليه السلام اياها فى تربية شعيب صلوات الله عليه وجعله اياها كالقوى النباتية سميت عصا ولهذا قيل وهبها له شعيب عليه السلام (واضمم يدك الى جناحك) اى اضمم عقلك الى جانب روحك الذى هو جناحك الايمن لتتنور بنور الهداية الحقانية فان العقل بموافقة النفس وانضمامه اليها والى جانبها الذى هو الجناح الايسر لتدبير المعاش يتكدر ويختلط بالوهم فيصير كدرا جاسيا لايتنور ولا يقبل المواهب الربانية والحقائق الالهية فأمر بضمه الى جانب الروح ليتصفى ويقبل نور القدس (تخرج بيضاء) منورة بنور الهداية الحقانية وشعاع النور القدسى (من غير

قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا فى امره فلا يتبعوه ﴿ قلنا لا تخف ﴾ اى قال الله تعالى لموسى لا تخف ﴿ انك انت الاعلى ﴾ اى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر ﴿ والق ما فى يمينك ﴾ اى عصاك والمعنى لايخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان فى يمينك شيأ اعظم منها كلها ﴿ تلقف ﴾ اى تلتقم وتبتلع ﴿ ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ﴾ اى حيلة ساحر ﴿ ولا يفلح الساحر حيث اتى ﴾ اى من الارض وقال ابن عباس لايسعد حيث كان ﴿ فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاءين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا اراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم ﴾ اى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه اسحركم واعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم ﴿ الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ﴾ اى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ولاصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ اى على جذوع النخل ﴿ ولتعلمن اينا اشد عذابا ﴾ اى على ايمانكم به انا اورب موسى على ترك الايمان به ﴿ وابقى ﴾ اى ادوم ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ لن نؤثرك ﴾ اى لن نختارك ﴿ على ماجاءنا من البينات ﴾ يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لوكان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات ﴿ والذى فطرنا ﴾ قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا ﴿ فاقض ما انت قاض ﴾ اى فاصنع ما انت صانع ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾ اى انما امرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون اكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لكى لايذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسى اذا هو نائم فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر ﴿ والله خير وابقى ﴾ اى خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان اطيع وابقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك ﴿ فان له جهنم لايموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولايحيى ﴾ حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته مؤمنا ﴾ اى من مات على الايمان ﴿ قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ اى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ اى تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لااله الا الله عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله

سوء ﴾ اى آفة ونقص ومرض من شوب الوهم والخيال ﴿ آية اخرى ﴾ صفة منضمة الى الصفة الاولى ﴿ لنريك من آياتنا ﴾ من آيات تجليات صفاتنا الآية ﴿ الكبرى ﴾ التى هى الفناء فى الوحدة اى لتكون بصيرتك فى مقام تجليات الصفات فنريك من طريقها وجهتها ذاتنا عند التجلى الذاتى فتبصرنا بنا فى القيامة الكبرى ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ بظهور الانائية فاحتجب بها فتعدى عن حد العبودية وذلك يدل على ان النبوة والرسالة غير موقوفة على الفناء الذاتى لان الدخول فى الاربعينية التى تجلى فيها له بالذات كان بعد هلاك فرعون وهذه الرسالة والدعوة انما كانت فى مقام تجلى الصفات ويقوى هذا ماقلنا مرارا ان اكثر سير النبى صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوة والوحى والاهتداء بالتنزيل ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ﴾ بنور اليقين والتمكين فى مقام تجلى الصفات لئلا يضيق بايذائهم ولاتتاذى ولا تتألم نفسى بطعنهم وسفاهتهم فكما اتكلم بكلامك معهم اسمع

صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى افق السماء وان ابابكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذى قوله وانعما يقال احسن فلان الى فلان وانعم اى افضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد اوتناهيا الى غايته * قوله تعالى ﴿ ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى اى اسر بهم ليلا من ارض مصر ﴿ فاضرب لهم طريقا ﴾ اى اجعل لهم طريقا ﴿ فى البحر ﴾ بالضرب بالعصا ﴿ يبسا ﴾ اى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق فى البحر ﴿ لاتخاف دركا ولا تخشى ﴾ قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك ﴿ فاتبعهم ﴾ اى فلحقهم ﴿ فرعون بجنوده فغشيهم ﴾ اى اصابهم ﴿ من اليم ماغشيهم ﴾ وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم مالم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه ﴿ واضل فرعون قومه وماهدى ﴾ اى وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد * قوله عزوجل ﴿ يابنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها افاض الله عليهم من سائر نعمه وارزاقه ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه ﴾ قال ابن عباس لاتظلموا وقيل لاتكفروا النعمة وتكونوا طاغين وقيل لاتتقووا بنعمتى على المعاصى وقيل لاتدخروا ﴿ فيحل عليكم غضبى ﴾ اى يجب عليكم غضبى ﴿ ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى ﴾ اى هلك وسقط فى النار ﴿ وانى لغفار لمن تاب ﴾ قال ابن عباس تاب عن الشرك ﴿ وآمن ﴾ اى وحد الله وصدق رسوله ﴿ وعمل صالحا ﴾ اى ادى الفرائض ﴿ ثم اهتدى ﴾ قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة * قوله عزوجل ﴿ وما اعجلك ﴾ اى وما حملك على العجلة ﴿ عن قومك ياموسى ﴾ وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما اعجلك عن قومك ياموسى فاجاب ربه ﴿ قال هم اولاء على اثرى ﴾ اى هم بالقرب منى يأتون على اثرى من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم اولاء على اثرى قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم اعقبه بجواب السؤال فقال ﴿ وعجلت اليك رب لترضى ﴾ اى لتزداد رضا ﴿ قال فانا قد فتنا قومك ﴾ ان فاما ابتليناالذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثنى عشر الفا ﴿ من بعدك ﴾ اى من بعد انطلاقك الى الجبل ﴿ واضلهم السامرى ﴾ اى دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما اضاف الضلال الى السامرى لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها فى الظاهر وان كان الموجد لها فى الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا واضلهم السامرى قيل كان السامرى من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها

يسمعك كلامهم واجده كلامك وارى ببصرك ايذاءهم واجده فعلك فلا ارى ولا اسمع مايقابلونى به الا منك فاصبر على بلائك بك ولا تظهر نفسى برؤيتها منهم فتحتجب بصفاتها وصفاتهم عن صفاتك ﴿ ويسر لى امرى ﴾ اى امر الدعوة بتوفيقهم لقبول دينك وامدادى على المعاندين من نصرك وتأييد قدسك ﴿ واحلل عقدة من لسانى ﴾ من عقد العقل والفكر المانعين عن اطلاق لسانى بكلامك والجراءة والشجاعة على تصريح الكلام فى تبليغ رسالتك واعلاء كلمتك واظهار دينك على دينهم بالحجة والبينة فى مقابلة جبروتهم وفرعنتهم رعاية لمصلحة خوف السطوة ﴿ يفقهوا قولى ﴾ لتاييدك قلوبهم والخشوع والخشية فيها وتأييدك اياى من عالم القدس والايد وباقى القصة لايقبل التأويل فان اردت التطبيق فاعلم ان موسى القلب يسأل الله تعالى بلسان الحال ان يجعل هرون العقل الذى هو أخوه الاكبر من أبيه روح القدس له وزيرا يتقوى به ويستوزره

السامرة وقيل كان من القبط وكان جار الموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر ﴿ فرجع موسى الى قومه غضبان ﴾ اى حزينا جزعا ﴿ قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ اى صدقا انه يعطيكم التوراة ﴿ افطال عليكم العهد ﴾ اى مدة مفارقتى اياكم ﴿ ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ﴾ اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه ﴿ فاخلفتم موعدى ﴾ يعنى ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع ﴿ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ﴾ اى بملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع فى الفتنة لم يملك نفسه ﴿ ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم ﴾ اى حملنا مع انفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام اى حملنا آثاما وذلك ان بنى اسرائيل استعار واحليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنو اسرائيل وكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم ﴿ فقذفناها ﴾ اى القيناها قيل ان السامرى قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون امرهم بذلك ففعلوا ﴿ فكذلك القى السامرى ﴾ اى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامرى وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال هرون اللهم اعطه ما سألك على ما فى نفسه فالقى السامرى ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فى فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى ﴿ فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار ﴾ اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامرى صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثانى انه صار حيا وخار كما يخور العجل ﴿ فقالوا هذا الهكم واله موسى ﴾ يعنى قال ذلك السامرى ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله ﴿ فنسى ﴾ قيل هو اخبار عن قول السامرى اى ان موسى نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه فى طريق آخر فاخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكانه اخبر عن السامرى انه نسى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال ﴿ افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ﴾ اى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ﴿ ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ﴾ هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل ❊ قوله عز وجل ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ اى من قبل رجوع موسى ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ اى ابتليتم بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن فاتبعونى ﴾ على دينى فى عبادة الله ﴿ واطيعوا امرى ﴾ اى فى ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعا الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة

بقوله

فى اموره ويعتضد برايه مشاركا ومعاونا له فى اكتساب كمالاته محصلا طلبه بقوله (واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك) اى بالتجريد عن صفات النفس وهيئاتها (كثيرا ونذكرك) باكتساب المعارف والحقائق والحضور فى المكاشفات ومقام تجليات الصفات (كثيرا انك كنت بنا) اى باستعدادنا القبول الكمال واهليتنا له (بصيرا) فأعنا واجعلنا متعاونين على ما ترى منا ونريد (قال قد اوتيت)اعطيت (سؤلك ياموسى)ووفقت لتحصيل مطلوبك (ولقد مننا عليك مرة اخرى) قبل ارادتك وطلبك بمحض عنايتنا (اذ اوحينا الى امك) النفس الحيوانية(مايوحى) اى اشرنا اليها (ان اقذفيه فى التابوت) فى التابوت البدن او الطبيعة الجسمانية (فاقذفيه فى اليم)فى يم الطبيعة الهيولانية (فليلقه اليم بالساحل) عند ظهور نور التميز والرشد بساحل النجاة (يأخذه عدو لى وعدو له) النفس الامارة الجبارة الفرعونية(والقيت

بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله واطيعوا امرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لابد من اماطة الاذى عن الطريق وهى ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) اى لن نزال (عليه) اى على عبادة العجل (عاكفين) اى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كانهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و(قال) له (يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) اى اشركوا (الا تتبعن) اى تتبع امرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرا لهم عما اتوه (افعصيت امرى) اى خالفت امرى (قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى بشعر رأسى وكان قد اخذ بذؤابتيه (انى خشيت ان تقول) اى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) اى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) اى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) اى فما امرك وشأنك وما الذى حملك على ما صنعت (يا سامرى قال) يعنى السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول) اى من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) اى فقذفتها فى فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من اصل تربة اثر موطئه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سولت) اى زينت (لى نفسى) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فعله غيرى واتبعت فيه هواى (قال) يعنى موسى للسامرى (فاذهب فان لك فى الحيوة) اى مادمت حيا (ان تقول لا مساس) اى لا تخالط احدا ولا يخالطك احد فعوقب فى الدنيا بعقوبة ولا شئ اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامرى يهيم فى البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد وقيل كان اذا مس احدا او مسه احد حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) اى يا سامرى (موعدا) اى بعذابك فى الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك

عليك محبة منى) اى احببتك وجعلتك محبوبا الى القلوب والى كل شئ حتى النفس الامارة والقوى ومن احببته يحبه كل شئ (ولتصنع على عينى) وتربى على كلاءتى وحفظى فعلت ذلك (اذ تمشى اختك) العاقلة العملية عند ظهورها وحركتها (فتقول) للنفس الامارة والقوى المنعطفة عليه (هل أدلكم) بالآداب الحسنة والاخلاق الجميلة على أهل بيت من النفس اللوامة وقواها الجزئية بفوات قرة عينها (على من يكفله) احكم بالتربية بالفكر والارضاع بلبان الحكمة العملية والعلوم النافعة وهم له ناصحون معاونون على كسب الكمال مرشدون الى اعمال الصالحة معدون للترقى الى المرتبة الرفيعة (فرجعناك الى امك) المشفقة عليك التى هى النفس اللوامة اللائمة نفسها بتضييع قرة عينها ليحصل اطمئنانها بنور اليقين وتهذب بالحكمة العملية وترضع منها اللبن المذكور وتتربى فى حجر تربيتها بالمدركات الجزئية والآلات البدنية والاعمال

عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح اى لن تعذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) اى الذى تزعم (الذى ظلت عليه عاكفا) اى دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) اى لنذرينه (فى اليم) اى فى البحر (نسفا) روى ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه فى النار ثم ذراه فى البحر وقيل معناه لنحرقنه اى لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها فى البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ماذهب اليه السامرى رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبنى اسرائيل (انما الهكم الله) اى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) اى وسع علمه كل شئ وقيل يعلم من يعبده ❊ قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من انباء) يعنى من اخبار (ماقد سبق) يعنى الامم الخالية وقيل ماسبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من اعرض عنه) اى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) اى حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) اى مقيمين فى عذاب الوزر (وساءلهم يوم القيامة حملا) اى بئس ماحملوا انفسهم من الاثم (يوم ينفخ فى الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) اى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) اى يتشاورون (بينهم) و يتكلمون خفية (ان لبثتم) اى مكثتم فى الدنيا (الا عشرا) اى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ماعاينوا فقال الله تعالى (نحن اعلم بما يقولون) اى يتشاورون فيما بينهم (اذ يقول امثلهم طريقة) اى اوفاهم عقلا واعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) قصر ذلك فى اعينهم فى جنب مااستقبلهم من اهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة مادهمهم ❊ قوله عز وجل (ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع اى يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) اى يدع اماكن الجبال من الارض (قاعا صفصفا) اى ارضا ملساء مستوية لا نبات فيها (لاترى فيها عوجا ولا امتا) اى لا انخفاضا ولا ارتفاعا اى لاترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعى) اى صوت الداعى يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور فى فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لاعوج له) اى لاعوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) اى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعف الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة)

لاحد

الزكية (كى تقر عينها) اى تنور بنورك (ولاتحزن) على فوات قرة عينها وتقصها (وقتلت نفسا) اى الصورة الغضبية المسوّلة لك بالرياضة والامانة (فنجيناك من الغم) من غمّ استيلاء النفس الامارة واهلاكها اياك (وفتناك فتونا) ضروبا من الفتن بظهور النفس وصفاتها والرياضة والمجاهدة فى دفعها وقمعها وامانتها وتزكيتها (فلبثت سنين فى اهل مدين) العلم من القوى الروحانية عند شعيب العقل الفعال (ثم جئت على قدر ياموسى) على حد من الكمال المقدر بحسب استعدادك اوعلى شئ مما قدر لك اى بعض ماقدر لك من الكمال التام الذى هو التجلى الذاتى الذى سيوهب لك بعد كمال الصفات (واصطنعتك لنفسى) اى استخلصتك لنفسى وجعلتك من جملة خواصى من بين اهل مدينة البدن ولمافيك من الخصال الشريفة والاهلية لخلافتى (اذهب انت واخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى) الى آخر القصة ان اريد تطبيقها قيل اذهب ياموسى القلب انت

لاحد من الناس (الا من اذن له الرحمن) اى الا من اذن له ان يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهى لا تحصل الالمن يأذن الله له فيها وكان عندالله مرضيا (يعلم مابين ايديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى اى يعلم الله ماقدموا من الاعمال وماخلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الالمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم مابين ايديهم اى ايدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما اى هو يعلم مابين ايديهم وماخلفهم وهم لايعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وماخلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اى ولايحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) اى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر * وقوله تعالى (للحى القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من اشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها * قوله تعالى (وكذلك انزلناه) اى كما بينا فى هذه السورة اوهذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) اى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) اى كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) اى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (او يحدث لهم ذكرا) اى انما انزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين مالاينبغى ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم فى الطاعات وفعل ماينبغى وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة * قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) اى جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعمايقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على مايلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لايزول ولايتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولاغيره اولى به منه (ولاتعجل بالقرآن) اراد النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرامعه قبل ان يفرغ جبريل ممايريده من التلاوة مخافة الانفلات او النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن اى ولا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) اى من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لاتقرئه اصحابك ولاتمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدنى علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدنى علما الى ماعلمت فان لك فى كل شئ علما وحكمة قيل ماامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدنى علما وايمانا ويقينا * قوله عزوجل (ولقد عهدنا الى آدم) يعنى امرناه واوحينا اليه ان لايأكل من الشجرة (من قبل) اى من قبل هؤلاء الذين نقضوا

واخوك العقل بآياتى حججى وبيناتى ولاتفترا (اذهبا الى فرعون انه طغى) النفس الامارة الطاغية المجاورة حدها بالاستعلاء والاستيلاء على جميع القوى الروحانية (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لاتخافا اننى معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم) بالرفق والمداراة فى دعوتها الى الاستسلام لامر الحق والانقياد لحكم الشرع * لعلها تلين فتتعظ وتنقاد * ولماخافا طغيانها ونفرتها عنها لتعوّدها بالاستعلاء شجعهما الله بالتأييد والاعانة والمحافظة والكلاءة والاحاطة بما يقاسيانه ويكابدانه ثم امرهما بتبليغ الرسالة فى تطويعها وتسخيرها والزامها الامتناع عن استعباد القوى الحيوانية والكف عن وان تسخيرها وارسالها معهما فى التوجه الى الحضرة الالهية واستفاضة الانوار الروحية القدسية والمعارف الحقيقية ولايعذبها فى تحصيل اللذات الحسية والزخارف

عهدى وتركوا الايمان بى وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى لعلهم يتقون ﴿ فنسى ﴾ اى فترك ماعهدنا اليه من الاحتراز عن اكل هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذى هو ضد الذكر ﴿ ولم نجد له عزما ﴾ اى صبرا عمانهى عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذى حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب ※ قوله عزوجل ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى ﴾ ان يسجد ﴿ فقلنا يا آدم ان هذا ﴾ اى ابليس ﴿ عدولك ولزوجك ﴾ اى حواء وسبب العداوة مارای من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له ﴿ فلايخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم مايترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاء فان قلت لم اسند الشقاء الى آدم دون حواء قلت فيه وجهان احدهما ان فى ضمن شقاء الرجل شقاء اهله كما ان فى سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثانى انه اريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته ﴿ ان لك الاتجوع فيها ﴾ اى فى الجنة ﴿ ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ﴾ اى تعطش ﴿ ولاتضحى ﴾ اى تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس فى الجنة شمس واهلها فى ظل ممدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والكن هى الامور التى يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء فى الجنة وانه مكفى لايحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا ﴿ فوسوس اليه الشيطان ﴾ اى انهى اليه الوسوسة كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ماهى فقال ﴿ قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ﴾ اى على الشجرة التى ان اكلت منها بقيت مخلدا ﴿ وملك لايبلى ﴾ اى لايبيد ولايفنى رغبة فى دوام الراحة فكان الشئ الذى رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا الامر عرف انه لادافع لقضاء الله ولامانع له منه ※ وقوله تعالى ﴿ فاكلا منها ﴾ يعنى اكل آدم وحواء من الشجرة ﴿ فبدت لهما سوآتهما ﴾ اى عريا من الثياب التى كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ اى يلزقان بسوآتهما من ورق التين ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ اى باكل الشجرة ﴿ فغوى ﴾ اى فعل مالم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل مانهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى آدم ولايجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرار اويعتاده ﴿ ق ﴾ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له آدم انت ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط

الدنيوية ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ ببرهان دال على وجوب متابعتك ايانا ﴿ والسلام ﴾ اى السلامة من النقائص والنجاة من العلائق والفيض النورى من العالم الروحى ﴿ على من اتبع الهدى ﴾ البرهان وتمسك بالنور الالهى ﴿ انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ﴾ فى جحيم الطبيعة وهاوية الهيولى على من خالفه واعرض عنه ﴿ قال فمن ربكما ياموسى ﴾ اشارة الى احتجاب النفس من جناب الرب ﴿ وقوله قال ربنا الذى اعطى ﴾ هدايه لها بالدليل وتبصيرا بالحجة اى اعطاه خلقا على وفق مصالح ذاته وآلات تناسب خواصه ومنافعه ومقاصده وهداه الى تحصيلها ﴿ كل شئ خلقه ثم هدى قال فمابال القرون الاولى ﴾ اشارة الى احتجابها عن المعاد والاحوال الاخروية من السعادة والشقاوة وعن احاطة علم الله تعالى بها ولما كان الواجب الاول معرفة الله تعالى بصفاته وكانت معرفة المعاد موقوفة عليها اجاب باحاطة علمه بها وباحوالها

لك التوراة بيده اتلومنى على امر قدره الله تعالى على قبل ان يخلقنى باربعين عاما فحج آدم موسى وفى رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلومنى على ان عملت عملا كتب الله على ان اعمله قبل ان يخلقنى باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

﴿ الكلام على معنى الحديث وشرحه ﴾

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اى جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ماقضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء فى هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقى عليهم من وراء علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول فى هذا انهما امران لاينفك احدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التى خلق لها وانما ادلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومنى على امر قدره الله على من قبل ان يخلقنى

﴿ فصل فى بيان عصمة الانبياء وماقيل فى ذلك ﴾

قال الامام فخر الدين الرازى اختلف الناس فى عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع اقسام اربعة احدها مايقع فى باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثانى مايتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك لايجوز وقوعه منهم عمدا ولاسهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث مايتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لايجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع مايقع فى افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكبائر الثانى قول من منع الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لايجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائى الرابع انه لايقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس انه لايقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثانى قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لايجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابى الهذيل وابى على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لاصغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه

مع كثرتها وكون ذلك العلم مثبتا فى اللوح المحفوظ باقيا ازلا وابدا لايجوز عليه الخطأ والنسيان (قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى الذى جعل لكم الارض) ايها القوى البدنية ارض البدن (مهدا وسلك لكم فيها سبلا) من الاعضاء والجوارح كالعين والاذن والانف وغيرها (وانزل من السماء ماء) من سماء الروح ماء الادراك والمدد الروحانى (فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى) اصنافا من الادراكات والافاعيل والخواص والهيئات والملكات المخصوصة بكل قوة منكم (كلوا) اغتذوا وتقووا بما يختص بكم من الاحوال والاخلاق والامداد والمواهب كالرضا والبصر وعلم الاسماء والخواص والاعداد وسائر الادراكات والارادات والمقامات (وارعوا انعامكم) القوى الحيوانية بما يختص بها من الاخلاق والآداب (ان فى ذلك لآيات لاؤلى النهى منها خلقناكم) انشأناكم على حسب اختلاف امزجة

الاعضاء التي هي مظاهرها (وفيها نعيدكم) باماتة عند الرياضة حتى يلازم كل محله ويندس فيه لاحراك به ولا يتطلب التجاوز عن حده والاستيلاء على غيره بمحو صفات النفس حتى الفناء (ومنها نخرجكم تارة اخرى) عند البقاء بالحياة الموهوبة الحقيقة فتعدل حركاتها وتفضل ملكاتها (ولقد اريناه آياتنا كلها) من الحجج والبينات الدالة على التجرد عن المواد ووجود الانوار (فكذب) لكونها مادة (وابى) القبول لامتناع ادراكها المجردات وانكر ازعاجها عن وكرها البدني بقوله (قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا انت مكانا سوى) ونسب البرهان الى السحر لقصورها عن ادراكه وعجزها عن قبوله واغرى القوى التخيلية والوهمية على المعارضة والمجادلة وقلما اذعنت النفس للبرهان النير والحق البين بدون الرياضة والاماتة وكلما اورد عليها حرضت الوهم

وجوه احدها لوصدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لوصدر منه وجب ان لايكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لوصدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل انه لاشئ اقبح ممن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لاتفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلولم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ماينبغي فعله وترك ماينبغي تركه فثبت ان الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينا في صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ماكان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطأ فقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اى نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لايحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصد اللمخالفة وقيل بل اكل من الشجرة متأولا وهو لايعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ماسلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لاشئ عليه قلت ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لايؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها واتوها على وجه التأويل اوالسهو وتزيدوا من امور الدنيا المباحة اوخذوا

عليها

عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجرى من احوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين اى يرونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيآت وسنذكر فى كل موضع ما يليق به وماقيل فيه ان شاء الله تعالى * قوله عزوجل (ثم اجتباه ربه) اى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) اى عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) اى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما اصل البشر فجعلا كأنهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يأتينكم منى هدى) اى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) اى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرا القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل اى فى الدنيا ولايشقى اى فى الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وابى هريرة وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف اضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلايزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما اعطى العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لايشبع (ونحشره يوم القيامة اعمى) قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا) اى بصير العين او بصيرا بالحجة (قال كذلك) اى كما (اتتك آياتنا فنسيتها) اى فتركتها واعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) اى تترك فى النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نجزى من اسرف) اى كما جزينا من اعرض عن القرآن كذلك نجزى من اسرف اى اشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد) اى مما يعذبهم الله به فى الدنيا والقبر (وابقى) اى وادوم * قوله تعالى (افلم يهد لهم) اى افلم يبين القرآن لكفار مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) يعنى فى ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) اى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) اى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما واجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل

والتخيل على التشكيك والقدح والموعد هو وقت تركيب الحجة وترتيب المقامات وذلك وقت زينة النفس الناطقة بالمدركات وحشر القوى العقلية والروحانية لاستحضار المعلومات والمخزونات (قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) اشراق نور شمس العقل الفعال اذهاك تعرض النفس عن قبولها ويجمع كيدها من انواع المغالطات والوهميات ويقممها القلب باليقينيات واظهارا كاذيبها المموهات والتنازع الواقع بين القوى النفسانية هو عدم مسالمتها فى طاعة القلب والجذاب كل منها الى لذته متمانعة متخالفة واسرارها النجوى استبطان الكل الدواعى المخالفة للقلب مع

مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازمالهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على مايقولون) نسختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) اى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) اى صلاة العصر (ومن آناء الليل) اى ومن ساعاته (فسبح) يعنى فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد اول الليل (واطراف النهار) يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) اى ترضى ثوابه فى المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اى تعطى ثوابه وقيل برضا لربك (ق) عن جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لاتضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لايظلم بعضكم بعضا فى رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام اى لايزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية للمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لاترتابون فيه ولاتشكون * قوله عز وجل (ولاتمدن عينيك) قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق اواسلفنى الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لاابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله انى لو باعنى اواسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولاتمدن عينيك اى لاتنظر نظرا تكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له (الى مامتعنا به) اى اعطينا (ازواجا) اى اصنافا (منهم زهرة الحيوة الدنيا) اى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) اى لنجعل ذلك فتنة لهم بان نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) اى فى المعاد فى الجنة (خير وابقى) اى ادوم وقال ابى بن كعب من لم يعتز بعزالله تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره مافى ايدى الناس بطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه * قوله تعالى (وأمر اهلك) اى قومك وقيل من كان على دينك (بالصلوة) اى بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) اى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول (لانسئلك رزقا) اى لانكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) اى بل نحن نرزقك ونرزق اهلك (والعاقبة للتقوى) اى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفى بعض المسانيد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية * قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) اى بالآية المقترحة فانه كان قد اتاهم بآيات كثيرة (اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى) اى بيان مافيها

مخالفها فى انفسها ونسبتها الى السحر اشارة الى عجزها عن ادراك معانيها وخفاء براهينها عليها والطريق المثلى اى الفضلى عندهم هى تحصيل اللذات الحسية والانهماك فى الشهوات البدنية والقاؤها اولا اشارة الى تقدم الوهميات والخياليات فى الوجود الانسانى على العقليات واليقينيات عند السلوك والا لما احتيج الى الى البرهان القاطع والدليل الواضح والى ان الواجب على الداعى الى الحق اولا نقض الباطل ودفع الشبهة بالحجة ليزول الاعتقاد الفاسد ويتمكن استقرار الحق والحبال والعصى هى المغالطات والسفسطات من الشبهة الجدلية التى تكاد تمشى وتغلب على القلب لولا تأييد الحق بنور الروح والعقل وهو معنى قوله لاتخف انك انت الاعلى والق مافى يمينك العاقلة القارية من البرهان المعتمد عليه يلقف مصنوعاتهم المزخرفة واباطيلهم المموهة فتضمحل وتتلاشى انما صنعوا كيد تزوير ومكر لاحقيقة له لا ما صنعت كما زعموا فالقى السحرة سجدا

وهو

وهو القرآن لانه اقوى دلالة واوضح آية وقيل معنى مافى الصحف مافى التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما اتتهم لم يؤمنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان اتتهم الآية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل بينة مافى الصحف الاولى هى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله) اى من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا) اى لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) اى منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) اى فانتظروا (فستعلمون) اى اذا جاء امر الله وقامت القيامة (من اصحاب الصراط السوى) اى المستقيم (ومن اهتدى) اى من الضلالة نحن ام انتم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وهى مكية وعدد آياتها مائة واثنا عشرة آية والف ومائة وثمان وستون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) اى وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم فى غفلة معرضون) اى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لايتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا عنه (مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى مايحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى مافى القرآن واضافه اليه لان الله تعالى قال وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الااستمعوه وهم يلعبون) اى لاعبين لايعتبرون ولايتعظون (لاهية قلوبهم) اى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (واسروا النجوى الذين ظلموا) اى بالغوا فى اخفاء التناجى وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذى تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا الابشر مثلكم) يعنى انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب (افتأتون السحر) اى اتحضرون السحر وتقبلونه (وانتم تبصرون) اى تعلمون انه سحر (قل) لهم يامحمد (ربى يعلم القول فى السماء والارض) اى لايخفى عليه شيء (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بافعالهم * قوله عز وجل (بل قالوا اضغاث احلام) يعنى اباطيل واهاويل رآها فى النوم (بل افتراه)

فاقتادت حينئذ القوى الوهمية والخيالية والتخييلية والحسية عند ظهور عجزها والنفس الامارة ثابتة فى تفر عنها وعتوها لعدم ارتياضها واعتيادها بمألوفاتها وترأسها على القوى وتجبرها باقية على عنادها وشدة شكيمتها ولا فطمن اشارة الى ابعادها وتخويفها للقوى عند اذعانها بمنع تصرفاتها فى المعايش وترك سعيها فى تحصيل الملاذ والمشتهيات الجسمانية من جهة مخالفتها اياها بموافقة القلب وصلبها فى جذوع النخل ايقافها بالاماتة عند الرياضة فى حد القوى النباتية واثباتها فى مقارها ومبادى نشأتها من اعالى مراتب القوى النباتية دون الصرف فى سائر المراتب والاستعلاء على المناصب والاستيلاء فى المكاسب او من الاعضاء التى هى معادنها ومظاهرها وهذا التخويف على هذا التأويل من قبيل احاديث النفس وهواجسها بسبب اللمات الشيطانية المثبطة عن المجاهدة لقوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه ليفيد اعراضها عن مطاوعة القلب وقيامها بخدمتها

اى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (بآية) اى بحجة ان كان صادقا (كما ارسل الاولون) اى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) اى قبل مشركى مكة (من قرية) اى من اهل قرية اتتهم الآيات (اهلكناها) اى بالتكذيب (افهم يؤمنون) اى ان جاءتهم آية والمعنى ان اولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم افيؤمن هؤلاء * قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك الارجالا نوحى اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك (فاسئلوا اهل الذكر) يعنى اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القرآن اى فاسألوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) * قوله عز وجل (وما جعلناهم) اى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) اى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) اى الذى وعدناهم باهلاك اعدائهم (فانجيناهم ومن نشاء) اى من المؤمنين الذين صدقوهم (واهلكنا المسرفين) اى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه * قوله عز وجل (لقد انزلنا اليكم) اى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) اى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (افلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل * قوله تعالى (وكم قصمنا) اى اهلكنا (من قرية كانت ظالمة) اى كافرة والمراد اهل القرية (وانشأنا بعدها) اى احدثنا بعد هلاك اهلها (قوما آخرين فلما احسوا بأسنا) اى عذابنا بحاسة البصر (اذاهم منها يركضون) اى يسرعون هاربين من قريتهم لما راوا مقدمة العذاب (لا تركضوا) اى قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا الى ما اترفتم فيه) اى نعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى اهل حضور قرية باليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا اى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى منادمن جو السماء يالثارات الانبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) اى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) اى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) اى بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) اى ميتين * قوله عز وجل (وما خلقنا

السماء

ونسخرها لها ولو حمل على المباحثة الظاهرة المستفادة من قوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن بعد التصديق بالظاهر والايمان بالاعجاز الباهر لاجرى قوله اذهب انت واخوك على ظاهره الى قوله فتنازعوا امرهم بينهم اى تباحثوا فيما بينهم فى السر متنازعين فيما يعارضونه به من ضروب الجدل وقيل فى قوله ان هذان لساحران مطلقا فى البيان والفصاحة والا حتجاج لا يكاد يعارضهما احد فيحجهما (فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى) اى اتفقوا فيما تبارزونه به فتكونوا متفق الكلمة متعاضدين (قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم) اى تخيلاتهم ووهمياتهم (يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) فى التركيب والبلاغة وحسن التقرير وتمشية المغالطة والسفسطة وهيئة ترتيب القياس الجدلى كانها تسعى اى تمشى (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) عن غلبة الجهال ودولة الضلال كما قال امير المؤمنين على عليه

السماء والارض ومابينهما لاعبين) معناه ماسويناهذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما لفوائد منها التفكر فى خلقهما ومافيهما من العجائب والمنافع التى لاتعد ولاتحصى (لواردنا ان نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد (لاتخذناه من لدنا) اى من عندنا من الحور العين لامن عندكم من اهل الارض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لاتطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وامه ماقالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره (ان كنا فاعلين) اى ما كنا فاعلين وقيل ماكنا ممن يفعل ذلك لانه لايليق بالربوبية (بل) اى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) اى نرمى ونسلط (بالحق) اى بالايمان (على الباطل) اى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لاولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لايليق به من الصاحبة والولد (وله من فى السموات والارض) اى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعنى الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لايستكبرون عن عبادته) اى لايتكبرون ولايتعظمون عنها (ولايستحسرون) اى لايعيون ولايتعبون وقيل لاينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لايفترون) اى لايضعفون ولايسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لايفتر فى جميع اوقاتهم لاتتخلله فترة بفراغ اوشغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم (ام اتخذوا آلهة من الارض) يعنى الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهى من الارض (هم ينشرون) اى يحيون الاموات اذ لايستحق الالهية الامن يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عزوجل (لوكان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الاالله) اى غير الله (لفسدتا) اى لخربتا وهلك من فيهما الوجود التمانع من الآلهة لان كل امر مصدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضى الى المحال فوجب ان يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضى الى المحال لانا لوفرضنا وجود الهين فلابد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولوكان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد الآخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين اولايقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال اويقع مراد احدهما دون الثانى وذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه لوكان كل واحد منهما قادرا على مالانهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لابد وان يستويا فى القدرة واذا استويا فى القدرة استحال ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع من مراد الثانى

السلام لم يوجس موسى خيفة على نفسه انما خاف من غلبة الجهال ودولة الضلال (قلنا لاتخف انك انت الاعلى) شجعناه وايدناه بروح القدس (والق مافى يمينك) اى مافى ضبط عقلك من النفس المؤتلفة بشعاع القدس المضيئة بنور الحق (تلقف ماصنعوا) مازخرفوا وزوروا من الشبهات والتمويهات الباطلة والاباطيل المزخرفة بالحجج النيرة والبراهين الواضحة (انما صنعوا) وتلقفوا (كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث اتى) اى تمويه وتزوير (فالقى السحرة سجدا) منصفين مذعنين مقرين بكونه على الحق لما عرفوا من صدق البينة وظهور المعجزة وقيام الحجة وجلية البرهان (قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى) الايمان اليقينى لانهم كوشفوا بالحق فعرفوا ربوبيته للكل وانما اضافوا

والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما دون الآخر فالذي
وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال
ولو فرضنا الهين اكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع
مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان
لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع
فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما
معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى
امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب ان لايقع البتة وحينئذ يلزم وقوع
الفساد قطعا اونقول لوقدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك
الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان
او لا يقع واحد منهما اويقع احدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على
كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوى
والسفلى من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلائل السمعية على
الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلالة التمانع فسر الآية بان المراد لوكان
في السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لاتقدر على
تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله ام اتخذوا آلهة
من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به ❊ واما قوله
﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون
من الشريك والولد ﴿ لايسئل عما يفعل ﴾ اى لايسئل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه ﴿ وهم
يسئلون ﴾ اى والناس يسئلون عن اعمالهم والمعنى انه لايسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال
وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال
لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له
لشئ فعله لم فعلته ❊ قوله عزوجل ﴿ ام اتخذوا من دونه آلهة ﴾ لما ابطل الله تعالى ان تكون آلهة
سواه بقوله لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال ام اتخذوا من دونه
آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ اى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى
مستأنفا ﴿ هذا ﴾ يعنى القرآن ﴿ ذكر من معى ﴾ اى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى
الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ وذكر ﴾ اى خبر
﴿ من قبلى ﴾ اى من الامم السالفة ومافعل بهم في الدنيا ومايفعل بهم في الآخرة وقال ابن
عباس ذكر من معى القرآن وذكر من قبلى التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة
والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا اوكان معه آلهة ﴿ بل اكثرهم
لايعلمون الحق فهم معرضون ﴾ ❊ قوله عزوجل ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول
الانوحي اليه انه لااله الاانا فاعبدون ﴾ اى فوحدونى وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على
جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اى عن التأمل

والتفكر

الرب اليهما مع تعميم
الاضافة الى العالمين لزيادة
اختصاصهما به وفضل
ربوبيته اياهما فانه رب كل
شئ باسم يناسبه ويقتضيه
استعداده وربهما باكبر
اسمائه الحسنى على حسب
كمال استعدادهما ولظهوره
فيهما بكمالات صفاته وتجليه
عليهم فيهما بآياته فعلموا
انهم من مشكوتهما عرفوا
ماعرفوا وبوسيلتهما وصلوا
الى ماوصلوا وبتبعيتهما
وحدوا ما وحدوا لا على
سبيل الاستقلال واعلم ان
الساحر اقرب الناس
استعدادا من النبي لان
مبادى خوارق العادات
امور ثلاثة اما خواص
التركيب وتمزجات المواد
العنصرية والصور وجمع
الاخلاط المختلفة المزاج
والجوهر وهو من باب النير
نجات واما جمع القوى
السماوية والارضية باعداد
الصور السفلية والمواد
العنصرية لاستجلاب فيض
النفوس السماوية واتصالها
بقوى الاجرام الارضية
وهو من باب الطلسمات
واماتأثير النفوس وهيئاتها
المستفادة من العالم العلوى
وهو من الكامل المبعوث

والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو * قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) اى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) اى اكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) اى لا يتقدمونه (بالقول) اى لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بامره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا وعملا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اى ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) اى خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم انى اله من دونه) قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) اى الواضعين الالهية والعبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (اولم ير الذين كفروا) اى الم يعلم الذين كفروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيأ واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) اى فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حى) اى واحيينا بالماء الذى ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حى فهو مخلوق من الماء وقيل يعنى النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعنى ان اكثر يعنى ما على وجه الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء (افلا يؤمنون) اى افلا يصدقون (وجعلنا فى الارض رواسى) اى جبالا ثوابت (ان تميد بهم) اى لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله واثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) اى فى الرواسى (فجاجا) اى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) اى الى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) اى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها معرضون) اى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) اى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد ان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء

للنبوة القائم بالدعوة اعجاز ومن الواصل المحقق المترقى الى ذروة الولاية غير المبعوث للنبوة كرامة والفرق بينهما ان الاعجاز مقارن للتحدى والمعارضة دون الكرامة ومن المقبل على الدنيا المعرض عن العالم الاعلى سحر فكانت نفس الساحر فى بدء فطرتها قوية مخصوصة بهيئات مؤثرة فى هذا العالم واجرامه الا انها اعرضت عن مبدئها بالركون الى العالم السفلى وانقطعت عن اصل القوى والقدر ومنبع التأثير والقهر بالميل الى عالم الطبع فلا تزال يضعف ما فيها من الهيئة النورية والشعاع القدسى كما لا يزداد فى نفس النبى والولى بالاقبال على الحق والائتلاف بنور القدس والتأييد بالقوة الملكوتية والتوجه الى الحضرة الالهية ولا جرم ينكسر من النبى حين عارضه وينقمع بنفسه اذا قابله فهو اعرف الناس بالنبى عند عجزه وانكساره واقبال الخلق لدعوته وانواره واسبقهم الى الاقرار به لكونه اقربهم فى الاستعداد اليه ما لم يبطل استعداده الاول بالكلية ولم يغلب عليه

يجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لاثقيلة ولاخفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لاسبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية * قوله عزوجل (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا (افان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد فى الدنيا بشر الا انت ولاهم فان مت انت افيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فان الله تعالى حى لايموت ولايجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) اى نختبركم (بالشر والخير) اى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وماتكرهون (فتنة) اى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون) اى للحساب والجزاء * قوله عزوجل (واذارآك الذين كفروا ان) اى ما (يتخذونك الاهزوا) اى سخريا قيل نزلت فى ابى جهل مربه النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف (اهذا الذى يذكر آلهتكم) اى يقول بعضهم لبعض هذا الذى يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وذلك انهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب * قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح فى راس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل فى خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فاسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا اطوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين قال الشاعر . والنخل ينبت بين الماء والعجل . اى بين الماء والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانسانى يدل عليه قوله (سأريكم آياتى فلاتستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت فى النضر بن الحرث ومعنى ساريكم ياتى اى مواعيدى فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعنى المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى انهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين مالهؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لويعلم الذين كفروا حين لايكفون) اى لا يدفعون (عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم) قيل السياط (ولاهم ينصرون) اى لايمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما

دين الطبيعة السفلية (قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ماانت قاض) كلام صادر من عظم الهمة الحاصلة للنفس بقوة اليقين اذقوة اليقين فى القلب تورث النفس عظم الهمة وهو عدم مبالاتها بالسعادة الدنيوية والشقاوة البدنية واللذات العاجلة الفانية والآلام الحسية فى جنب السعادة الاخروية واللذة الباقية العقلية ولهذا استخفوا بها واستحقروها بقولهم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفرلنا خطايانا) اى يستر بنور الهيئات المظلمة والصفات الرديئة التى عرضت لنفوسنا بسبب الميل الى اللذات الطبيعية ومحبة الزخارف الدنيوية (وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى) اى معارضة موسى لانهم لما عرفوه بنور استعدادهم وعلموا كونه على الحق فاستعفوا عن معارضته فاكرههم اللعين (انه من يأت ربه مجرما) فى القيامة الصغرى مجرما مثقلا بالهيئات البدنية المميلة الى الاجرام الطبيعية

اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعنى الساعة (بغتة) اى فجأة (فتبهتهم) اى تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) اى صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) اى لا يمهلون لتوبة والمعذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) اى يا محمد كما استهزأ بك قومك (فحاق) اى نزل واحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) اى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم اى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم * قوله تعالى (قل من يكلؤكم) اى يحفظكم (بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا انصرفتم فى معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) اى عن القرآن ومواعظه (معرضون) اى لا يتأملون فى شئ منها (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه الهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر انفسهم) اى لا يقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولا هم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعنى الكفار (وآباءهم) اى فى الدنيا بأن انعمنا عليهم وامهلناهم (حتى طال عليهم العمر) اى امتد بهم الزمان فاغتروا (افلا يرون) يعنى هؤلاء المشركين (انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها) يعنى ننقص من اطراف المشركين ونزيد فى اطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المنعمين بالدنيا اما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فيهم ثم قال (افهم الغالبون) استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (انما انذركم بالوحى) اى اخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) اى يخوفون (ولئن مستهم) اى اصابتهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا على انفسهم بالظلم والشرك * قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) اى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجرى على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) اى لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم فى الاعمال فمن احاطت حسناته بسيآته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه ائمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها اعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان واكثر الاقوال انه ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم افاق فقال الهى من الذى يقدر ان يملأ كفته حسنات قال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا فى كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض

(فان له جهنم لا يموت فيها) بالموت الطبيعى فلا يشعر بالآلام (ولا يحيى) بالحياة الحقيقية فينجو من تبعات الآثام (ومن يأته مؤمنا) بالايمان اليقينى (قد عمل الصالحات) من الفضائل النفسانية المزكية للنفوس (فاولئك لهم الدرجات العلى) من جنات الصفات بحسب درجات ترقيهم فى الكمالات (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى) فى ظلمة صفات النفوس وليل الجسمانية (فاضرب لهم طريقا فى البحر) من التجريد فى بحر عالم الهيولى (يبسا) لا تصل اليه نداوة الهيئات الهيولانية ورطوبة المواد الجسمانية (لا تخاف دركا) لحوقا من البدنيين المغمسين فى غواشى الطبيعية الظلمانية (ولا تخشى) غلبتهم عليكم واستيلاءهم فانهم مقيدون محبوسون فيها قاصرون عن شأنكم (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى) لاهلاكهم دينهم

طريقان احدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيآت فى كفة والثانى ان يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولانقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم اعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى ﴿ فلا تظلم نفس شيأ ﴾ اى لاتبخس مالها وماعليها من خير وشر شيأ ﴿ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ﴾ معناه انه لاينقص من احسان محسن ولايزاد فى اساءة مسئ واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى اتينا بها اى احضرناها لنجازى بها عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مدالبصر ثم يقول اتنكر من هذا شيأ اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولايثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير واصله من المسجل لانه يجمع احكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لان الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله اعلم * قوله تعالى ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان فى العلم بحيث لايمكن ان يشتبه عليه شئ وفى القدرة بحيث لايعجز عن شئ لحقيق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا   هكذا سيمة الملوك * بالمماليك يرفقوا

* قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ﴾ يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون ﴿ وضياء ﴾ يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء ﴿ وذكرا للمتقين ﴾ يعنى يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ اى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ اى خائفون ﴿ وهذا ذكر مبارك انزلناه ﴾ اى كما آتينا موسى التوراة فكذلك انزلنا القرآن ذكرا مباركا اى هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿ افانتم ﴾ يااهل مكة ﴿ له منكرون ﴾ اى جاحدون * قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده ﴾ اى صلاحه وهداه ﴿ من قبل ﴾ اى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير ﴿ وكنا به عالمين ﴾ اى انه من اهل الهداية والنبوة ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل ﴾ يعنى الصور والاصنام ﴿ التى انتم لها عاكفون ﴾ اى مقيمون على عبادتها ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ اى فاقتدينا بهم ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ لقد كنتم انتم

بالانغماس فى الطبيعيات فغشيهم من يم القطران ماغشيهم من الهلاك السرمدى والعذاب الابدى والتطبيق قدمرّ غيرمرة ﴿ يابنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور ﴾ طور القلب ﴿ الايمن ﴾ الذى يلى روح القدس وهو محل الوحى الذى يسمونه الروع والفؤاد ﴿ ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ من الاحوال والمذاهب من الذوقيات وسلوى العلوم والمعارف من اليقينيات ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ اى تغذوا تلك المعارف الطيبة وتقبلوها بقلوبكم فانها سبب حياتها ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ بظهور النفس واعجابها بنفسها عند استشرافها ورؤيتها بهجتها وكمالها وزينتها ﴿ فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى ﴾ غضب الحرمان وآفة الخذلان ﴿ فقد هوى ﴾ سقط عن مقام القرب فى جحيم النفس واحتجب عن نور تجلى صفات الجمال فى ظلمات الاستتار واستار الجلال ﴿ وانى لغفار ﴾ لستار صفات النفس الطاغية

وآباؤكم فى ضلال مبين) اى فى خطابين بعبادتكم اياها (قالوا اجئتنا بالحق) اى بالصدق (ام انت من اللاعبين) يعنون اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اى خلقهن (وانا على ذلكم من الشاهدين) اى على انه الاله الذى يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (وتالله لأكيدن اصنامكم) اى لامكرن بها (بعد ان تولوا مدبرين) اى منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه الى الارض وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتركوه ومضوا فنادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لأكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم اصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذى يليه اصغر منه وهكذا الى باب البهو واذاهم قد جعلوا طعاما بين يدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق الفأس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فذلك (فجعلهم جذاذا) اى كسرا اوقطعا (الا كبيرا لهم) اى تركه ولم يكسره ووضع الفأس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان * وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسألونه ما لهؤلاء تكسروا وانت صحيح والفأس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم راوا اصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) اى فى تكسيرها واجترائه عليها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) اى يسبهم ويعيبهم (يقال له ابرهيم) اى هو الذى نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه (قالوا فأتوا به على اعين الناس) اى جيؤا به ظاهرا اى من الناس وانما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) اى عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به (قالوا) له (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال) يعنى ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) اى حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه انا فعلت ذلك (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين

الظاهرة بتزييناتها واستغنائها بأنوار صفاتى (لمن تاب) عن تظاهرها واستيلائها واستغفر بانكسارها وانقماعها ولزومها ذل فاقتها وافتقارها (وآمن) بانوار الصفات القلبية وتجليات الانوار الالهية (وعمل صالحا) فى اكتساب المقامات كالتوكل والرضا والملكات المانعة من التلوينات بالحضور والصفاء (ثم اهتدى) الى نور الذات وحال الفناء (وما اعجلك عن قومك ياموسى قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى) معناه على التحقيق ان موسى عليه السلام لما شرف بمقام المكالمة واوتى كشف الصفات وبعث لانقاذ بنى اسرائيل وارشادهم الى الحق وعد شريعة يسوس بها قومه فاستخلف هرون على قومه وتخلى للمراقبة

منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختى لفظ الترمذى
قيل فى قوله انى سقيم اى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم واما قوله بل فعله كبيرهم هذا
فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله
لسارة هذه اختى اى فى الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ
صدق فى نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم
يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم
بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات
لنفى الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز ان يكون الله اذن له فى ذلك لقصد
الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حين امر مناديه فقال ايتها العير انكم
لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل
القاطع عليه انه لو جاز ان يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ما اخبر الانبياء
عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان
فيها مندوحة عن الكذب * وقوله (فرجعوا الى انفسهم) اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى
عقولهم (فقالوا) ما نراه الا كما قال (انكم انتم الظالمون) يعنى بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل
معناه انتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا
على رؤسهم) قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم فى القول الاول وهو اقرارهم على
انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم
اى ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) اى فكيف نسألهم فلما اتجهت
الحجة لابراهيم عليهم (قال) لهم (افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) اى ان عبدتموه
(ولا يضركم) اى ان تركتم عبادته (اف لكم) اى تبا لكم (ولما تعبدون من دون الله)
والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (افلا تعقلون) اى اليس لكم عقل تعقلون به ان هذه
الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم) يعنى انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها (ان كنتم فاعلين)
اى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذى قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به
الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب نمرود بن كوش
بن حام بن نوح

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها
كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن
عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن فى نار
ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى
بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما ارادوا واشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا
فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها

قبل تثبيتهم على الايمان
وتقريرهم على الحق بالايقان
فوقف على تلك العجلة
وان كانت من غاية الشوق
الى المشاهدة واقتضاء المقام
عدم التفرغ الى تكميل
الغير لان فى تكميلهم بالمعرفة
اليقينية والكمال العلمى
ثبات قدمه فى الطاعة
وامتثال الامر المستلزم
للترقى فى الحال فاعتذر
بكونهم على متابعته فى الدين
وان لم تبن معاملاتهم على
اساس اليقين والتعجيل
اعابدر منه اطلب مقام الرضا
الذى هو كمال الفناء
فى الصفات وهو استحكام
مقام التجلى الصفاتى الذى
منه المكالمة وانما ابتلاهم الله
السامرى ليتميز المستعد
القابل للكمال بالتجريد
من القاصر الاستعداد
المنغمس فى المواد الذى
لا يدرك الا المحسوس ولا
يتنبه للمجرد المعقول ولهذا
(قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا) اى بان ملكنا امرنا
وخلينا ورأينا فانهم عبيد
بالطبع لا رأى لهم ولا ملكة
وليسوا مختارين بل
مطبوعون مسوسون
مقودون بذيون لا طريق
لهم الا التقليد والعمل

سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك احد يعبدك غيره فأئذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث باحد منكم اودعاه فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فلما ارادوا القاءه فى النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن ابى بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخارى وقال كان ينفخ على ابراهيم (قلنا) اى قال الله عز وجل (يا نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة ايام قاله المنهال بن عمر وقال ابراهيم ما كنت اياما قط انعم منى من الايام التى كنت فى النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائى ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان اقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له اربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه * قوله عز وجل (وارادوا به

لا التحقيق والعلم وانما استعبدهم بالطلسم المفرغ من الحلى لرسوخ محبة الذهب فى طباعهم لكون نفوسهم سفلية منجذبة الى الطبيعة الذهبية وتجلى تلك الصورة النوعية فيها للتناسب الطبيعى وكان ذلك من باب مزج القوى السماوية بالقوى الارضية ولذلك قال (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى قال يا ابن امّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرىّ قال

كيدا) اى ارادوا ان يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعنى من نمرود وقومه (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الى ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال ابى بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه مامن ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس وقيل لان اكثر الانبياء منها (ق) عن ابى قتادة ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب انى وجدت فى كتاب الله المنزل يا امير المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمر و بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه ابو داود اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب فى المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وماذاك يارسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذى * عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يارسول الله اين تأمرنى قال ههنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذى قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر عم وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم اولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى على مسيرة يوم وليلة من السبع بعثه الله نبيا الى اهلها وماقرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين * قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) اى عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لى من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم ائمة) اى قدوة يقتدى بهم فى الخير (يهدون بامرنا) اى يدعون الناس الى ديننا بامرنا (واوحينا اليهم فعل الخيرات) اى العمل بالشرائع (واقام الصلوة) اى المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) اى الواجبة وخصهما لان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) اى موحدين * قوله عزوجل (ولوطا آتيناه حكما) اى الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث) يعنى قرية سدوم واراد اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور فى ادبارهم وكانوا يتضار طون فى مجالسهم مع اشياء اخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين

بصرت بما لم يبصروا به) من العلم الطبيعى والرياضى الذين يبتنى عليهما علم الطلسمات والسيميات (فقبضت قبضة من اثر الرسول) وهى على ماقيل تراب موطئ حافر الحيزوم الذى هو فرس الحياة مركب جبرائيل اى مما اتصل به اثر النفس الحيوانية الكلية السماوية المسخرة للعقل الفعال المتأثرة منه الحاملة لصفاته التى هى بمثابة مركبه لاستعلائه عليها ووصول تأثيره الى الطبائع العنصرية والاجرام السفلية بواسطتها من الاوضاع التى تفيض بسببها الآثار على المواد فتنفعل منها بحسب الاستعداد وتقبل الاحوال الغريبة التى هى بمثابة تراب موطئ مركبه (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) فطرحتها على الجرم المذاب عند الافراغ فى صورة العجل وذلك من تسويل النفس الشيطانية الشريرة وقوله (قال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لامساس) صادر عن غضبه عليه السلام وطرده اياه وانما يجب حلول العذاب من غضب الانبياء والاولياء لانهم مظاهر

وادخلناه فى رحمتنا) قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل اراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعنى الانبياء * قوله تعالى (ونوحا اذنادى من قبل) اى من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبناله) اى اجبنا دعاءه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشدالغم (ونصرناه) اى منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) * قوله عزوجل (وداود وسليمان اذيحكمان فى الحرث) قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قدتدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) اى رعته ليلا فافسدته وكانت بلاراع (وكنالحكمهم شاهدين) اى كان ذلك بعلمنا ومرأى منالايخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل الجمع اثنان لقوله وكنالحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيأ فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لووليت امركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى وروى انه قال له بحق النبوة والابوة الاما اخبرتنى بالذى هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام فى هذه المسئلة ان ماافسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلاضمان على ربها وماافسدته بالليل ضمنه ربها لان فى عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشى تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ماروى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشى حفظها بالليل زاد فى رواية وان على اهل الماشية مااصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابوداود مرسلا وذهب اصحاب الرأى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان اونهارا فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) اى علمناه والهمناه حكم القضية (وكلا) يعنى داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) اى بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرايت الحكام قدهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء فى ان حكم داود كان باجتهاده ام بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب اوسنة واذا اخطؤا فلااثم عليهم (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لايجوز للانبياء

صفات الله تعالى فكل من غضبوا عليه وقع فى قهره تعالى وشقى فى الدنيا والآخرة وعذب بعذاب الابد وذاق وبال العمل وكانت صورة عذابه فى التجرد عن المادة نتيجة بعده عن الحق فى الدعوة الى الباطل واثر لعن موسى عليه السلام اياه عند ابطال كيده وازالة مكره وعلى التطبيق ان القلب اذاسبق له كشف وجذبه الاجتهاد والسلوك وحصل عنده الكمال العلمى الكشفى دون العلمى الكسبى يكون فى معرض عتاب الحق عند التعجل الى الشهود والحضور ذاهلا عن امر الشريعة والمجاهدة ويجب ان يرد الى العمل والرياضة لسياسة القوى واكتساب مقام الاستقامة اذلايقوى هرون العقل الذى هو خليفته على قومه القوى الروحانية والجسمانية على تدبيرهم وتقويمهم وتسديدهم بدون الرياضة والمجاهدة والمواظبة على الطاعة والمعاملة فينبعث سامرى القوى النفسانية من الحواس ويوقد عليها نار حب الشهوات ويطرح

الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهرة هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول اصحاب الراى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لابعينه ولوكان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطافله اجر لم يردبه انه يؤجر على الخطابل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطاعنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر فى الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجنى عليه واما سليمان فان اجتهاده ادى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتونى بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لاتفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ اى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه ﴿ وكنا فاعلين ﴾ يعنى ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ اى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى ﴿ لتحصنكم ﴾ اى تمنعكم ﴿ من باسكم ﴾ اى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به ﴿ فهل انتم شاكرون ﴾ اى يقول ذلك لداود واهل بيته * قوله عز وجل ﴿ ولسليمان الريح ﴾ اى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه ﴿ عاصفة ﴾ اى شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بارخاء وهى الريح اللينة قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت ﴿ تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها ﴾ يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان واصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام ﴿ وكنا بكل شئ عالمين ﴾ اى بصحة التدبير فيه وعلمنا ان مايعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولايسمع فى ناحية من الارض بملك الااتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس

والدواب

عليها شيأ من امداد الطالع بحسب الاوضاع المخصوصة اى التى تأثرت من تأثير النفس الحيوانية التى هى فرس الحياة فيتمثل الطبيعة بصورة العجل المفرغ فى قالب المواد الذى همه الاكل والشرب ودأبه اللذة والشهوة دون العمل والسعى بالاثارة والتعب كما اشير اليه وينفخ فيه روح الهوى فيحيا ويتقوى ويصبح ذا خوار فيعبده جميع القوى ويتخذه الها وكلما نبهها العقل المؤيد بنور القلب على ضلالها وفتنتها ودعاها الى الحق ومتابعة الرأى العقلى وطاعته خالفته حتى يرجع اليها القلب المنوّر بنور الحق بتأييد القدس غضبان لله تعالى اسفا على ضلالها وتفرقها فى الدين ويعيرها ويعنفها بلسان النفس اللوامة ويأخذها بالوعد والوعيد ويذكرها طول العهد من قرب الرب بمقتضى الخلقة والنشأة والسقوط عن الفطرة وتخوّفها باستحقاق الغضب والسخطة عن نسيان العهد واخلاف الوعد حين الاقرار بالربوبية عند ميثاق الفطرة فلا يجع فيها القول

والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن اني قد اذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

* قوله عز وجل ﴿ ومن الشياطين ﴾ اي وسخرنا له من الشياطين ﴿ من يغوصون له ﴾ اي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ﴿ ويعملون عملا دون ذلك ﴾ اي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل الآية ويتجاوزون في ذلك الى اعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ اي حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ماعملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قبل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ماعمل ويخربه * قوله تعالى ﴿ وايوب اذ نادى ربه ﴾ اي دعا ربه

﴿ ذكر قصة ايوب عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوارزم مع ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل افضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة

اذا صارت مأسورة في اسر الهوى منقادة لسلطان التخيل مستسلمة للردى ولا طريق الا خرق الطبيعة الجسدانية ببرد المجاهدة واحراقها بنار الرياضة ونسفها برياح نفحات الرحمة الالهية التي اذا اهبت بها لا شت في يم الهيولى الجرمية لاحياة بها ولا حراك بعد تغير القوة العاقلة بعد متابعتها للقلب ومشايعتها للسر في التوجه ووجود موافقتها للقوى في الميل الى الطبيعة والاخذ برأسها الى جهتها العادية التي تلي الروح بتأثير النور فيه حتى تفعل وتتأثر بشعاع القدس ونور الهداية الحقانية ولحيتها التي هي الهيئة الذكورية وصورة التأثير فيما تحت اي جهتها السفلية التي تلي القوى النفسانية وجرها اليه اي الجهة العلوية وجناب الحق وعالم القدس الذي هو فيه فيتقوى بالايد الالهي والقدرة الربانية وجولانها فؤثر فيها وتطوعها بامر الحق لها وللقلب ويستخلصها من قهر التخيل والوهم واعتذار هرون اشارة الى ان العقل غير المتنور بنور الهداية المتأيد بامر الشريعة

وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان اتان لكل اتان من الولد اثنان اوثلاثة اواربع اوخمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له الفر وقيل نغير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لايحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما اراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت فى امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لاتصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى عليه قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا عليها على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلى فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك واحرقتها ومن فيها غيرى فقال ايوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وانما مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيا وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لوكان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل مافعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عزوجل ليس ينبغى لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال ماعندكم من القوة فانى لم اكلم قلبه قال عفريت من الجن عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لايسمعها ذو روح الاخرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجثمت امواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فوجده يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا

لايقدر ان يحافظ القوى ويعاند التخيل والهوى ولايزيدها الا التفرقة الموقعة فى الردى وعند استيلاء نور القلب والعقل وقهر الطبيعة بالكلية وحصول الاستقامة فى الطريقة يخزل التخيل وينعزل ولايقدر ان يماس شيأ من القوى بتخييله ولايقاربه قوة منها بقبول تسويله فيصير ملعونا مطرودا فيقول لامساس وله موعد اى حد ورتبة لايجد خلفا فيه ولايتجاوز فيترأس ويستولى ويروج اكاذيبه وغلطه بالمعقولات وينفقه فى المرادات وذلك مقام الاستقامة الى الله والقيام بحقائق العبودية لله ولاتنجلى ناصية التوحيد ولايحصل مقام التجرد والتفريد الابه ولذلك عقبه بقوله (وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لااله الاهو) اذ يكون السالك قبل ذلك مصليا الى قبلتين مترددا فى العبادة بين جهتين متخذ الالهين (وسع كل شئ علما) اى يتحقق هناك التوحيد بالعقل وتظهر

عاصفة تنسف كل شئ تأتى عليه قال فات الفدادين فى الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى ايوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف فى الموقف الذى يقف فيه وقال الهى ان ايوب يرى انك مامتعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى لاتقوم لها قلوب الرجال قال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى اتى بنى ايوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال ياليت امى لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصروا استغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على ايوب المال والولد انه يرى انك مامتعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطى على جسده فقال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير واننن فاخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهى رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى الثلاثة من اصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه اصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام منى لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من الذى قلتم ومن الراى اصوب من الذى رايتم ومن الامر اجمل من الذى اتيتم وقد

احاطة علمه بكل شئ وحدوده وغاياته فتقف كل قوة بنور الحق وقدرته على حدها فى عبادته وطاعته عائذة به عن حولها وقوتها عابدة له بحسب وسع طاقتها شاهدة اياه مقرة بربوبيته بقدر ما اعطاها من معرفته . مثل ذلك القصص (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) من احوال السالكين الذين سبقوا ومقاماتهم لتثبيت فؤادك وتمكينك فى مقام الاستقامة كما امرت (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) اى ذكرا ما اعظمه وهو ذكر الذات الذى يشمل مراتب التوحيد (من اعرض عنه) بالتوجه الى جانب الرجس وحيز الطبع والنفس (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) العظيم وزر الهيئات المثقلة الجرمانية وانواع تعلقات المواد الهيولانية (خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ) الحياة (فى الصور) الجسمانية برد الارواح الى الاجساد (ونحشر المجرمين يومئذ) الملازمين للاجرام (زرقا يتخافتون) عميا بيض سواد العيون اوشوها فى غاية قبح المناظر يحسن عدها القردة

كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذى وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم الم تعلموا ان ايوب نبى الله وصفوته وخسيرته من اهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق فى طول ماصحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهو انهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه اخ اجتبوه على وجه الصحبة لكان لايجمل بالحليم ان يعذل اخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولايعيبه بما لايعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى ويستغفرله ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقدكان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت مايقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان الله عبادا اسكتتهم الخشية من غيرعى ولابكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس اقوياء قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فاذانبتت فى القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولاطول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة وقال اتيتمونى غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بى لو قلت تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله ان يخلصنى اوقربوا عنى قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عنى وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله تعالى بالعافية التى البسكم وقدكنتم فيما خلا توقروننى وانا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى راى ولا كلام معكم فأنتم كنتم اشد على من مصيبتى ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى عرفت الذنب الذى اذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى اوكنت امتنى فالحقتنى بآبائى فالموت كان اجمل بى الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع على من البلاء مالو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى اذلنى وان سلطانك هو الذى اسقمنى وانحل جسمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى واطلق لسانى حتى اتكلم بملء فمى فأدلى بعذرى واتكلم ببراءتى وخاصم عن نفسى لرجوت

ان

والخنازير يسرون الكلام لشدة الخوف اوعدم القدرة على النطق . يستقصرون مدة اللبث فى الحياة الدنيوية لسرعة انقضائها وكل من كان ارجح عقلا منهم كان اشد استقصارا اياها (نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال) اى وجودات الابدان (فقل ينسفها ربى نسفا) برياح الحوادث ويجعلها هباء منثورا فيسويها بالارض لابقية بها ولا آثار او حوادث الاشياء فقل ينسفها ربى برياح النفحات الالهية الناشئة عن معدن الاحدية (فيذرها) فى القيامة الكبرى (قاعا صفصفا) وجودا حديا صرفا (لاترى فيها عوجا ولا امتا) اثنينية ولاغيرية فتقدح فى استوائها (يومئذ) يوم اذ قامت القيامة الكبرى (يتبعون الداعى) الذى هو الحق لاحراك بهم ولا حياة لهم الا به (لاعوج له) اى لاانحراف عنه ولا زيغ عن سمته اذهو آخذ بناصيتهم وهو على صراط مستقيم فهم يسيرون بسيرة الحق على مقتضى ارادته (وخشعت

ان يعافيني عندك مابي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولااراه ويسمعني ولا اسمعه فلما
قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله
يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن
نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني
الاجبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما يبلغ لمثله مثلك اين انت مني يوم خلقت الارض
فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شئ
وضعت اكنافها ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت
مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لاتعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك ان تجري نورها اوتسير نجومها اويختلف بأمرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم
انبعت الانهار وسكبت البحار ابسلطانك حبست امواج البحار على حدودها ام بقدرتك فتحت
الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
تدري على اي شئ ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع تطيع حملها ام هل تدري
من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اي شئ انشأت السحاب ام هل تدري اين
خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة
الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار
ومن ذات الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل
على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت
قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك
واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية الهي اوثقني البلاء
فتكلمت ولم املك نفسي فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها
ولم اتكلم بشئ يسخطك ربي وليتني مت بغمي في اشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت
بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي
وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء
فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على امري فاعني واتوكل عليك فاكفني
واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشئ تكرهه مني قال الله تعالى يا ايوب
نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم
لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن
انس يرفعه ان ايوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب
سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا
يختلف فيه الدود لايقربه احد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله
معه اذا حمد وايوب مع ذلك لايفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة
جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما احزنك قال اعياني هذا العبد

الاصوات للرحمن) انخفضت
كلها لان الصوت صوته
فحسب (فلا تسمع الاهمسا)
خفيا باعتبار الاضافة الى
المظاهر او يوم اذ قامت
القيامة الصغرى يتبعون
الداعي الذي هو اسرافيل
الملك الرابع المفيض للحياة
لاعوج له لا ينحرف عنه مدعو الى
خلاف ما اقتضته الحكمة
الالهية من التعلق به
وخشعت الاصوات في الدعاء
الى غير ما دعا اليه الرحمن فلا
تسمع الاهمس الهواجس
والتمنيات الفاسدة و(يومئذ
لا تنفع الشفاعة) اي شفاعة
من تولاه واحبه في الحياة
الدنيا ممن اقتدى به وتمسك
بهدايته (الا من اذن له الرحمن)
باستعداد قبولها فان فيض
النفوس الكاملة التي تتوجه
اليها النفوس الناقصة
بالارادة والرغبة موقوفة
على استعدادها لقبوله
بالصفاء وذلك هو الاذن
(ورضي له قولا) اي رضي له
تأثيرا يناسب المشفوع له
فتتوقف الشفاعة على امرين
قدرة الشفيع على التأثير
وقوة المشفوع له للقبول
والتأثر وهو (يعلم) الجهتين
(ما بين ايديهم) من قوة
القبول بالاستعداد الاصلي

لذى لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزد دالا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على
كناسة لا تقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له فاين مكرك الذى اهلكت به من
مضى قال بطل ذلك كله فى ايوب فاشيروا على قالوا من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة
قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بايوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه
احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امرأة ايوب وهى تصدق فتمثل لها فى
صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدود ان فى
جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال
وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فلم
انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لى هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى
يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه
السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد
والصحة من اعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين
واشهر قال ويلك ما انصفت ربك الا صبرت فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله
لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة امرتنى ان ادع لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به
على حرام ان اذوق منه شيأ اعزبى عنى فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده
طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين)
فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل
منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب
برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة
فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من اهل ومال الا وقد ضعفه الله وذكر لنا
ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه
يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف
ثم ان امرأته قالت ارأيت ان كان طردنى الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع
لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد
تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعينى ايوب وهابت صاحب الحلة
ان تأتيه فتسأله عن ايوب فدعاها وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى
الذى كان منبوذا على الكناسة لا ادرى اضاع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فبكت
وقالت بعلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى
تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى انا ايوب الذى امرتنى ان اذبح
سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب
لبث ايوب فى البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى
هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم
وبهاء فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال

وتأثير الشفيع بالتنوير (وما
خلفهم ولا يحيطون به علما)
من الموانع العاصة من جهة
البدن وقواه والهيئات
الفاسقة المزاحمة للقبول
الاصلى او المددات الحاصلة
من جهتها بالتزكية على وفق
العقل العملى (وعنت
الوجوه) اى الذوات
الموجودات باسرها) للحى
القيوم) وكلها فى اسر مملكته
وذل قهره وقدرته لا تحيا
ولا تقوم الا به لا بانفسها
ولا بشئ غيره (وقد خاب
من حمل ظلما) عن نور
رحمته وشفاعة الشافعين
من ظلم نفسه بنقص استعداده
وتكدير صفاء فطرية فزال
قبوله للتنوير باسوداد وجهه
وظلمته (ومن يعمل
من الصالحات) بالتزكية
والتحلية (وهو مؤمن)
بالايمان التحقيقى (فلا يخاف
ظلما ولا هضما) ان ينتقص
شئ من كمالاته الحاصلة ولا
ان يكسر من حقه الذى
يقتضيه استعداده الاصلى
فى المرتبة (وكذلك انزلناه
قرآنا عربيا وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون)
بالتزكية (او يحدث لهم
ذكرا) بالتحلية (فتعالى الله
الملك الحق) تناهى فى العلو

انا اله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم اراها اياه ببطن الوادى الذى لقيها فيه وفى بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدى لى سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافى زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسنى الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ما قيل فى حقه لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثانى ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطعام والثالث قول ابليس انى اداويه على ان يقول انت شفيتنى وقيل مسنى الضر اى من شماتة الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان اشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال كيف تجدك قال اجدنى مغموما واجدنى مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل انا وارأساه ❊ قوله تعالى (فاستجبنا له) اى اجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وآتيناه اهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية اخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس رفعه انه كان له اندر ان اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك ما يكفيك ما فى اندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا اشبع من بركاته (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقيل

والعظمة بحيث لا يقدر قدره ولا يغدر امره فى ملكه الذى يملو كل شئ ويصرفه بمقتضى ارادته وقدرته وفى عدله الذى يوفى كل احد حقه بموجب حكمته (ولا تعجل بالقرآن) عند هيجان الشوق لغاية الذوق بتلقى العلم اللدنى عن مكمن الجمع (من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما) ان يحكم بوروده عليك ووصوله اليك فان نزول العلم والحكمة مترتب بحسب ترتب مراتب ترقيك فى القبول ولا تفتر عن الطلب والاستفاضة فانه غير متناه واطلب الزيادة فيه بزيادة التصفية والترقى والتحلية اذ الاستزادة انما تكون بدعاء الحال ولسان الاستعداد لا باستعجيل الطلب والسؤال قبل امكان القبول وكلما علمت شيأ زاد قبولك لما هو اعلى منه واخفى وقصة آدم وتأويلها مرت غير مرة ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

آتى الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة واوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه اهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا واراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) اى نعمة (وذكرى للعابدين) اى عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم (وادريس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله امر ايوب وصبره على البلاء اتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة ايضا اما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح واما ادريس فقد تقدمت قصته واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا اوحى الله اليه انى اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فأتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال واخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له الم اقل اذا قعدت فأتنى قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتنى وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم آمرك قال اما من قبلى فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه فى البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتنى وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف فى نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) * قوله عز وجل (وذا النون) اى واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن

عباس

ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) اذ فى التجرد عن ملابسة المواد فى العالم الروحانى لا يمكن تزاحم الاضداد ولا يكون التخيل المؤدى الى الفساد بل تلتذ النفس بحصول المراد آمنة من الفناء والفساد (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) بالتوجه الى العالم السفلى بالميل النفسى ضاقت معيشته لغلبة شحه وشدة بخله فان المعرض عن جناب الحق ركدت نفسه وانجذبت الى الزخارف الدنيوية والمقتنيات المادية لمناسبتها اياها واشتد حرصه وكلبه عليها ونهمه وشغفه بها لقوة محبته اياها للجنسية والاشتراك فى الظلمة والميل

عباس فى رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعياء النبى ان سر الى حز قيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا فانى الق فى قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوى امين فدعا الملك يونس وأمره ان يخرج فقال يونس هل الله امرك باخراجى قال لا قال فهل سمانى الله لك قال لا قال فههنا غيرى انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبى وللملك وقومه واتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما اوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشى ان يقتلوه مالم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حمل اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يده وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله (فظن ان لن نقدر عليه) اى ان لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن انه يعجزربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستذله الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة ابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه فى بطن الحوت فمكث فيه اربعين مابين يوم وليلة وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه فى بطن الحوت (فنادى فى الظلمات) اى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) اى حيث عصيتك وما صنعت من شئ فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم اهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه فى الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) اى من تلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) اى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين قلت اما الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه

الى الجهة السفلية فيشح بها عن نفسه وغيره وكلما استكثر منها ازداد حرصه عليها وشحه بها وذلك هو الضنك فى المعيشة ولهذا قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وتشوش عليه رزقه بخلاف الذاكر المتوجه اليه فانه ذو يقين منه وتوكل عليه فى سعة من عيشه ورغد ينفق ما يجد ويستغنى بربه عما يفقد (ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) الصغرى على عماه من نور الحق كقوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى وانما عماه انما يكون بابطال الاستعداد الاصلى والنور الفطرى المنافى لعماه من رسوخ هيئة الحب السفلى والعشق النفسى بالفسق الجرمى ونسيان الآيات البينات والانوار المشرقات الموجب لاعراضه تعالى عنه وتركه فيما هو فيه (وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى) من ضنك العيش فى الدنيا لكونه روحانيا دائما

الى مائة الف اويزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعدالنبوة وهو الصحيح واما الجواب التفصيلي لقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه اوللملك اولى بحال الانبياء واماقوله فظن انلن نقدر عليه فقد تقدم معناه اى لن نضيق عليه وذلك انيونس ظن انه مخيران شاء اقام وانشاء خرج وان الله تعالى لايضيق عليه فى اختياره وقيل هو من القدر لامن القدرة واماقوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغيراذن ربه اولضعفه عاحتماله اولدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ماتقدم من التفصيل والله اعلم * قوله عزوجل (وزكريا اذنادى ربه) اى دعا ربه فقال (رب لاتذرنى فردا) اى وحيدا لاولدلى يساعدنى وارزقنى وارثا (وانت خير الوارثين) هوثناء على الله بانه الباقى بعدفناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الرازقين (فاستجبناله ووهبناله يحيى) اى ولدا (واصلحنا له زوجه) اى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يعنى الانبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة فى الخيرات من اكبر مايمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عزوجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعة امرين احدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لاينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم * قوله تعالى (والتى احصنت فرجها) اى احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشرولم اك بغيا وهى مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) امرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) اى دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وامرهما آية واحدة اى ولادتها اياه من غير أب آية * قوله تعالى (ان هذه امتكم) اى ملتكم ودينكم (امة واحدة) اى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد (وانا ربكم فاعبدون) اى لادين سوى دينى ولارب لكم غيرى فاعبدونى اى وحدونى (وتقطعوا امرهم بينهم) اى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل الينا راجعون) فنجزيهم باعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) اى لانجحد ولانبطل سعيه بل نشكر ونثاب عليه (وانا له كاتبون) اى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة * قوله عزوجل (وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون) قال ابن

عباس

(افلم يهدلهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى) اى قضاء سابق انلا يستأصل هذه الامة بالدمار والعذاب فى الدنيا لكون نبيهم نبى الرحمة وقوله وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم لكان الاهلاك لازمالهم (فاصبر) بالله (على مايقولون) فانك تراهم جارين على ماقضى الله عليهم مأسورين فى اسر قهره ومكره بهم (وسبح بحمد ربك) اى نزه ذاتك بتجريدها عن صفاتها متلبسا الصفات ربك فان ظهورها عليك هو الحمد الحقيقى (قبل طلوع الشمس) شمس الذات حال الفناء (وقبل غروبها) باستتارها عند ظهور صفات النفس اى فى مقام القلب حال تجلى الصفات فان تسبيح الله هناك محو صفات القلب (ومن آناء الليل) اى اوقات غلبات صفات النفس المظلمة والتلوينات الحاجبة (فسبح) بالتزكية (واطراف النهار) نهار اشراق الروح على القلب

عباس معناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان نقبل اعمالهم لانهم لايتوبون * قوله عزوجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه اخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بنى آدم (وهم من كل حدب ينسلون) اى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفى هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لااقدروا له قدره قلنا يارسول الله ومااسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمراهم السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هوكذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهى الى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هوكذلك اذ اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد اخرجت عبادا لى لايدان لاحد ان يقاتلهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى واصحابه الى الارض فلايجدون فى الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى ان اللقحة

بالتصفية (لعلك ترضى) تصل الى مقام الرضا الذى هوكمال مقام تجلى الصفات وغايته (ولا تمدن عينيك الى متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) فى التلوينات النفسية وظهور النفس بالميل الى الزخارف الدنيوية فانها صور ابتلاء اهل الدنيا (ورزق ربك) من الحقائق والمعارف الاخروية والانوار الروحانية (خير وابقى) افضل وادوم (وأمر اهلك بالصلوة) القوى الروحانية والنفسانية بصلاة الحضور والمراقبة والانقياد والمطاوعة (واصطبر عليها) على تلك الحالة بالمجاهدة والمكاشفة (لانسألك) لانطلب منك (رزقا) من الجهة السفلية كالكمالات الحسية والمدركات النفسية (نحن نرزقك) من الجهة العلوية المعارف الروحانية والحقائق القدسية (والعاقبة للتقوى) التى تعتبر وتستأهل ان تسمى عاقبة للتجرد عن الملابس البدنية والهيئات النفسانية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم

من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من
الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل
مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم ﴿ شرح
غريب الفاظ الحديث ﴾ قوله حتى ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة
القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره
وقيل انه خفض من امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب
قطط اي جعد الشعر وقوله طافئة اي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة اي انه يخرج
قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشيء قوله فعاث اي افسد قوله اقدروا له
قدره اي قدروا واقدروا يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر اوقاته وقوله فتروح عليهم
سارحتهم اي مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين اي مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت
اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين
رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت
بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران
قوله لايد ان لاحد بقتالهم اي لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في انوف الابل
والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة اي كالمرآة
وجمعها زلف وروي بالقاف واراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة اي الجماعة
قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة
الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلفون
والتهارج الاختلاف واصله القتل ﴿ الوجه الثاني ﴾ في تفسير قوله تعالى وهم من كل
حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة
بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قالوا
نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف
بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس
الى محشرهم * قوله عزوجل (واقترب الوعد الحق) اي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا
اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر (فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين
كفروا من شدة الاهوال ولاتكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا في
غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) اي في
وضعنا العبادة في غير موضعها * قوله عزوجل (انكم) الخطاب للمشركين (وماتعبدون
من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) اي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار
كما يرمى بالحصباء واصل الحصب الرمي (انتم لها واردون) اي فيها داخلون (لو كان
هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) اي على الحقيقة (ماوردوها) اي مادخل الاصنام النار

بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك من قبل ان نذل
ونخزى قل كل متربص
فتربصوا فستعلمون من
اصحاب الصراط السوي
ومن اهتدى) من الحقائق
والحكم والمعارف اليقينية
الثابتة في الالواح السماوية
والارواح العلوية والله تعالى
اعلم ﴿ سورة الانبياء ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(اقترب للناس حسابهم)
في القيامة الصغرى بل لو
عرفوا القيامة لعاينوا
حسابهم الآن (وهم في غفلة
معرضون مايأتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم
واسروا النجوى الذين
ظلموا هل هذا الا بشر
مثلكم افتأتون السحر وانتم
تبصرون قال ربي يعلم القول
في السماء والارض وهو
السميع العليم بل قالوا
اضغاث احلام بل افتراه
بل هو شاعر فليأتنا بآية كما
ارسل الاولون ما آمنت
قبلهم من قرية اهلكناها
افهم يؤمنون وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لاتعلمون وما جعلناهم

وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعنى العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان يملاء الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ماينالهم من العذاب (وهم فيها لايسمعون) قال ابن مسعود فى هذه الآية اذا بقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت اخر ثم تلك التوابيت فى توابيت اخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى احد منهم ان فى النار احدا يعذب غيره * قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الا اى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى السعادة والعدة الجميلة بالجنة (اولئك عنها) اى عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة فى كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبدالله بن الزبعرى السهمى فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل هو يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل فى ابن الزبعرى ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان لان من لمن يعقل وما لمن لايعقل (لا يسمعون حسيسها) يعنى صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة (وهم فيما اشتهت انفسهم) اى من النعيم والكرامة (خالدون) اى مقيمون * قوله تعالى (لايحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعنى النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادى يا اهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) اى تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) اى فى الدنيا * قوله عزوجل (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لايحزنهم الفزع الاكبر فى ذلك اليوم (كما بدأنا اول خلق نعيده) اى كما بدأناهم فى بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده قوله غرلا اى قلفا * وقوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعنى الاعادة والبعث بعد الموت * قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور

جسدا لايأكلوا الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلاتعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا بأسنا اذاهم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين لواردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) اى لواردنا ان نتخذ موجودات تحدث وتفنى كما قيل نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر لامهلكنا من جهة القدرة لكنه ينافى الحكمة والحقيقة فلانتخذها (بل نقذف بالحق على الباطل) باليقين البرهانى والكشفى على الاعتقاد الباطل (فيدمغه) فيقمعه (فاذاهو زاهق) زائل (ولكم الويل) الهلاك (مماتصفون) من عدم الحشر او نقذف بالتجلى الذاتى فى القيامة الكبرى

من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو ام الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر اى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعدها بمعنى قبل (ان الارض يرثها عبادى الصالحون) يعنى ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان فى هذا) اى فى القرآن (لبلاغا) اى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية اى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) اى مؤمنين لا يعبدون احدا من دون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون العاملون * قوله عز وجل (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والاخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون) اى منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اى اسلموا (فان تولوا) اى اعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) اى اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا (على سواء) اى انذارا بينا نستوى فى علمه لا استبدانا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوى نحن وانتم فى العلم به وقيل معناه انذرتكم لتستووا فى الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان ادرى) اى وما اعلم (اقريب ام بعيد ما توعدون) يعنى يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) اى لا يغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم (وان ادرى لعله فتنة لكم) اى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم (ومتاع الى حين) اى تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) اى افصل بينى وبين من كذبنى (بالحق) اى بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) اى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

الذى هو الحق الثابت الغير المتغير على باطل هذه الموجودات الفانية فيقهره ويمحقه لا شيأ محضا فاذا هو فان صرف فيظهر ان الكل حق وامره جدلا باطل ولا لهو وكم الهلاك والفناء الصرف مما تصفون من اثبات وجود الغير واتصافه بصفة وفعل وتأثير (وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) لان الوحدة موجبة لبقاء الاشياء والكثرة موجبة لفسادها الا ترى ان كل شئ له خاصية واحدة يمتاز بها عن غيره هو بها هو ولولم تكن لم يوجد ذلك الشئ وهى الشاهدة بوحدانيته تعالى كما قيل ففى كل شئ له آية تدل على انه الواحد والعدل الذى قامت به السموات والارض هو ظل الوحدة فى عالم الكثرة ولولم يوجد هيئة وحدانية فى المركبات كاعتدال المزاج للموجدات ولو زالت تلك الهيئة لفسدت

تفسير سورة الحج

وهى مكية غيرست آيات من قوله عزوجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قوله عزوجل (يا ايها الناس اتقوا ربكم) اى احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولاشئ اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هى من اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) اى الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما ارضعت) اى كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) اى تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافى بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا لان بعد البعث لايكون حبل ومن قال تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لاعلى حقيقته كما تقول اصابنا امر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وماهم بسكارى) على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال رب ومابعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد فى رواية قالوا يارسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض اوكالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى وفى حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يرأ كثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث ابى سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من امتى سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا

﴿ وقوله عزوجل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وكان ينكر البعث

فى الحال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل اكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لااله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) اى نزه للفيض على الكل بربوبيته للعرش الذى ينزل منه الفيض على جميع الموجودات عما تصفونه من امكان التعدد (يعلم مابين ايديهم) اى ماتقدمهم من العلم الكلى الثابت فى ام الكتاب المشتمل على جميع علوم الذوات المجردة من اهل الجبروت والملكوت (وما خلفهم) من علوم الكائنات والحوادث الجزئية الثابتة فى السماء الدنيا فكيف تخرج علمهم عن احاطة علمه ويسبق فعلهم امره وقولهم قولا (ولايشفعون الالمن ارتضى) علمه اهلا للشفاعة بقبوله لصفاء استعداده ومناسبته نفسه

واحياء من صار ترابا (ويتبع) اى فى جداله فى الله بغير علم (كل شيطان مريد) اى
المتمرد المستمر فى الشر وفيه وجهان احدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفرة الذين
يدعون من دونهم الى الكفر والثانى انه ابليس وجنوده (كتب عليه) اى قضى
على الشيطان (انه من تولاه) اى اتبعه (فانه) يعنى الشيطان (يضله) اى يضله
من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) الآية زجر عن اتباعه والمعنى
كتب عليه انه من يقبل منه فهو فى ضلال ثم الزم الحجة منكرى البعث فقال (يا ايها
الناس ان كنتم فى ريب) اى شك (من البعث) اى بعد الموت (فانا خلقناكم من
تراب) يعنى اباكم آدم الذى هو اصل النسل (ثم من نطفة) يعنى ذريته من المنى واصلها
الماء القليل (ثم من علقة) اى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من
مضغة) وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس اى تامة الخلق
وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذى تأتى به
المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة
والحواس والتخطيط والقسم الثانى هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة
عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم اخذها ملك بكفه وقال
اى رب مخلقة اوغير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها فى الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال
مخلقة قال الملك اى رب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق باى ارض
يموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها فى ام الكتاب
فينسخها فلا يزال معه حتى يأتى على آخر صفته والذى اخرجاه فى الصحيحين عنه قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه
اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب
رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل
اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها * وقوله (لنبين لكم) اى كمال قدرتنا وحكمتنا
فى تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته فى ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم
ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون اليه فى العبادة وقيل لنبين لكم ان تغير المضغة الى الخلقة هو
اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر
فى الارحام مانشاء) اى لا تسقطه ولا تمجه (الى اجل مسمى) اى وقت خروجه من الرحم
تام الخلق (ثم نخرجكم) اى وقت الولادة من بطون امهاتكم (طفلا) اى صغارا وانما
وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا اشدكم) اى كمال القوة والعقل
والتمييز (ومنكم من يتوفى) اى قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اى
الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) اى يبلغ من السن مايتغير به عقله فلا يعقل شيأ
فيصير كما كان فى اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم * ثم ذكر دليلا آخر

للنور الملكوتى (وهم من
خشيته مشفقون ومن يقل
منهم انى اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزى
الظالمين) فى الخشية من
سبحات وجهه والخشوع
والاشفاق والانقهار
تحت انوار عظمته (اولم
ير الذين كفروا) المحجوبون
عن الحق (ان السموات
والارض (كانتا رتقا)
مرتوقتين من هيولى
واحدة ومادة جسمانية
(ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شئ حى افلا يؤمنون)
بتباين الصور اوان سموات
الارواح وارض الجسد
كانتا مرتوقتين فى صورة
نطفة واحدة ففتقناها بتباين
الاعضاء والارواح (وجعلنا
فى الارض) اى خلقنا
من النطفة كل حيوان
فى ارض الجسد (رواسى
ان تميد بكم) العظام كراهة
ان تضطرب وتجئ وتذهب
وتخاف بهم فلا تقوم بهم
وتستقل (وجعلنا فيها فجاجا
سبلا) مجارى طرقا
للحواس وجميع القوى
(لعلهم يهتدون) بتلك
الحواس والطرق الى
آيات الله فيعرفوه (وجعلنا
السماء) سماء العقل (سقفا)

على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) اى يابسة لانبات فيها (فاذا انزلنا عليها الماء)
يعنى المطر (اهتزت) اى تحركت بالنبات (وربت) اى ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع
بالنبات (وانبتت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا (من كل
زوج بهيج) اى من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشئ المشرق الجميل
ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ماهو المطلوب فقال تعالى (ذلك) اى
ذكرنا ذلك لتعلموا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وانه
يحيى الموتى) اى انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات
(وانه على كل شئ قدير) اى من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وان الساعة
آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور) اى ماذكر من الدلائل لتعلموا ان الساعة
كائنة لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق * قوله تعالى (ومن الناس من يجادل
فى الله بغير علم) يعنى النضر بن الحرث (ولا هدى) اى ليس معه من الله بيان ولا رشاد
(ولا كتاب منير) اى ولا كتاب من الله له نور (ثانى عطفه) اى لاوى جنبه وعنقه
متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) اى عن دين الله
(له فى الدنيا خزى) اى عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابى
معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) اى يقال له ذلك (بما قدمت يداك وان الله
ليس بظلام للعبيد) اى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اى وجه اراد يتصرف فى عبده
فحكمه عدل وهو غير ظالم * قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية
نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم
المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين
حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمأن له وان اصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد
فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت فى هذا الدين الاشرا فينقلب عن دينه وذلك هو
الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على شك واصله من حرف الشئ
وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على
حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب
فى دينهم لاعلى سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم
يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان اصابه خير) اى صحة
فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن به) اى رضى به وسكن اليه (وان اصابته فتنة) اى
بلاء فى جسمه وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) اى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه
الذى كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) اى خسر فى الدنيا العز والكرامة
ولايبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ماكان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود
فى النار (ذلك هو الخسران المبين) اى الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه
ولم يعبده (ومالا ينفعه) اى ان اطاعه وعبده (ذلك هو الضلال البعيد) اى عن الحق
والرشد (يدعو لمن ضره اقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى فى الآية الاولى يدعو

مرتفعا فوقهم (محفوظا)
من التغير والسهو والخطا
(وهم عن آياتها) عن حججها
وبراهينها (معرضون وهو
الذى خلق الليل والنهار
والشمس والقمر) ليل
النفس ونهار العقل الذى
هو نور شمس الروح وقمر
القلب (كل فى فلك
يسبحون) اى مقر علوى
وحد ومرتبة من سموات
الروحانيات يسيرون الى الله
(وماجعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون واذا رآك الذين
كفروا ان يتخذونك الا
هزوا اهذا الذى يذكر
آلهتكم وهم بذكر الرحمن
هم كافرون خلق الانسان
من عجل سأريكم آياتى فلا
تستعجلون) اذ النفس التى
هى اصل الخلقة دائمة الطيش
والاضطراب لاتثبت على
حال فهو مجبول على العجل
ولو لم يكن كذلك لم يكن له
السير والترقى من حال الى
حال اذ الروح دائم الثبات
وبتعلقه بالنفس يحصل
وجود القلب ويعتدل بهما
فى السير فما دام الانسان
فى مقام النفس ولم يغلب

من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه وقال فى هذه الآية يدعو لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الآية الاولى مالا يضره اى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اى ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جمادا لايضر ولاينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينفعه حين يستشفع وقيل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا وجه هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لاتضر ولاتنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله ﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ اى الناصر والمصاحب المعاشر * قوله عزوجل ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد ﴾ اى باوليائه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان * قوله تعالى ﴿ من كان يظن ان لن ينصره الله ﴾ يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ فى الدنيا ﴾ اى باعلاء كلمته واظهار دينه ﴿ والآخرة ﴾ اى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه ﴿ فليمدد بسبب ﴾ اى بحبل ﴿ الى السماء ﴾ اى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت ﴿ ثم ليقطع ﴾ اى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا ﴿ فلينظر هل يذهبن كيده ﴾ اى صنيعه وحيلته ﴿ مايغيظ ﴾ اى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيد فى امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه وروى ان الآية نزلت فى قوم من اسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود محالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فتنقطع المحالفة بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لايجعل مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله اى من يعطنى اعطاه الله ﴿ وكذلك انزلناه ﴾ يعنى القرآن ﴿ آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ﴾ يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ماعدا الاسلام ﴿ ان الله يفصل بينهم ﴾ اى يحكم بينهم ﴿ يوم القيامة ﴾ وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد ﴿ ان الله على كل شئ شهيد ﴾ اى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجرى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة البقرة * قوله

عزوجل

عليه نور الروح والقلب المفيد للسكينة والطمانينة يلزمه المعجلة بمقتضى الجبلة ﴿ لو يعلم ﴾ المحجوبون عن الرحمن العام الفيض وعن المعاد الشامل للكل وقت احاطة العذاب بهم جميع الجهات بامر الرحمن المحيط العلم الوحدانى الامر فلا يقدرون ان يمنعوه عما قدامهم من الجهة التى تلى الروح المعذبة بنار القهر الالهى والحرمان الكلى من الانوار الروحانية والكمالات الانسانية ولا عما خلفهم من الجهة التى تلى الجسد المعذبة بنار الهيئات الجسمانية والعقارب والحيات النفسانية والاقذار الهيولانية والآلام الجسدانية ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴾ من الامداد الرحمانية لكشافة حجابهم وشدة ارتيابهم لما استعجلوا ﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به

عزوجل (الم تر) اى الم تعلم وقيل الم تر بقلبك (ان الله يسجدله من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل مافى السماء نجم ولاشمس ولاقمر الايقع ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه مامن جماد الاوهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت بطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذى ذكرعام فى الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذى ذكرته وان كان عاما فى حق الكل الان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود فى الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره واما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من فى السموات ومن فى الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لواقتصر على ماتقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار اى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عزوجل (ومن يهن الله فماله من مكرم) اى من يذله الله فلا يكرمه احد (ان الله يفعل مايشاء) اى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذى يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

﴿ فصل ﴾ هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها اوسماع تلاوتها * قوله عزوجل (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) اى جادلوا فى دينه وامره واختلفوا فى هذين الخصمين فروى عن قيس بن عبادة قال سمعت اباذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه فى الصحيحين (خ) عن على بن ابى طالب قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفراء وعبدالله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يامحمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحرث وياحمزة بن عبدالمطلب ويا على بن ابى طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا انتم اكفاء

يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر انفسهم ولاهم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون) اتمادت غفلتهم فلا يرون (انا نأتى الارض) ارض البدن بالشيخوخة (ننقصها من اطرافها) كالسمع والبصر وسائر القوى او ارض النفس المتيقظة المتوجهة الى الحق الذاكرة بانوار الصفات ننقصها من صفاتها وقواها (افهم الغالبون) ام نحن (قل انما انذركم بالوحى ولايسمع الصم الدعاء اذامايندرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) من النفحات الربانية فى صورة العذاب اى من الالطاف الخفية كما قال امير المؤمنين عليه السلام سبحان من اتسعت نقمته اعدائه فى سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته فكشف عنهم حجاب الغفلة المتراكمة من طول التمتيع الذى هو النقمة فى صورة الرحمة والقهر

كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر حمزة وعلى باسيا فهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست شهيدا يارسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان ابوطالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله ❊ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية فى المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من اى ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن ابى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لايدخلنى الاضعفاء الناس وسقطهم زاد فى رواية وغرتهم فقال الله عزوجل للجنة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولايظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا وللبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى اولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره اولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو اهل الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته وذكر مآل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شئ اذا حمى اشد حرا منه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس اهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) اى الماء الحار الذى انتهت حرارته (يصهر به) اى يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم (ما فى بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف احدهم فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) اى سياط من حديد وهى الجرز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض (كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم) اى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بانفاسهم (اعيدوا فيها) اى ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) اى تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال احد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين

الخفى ليستيقظن ويتنبهن لظالمهم فى اعراضهم عن الحق وانهماكهم فى الباطل (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) ميزان الله تعالى هو عدله الذى هو ظل وحدته وصفته اللازمة لها به قامت سموات الارواح وارض الاجساد واستقامت ولولاه لما استقر امر الوجود على النسق المحدود ولما شمل الكل اصاب كل موجود قسطه منه بحسب حاله وقدر احتماله فصار بالنسبة الى كل احد بل كل شئ ميزانا خاصا وتعددت الموازين على حسب تعدد الاشياء وهى جزئيات الميزان المطلق ولذلك ابدل القسط المطلق منها اووصفها به فانها كلها هى العدل المطلق الواحد ولاتتعدد الحقيقة بتعدد المظاهر ووضعها عبارة عن ظهور مقتضاها وذلك انما يكون يوم القيامة الصغرى بالنسبة الى المحجوب ويوم القيامة الكبرى بالنسبة الى اهلها (فلاتظلم نفس شيأ) لان كل ماعملت من خير وجد حالة عمله فى كفة الحسنات التى

آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ادنى لؤلؤة منها اضئ مابين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ❁ قوله تعالى (وهدوا) من الهداية اى ارشدوا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهدوا الى صراط الحميد) اى الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود فى افعاله ❁ قوله عزوجل (ان الذين كفروا) اى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) اى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد الحرام) اى ويصدون عن المسجد الحرام (الذى جعلناه للناس) اى قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا (سواء العاكف) اى المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاوز واقام به ولزم التعبد فيه (والباد) اى الطارئ المنتاب اليه من غيره واختلفوا فى معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادى فى تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بنى عبد مناف لاتمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل اونهار اخرجه الترمذى وابو داود والنسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الآخر غير انه لايزعج احد احدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل قال عبدالرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم فى الموسم فعلى هذا القول لايجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض مكة لاتملك لانها لوملكت لم يستو العاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرام وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمر وبن دينار واليه ذهب الشافعى احتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن

هى جهة الروح من القلب وكلما عملت من سوء وضع فى كفة السيئات التى هى جهة النفس منه والقلب هو لسان الميزان ولهذا قيل يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة الا ان الثقل هناك يوجب الصعود والميل الى العلو والخفة توجب النزول والميل الى السفل بخلاف الميزان الجسمانية اذ الثقيل ثمة هو الراجح المعتبر الباقى عندالله والخفيف هو المرجوح الفانى الذى لاوزن له عندالله ولااعتبار فلاينقص مما عملت نفس شيأ (وان كان مثقال حبة من خردل) ومن هذا يعلم ماقيل ان الله تعالى يحاسب الخلائق فى اسرع من فواق شاة (اتينابها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى) القلب (وهرون) العقل اوعلى ظاهرها (الفرقان) اى العلم التفصيلى الكشفى المسمى بالعقل الفرقانى (وضياء) اى نورا تاما من المشاهدات الروحانية (وذكرى) اى تذكيرا وموعظة (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب)

بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها * وقوله تعالى (ومن يرد فيه) اى فى المسجد الحرام (بالحاد بظلم) اى بميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام اوارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لايقتلك اوتظلم فيه من لايظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ماروى يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود وقال عبدالله بن مسعود فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم (نذقه من عذاب اليم) قال لو ان رجلاهم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو ان رجلاهم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين او ببلد آخر اذاقه الله من عذاب اليم قال السدى الا ان يتوب وروى عن عن عبدالله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم فى الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله * قوله تعالى (واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا واعاد ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر اى جهة يبنى فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ماحول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم ياابراهيم ابن على قدرى فبنى عليه (ان لاتشرك بى شيأ) اى عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لاتشرك بى شيأ (وطهر بيتى) اى من الشرك والاوثان والاقذار (للطائفين) اى الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) اى المقيمين فيه (والركع السجود) اى المصلين * قوله عزوجل (واذن) اى اعلم وناد والاذان فى اللغة الاعلام (فى الناس) قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة (بالحج) فقال ابراهيم عليه السلام ومايبلغ صوتى فقال الله عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه فى اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال ياايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد اباقبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك فى حجة الوداع (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يأتوك رجالا) اى مشاة على ارجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) اى ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم (يأتين) اى جماعة الابل (من كل فج عميق) اى من كل طريق بعيد فمن اتى مكة حاجا فكأنه قد اتى ابراهيم لانه مجيب نداءه * قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل مارضى به الله من امر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات) يعنى عشر ذى الحجة فى قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من اجل وقت الحج فى آخرها

تزكت نفوسهم من الرذائل والصفات الحاجبة فاشرقت انوار طيبات المعظمة من قلوبهم على نفوسهم لصفائها وزكائها فاورثت الخشية فى حال الغيبة قبل الوصول الى مقام الحضور القلبى (وهم من الساعة مشفقون) اى القيامة الكبرى على اشفاق وتوقع لوقوعها لقوة يقينهم اذ لااشفاق انما عند لتوقع لشئ مترقب الوقوع اى آتيناها فى مقام القلب العلم الذى به يفرق بين الحق والباطل من الحقائق والمعارف الكلية وفى مقام الروح ومرتبته النور المشاهد الباهر على كل نور وفى مقام النفس ورتبة الصدر التذكير بالمواعظ والنصائح والشرائع من العلوم الجزئية النافعة للمستعدين القابلين السالكين (وهذا ذكر مبارك انزلناه افأنتم له منكرون) غزير الخير والبركة شامل للامور الثلاثة زائد عليها بالكشف الذاتى والشهود الحقى فى مقام الهوية وعين جمع الاحدية جامع لجوامع الكلم حاف بجميع المشاهدات والحكم اذ فى البركة معنى

وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده (على مارزقهم من بهيمة الانعام) يعنى الهدايا والضحايا تكون من النعم وهى الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون فى هذه الايام (فكلوا منها) امر اباحة ليس بواجب وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لايأكلون من لحوم هداياهم شيأ فامر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على ان الهدى اذا كان تطوعا يجوز للمهدى ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لماروى عن جابر بن عبدالله فى قصة حجة الوداع قال وقدم على ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ماغبر واشركه فى بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها اخرجه مسلم قوله ماغبر اى مابقى قوله ببضعة اى بقطعة واختلف العلماء فى الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدى ان يأكل منه شيأ قال الشافعى لايأكل منه شيأ وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لايأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الرأى انه يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى (واطعموا البائس الفقير) يعنى الزمن الذى لاشئ له * قوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) اى ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) اراد نذر الحج والهدى ومايذر الانسان من شئ يكون فى الحج اى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل اراد به الخروج عما وجب عليه نذره اولم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) اراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهى اليه ويمشى اربعا وهذا الطواف سنة لاشئ على تركه (ق) عن عائشة ان اول شئ بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج ابوبكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشى اربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج او العمرة اول مايقدم فانه يسعى ثلاثة اشواط ويمشى اربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر [illegible]ت ماارانى الاحابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم [illegible] فانفرى قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله اى اصابها بالعقر وبوجع فى حلقها وقيل معناه [illegible]ؤمة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى على السنة العرب كقولهم لاام لك

معنى النماء والزيادة (ولقد آتينا ابراهيم) الروح (رشده) المخصوص به الذى يليق بمثله وهو الاهتداء الى التوحيد الذاتى ومقام المشاهدة والخلة (من قبل) اى قبل مرتبة القلب والعقل متقدما عليهما فى الشرف والعز (وكنا به عالمين) اى لايعلم كماله وفضيلته غيرنا لعلو شأنه (اذقال لابيه) النفس الكلية (وقومه) من النفوس الناطقة السماوية وغيرها (ماهذه التماثيل) اى الصور المعقولة من حقائق العقول والاشياء وماهيات الموجودات المنتقشة فيها (التى انتم لها عاكفون) مقيمون على تمثلها وتصورها وذلك عند عروجه من مقام الروح المقدسة وبروزه عن الحجب النورية الى فضاء التوحيد الذاتى كما قال عليه السلام انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ومن هذا المقام قوله لجبريل عليه السلام اما اليك فلا (قالوا وجدنا آباءنا) علانا من العوالم السابقة على النفوس كلها من اهل

وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لايجوز له ان يتم الثالث طواف الوداع لارخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر فى ان يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال امر الناس ان يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولارمل فى طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمى عتيقا لان الله اعتقه من ايدى الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه اول بيت وضع للناس وقيل لان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل لانه لم يملك ❊ قوله عزوجل ﴿ ذلك ﴾ اى الامر ذلك يعنى ما ذكر من اعمال الحج ﴿ ومن يعظم حرمات الله ﴾ اى مانهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله مالايحل انتهاكه وقيل الحرمة ماوجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها ﴿ فهو خير له عند ربه ﴾ اى ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة ﴿ واحلت لكم الانعام ﴾ اى ان تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ اى تحريمه وهو قوله فى سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية ﴿ فاجتنبوا الرجس من الاوثان ﴾ اى اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ اى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هى شهادة الزور وروى عن ايمن بن خريم قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولانعرف لايمن سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم واخرجه ابو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الاشريك هولك تملكه وماملك ❊ قوله تعالى ﴿ حنفاء لله ﴾ اى مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ فدل ذلك على ان المكلف ينوى بما ياتيه من العبادة الاخلاص لله بها لاغيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اى حجوا لله مسلمين موحدين ومن اشرك لايكون حنيفا ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ اى سقط ﴿ من السماء ﴾ الى الارض ﴿ فتخطفه الطير ﴾ اى تسلبه وتذهب به ﴿ او تهوى به الريح ﴾ اى تميل وتذهب به ﴿ فى مكان سحيق ﴾ اى بعيد ومعنى الآية ان من اشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير اوهوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لايملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لامحالة امابا ستلاب الطير لحمه او بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت اجزاءه فى حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك

الجبروت ﴿ لها عابدين ﴾ باستحصارهم اياها فى ذواتهم لايذهبون عنها ﴿ قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴾ فى حجب عن الحق نورى حيروا سيين اى على صفات ما كانين فى برازخ الصفات لاتهتدون الى حقيقة الاحدية والغرق فى بحر الهوية ﴿ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ﴾ اى احدث مجيئك اينا من هذا الوجه بالحق فيكون القائل هو الحق عز سلطانه ام استمر بنفسك كما كان فتكون انت القائل فيكون قولك لعبا لاحقيقة له فان كنت قائما بالحق سائرا بسيره قائلا به صدقت وقولك الحق وتفوقت علينا وتخاف اعنك وان كنت بنفسك فبالعكس ﴿ قال بل ربكم ﴾ الجائى والقائل ربكم الذى ربكم بالايجاد والتقويم والاحياء والتجريد والابداء والتعليم رب الكل الذى اوجده ﴿ رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم ﴾ الحكم بان القائل هو الحق الموصوف بربوبية الكل ﴿ من الشاهدين ﴾ وهذا الشهود هو شهود

البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع افكاره بالطير المختطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة * قوله عزوجل (ذلك) يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) اى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى واصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها انها هدى وتعظيمها استحسانها واستسمانها وقيل شعائر الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) اى فى البدن (منافع) قيل هى درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها (الى اجل مسمى) اى الى ان يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعنى الى ان تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فقال مالك والشافعى واحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك فى الثانية او الثالثة اخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب من لبنها بعدما يفضل عن رى ولدها وقال اصحاب الرأى لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع اى بالتجارة والاسواق الى اجل مسمى اى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء ايام الحج (ثم محلها الى البيت العتيق) اى منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع ارض الحرم روى عن جابر فى حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا فى رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة * قوله تعالى (ولكل امة) اى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين اى مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) اى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه فى القرابين وان جاز اكله * قوله عزوجل (فالهكم اله واحد) اى سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد (فله اسلموا) اى اخلصوا وانقادوا واطيعوا (وبشر المخبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اى خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما اصابهم) اى من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه (والمقيمى الصلاة) اى فى اوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) اى يتصدقون * قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد

الربوبية والايجاد والالم بقل اما وعلى الشهود الذاتى هو الفناء المحض الذى لا انانية فيه ولا اثنينية وتلك الاثنينية بعد الافصاح بان الجانى والقائل هو الحق الذى اوجد الكل مشعرة بمقام الكل المنخفض عن مقام (وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) لامحون صور الاشياء واعيان الموجودات التى عكفتم على ايجادها وحفظها وتدبيرها والقيام على اثباتها بعد ان تعرضوا عن عين الاحدية الذاتية بالاقبال الى الكثرة الصفاتية بنور التوحيد (فجعلهم) بفأس القهر الذاتى والشهود العينى (جذاذا) قطعا متلاشية فانية (الا كبيرا لهم) هو عينه الباقى على اليقين الاول الذى به سمى الخليل خليلا (لعلهم اليه يرجعون) يقبلون منه الفيض ويستفيضون منه النور والعلم كما استفاض هو منه اولا (قالوا) اى قالت النفوس المتشبثة بالعقول (من فعل هذا) الاستخفاف والتحقير (بآلهتنا) التى هى معشوقاتنا ومعبوداتنا ناسبتها الى الاحتجاب

الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) اى من اعلام دينه قيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى (لكم فيها خير) اى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) اى عند نحرها (صواف) اى قياما على ثلاث قوا ثم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذا وجبت جنوبها) اى سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض (فكلوا منها) امر اباحة (واطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذى لا يسال ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجئ الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) اى مثل ماوصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) اى لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) اى انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولادماؤها) وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولادماؤها اى لن ترفع الى الله لحومها ولادماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) اى ولكن ترفع اليه اعمال الصالحة والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعنى البدن (لتكبروا الله على ماهداكم) وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ماهدانا والحمد لله على ما اولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين * قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) اى خون فى امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور * قوله عزوجل (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) اى اذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو اهل مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيؤن من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وهى اول آية اذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا اى بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) يعنى انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) اى بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء (وبيع) هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع الصابئين والبيع النصارى (وصلوات) هى

والنظر اليها بعين الفناء وجعلها بقوة الظهر كالهباء مستعظمين متعجبين منه معظمين له لامره (انه لمن الظالمين) الناقصين حقوق المعبودات المجردة وجميع الموجودات من الوجودات والكمالات بنفيها عنهم واثباتها للحق او الناقصين حق نفسهم بافنائها وقهرها (قالوا سمعنا فتى) كاملا فى الفتوة والشجاعة على قهر ماسوى الله من الاغيار والسخاوة ببذل النفس والمال (يذكرهم يقال له ابرهيم) بنفى القدرة والكمال عنهم ونسبة العدم والفناء اليهم (قالوا فأتوا به على اعين الناس) اى استحضروه واحضروه معاينا لجميع النفوس (لعلهم يشهدون) كماله وفضيلته فيستفيدون منه (قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم) صورة انكار لما لم يعرفوا من كماله اذ كل ما يمكن للنفوس معرفته فهو دون كمال العقول التى هى معشوقاتها وهى محجوبة عن كماله الالهى الذى هو به اشرف منها (قال بل فعله كبيرهم هذا) اى مافعلته بانانيتى التى انابها احسن منها

كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوثا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) اي ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوى) اى على نصر من ينصر دينه (عزيز) اى لا يضام ولا يمنع مما يريده * قوله عز وجل (الذين ان مكناهم في الارض) اى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) اى آخر امور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع * قوله تعالى (وان يكذبوك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فأمليت للكافرين) اى امهلتهم واخرت العقوبة عنهم (ثم اخذتهم) اى عاقبتهم (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه * قوله عز وجل (فكأين من قرية اهلكتها) وقرئ اهلكناها على التعظيم (وهي ظالمة) اى واهلها ظالمون (فهي خاوية) اى ساقطة (على عروشها) اى على سقوفها (وبئر معطلة) اى وكم من بئر معطلة اى متروكة مخلاة عن اهلها (وقصر مشيد) اى رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان اربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم * قوله تعالى (افلم يسيروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) اى يعلمون بها (او آذان يسمعون بها) يعني ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) المعنى ان عمى القلب هو الضار في امر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب

بل بحقيقتي وهو حق التي هي اشرف واكبر منها (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) بالاستقلال اى لا نطق لهم ولا علم ولا وجود بانفسهم بل بالله الذي لا اله الا هو (فرجعوا الى انفسهم) بالاقرار والاذعان معترفين بان الممكن لا وجود له بنفسه فكيف كماله (فقالوا انكم انتم الظالمون) بنسبة الوجود والكمال الى الغير لا هو (ثم نكسوا على رؤسهم) حياء من كماله ونقصهم وخضوعا وانفعالا منه (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) بالعلم الاني الحقاني فناهم فنفيت النطق عنهم واما نحن فلا نعلم الا ما علمنا الله فاعترفوا بنقصهم كما اعترفوا به عند معرفتهم لآدم بعد الانكار فقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا (قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم) وتعظمون غيره مما لا ينفع ولا يضر اذ هو النافع الضار لا غير (اف لكم ولما تعبدون من دون الله) اتضجر بوجودكم ووجود معبوداتكم ووجود كل ما سواه تعالى (افلا تعقلون) اذ لا مؤثر ولا معبود الا الله

هو البصر النافع (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) اى انه انجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعنى يوما من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل عليه ماروى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة اخرجه ابو داود بزيادة فيه واخرج الترمذى نحوه ومعنى الآية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم فى الآخرة كألف سنة وقيل ان يوما من ايام العذاب فى الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة فى الامهال سواء لانه قادر متى شاء اخذهم لايفوته شئ بالتأخير فيستوى فى قدرته وقوع مايستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية امليت لها) اى امهلتها (وهى ظالمة) اى مع استمرار اهلها على الظلم (ثم اخذتها) اى انزلت بهم العذاب (والى المصير) يعنى مصيرهم الى فى الآخرة ففيه وعيد وتهديد * قوله عزوجل (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) امر الله رسوله ان يديم لهم التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما امر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما انا نذير مبين اردف ذلك بأن امره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اى ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر ايضا مع التوبة ورزق كريم اى لاينقطع ابدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) اى عملوا فى ابطال آياتنا (معجزين) اى مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين اى معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلانقدر عليهم بزعمهم ان لابعث ولانشور ولاجنة ولانار (اولئك اصحاب الجحيم) * قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه مارأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى فى نفسه ان يأتيه من الله مايقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما فى مجلس لقريش فانزل الله عزوجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه ماكان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين لم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابى احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ماسمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيى ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال

(قالوا حرقوه) اى اتركوه يحترق بنار العشق التى انتم اوقدتموها اولا بالقاء الحقائق والمعارف التى هى حطب تلك النار عند رؤيته ملكوت السموات والارض باراءة الله اياه كما قال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض واشراق الانوار الصفاتية والاسمائية عند تجليات الجمال والجلال عليه من وراء استار اعيانكم التى هى منشأ اتقاد تلك النار (وانصروا آلهتكم) اى معشوقاتكم ومعبوداتكم فى الامداد بتلك الانوار واتقاد تلك النار (ان كنتم فاعلين) بامر الحق (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) بالوصول حال الفناء فان لذة الوصول تفيد الروح الكامل والسلامة عن نقص الحدثان وآفة النقصان والامكان فى عين نار العشق (وارادوا به كيدا) باقائه واحراقه (فجعلناهم الاخسرين) الانقصين منه كمالا ورتبة (ونجيناه ولوطا الى الارض) ولوط العقل بالبقاء بعد الفناء بالوجود الحقانى الموهوب الى ارض الطبيعة البدنية (التى باركنا

يامحمد

يامحمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا حدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم وقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذى يأتيه جبريل بالوحى عيانا ولانبى النبى هو الذى تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا الا اذا تمنى اى احب شيأ واشتهاه وحدث به نفسه ممالم يؤمر به القى الشيطان فى امنيته اى فى مراده وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان فى حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى مامن نبى الا تمنى ان يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبى الا القى الشيطان عليه مايرضى قومه فينسخ الله مايلقى الشيطان وقال اكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله القى الشيطان فى امنيته اى فى تلاوته قال حسان فى عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله اول ليلة ❊ وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ماهو به لاقصدا ولاعمدا ولاسهوا ولاغلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكيف يجوز الغلط على النبى صلى الله عليه وسلم فى التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال اجوبة احدها توهين اصل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذى يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى الصلاة وآخر يقول قراها وهو فى نادى قومه وآخر يقول قراها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذى جاء فى الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا اخرجه البخارى ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخارى فهذا الذى جاء فى الصحيح لم يذكر فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذى ذكره المفسرون عن ابن عباس فى هذه القصة فقد رواه عنه الكلبى وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثانى وهو من حيث المعنى هو ان الحجة قد قامت

فيها بالكمالات العملية المثمرة والآداب الحسنة المفيدة والشرائع والملكات الفاضلة (للعالمين) اى المستعدين لقبول فيضه وتربيته وهدايته (ووهبنا له اسحق) القلب للرد الى مقامه بتكميل الخلق حال الرجوع عن الحق (ويعقوب) النفس المرتاضة الممتحنة بالبلاء المطمئنة باليقين والصفاء (نافلة) منورة بنور القلب متولدة منه (وكلا جعلنا صالحين) بالاستقامة والتمكين فى الهداية (وجعلناهم ائمة) لسائر القوى والنفوس الناقصة المستعدة (يهدون بامرنا) اما الروح فبالاحوال والمشاهدات والانوار واما القلب فبالمعارف والمكاشفات والاسرار واما النفس فبالاخلاق والمعاملات والآداب وهى المرادة بقوله (واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين) بالتوحيد والعبودية الحقة فى مقام التجريد والتفريد وهذا هو تطبيق ظاهر ابراهيم على باطنه وقد يمكن ان يؤول بضرب آخر من التأويل

بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة
وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح آلهة غير الله اوان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى
يجعل فيه ماليس منه حتى نبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال
الله عزوجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية
الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل ان الشيطان
ترصد لتلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا صوت النبي صلى الله عليه وسلم
فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده
فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها
وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عزوجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية
وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله
الا اذا تمنى اى خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمني اشتغل الخاطر
فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله
الا اذا تمنى اى تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية اوآيات اوكلمة
اونحو ذلك ولكنه لايقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح
في الحديث لقد اذكرني كذا كذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض
من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطا في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو
عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى اعلم * قوله عزوجل (فينسخ الله
مايلقى الشيطان) اى يبطله ويذهبه (ثم يحكم الله آياته) اى يثبتها (والله عليم حكيم)
* قوله عزوجل (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة) اى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده
بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) اى الجافية قلوبهم
عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لفي شقاق بعيد) اى في خلاف شديد
(وليعلم الذين اوتوا العلم) اى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق
من ربك) اى الذى احكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) اى يعتقدوا
انه من الله عزوجل (فتخبت له قلوبهم) اى تسكن اليه (وان الله لهادى الذين آمنوا الى
صراط مستقيم) اى الى طريق قويم وهو الاسلام * قوله عزوجل (ولايزال الذين
كفروا في مرية منه) اى في شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم (حتى
تأتيهم الساعة بغتة) اى فجاة وقيل اراد بالساعة الموت (اويأتيهم عذاب يوم عقيم)
اى عذاب يوم لاليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن في ذلك
اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتى بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة
فيه (الملك يومئذ) يعنى يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم)
اى يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) * قوله تعالى (والذين

مناسب لماقال النبي عليه
السلام كنت انا وعلي
نورين نسبح الله تعالى
ونحمده ونهلله وسبحته
الملائكة بتسبيحنا وحمدته
بتحميدنا وهللته بتهليلنا
فلما خلق آدم عليه السلام
انتقلنا الى جبهته ومن جبهته
الى صلبه ثم الى شيث الى
آخر الحديث وهو ان الروح
الابراهيمي قدسه الله تعالى
كان كاملا في اول مراتب
صفوف الارواح مفيضا
على اطوار الملكوت
كمالاتهم جار القصهم كاسر
الاصنام اعيان الموجودات
وآلهة الذوات الممكنات
من المادية والمجردات بنور
التوحيد طاويا لمراتب
الكمالات ذاويا للواقفين
مع الصفات والمحجوبين
بالغير عن الذات فوضعه
نمروذ النفس الطاغية
العاصية وقواها التي هي
قومه في منجنيق الذكر
والقوة في نار حرارة طبيعة
الرحم فجعلها الله عليه بردا
وسلاما اى روحا وراحة
من الآفات اى وضعوا درة
وجوده التي هي مظهر روحه
ونجيناه الى ارض البدن التي
باركنا فيها للعالمين بهدايته
اياهم وتكميله وتربيته لهم

هاجروا فى سبيل الله) اى فارقوا اوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) اى لاينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ماتشتهى الانفس
وتلذ الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق فى الحقيقة هو الله عزوجل
لارازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على
المجاركة ولهذا رزق السلطان الجند اى اعطاهم ارزاقهم وان الرازق فى الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله
تعالى يعطى من الرزق مالا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعنى الجنة يكرمون
به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم * قوله عزوجل
(ذلك) اى امر ذلك الذى قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) اى جازى
الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) اى ظلم باخراجه من
منزله يعنى ما اتاه المشركون من البغى على المسلمين حتى احوجوهم الى مفارقة اوطانهم نزلت
فى قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا فى المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم
ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت
المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله ان الله لعفو) اى عن مساوى
(غفور) يعنى لذنوبهم (ذلك) اى ذلك النصر (بان الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته
انه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) فى معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه
يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل
بطلوع الشمس القول الثانى هو مايزيد فى احدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لايقدر
عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق) اى ذو الحق فى قوله
وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان مايدعون) يعنى المشركين (من دونه هو الباطل)
يعنى الاصنام التى ليس عندها ضر ولانفع (وان الله هو العلى) اى العالى على كل شئ
(الكبير) اى العظيم فى قدرته وسلطانه * قوله عزوجل (الم تر ان الله انزل من السماء
ماء فتصبح الارض مخضرة) اى بالنبات (ان الله لطيف) اى باستخراج النبات من الارض
رزقا للعباد والحيوان (خبير) اى بما فى قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما فى السموات
وما فى الارض) اى عبيدا وملكا (وان الله لهو الغنى الحميد) يعنى الغنى عن عباده الحميد
فى افعاله (الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض) اى الدواب التى تركب فى البر (والفلك)
اى وسخر لكم السفن (تجرى فى البحر بأمره) يعنى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك
ما جرت (ويمسك السماء ان تقع) اى لكيلا تسقط (على الارض الا باذنه ان الله
بالناس لرؤف رحيم) يعنى انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ
الغاية فى الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم (وهو الذى احياكم) اى
انشأكم ولم تكونوا شيأ (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) اى
يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) اى لجحود لنعم الله عزوجل * قوله تعالى
(لكل امة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال
عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعنك فى الامر) اى فى امر

فيها بالعلوم والاعمال
التى هى ارزاقهم الحقيقة
واوصافهم الكمالية
(ولوطا) واذكر لوط القلب
(آتيناه) حكمة (وعلما
ونجيناه من القرية) اهل
قرية البدن (التى كانت
تعمل الخبائث) خبائث
الشهوات الفاسدة (انهم
كانوا قوم سوء فاسقين)
ماياتهم الامور لامن جهتنا
المأمور بها ومباشرتهم
الاعمال لاعلى ماينبغى
من وجه الشرع والعقل
(وادخلناه فى رحمتنا)
الرحيمية ومقام تجلى
الصفات (انه من الصالحين)
العاملين بالعلم الثابتين على
الاستقامة (ونوحا) ونوح
العقل (اذ نادى من قبل)
من جهة قدم القلب
واستدعى الله الكمال
اللاحق (فاستجبناله واهله)
فنجينا القوى القدسية
والفكرية والحدسية وسائر
القوى العقلية (من الكرب
العظيم) الذى هو كون
كمالاتها بالقوة اذ كل ماهو
كامن فى الشئ بالقوة كرب له
يطلب التنفيس بالظهور
والبروز الى الفعل وكلما كان
الاستعداد اقوى والكمال
الممكن له الكامن فيه اتم

الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء و بشر بن سفيان و يزيد بن خنيس قالوا الاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بايديكم ولا تأكلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت ❁ قوله تعالى (وادع الى ربك) اى الى الايمان به والى دينه (انك لعلى هدى مستقيم) اى على دين واضح قويم (وان جادلوك) اى خاصموك فى امر الذبح وغيره (فقل الله اعلم بما تعملون) اى من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) اى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل و بين نار وعقاب لمن رد وابى ❁ قوله عز وجل (الم تعلم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب) اى فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) اى علمه بجميعه (على الله يسير) اى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) اى حجة ظاهرة من دليل سمعى (وماليس لهم به علم) اى انهم فعلوا مافعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلى (وما للظالمين) اى المشركين (من نصير) اى مانع يمنعهم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) اى الانكار والكراهة يتبين ذلك فى وجوههم (يكادون يسطون) اى يقعون ويبسطون اليكم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى بمحمد واصحابه من شدة الغيظ (قل) اى قل لهم يا محمد (افأنبئكم بشر من ذلكم) اى بشر لكم واكره اليكم من هذا القرآن الذى تستمعون (النار) اى هى النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ❁ قوله تعالى (يا ايها الناس ضرب مثل) فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل فى الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال فى الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) اى تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لى شبيه وشبه بى الاوثان اى جعل المشركون الاصنام شركائى يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (لن يخلقوا ذبابا) اى واحدا فى صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) اى لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين ايدى الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب اى لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ماقدروا الله حق قدره) اى ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) اى غالب لا يقهر ❁ قوله عز وجل (الله يصطفى

كان الكرب اعظام (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) اى القوى النفسانية والبدنيـة المكذبين بآيات المعقولات والمحرمات (انهم كانوا قوم سوء) يمنعونه من الكمـال والتـجريد ويحـجبونه عن الانوار بالتكذيب (فأغرقناهم) فى يم القطران الهيولانى والبحر العميق الجسمانى (اجمعين وداود) العقل النظرى الذى هو فى مقام السر (وسليمان) العقـل العلمى الذى هو فى مقـام الصـدر (اذ يحكمان فى الحرث) اى فيما فى ارض الاسـتعداد من الكمالات المودعة فيـه المخزونة فى الازل والمغروزة فى الفطرة الناشئة عند التوجه الى الظهور والبروز يحكمان فيه بالعـلم والعمل والفكر والرياضة وتميزها وابتناعها وادراكها (اذ نفشت فيه) انتشرت فيـه بالافسـاد فى ظلمة ليل غلبة الطـبيعة البدنية والصفات النفسانية (غنم القوم) اى القوى البهيمية الشهوانية (وكنا لحكمهم شـاهدين) على مقتضى احوالهم حاضرين اذ كان الحكم بامرنا وعلى

من الملائكة) اى يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) اى ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) اى لاقوالهم (بصير) اى لافعالهم لاتخفى عليه خافية ❁ قوله تعالى (يعلم مابين ايديهم) قال ابن عباس ماقدموا (وماخلفهم) اى ماخلفوا وقيل يعلم ماعملوا وماهم عاملون وقيل يعلم مابين ايدى ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ماهو كائن بعد فنائهم (والى الله ترجع الامور) اى فى الآخرة ❁ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) اى صلوا لان الصلاة لاتكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) اى وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر (لعلكم تفلحون) اى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿ فصل فى حكم سجود التلاوة هنا ﴾ لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة اختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابى الدرداء وابى موسى انهم قالوا فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى واحمد واسحق يدل عليه ماروى عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله افى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلايقرأهما اخرجه الترمذى وابوداود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك فى الموطأ وذهب قوم الى ان فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثورى وابى حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لاسجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى واحمد واكثر اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان واسقط سجدة ص وقال ابو حنيفة فى الحج سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد فى احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن ابى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ماروى عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن احدى عشرة سجدة اخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ماروى عن عمرو بن العاص قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود وصح من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ واذا السماء انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة هو واجب ❁ قوله عزوجل (وجاهدوا فى الله حق جهاده) اى جاهدوا فى سبيل الله اعداء الله ومعنى

اعينها ومقتضى ارادتها فحكم داود السر على مقتضى الذوق بتسليم غنم القوى الحيوانية البهيمية الى اصحاب الحرث من القوى الروحانية بالملكية ليذبحوها ويميتوها بالاستيلاء والقهر والغلبة وينتفعوا بها وحكم سليمان العقل السامى على مقتضى العلم بتسليط القوى الروحانية عليها لينتفعوا بألبانها من العلوم النافعة والادراكات الجزئية والاخلاق والملكات الفاضلة ويروضوها بالتهذيب والتأديب واقامة اصحاب الغنم من النفس وقواها الحيوانية كالغضبية والمتحركة والمتخيلة والوهمية وامثالها بعمارة الحرث واصلاح ما فى ارض الاستعداد بالطاعات والعبادات والرياضات من باب الشرائع والاخلاق والآداب وسائر الاعمال الصالحات حتى يعود الحرث ناضرا بالغا الى حد الكمال لترد الغنم الى اصحابها عند حصول الكمال فتصير محفوظة مرعية مسوسة مهذبة فى الاعمال البهيمية بفضيلة العفة ويرد الحرث الى اربابه من الروح وقواه

حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه انه قال لاتخافوا فى الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون فى سبيل الله ولاتخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هى العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اخرجاه فى الصحيحين من حديث ابى موسى الاشعرى وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوى بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس ﴿ هو اجتباكم ﴾ اى اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاى رتبة اعلى من هذا واى سعادة فوق هذا ﴿ وماجعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ اى ضيق وشدة وهو ان المؤمن لايبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق فى اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر فى السفر والتيمم عند عدم الماء واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التى رخص الله لعباده قيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ماكان على بنى اسرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة ﴿ ملة ابيكم ابراهيم ﴾ لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا فى قوله ملة ابيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو ابو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد وفى قوله ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا ﴿ وفى هذا ﴾ اى وفى القرآن سماكم المسلمين ﴿ ليكون الرسول شهيدا عليكم ﴾ يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم ﴿ وتكونوا شهداء على الناس ﴾ يعنى تشهدون يوم القيامة على امم ان رسلهم قدبلغتهم ﴿ فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله ﴾ اى ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل مايكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة ﴿ هو مولاكم ﴾ اى وليكم وناصركم وحافظكم ﴿ فنعم المولى ونعم النصير ﴾ اى الناصر لكم والله تعالى اعلم

ياعامثمرا بالعلوم والحكم متزينا بازهار المعارف والحقائق وانوار التجليات والمشاهدات ولهذا قال (ففهمناها سليمان) فان العمل بالتقوى والرياضة على وفق الشرع والحكمة العملية امام فى تحصيل الكمال وابرازه الى الفعل من العلم الكلى والفكر والنظر والشوق والكشف (وكلا آتينا حكما وعلما) اذكل منهما على الصواب فى رأيه والحكمة النظرية والعملية والمكاشفة والمعاملة كلتاهما متعاضدتان فى طلب الكمال متوافقتان فى تحصيل كرم الخصال بهما (وسخرنا مع داود الجبال) الفؤاد جبال الاعضاء (يسبحن والطير) بالسنة خواصها التى امرن بها ويسرن معه بسيرتها المخصوصة بها فلا تعصى ولاتمتنع عليه فتكل وتثقل وتأبى امره بل تسير معه مأمورة بامره منقادة مطواعة لتأدبها وارتياضها ولتعودها بامره وتمرنها فى الطاعات والعبادات وطير القوى الروحانية يسبحن بالاذكار والافكار والطيران فى فضاء ارواح الانوار

تفسير سورة المؤمنين وهي مكية

وهي مائة وثمان عشرة آية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرا قد افلح المؤمنون الى عشر آيات من اواها وقال من اقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي * قوله عز وجل (قد افلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلوتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون اذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع في صلاته لابد وان يحصل له خشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شئ سوى ذلك التعظيم واما ما يتعلق بالجوارح فهو ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابال اقوام يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بابصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشئ من جسده في الصلاة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجرى على لسانه من القراءة والذكر * قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو ومالا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) اي الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا

(وكنا فاعلين) قادرين على ذلك التسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) من الورع والتقوى ونعم الدرع الحصين الورع (لتحصنكم من بأسكم) بأس القوى الغضبية السبعية واستيلاء الحرص والدواعي الطبيعية والقوى الوهمية الشيطانية (فهل انتم شاكرون) حق هذه النعمة بالتوجه الى الحضرة الربانية بالكلية (ولسليمان الريح) اى سخرنا لسليمان العقل العملي المتمكن على عرش النفس في الصدر ريح الهوى (عاصفة) في هبوبها (تجرى بامره) مطيعة له الى ارض البدن المتدرب بالطاعة والادب (الى الارض التى باركنا) فيها بتنمية الاخلاق والملكات الفاضلة والاعمال الصالحة (وكنا بكل شئ) من اسباب الكمال (عالمين ومن الشياطين) شياطين الوهم والتخيل (من يغوصون له) في بحر الهيولى الجسمانية يستخرجون درر المعاني الجزئية (ويعملون عملا دون ذلك) من التركيب والتفصيل والمصنوعات وتهيج الدواعي المكسوبات وامثالها (وكنا لهم حافظين) عن الزيغ والخطا والتسويل

هي العمل الصالح والاول اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على ازواجهم) على بمعنى من (اوماملكت ايمانهم) يعني الاماء والجوارى والآية فى الرجال خاصة لان المرأة لايجوز لها ان تستمع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ فرجه من امرأته وامته فانه لايلام على ذلك وانما لايلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلايجوز ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) اى التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة (فأولئك هم العادون) اى الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول اكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم * قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) اى حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها مايكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى اوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها مايكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به ايضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) اى يداومون ويراعون اوقاتها واتمام اركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا وآخرا قلت هما ذكر ان مختلفان فليس تكرار اوصفهم اولا بالخشوع فى الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها * قوله عز وجل (اولئك) يعني اهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعني يرثون منازل اهل النار من الجنة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد الاوله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوراثة هو ان يؤل امرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل امر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو اعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة مابين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذى (هم فيها خالدون) اى لايخرجون منها ولايموتون * قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان) يعني ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هى المنى لان النطفة تسل من الظهر من طين يعني طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة اى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعني الذى هو الانسان جعلناه نطفة (فى قرار مكين) اى حرز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقة) اى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فخلقنا العلقة مضغة) اى جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق اربعين يوما (ثم انشأناه خلقا آخر) اى مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه

الباطل والكذب (وايوب) النفس المطمئنة الممتحنة بانواع البلاء فى الرياضة البالغة كمال الزكاء فى المجاهدة (اذنادى ربه) عند شدة الكرب فى الكد وبلوغ الطاقة والوسع فى الجد والجهد (انى مسنى الضر) من الضعف والانكسار والعجز (وانت ارحم الراحمين) بالتوسعة والروح (فاستجبنا له) بروح الاحوال عن كد الاعمال عند كمال الطمأنينة ونزول السكينة (فكشفنا مابه من ضر) الرياضة بنور الهداية ونفسنا عنه ظلمة الكرب باشراق نور القلب (وآتيناه اهله) القوى النفسانية التى ملكناها وامتناها بالرياضة باحيائها بالحياة الحقيقية (ومثلهم معهم) من امداد القوى الروحانية وانوار الصفات القلبية ووفرنا عليهم اسباب الفضائل الخلقية واحوال العلوم النافعة الجزئية (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين وذاالنون) اى الروح الفير الواصل

وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا وناطقا بعدما كان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى ان يأكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب فى البلاد الى مابعدها (فتبارك الله) اى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولايزال (احسن الخالقين) اى المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولاموجد ولامبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفرى ماخلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لايفرى

معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لايفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله احسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله احسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) اى بعدما ذكر من تمام الخلق (لميتون) اى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) اى للحساب والجزاء * قوله عزوجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) اى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط (وماكنا عن الخلق غافلين) اى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ماتركناهم سدى بغير امر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وماكنا عن الخلق غافلين اى عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم لاتخفى علينا خافية (وانزلنا من السماء ماء بقدر) اى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر مايكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة (فاسكناه فى الارض) يعنى مايبقى فى الغدران والمستنقعات مماينتفع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه فى الارض ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله عزوجل من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوى فى تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندرانى عن مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس

الى الرتبة لكمال (اذ ذهب) بالمفارقة عن البدنية (مغاضبا) عن قومه القوى النفسانية لاحتجابها واصرارها على مخالفته وابائها واستكبارها عن طاعته (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نستعمل قدرتنا فيه بالابتلاء بمثل ماابتلى به او لن نضيق عليه فالتقمه حوت الرحمة لوجوب تعلقه بالبدن فى حكمتنا للاستعمال (فنادى فى الظلمات) فى ظلمات المراتب الثلاث من الطبيعة الجسمانية والنفس النباتية والحيوانية بلسان الاستعداد (ان لا اله الا انت) فأقر بالتوحيد الذاتى المركوز فيه عند العهد السابق وميثاق الفطرة والتنزيه المستفاد من التجرد الاول فى الازل بقوله (سبحانك) واعترف بنقصانه وعدم استعمال العدالة فى قومه فقال (انى كنت من الظالمين فاستجبناله) بالتوفيق بالسلوك والتبصير بنور الهداية الى الوصول (ونجيناه من الغم) من غم النقصان والاحتجاب بنور التجلى ورفع الحجاب (وكذلك نجى المؤمنين)

﴿ ثم ذكر ما انبت بالماء فقال تعالى (فانشأنا لكم به) اى بالماء (جنات) اى بساتين (من نخيل واعناب) انما افردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) اى فى الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) اى شتاء وصيفا (وشجرة) اى وانشأنا لكم شجرة وهى الزيتون (تخرج من طور سيناء) اى من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذى منه نودى موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذى فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) اى تنبت وفيها الدهن و قيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادام الذى يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى فى هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى فى الارض نحو ثلاثة آلاف سنة ﴿ قوله عز وجل (وان لكم فى الانعام لعبرة) اى آية تعتبرون بها (نسقيكم مما فى بطونها) اى البانها و وجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شئ فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية فى سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعنى كما تنتفعون بها وهى حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعليها) اى وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر ﴿ قوله تعالى (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) اى مالكم معبود سواه (افلا تتقون) اى افلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر مثلكم) اى آدمى مثلكم مشارك لكم فى جميع الامور (يريد ان يتفضل عليكم) اى انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعنى بابلاغ الوحى (ماسمعنا بهذا) اى الذى يدعونا اليه نوح (فى آبائنا الاولين ان هو الارجل به جنة) اى جنون (فتربصوا به حتى حين) اى الى الموت فتستريحوا منه (قال رب انصرنى بما كذبون) اى اعنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى (فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا) اى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا و حفظنا لئلا يتعرض له احد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل علمه عمل السفينة و وصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء امرنا) اى عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور (فاسلك فيها) اى فادخل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) اى من كل حيوان ذكر وانثى (واهلك) اى وسائر من آمن بك (الا من سبق عليه القول) اى وجب عليه العذاب (منهم) يعنى الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم

بالايمان التحقيقى الموقنين (وزكريا) الروح الساذج عن العلوم (اذ نادى ربه) فى استدعاء الكمال بلسان الاستعداد واستوهب يحيى القلب لتنتقش فيه العلوم وشكا انفراده عن معاضدة القلب فى قبول العلم وحيازة ميراثه مع علمه بان الفناء فى الله خير من الكمال العملى حيث قال (رب لاتذرنى فردا وانت خير الوارثين) من القلب وغيره (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه) القلب باصلاح زوجه النفس العاقر لسوء الخلق وغلبة ظلمة الطبع بتحسين اخلاقها وازالة الظلمة الموجبة للعقر عنها (انهم) ان اولئك الكمل من الانبياء (كانوا يسارعون فى الخيرات) اى يسابقون الى المشاهدات التى هى الخيرات المحضة بالارواح (ويدعوننا) لطلب المكاشفات بالقلوب (رغبا) الى الكمال (ورهبا) من النقصان او رغبا الى اللطف والرحمة فى مقام تجليات الصفات ورهبا من القهر والعظموت (وكانوا لنا خاشعين) بالنفوس (والتى احصنت)

مغرقون) * قوله عزوجل (فاذا استويت) اى اعتدلت (انت ومن معك على الفلك) اى فى السفينة (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) اى الكافرين (وقل رب انزلنى منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وانت خير المنزلين) معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ من انزله ويكلؤه فى سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لايقدر على ذلك (ان فى ذلك) اى الذى ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعداء الله (لآيات) اى دلالات على قدرتنا (وان كنا) اى وماكنا (لمبتلين) اى المختبرين اياهم بارسال نوح و وعظة وتذكيره لننظر ماهم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى (ثم انشأنا من بعدهم) اى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعنى عادا (فارسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح (ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) اى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) اى بالمصير اليها (واترفناهم) اى نعمناهم و وسعنا عليهم (فى الحيوة الدنيا ماهذا الابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) اى من مشربكم (ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) اى لمغبونون (ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) اى من قبوركم احياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس اى بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر فى بدء امرهم وقدرة الله على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لايكون ابدا (ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) اى بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) اى بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) اى ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض (فبعدا) اى الزمنا بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) * قوله عزوجل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) اى اقواما آخرين (ماتسبق من امة اجلها) اى وقت هلاكها (وما يستأخرون) اى عن وقت هلاكهم (ثم ارسلنا رسلنا تترى) اى مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا (كلماجاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) اى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى اثر بعض (وجعلناهم احاديث) اى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشانهم (فبعدا لقوم لايؤمنون) * قوله تعالى (ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) اى حجة بينة كالعصا واليد وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) اى تعظموا

اى النفس الزكية الصافية المستعدة العابدة التى احصنت فرج استعدادها ومحل تأثير الروح من باطنها بحفظه من مساخفى القوى البدنية فيها (فنفخنا فيها من روحنا) من تأثير روح القدس بنفخ الحياة الحقيقية فولدت عيسى القلب (وجعلناها وابنها آية) مع القلب علامة ظاهرة وهداية واضحة (للعالمين) من القوى الروحانية والنفوس المستعدة المستبصرة يهديهم الى الحق والى طريق مستقيم (ان هذه امتكم) الطريقة الموصلة الى الحقيقية وهى طريقة التوحيد المخصوصة بالانبياء المذكورين طريقتكم ايها المحققون السالكون طريقة (امة واحدة) لا اعوجاج ولا زيغ ولا انحراف عن الحق الى الغير ولاميل (وانا) وحدى (ربكم فاعبدون) فخصصونى بالعبادة والتوجه ولاتلتفتوا الى غيرى (وتقطعوا امرهم) اى تفرق المحجوبون الغائبون عن الحق الغافلون فى امر الدين وجعلوا امر دينهم قطعا يتقسمونه (بينهم) ويختارون السبل

من الايمان (وكانوا قوما عالين) اى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (انؤمن لبشرين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) اى مطيعون متذللون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) اى بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) اى لكى يهتدى به قومه * قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وامه آية) اى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شانهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناهما الى ربوة) اى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل ارض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها * وقوله (ذات قرار) اى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون * قوله تعالى (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) قيل اراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى عليه السلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) اى استقيموا على ما يوجبه الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شانهم كذلك فلان يكون تحذيرا لغيرهم اولى لما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم * قوله عز وجل (وان هذه امتكم) اى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها (امة واحدة) اى ملة واحدة وهى الاسلام (وانا ربكم فاتقون) اى فاحذرون وقيل معناه امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون (فتقطعوا) اى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (امرهم) اى دينهم (بينهم زبرا) اى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا اى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) اى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم (حتى حين) اى الى ان يموتوا (ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) اى ما نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) اى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم (بل لا يشعرون) اى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) اى يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) اى يعطون

ما اعطوا

المتفرقة بالاهواء المختلفة (كل الينا راجعون) على اى مقصد واية طريقة واية وجهة كانوا فنجازيهم بحسب اعمالهم وطرائقهم (فمن يعمل من الصالحات) يتصف بالكمالات العلمية (وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) عالم موقن فسعيه مشكور غير مكفور فى القيامة الوسطى والوصول الى مقام الفطرة الاولى (وانا له كاتبون) لصورة ذلك السعى لكاتبون فى صحيفة قلبه فيظهر عليه عند التجرد انوار الصفات (وحرام) وممتنع (على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) حكمنا باهلاكها وشقاوتها فى الازل رجوعهم الى الفطرة من الاحتجاب بصفات النفس فى النشأة (حتى اذا فتحت يأجوج) القوى النفسانية (ومأجوج) القوى البدنية بانحراف المزاج وانحلال التركيب (وهم من كل حدب) من اعضاء البدن التى هى محالها ومقارها (ينسلون) بالذهاب ولزوال (واقترب الوعد الحق) من وقوع القيامة الصغرى فحينئذ شخصت ابصار

ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ماعملوا من اعمال البر (وقلوبهم وجلة) اى خائفة انذلك لاينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لاتقبل منهم (انهم الى ربهم راجعون) اى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لايابنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون انلايقبل منهم اولئك يسارعون فى الخيرات اخرجه الترمذى * وقوله (اولئك يسارعون فى الخيرات) اى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) اى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات * قوله عز وجل (ولا نكلف نفسا الاوسعها) اى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) اى يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب اعمال العباد التى تكتبها الحفظة (وهم لايظلمون) اى لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم فى غمرة) اى غفلة وجهالة (من هذا) اى القرآن (ولهم اعمال) اى للكفار اعمال خبيثة من المعاصى والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعنى من دون اعمال المؤمنين التى ذكرها الله فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعنى الكفار (لها) اى لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) اى لابدلهم من ان يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة (حتى اذا اخذنا مترفيهم) اى رؤساءهم واغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف (اذاهم يجأرون) اى يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لاتجأروا اليوم) اى لا تجزعوا ولاتضجوا اليوم (انكم منا لاتنصرون) اى لاتمنعون منا ولاينفعكم تضرعكم (قدكانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) اى ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس اى بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور اى مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلايظهر علينا احد ولانخاف احدا فيأمنون فيه وسائر الناس فى الخوف وقيل مستكبرين به اى بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول اظهر (سامرا) يعنى انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الاهجار وهو الافحاش فى القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اى تهذون وتقولون مالاتعلمون (افلم يدبروا القول) يعنى افلم يتدبروا ماجاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) يعنى فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله

المحجوبين لشدة الهول والفزع داعين بالويل والثبور معترفين بالظلم والقصور (فاذاهى شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قدكنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) اى كل عابد منكم اشئ سوى الله محجوب به عن الحق مرمى مع معبوده الذى وقف معه فى طبقة من طبقات جهنم البعد والحرمان على حسب مرتبة معبوده (لهم فيها زفير) من الم الاحتجاب وشدة العذاب واستيلاء نيران الاشواق وطول مدة الحرمان والفراق (لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون) كلام الحق والملائكة لتكاثف الحجاب وشدة طرق مسامع القلب لقوة الجهل كالايبصرون الانوار لشدة انطباق الظلمة وعمى البصيرة (ان الذين سبقت لهم منا) السعادة (الحسنى) وحكمنا بسعادتهم فى القضاء السابق (اولئك عنها مبعدون) لتجردهم عن الملابس الغاسية

عليه وسلم (ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس ليس قد عرفوا محمدا
صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على
سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة (ام يقولون به جنة)
اى جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) اى بالصدق والقول الذى لا تخفى صحته
وحسنه على عاقل (واكثرهم للحق كارهون) * قوله عز وجل (ولو اتبع الحق اهواءهم)
قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا
وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن اى لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت
السموات والارض ومن فيهن) اى لفسد العالم (بل اتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما
فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) اى شرفهم (معرضون ام تسئلهم)
اى على ما جئتهم به (خرجا) اى اجرا وجعلا (فخراج ربك خير) اى ما يعطيك الله من
رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفسيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم)
اى الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) اى عن دين الحق
(لناكبون) اى لعادلون عنه ومائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) اى قحط
وجدوبة (للجوا) اى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) اى لم ينزعوا عنه (ولقد اخذناهم
بالعذاب) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسنى
يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله
ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) اى
ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) اى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم
(حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو
الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) اى آيسون من كل خير * قوله عز وجل
(وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) اى لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا (قليلا
ما تشكرون) اى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم فى الارض) اى خلقكم (واليه
تحشرون) اى تبعثون (وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) اى تدبير الليل
والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض
(افلا تعقلون) اى ما ترون من صنعه فتعتبروا (بل قالوا مثل ما قال الاولون) اى كذبوا
كما كذب الاولون وقيل معناه انكروا البعث مثل ما انكر الاولون مع وضوح الادلة (قالوا
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) اى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب
(لقد وعدنا نحن) اى هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) اى وعد آباءنا قوم ذكروا
انهم رسل الله فلم نر له حقيقة (ان هذا الا اساطير الاولين) اى اكاذيب الاولين * قوله تعالى
(قل) اى يا محمد لاهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) اى
خالقها ومالكها (سيقولون لله) اى لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله (قل) اى
قل لهم يا محمد اذا اقروا بذلك (افلا تذكرون) اى فتعلموا ان من قدر على خلق الارض

النفسانية والغشاوات
الطبيعية (لا يسمعون
حسيسها) لبعدهم عنها
فى الرتبة (وهم فيما اشتهت
انفسهم) ذواتهم من الجنات
الثلاث وخصوصا
المشاهدات فى جنة الذات
(خالدون لا يحزنهم الفزع
الاكبر) بالموت فى القيامة
الصغرى ولا بتجلى العظمة
والجلال فى القيامة الكبرى
(وتتلقاهم الملائكة هذا
يومكم الذى كنتم توعدون)
عند الموت بالبشارة او عند
البعث النفسانى بالسلامة
والنجاة او فى القيامة
الوسطى والبعث الحقيقى
بالرضوان او عند الرجوع
الى البقاء بعد الفناء حال
الاستقامة بالسعادة التامة
(يوم نطوى السماء) اى
لا يحزنهم يوم نطوى سماء
النفس بما فيها من صور
الاعمال وهيئات الاخلاق
فى الصغرى (كطى السجل
للكتب) الصحيفة
للمكتوبات التى فيها اى كما
تطوى ليبقى ما فيها محفوظا
او سماء القلب بما فيها من
العلوم والصفات والمعارف
والمعقولات فى الوسطى
او سماء الروح بما فيها من
العلوم من المشاهدات
والتجليات فى الكبرى (كما
بدأنا اول خلق نعيده)
بالبعث فى النشأة الثانية على

فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعدالموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل افلا تتقون) اى عبادة غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه (قل من بيده
ملكوت كل شئ) اى ملك كل شئ (وهو يجير) اى يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه)
اى لايؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من اراده بسوء (ان
كنتم تعلمون) اى فاجيبوا (سيقولون لله قل فانى تسحرون) اى فانى تخدعون وتصرفون
عن توحيده وطاعته وكيف يخيل اليكم الحق باطلا (بل اتيناهم بالحق) اى بالصدق (وانهم
لكاذبون) اى فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله)
اى من شريك (اذا لذهب كل اله بما خلق) اى لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى
خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على
ماخلقه هو (ولعلا بعضهم على بعض) اى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا
فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ
ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) اى من اثبات الولد والشريك (عالم
الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) اى تعظم من ان يوصف بما لايليق به * قوله
عزوجل (قل رب) اى يارب (اما تريني مايوعدون) اى ماوعدتهم من العذاب (رب)
اى يارب (فلا تجعلني فى القوم الظالمين) اى لا تهلكني بهلاكهم (وانا على ان نريك
مانعدهم) اى من العذاب (لقادرون ادفع بالتى هى احسن) اى بالخلة التى هى احسن
وهى الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعنى اذاهم امر بالصبر على اذى المشركين والكف
عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن اعلم بما يصفون) اى يكذبون ويقولون من
الشرك * قوله عز وجل (وقل رب اعوذ بك) اى امتنع واعتصم بك (من همزات
الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء
الى المعاصى (واعوذ بك رب ان يحضرون) اى فى شئ من اموري وانما ذكر الحضور
لان الشيطان اذا حضره يوسوسه * عن جبير بن مطعم انه راى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة
قال عمرو لاادرى اى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة
واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة
اخرجه ابو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ فى متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر
اى لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر
وذلك ان المتكبر يتضخم ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة
الجنون لان المجنون ينخسه الشيطان ثم اخبر الله عزوجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون
البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء احدهم الموت
قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ
الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى
هذا يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا
وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلى اعمل

الاول او بالرجوع الى
الفطرة الاولى على الثانى
او بالبقاء بعد الفناء على
الثالث (وعداً علينا انا كنا
فاعلين ولقد كتبنا
فى الزبور) زبور القلب
(من بعد الذكر) فى اللوح
ان ارض البدن يرثها القوى
الصالحة المنورة بنور السكينة
بعد اهلاك الفواسق
بالرياضة او ولقد كتبنا
فى زبور اللوح المحفوظ
من بعد الذكر فى ام الكتاب
(ان الارض يرثها عبادى
الصالحون) من الروح
والسر والقلب والعقل
والنفس وسائر القوى
بالاستقامة بعد اهلاك
الصالحين بالفناء فى الوحدة
(ان فى هذا لبلاغا) لكفاية
(لقوم عابدين) عبدوا الله
بالسلوك فيه (وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين) عظيمة
مشتملة على الرحيمية
بهدايتهم الى الكمال
المطلق والرحمانية بامانهم
من العذاب المستأصل
فى زمانه لغلبة رحمته على
غضبه (قل انما يوحى الى
انما الهكم اله واحد فهل انتم
مسلمون فان تولوا فقل
آذنتكم على سواء وان ادرى
اقريب ام بعيد ماتوعدون

صالحا فيما تركت) اى ضيعت وقيل تركت اى منعت وقيل خلفت من التركة اوالمعنى اقول لااله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر اى لايرجع اليها (انها) يعنى مسألته الرجعة (كلمة هو قائلها) اى لاينالها (ومن ورائهم برزخ) اى امامهم ومن بين ايديهم حاجز (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا من الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لماعلم انه لارجعة يوم البعث الا الى الآخرة * قوله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا انساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده اوولده اوزوجته اواخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم اى لايتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من انت ومن اى قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قدقال ههنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة احوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون * قوله عزوجل (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) اى غبنوا (انفسهم فى جهنم خالدون تلفح) اى تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) اى عابسون وقدبدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوى على النار . عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب * قوله تعالى (الم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) اى التى كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) اى عن الهدى (ربنا اخرجنا منها) اى من النار (فان عدنا) اى لما تكره (فانا ظالمون قال اخسؤا فيها) اى ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) اى فى رفع العذاب فانى لاارفعه عنكم فعند ذلك ايس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لايتكلمون بعد ذلك ماهو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لايفهمون ولايفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا

انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون

﴿ سورة الحج ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ياايها الناس اتقوا ربكم) احذروا عقابه بالتجرد عن الغواشى الهيولانية والصفات النفسانية (ان زلزلة الساعة) اضطراب ارض البدن فى القيامة الصغرى للمنقسمين فيها (شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت) اى غاذية مرضعة للاعضاء عن ارضاعها (وتضع كل ذات حمل) من القوى الحافظة لمدركاتها كالخيال والوهم كالذاكرة والعاقلة (حملها) من المدركات لسكرها وذهولها وحيرتها وبهتها اوكل قوة حاملة للاعضاء حملها وتحريكها واستقلال لها بالضعف اوكل عضو حامل لمافيه من القوة حملها بالتخلى عنها اوكل مايمكن فيها من الكمالات بالقوة حملها بفسادها واسقاطها اوكل نفس حاملة لمافيها من الهيئات

تكلمون فما يئس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الزفير والشهيق ذكره البغوى بغير سند واخرجه الترمذى بمعناه عن ابى الدرداء قوله فما يئس القوم بعد ذلك بكلمة اى سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض واطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين (يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) اى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم (حتى انسوكم ذكرى) اى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) نزل فى كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) اى على اذاكم واستهزائكم فى الدنيا (انهم هم الفائزون) اى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم فى الارض) اى فى الدنيا وفى القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ماهم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم) اى مالبثتم فى الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه فى الدنيا فانه يكون قليلا فى جنب مايلبث فى الآخرة (لو انكم كنتم تعلمون) اى قدر لبثكم فى الدنيا * قوله عزوجل (افحسبتم انما خلقناكم عبثا) اى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لاثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله عزوجل (وانكم الينا لاترجعون) اى فى دار الآخرة للجزاء روى البغوى بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه فى اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت فى اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عزوجل (فتعالى الله الملك الحق) اى هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) اى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له به) اى لاحجة ولا بينة له به اذ لايمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولاحجة فى دعوى الشرك (فانما حسابه) اى جزاؤه (عند ربه) اى هو مجازيه بعمله (انه لايفلح الكافرون) اى لايسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

تفسير سورة النور وهى مدنية وهى اثنتان وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل (سورة انزلناها وفرضناها) اى اوجبنا مافيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا مافيها من الحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وانزلنا فيها آيات بينات) اى واضحات (لعلكم تذكرون) اى تتعظون

والصفات من الفضائل والرذائل باظهارها وابرازها (وترى الناس سكارى) من سكرات الموت ذاهلين مغشيا عليهم (وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فى الحقيقة من الشراب ولكن من شدة العذاب (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض) ارض النفس (هامدة) ميتة بالجهل لانبات فيها من الفضائل والكمالات (فاذا انزلنا عليها الماء) ماء العلم من سماء الروح (اهتزت) بالحياة الحقيقية (وربت) بالترقى فى المقامات والمراتب (وانبتت من كل زوج) صنف (بهيج) من الكمالات

✽ قوله تعالى ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة التغريب الى راى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم ﴿ ولا تأخذكم بهما رافة ﴾ اى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية اى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرية ويخفف دون ذلك فى حد الشرب ﴿ فى دين الله ﴾ اى فى حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رافة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فاوجعت ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ معناه ان المؤمن لا تأخذه الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود ﴿ وليشهد ﴾ اى وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ اى حدهما اذا اقيم عليهما ﴿ طائفة ﴾ اى نفر ﴿ من المؤمنين ﴾ قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا ✽ قوله عز وجل ﴿ الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفى المدينة نساء بغايا هن اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا اولئك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبى ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السائب ابن ابى السائب المخزومى وكان فى الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابى مرثد الغنوى وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له فى الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحنى فقال حتى اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيأ فنزلت الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة

والفضائل المزينة لها ﴿ ذلك ﴾ بسبب ﴿ ان الله هو الحق ﴾ الثابت الباقى وما سواه هو المتغير الفانى ﴿ وانه يحيى الموتى ﴾ موتى الجهل بفيض العلم فى القيامة الوسطى كما يحيى موتى الطبع فى القيامة الصغرى ﴿ وانه على كل شئ قدير وان الساعة ﴾ بالمعنيين ﴿ آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور ﴾ اى قبر البدن من موتى الجهل فى الساعة الوسطى بالقيام فى موضع القلب والعود الى الفطرة وحياة العلم كما يبعث موتى الطبع فى النشأة الثانية والقيامة الصغرى ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ﴾ اى استدلال ﴿ ولا هدى ﴾ ولا كشف ووجدان ﴿ ولا كتاب منير ﴾ ولا وحى وفرقان ﴿ ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا

والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعانى فقراها على وقال لا تنكحها اخرجه الترمذى والنسائى وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا فى حق اولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزانى لايزنى الابزانية اومشركة والزانية لا تزنى الابزان اومشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزانى الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية فى هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتى لا تمنع يدلامس فقال طلقها قال انى احبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث ابو داود والنسائى عن ابن عباس قال النسائى رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة فى زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل فى معنى الآية ان الفاجر الخبيث لايرغب فى نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب فى نكاح فاجرة خبيثة مثله اومشركة والفاسقة الخبيثة لاترغب فى نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب فى نكاح فاسق خبيث مثلها اومشرك وحرم ذلك على المؤمنين اى صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية ۞ قوله تعالى (والذين يرمون) اى يقذفون بالزنا (المحصنات) يعنى المسلمات الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) اى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصنا اومحصنة بالزنا فقال له يازانى او يازانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلاحد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر اوياخبيث اويافاجرا وقال امرأتى لاترديد لامس فهذا ونحوه لايكون قذفا الاان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا فازنيت اوليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعى وابى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا ۞ وقوله تعالى (ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لايقع الاعلى صاحب كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفى حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ماقال وحسنت حالته

من دون الله) مما سوى الله (مالايضره وما لاينفعه) كائنا ما كان فان الاحتجاب الغيرى (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق وانما كان ضره اقرب من نفعه لانّ دعوته والوقوف معه يحجبه عن الحق (يدعوا لمن ضرّه اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) من الملكوت السماوية والارضية وغيرهم مماعدّ

بعدالتوبة قبلت شهادته سواء تاب بعداقامة الحدعليه اوقبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهوقول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيدبن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لاتقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الرأى قالوا بنفس القذف لاترد شهادته مالم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شرمنه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في احسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب الشافعي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لايسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولايسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فامعنى قوله ابدا قلت معنى ابدا مادام مصرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على مايليق به كما يقال شهادة الكافر لاتقبل ابدا يراد بذلك مادام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته ❊ قوله عزوجل (والذين يرمون) اى يقذفون (ازواجهم ولم يكن لهم شهداء) اى يشهدون على صحة ماقالوا (الا انفسهم) اى غير انفسهم (فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ماروى عن سهل بن سعد الساعدى ان عويمرا العجلانى جاء الى عاصم بن عدى فقال العاصم أرأيت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل سل لى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاء عويمر فقال ياعاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتنى بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التى سألت عنها فقال عويمر والله لاانتهى حتى اسأله عنها فجاء عويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه فى الصحيحين زاد فى رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلااحسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلااحسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه قوله اسحم اى اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين اى ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض واراد بها فى الحديث المبالغة فى قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبى صلى الله

ومالم يعد من الاشياء بالانقياد والطاعة والامتثال لما اراد الله منها من الافعال والخواص واجرى عليها شبه تسخيرها لامره وامتناع عصيانها لمراده وانقهارها تحت قدرته بالسجود الذى هو غاية الخضوع ولمالم يكن لشئ منها الا للانسان التابع للشيطان فى ظاهر امره دون باطنه خص عموم كثير من الناس الذى حق عليهم العذاب وحكم بشقاوتهم فى الازل وهم الذين غلبت عليهم الشيطنة ولزمتهم الزلة والشقوة (ومن يهن الله) بان يجعل اهله قهره وسخطه ومحل عقابه وغضبه (فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) جعلت لهم ملابس من نار غضب الله وقهره وهى هيئات واجرام مطابقة لصفات نفوسهم المكوسة معذبة لها غاية التعذيب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حميم الهوى وحب الدنيا الغالب عليهم اوحميم الجهل المركب والاعتقاد الفاسد المستعلى على جبهتهم

عليه وسلم البينة اوحد فى ظهرك فقال يارسول الله اذارای احدعلى امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة والاحد فى ظهرك فقال هلال بن امية والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله مايبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاآفقام هلال بن امية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لاافضح قومى سائر اليوم فمضت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة اوائيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى ان اهيجه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله ماكنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت مارأيت ان فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار الاتسمعون مايقول سيدكم قالوا لاتلمه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط الابكرا ولاطلق امرأته واجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يارسول الله بابى انت وامى والله انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبر الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الاذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الايسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزنى بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يارسول الله انى جئت الى اهلى عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يارسول الله انى لارى الكراهة فى وجهك مما اتيتك به والله يعلم انى لصادق وماقلت الاحقا وانى لارجو ان يجعل الله لى فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بماقال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينماهم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضربه اذنزل عليه الوحى فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحى قدنزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون ازواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر ياهلال فان الله تعالى قدجعل لك فرجا فقال قدكنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يارسول الله قدصدقت وماقلت الاحقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة ياهلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هى الموجبة التى توجب عليك العذاب فقال هلال والله لايعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد

العلوية التى تلى الروح فى صورة القهر الالهى مع الحرمان عن المراد المحبوب المنقد فيه (يصهر به) اى يذاب به ويضمحل (مافى بطونهم والجلود) بطون استعدادهم من المعانى القوية وما فى ظاهرهم من الصفات الانسانية والهيئات البشرية فتتبدل معانيهم وصورهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها (ولهم مقامع) اى من سياط (من حديد) الاثيرات الملكوتية بايدى زبانية الاجرام السماوية المؤثرة فى النفوس المادية تقمعهم بها وتدروهم من جناب القدس الى مهاوى الرجس (كلما ارادوا) بدواعى الفطرة الانسانية وتقاضى الاستعداد الاولى (ان يخرجوا منها) من تلك النيران الى فضاء مراتب الانسان (من غم اعيدوا فيها) تلك الهيئات السواد المظلمة وكرب تلك الدركات الموجبة ضربوا بتلك المقامع المؤلمة واعيدوا الى اسافل الوهدات المهلكة (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدى اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقى الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لاافضح قومى فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولايدعى لاب ولايرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر لايدرى من ابوه الاورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمر المالا عن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودى الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية اشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة اشهد بالله انى ماقربتها منذ اربعة اشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومى فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت فى الثانية اشهد بالله انه مارأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الثالثة اشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الرابعة اشهد بالله انه مارآنى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى امرهما راى ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق بشريك * بيان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية فى وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يقام عليه الحد الا ان يأتى بأربعة يشهدون بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفى الزوجة اذا وجد احد هذين اولا عن سقط عنه الحد فاللعان فى قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا راى مع امرأته رجلا ربما لايمكنه اقامة البينة ولايمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل اشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قذفها برجل بعينه سماه فى اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد او حمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد او هذا الحمل لمن الزنا ماهو منى ويقول فى الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ

جنات) القلوب (تجرى من تحتها الانهار) تحتهم انهار العلوم (يحلون فيها من اساور) الاخلاق والفضائل المصوغة (من ذهب) العلوم العقلية والحكمة العملية (ولؤلؤا) المعارف القلبية والحقائق الكشفية (ولباسهم فيها حرير) شعاع انوار الصفات الالهية والتجليات اللطفية (وهدوا) وهداهم (الى الطيب من القول) ذكر الصفات فى مقام القلب (وهدوا الى صراط العزيز الحميد) ذى الصفات اى توحيد الذات الحميدة باتصافها بتلك الصفات وتلك بعينها صراط الذات وسلم الوصول اليها بالفناء (ان الذين كفروا) حجبوا بالغواشى الطبيعية (ويصدون عن سبيل والمسجد الحرام) الذى هو صدر فناء كعبة القلب (الذى جعلناه للناس) الناس القوى الانسانية مطلقا (سواء العاكف فيه والباد) المقيم فيه من القوى العقلية الروحانية وبادى القوى النفسانية لامكان وصولها اليه وطوافها فيه عند ترقى القلب الى مقام السر (ومن يرد فيه)

الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حدالزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج ✿ قوله عزوجل (ويدرا) اى يدفع (عنها العذاب) اى الحد (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذالاعن وجب على المرة حدالزنا فان ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به وتقول فى الخامسة على غضب الله ان كان زوجى من الصادقين فيما رمانى به ولا يتعلق بلعانها الاهذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الراى لاحد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذالاعن الزوج وامتنعت المراة من اللعان حبست حتى تلاعن وعندالآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة البينة وعند ابى حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لايحصلان الابلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عندالاكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لواكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لايرتفع تأبيد التحريم وعند ابى حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب نفسه جازله ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان لايتعلق به الحكم وعند ابى حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حراكان او عبدا مسلما كان اوذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثورى والشافعى واكثر اهل العلم وقال الزهرى والاوزاعى اصحاب الراى لايجرى اللعان الابين مسلمين حرين غير محدودين فان كان احد الزوجين رقيقا اوذميا اومحدودا فى قذف فلالعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجرى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولايصح اللعان الاعندالحاكم اونائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضرجماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولايجوز الاخلال بشئ منها واما المكان فهو ان يلاعن فى اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى سائر البلاد فى الجامع عندالمنبر واما الزمان فهو ان يكون بعدالعصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفى التغليظ بالزمان والمكان قولان ✿ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله تواب) اى يعود على من يرجع عن المعاصى بالرحمة (حكيم) اى فيما فرضه من الحدود ✿ قوله عزوجل (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزولها ماروى عن ابن شهاب قال حدثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ماقالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان

من الواصلين اليه مرادا (بالحاد) ميل الى الطبيعة والهوى (بظلم) وضع شئ من العلوم والعبادات القلبية مكان النفسية كاستعمالها للاغراض الدنيوية واظهارها لتحصيل اللذات البدنية من طلب السمعة والجاه او بالعكس كمباشرة الشهوات الحسية واللذات النفسية بتوهم كونها مصالح الدارين او تغيير عن وجههما كالريا والنفاق او ماحدا ظالما (نذقه من عذاب اليم) فى جحيم الطبيعة (واذبوأنا) اى جعلنا (لابرهيم مكان البيت) الروح مكان بيت القلب وهو المصدر مباءة رجع اليها فى الاعمال والاخلاق وقيل اعلم الله ابراهيم مكانه بعد مارفع الى السماء ايام الطوفان بريح ارسلها فكشف ماحولها فبناه على اسه القديم اى هداه الى مكانه بعدرفعه الى السماء وايام طوفان الجهل وامواج غلبات الطبع رياح نفحات الرحمة فكشف ما حوله من الهيئات النفسانية والالوان الطبيعية والغبارات الهيولانية فبناه على اسه القديم من الفطرة

اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني
عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايها خرج سهمها خرج بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت عائشة اقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما انزل الحجاب فكنت احمل في هودج وانزل فيه فسرنا
حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل
فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني اقبلت الى رحلي
فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه
قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت
اركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن
العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة
السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع
ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدونني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي
غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح
عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل ان يضرب الحجاب علي
فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير
استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى
اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في
شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله ابن ابي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة
شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي
اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم
ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت
انا وام مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا
فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر
خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشي
فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا قد شهد
بدرا فقالت يا هنتاه اولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت
مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم
قال كيف تيكم قلت له اتأذن لي ان آتي ابوي قالت وانا حينئذ اريد ان اتيقن الخبر من
قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه ماذا يتحدث
الناس به فقالت يا بنية هوني نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها
ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة

حتى

الانسانية (ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي) اي جعلناه مرجعا في بناء البيت باحجار الاعمال وطين الحكم وجص الاخلاق وقلنا لا تشرك اي امرناه بالتوحيد ثم تطهير بيت القلب عن الالواث المذكورة (للطائفين) من القوى النفسانية التي تطوف حوله للتنور واكتساب الفضائل الخلقية (والقائمين) من القوى الروحانية التي تقوم عليه بالقاء المعارف والمعاني الحكمية (والركع السجود) من القوى البدنية التي تستفيد منه صور العبادات والآداب الشرعية والعقلية او لهداية الطالبين من المستبصرين المتعلمين والمجاهدين السالكين والمتعبدين الخاضعين (واذن في الناس بالحج) بالدعوة الى مقام القلب وزيارته (يأتوك رجالا) مجردين عن صفات النفوس (وعلى كل ضامر) نفس ضامرة بطول الرياضة والمجاهدة (يأتين من كل فج عميق) طريقة بعيدة العمق في قهر الطبيعة (ليشهدوا منافع لهم) من الفوائد العلمية والعملية المستفادة

حتى اصبحت لايرقألى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله قالت فاما اسامة فاشار عليه بمايعلم من براءة اهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك يارسول الله ولانعلم والله الا خيرا واما على بن ابى طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اى بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذى بعثك بالحق ان رأيت منها امرا قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فيأتى الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرنى من رجل قد بلغنى اذاه فى اهلى وفى رواية فى اهل بيتى فوالله ماعلمت على اهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلى الا معى قالت فقام سعد بن معاذ احد بنى عبد الاشهل فقال انا اعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتله ولاتقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومى ذلك لايرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لايرقألى دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندى ابواى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وانا ابكى اذا استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لايوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد ياعائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى مااحس منه قطرة وقلت لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماادرى مااقول لرسول الله فقلت لامى اجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ماادرى مااقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لااقرأ كثيرا من القرآن انى والله لقد علمت انكم سمعتم ماتحدث به الناس حتى استقر فى انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله مااجد لى ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن والله ماكنت اظن ان ينزل الله فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان احقر من ان يتكلم الله

من مقام القلب (ويذكروا اسم الله) بالاتصاف بصفاته (فى ايام معلومات) من انوار التجليات والمكاشفات (على مارزقهم من بهيمة الانعام) انعام النفوس المذبوحة تقربا الى الله تعالى بحراب المخالفات وسكاكين المجاهدات (فكلوا منها) استفيدوا من لحوم اخلاقها وماكانت المعينة المقوية فى السلوك (واطعموا) اى افيدوا (البائس الفقير) الطالب القوى النفس الذى اصابه شدة من غلبة صفاتها واستيلاء هيئاتها للتهذيب والتأديب والفقير الضعيف النفس القديم العلم الذى اضعفه عدم التعلم والتربية المحتاج اليها (ثم ليقضوا تفثهم) وسخ الفضول وفضلات الواث الهيئات كقص شارب الحرص وقلم اظفار الغضب والحقد وفى الجملة بقايا تلوينات النفس (وليوفوا نذورهم) بالقيام بابراز ماقبلوه فى العهد الاول من المعانى والكمالات المودعة فيهم الى الفعل فقضاء التفث التزكية وازالة الموانع والايفاء بالنذور والتحلية وتحصيل المعارف (وليطوفوا بالبيت العتيق)

في بأمر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله
بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت
حتى انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر
منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه قال فسرى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي ياعائشة احمدي
الله وفي رواية قال ابشري يا عائشة اما الله فقد برأك فقالت لي امي قومي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي قالت فانزل الله
عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات
في براءتي قالت فقال ابو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق عليه
شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة الى قوله غفور
رحيم فقال ابو بكر بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال
والله لا انزعها منه ابدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش
عن امري فقال يازينب ماعلمت اومارأيت فقالت يارسول الله احمي سمعي وبصري والله ماعلمت
عليها الا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله
بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا
الذي من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل
ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قط قالت ثم قتل بعد في سبيل الله
شهيدا هذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن
عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول وقال عروة اخبرت انه كان يشاع ويتحدث به
عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من اهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت
عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان ابي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا بيت من ابياته فقال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتأذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح
اويهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني
طائفة اي قطعة من حديثها قوله كان اوعى اي احفظ له قولها آذن اي اعلم بالرحيل قولها فاذا
عقد لي من جزع اظفار هو نوع من الخرز وهو الجزع اليماني المعروف قولها لم يهبلن اي يكثر لحمهن
من السمن فيثقلن قولها انما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين اي البلغة من الطعام وهو
قدر مايمسك الرمق قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من
يرد جوابا قولها فتيممت اي قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر

بالانخراط في سلك الملكوت
الاعلى حول عرش الله
المجيد البيت القديم (ذلك)
اي الامر ذلك (ومن يعظم
حرمات الله) وهي مالا
يحل هتكه وتطهيره
والقربان بالنفس وجميع
ماذكر من المناسك
كالتحلي بالفضائل واجتناب
الرذائل والتعرض للانوار
في التجليات والاتصاف
بالصفات والترقي في المقامات
(فهو خير له) في حضرة ربه
ومقعد قربه (واحلت لكم
الانعام) انعام النفوس
السليمة الانتفاع باخلاقها
واعمالها في الطريقة والتمتع
بالحقوق دون الحظوظ
(الا ما يتلى عليكم) في سورة
المائدة من الرذائل المشتبهة
بالفضائل وهي التي صدرت
من النفس لا على وجهها
ولا على ماينبغي من امرها
بالرذائل المحضة فانها محرمة
في سبيل الله على السالكين
(فاجتنبوا الرجس من
الاوثان) اوثان الشهوات
المتعبدة والاهواء المتبعة
كقوله تعالى افرأيت
من اتخذ الهه هواه
(واجتنبوا قول الزور)
من العلوم المزخرفة
والشبهات المموهة

في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد اخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قولها باسترجاعه هو
قوله انا لله وانا اليه راجعون قولها فخمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها موغرين
في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة اي اولها قولها والناس يفيضون اي يخوضون
ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشئ يريبني اي شككت فيه قولها ولا ارى من النبي صلى الله
عليه وسلم اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى
نقهت اي افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول واصله
المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف اوخز قولها تعس مسطح اي عثر وهو من الدعاء
على الانسان اي سقط لوجهه قولها ياهنتاه اي بلهاء كانها تنسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ
لي دمع اي لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النفي اي ما رايت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة
اي اعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي من
يقوم بعذري ان انا كافأته على سوء صنيعه ان عاقبت او عاقبت فلا تلوموني على ذلك قولها وكانت
ام حسان بنت عمه من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اي حمله الغضب والانفة
والتعصب على الجهل للقرابة قولها فتثاور الحيان اي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم
يزل يخفضهم اي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت قيل هو من اللمم وهو
صغائر الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها
ما رام اي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه اي كشف
عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع وهي التي كانت تساميني
من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت
من كنف اي من ستر انثى قوله ويستوشيه اي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في
عائشة حصان بفتح الحاء يقال امراة حصان اي متعففة رزان اي ثابتة ما تزن اي ترمى ولا تتهم بريبة اي
بأمر يريب الناس حيية وتصبح غرثى اي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة
والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان انه كان ينافح
اي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك اي
بالكذب والافك اسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق
الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب
الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي ابن سلول ومسطح بن اثاثة
وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن ابي ابن سلول كان
راس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج
الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا امن المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه
شرا لكم) يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم
ولصفوان (بل هو خير لكم) يعني ان الله اجركم على ذلك واظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة
واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) اي من العصبة الكاذبة
(ما اكتسب من الاثم) اي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره)

من التخيلات والموهومات
المستعملة في الجدل والخلاف
والمغالطة (حنفاء لله) مائلين
عن الطرق الفاسدة والعلوم
الباطلة معرضين عن كل
ما يغيره من الكمالات
والاعمال ولو لنفس الكمال
والتزين به فانه حجاب
(حنفاء لله غير مشركين به)
بالنظر الى ماسواه والا
لتفات في طريقه الى ما عداه
(ومن يشرك بالله) بالوقوف
مع شئ والميل اليه (فكأنما
خر من السماء) سماء
الروح (فتخطفه الطير)
طير الدواعي النفسانية
والاهواء الشيطانية فتمزقه
قطعا جذاذا (اوتهوي به
الريح) ريح هوى النفس
في مكان سحيق) بعيد
من الحق ومهلكة عمياء
متلفة (ذلك ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى
القلوب) من النفوس
المستعدة المسوقة نسائق
التوفيق في سبيل الله ليهدى
بها لوجه الله فان تعظيمها
تحصيل كانها من افعال
ذي القلوب المتقية المجردة
عن الصفات النفسانية
والهيئات الظلمانية (لكم فيها
منافع) من الاعمال والاخلاق
والكمالات العلمية والعملية
(الى اجل مسمى) هو الفناء

اى تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه وقال باشاعته وهو عبدالله بن ابى ابن سلول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعنى عذاب النار فى الآخرة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين * قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) اى الحديث الكذب وهو قول اهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم واهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين (وقالوا هذا افك مبين) اى كذب بين لا حقيقة له (لولا) اى هلا (جاؤا عليه) اى على مازعموا (بأربعة شهداء) اى يشهدون بذلك (فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عندالله) اى فى حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عندالله كاذبين اذلم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عندالله كاذب سواء اتى بالشهداء اولم يأت قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فأولئك عندالله فى حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذالم يأت بالشهود يجب زجره * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ماخضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (اذ تلقونه بألسنتكم) اى يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) اى من غير ان تعلموا انه حق (وتحسبونه هينا) اى وتظنون انه سهل لا اثم فيه (وهو عندالله عظيم) اى فى الوزر (ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك) قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) اى كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روى ان ام ايوب الانصارى قالت لابى ايوب الانصارى مابلغك مايقول الناس فى عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) اى فى الامر والنهى (والله عليم) اى بأمر عائشة وصفوان (حكيم) اى حكم ببراءتهما * قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) اى يظهر الزنا ويذيع (فى الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من احب ان تشيع الفاحشة او تظهر على احد فهو داخل فى حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب اليم فى الدنيا) يعنى الحد والذم على فعله (والآخرة) اى وفى الآخرة لهم النار (والله يعلم) اى كذبهم وبراءة عائشة وماخاضوا فيه من سخط الله (وانتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم مافى قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة (وان الله رؤف رحيم) قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) اى آثاره ومسالكه

فى الله بالحقيقة (ثم محلها الى البيت العتيق) حد سوقها وموضع وجوب نحرها بالوصول الى حرم الصدر عند كعبة القلب الى مقام السر وترقى النفس الى مقامه فانية عن حياتها وصفاتها (ولكل امة) من القوى (جعلنا منسكا) عبادة مخصوصة بها (ليذكروا اسم الله) بالاتصاف بصفاته التى هى مظاهرها فى التوجه الى التوحيد (على مارزقهم) من الكمال بواسطة (بهيمة) النفس التى هى من جملة (الانعام) اى النفوس السليمة (فالهكم اله واحد) فوحدوه بالتوجه نحوه من غير التفات الى غيره وخصصوه بالانقياد والطاعة ولا تنقادوا الاله (فله اسلموا وبشر المخبتين) المنكسرين المتذللين القابلين لفيضه (الذين اذا ذكر الله) بالحضور (وجلت قلوبهم) انفعلت لقبول فيضه (والصابرين) الثابتين (على مااصابهم) من آلام لقاءات والمجاهدات (والمقيمى الصلوة) صلاة المشاهدة (ومما رزقناهم) من الفضائل والكمالات (ينفقون) بالفناء فى الله والافاضة

(ومن)

(ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) اى بالقبائح من الاقوال والافعال وكل مايكرهه الله عزوجل والآية عامة فى حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا) اى ماطهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ماصلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ماطهر من هذا الذنب ولاصلح امره بعد الذى فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ماقبل توبة احد منكم ابدا (ولكن الله يزكى) اى يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) اى لاقوالكم (عليم) اى بما فى قلوبكم * قوله عزوجل (ولا يأتل) اى ولا يحلف من الالية وهى القسم (اولوا الفضل منكم والسعة) يعنى الغنى يعنى ابابكر الصديق (ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابى بكر الصديق حلف ابوبكر ان لاينفق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) اى عن خوض مسطح فى امر عائشة (الا تحبون) يخاطب ابابكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح بنفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا وفى الآية ادلة على فضل ابى بكر الصديق لان الفضل المذكور فى الآية ذكره تعالى فى معرض المدح وذكره بلفظ الجمع فى قوله اولوا الفضل وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق ابى بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان ابابكر كان ثانى اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع الاخلاق وفى الآية دليل على ان من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه * قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) اى العفائف (الغافلات) اى عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هى التى لايقع فى قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) اى عذبوا (فى الدنيا) بالحد (والآخرة) اى وفى الاخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا فى حق عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله فى الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وازواج النبى صلى الله وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس فى ذلك توبة ومن قذف امراة مؤمنة فقد جعل الله توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للآية (يوم تشهد عليهم السنتهم) هذا قبل ان يختم على افواههم (وايديهم وارجلهم) يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدى والارجل بما عملت فى الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) اى جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) اى الموجود الظاهر الذى بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه يبين لهم حقية ما كان يعدهم فى الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابى ابن سلول كان يشك فى الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين * قوله عزوجل (الخبيثات للخبيثين) قال اكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات

على المستعدين (والبدن) اى النفوس الشريفة العظيمة القدر (جعلناها لكم من شعائر الله) من الهدايا المعلمة لله (لكم فيها خير) سعادة وكمال (فاذكروا اسم الله عليها) بالاتصاف بصفاته وافناء صفاتكم فيه وذلك هو النحر فى سبيل الله (صواف) قائمات بما فرض الله عليها مقيدات بقيود الشريعة وآداب الطريقة واقفات عن حركاتها واضطراباتها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت عن هواها الذى هو حياتها وقوتها التى بها تستقل وتضطرب بقتلها فى الله (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) استفيدوا من فضائلها وافيدوا المستعدين والطالبين المتعرضين للطلب من المريدين (كذلك سخرناها لكم) بالرياضة (لعلكم تشكرون) نعمة الاستعداد والتوفيق باستعمالها فى سبيل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) لحوم فضائلها وكمالاتها ولا افنائها بازالة اهوائها التى هى دماؤها (ولكن يناله التقوى) التجرد (منكم) عنها وعن صفاتها

والقول للخبيثين من الناس ومثله (والخبيثون) اى من الناس (للخبيثات)من القول(والطيبات) اى من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لايليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لايليق الا بالطيب من الناس وعائشة لايليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح ومايليق بها وقيل معناه لايتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء امثال عبدالله ابن ابىّ المنافق والشاكين فى الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (اولئك مبرؤن)يعنى عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون(عما يقولون)يعنى اصحاب الافك (لهم مغفرة) اى عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة روى ان عائشة كانت تفتخر باشياء اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروى انه اتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحى وهى معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء ❁قوله تعالى(ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفى هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس فى اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر وهل فى البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من آنست اى ابصرت قيل هو ان يتكلم بتسبيحة او يتنحنح حتى يعرف اهل البيت (وتسلموا على اهلها) بيان حكم الآية انه لايدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام اختلفوا فى ايهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول ادخل سلام عليكم كما فى الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أادخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذا هو فى مصحف ابن مسعود روى عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أادخل اخرجه ابوداود والترمذى وعن ربعى بن حراش قال جاء رجل من بنى عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى البيت فقال الج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابوداود (ق) عن ابى سعيد وابى بن كعب عن ابى موسى قال ابوسعيد كنت فى مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابوموسى كانه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت قال مامنعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن

فانّ سبب الوصول هو التجرّد والفناء فى الله لاحصول الفضائل مكان الرذائل❁ مثل ذلك التسخير بالرياضة (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم) بالفناء فيه عنها وعن كل شئ على الصواالذى هداكم اليه بالتجريد والتفريد والسلوك فى الطريقة الى الحقيقة (وبشر المحسنين) الشاهدين فى العبودية عن البقاء والفناء حال الاستقامة والتمكين (ان الله يدافع)ظلمة القوى النفسانية بالتوفيق (عن الذين آمنوا) من القوى الروحانية (ان الله لايحب كل خوّان) من القوى التى لم تؤدّ امانة الله من كمالها المودع فيها بالطاعة فيها وخانت القلب بالغدر وعدم الوفاء بالعهد (كفور) باستعمال نعمة الله فى معصيته (اذن للذين يقاتلون) الوهم والخيال وغيرهما من القوى الروحانية المجاهدين مع القوى النفسانية(ب) سبب (انهم ظلموا)باستيلاء صفات النفس واستعلائها(وان الله على نصرهم لقدير الذين) اى المظلومين الذين(اخرجوا من ديارهم) من مقارهم ومناصبهم باستخدامها

عليه بينة امنكم احد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى بن كعب فوالله لايقوم معك الا اصغر القوم فكنت فقمت معه فأخبرت عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع * عن عبدالله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن اوالايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور اخرجه ابوداود وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابوداد وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والاقدم الاستئذان ثم يسلم وقال ابوموسى الاشعرى وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ماروى عن عطاء بن يسار ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على امى قال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لاقال فاستأذن عليها اخرجه مالك فى الموطا مرسلا * وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) اى فعل الاستئذان خير لكم واولى بكم من التهجم بغير اذن (لعلكم تذكرون) اى هذه الآداب فتعملوا بها * قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) اى فى البيوت (احدا) اى يأذن لكم فى دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) اى فى الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعنى اذا كان فى البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولايقف على الباب ملازما (هو ازكى لكم) اى الرجوع هو الطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم فى تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولايستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لواخبرتنى بمكانك فيكون هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلاينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر فى باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفى رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوعلمت انك تنظر لطعنت به فى عينك انما جعل الاذن من اجل البصر (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفى رواية للنسائى قال لو ان امرا اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة اخرى جناح (والله بما تعملون عليم) اى من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشأم على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) اى اثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) اى بغير استئذان (فيها متاع لكم) اى منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا امتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم فى الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هى جميع البيوت التى لاساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك

واستعبادها فى طلب الشهوات واللذات البدنية (بغير حق) لهم عليهم موجب لذلك (الا) التوحيد الموجب للتعظيم والتمكين والتوجه الى الحق والاعراض عن الباطل (الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس) ناس القوى النفسانية (بعضهم ببعض) كدفع الشهوانية بالغضبية وبالعكس اوناس القوى مطلقا كدفع النفسانية بالروحانية ودفع الوهمية بالعقلية والنفسانية بعضها ببعض كماذكر (لهدمت صوامع) رهبان السرو خلواتهم (وبيع) نصارى القلب ومحال تجلياتهم (وصلوات) يهود الصدر ومتعبداتهم (ومساجد) مؤمنى الروح ومقامات مشاهداتهم وفنائهم فى الله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) الاعظم بالتخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته والتحقق باسراره والفناء فى ذاته (ولينصرن الله من ينصره) بقهر بنوره من بارزه بوجوده وظهوره (ان الله لقوى عزيز) يغلب من ماثله باستعلائه وجبروته (الذين ان مكناهم فى الارض) بالاستقامة

جازله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) * قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) اى عما لايحل النظر اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لايجب الغض عما يحل اليه النظر وانما امروا ان يغضوا عما لايحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لاتتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابوداود والترمذى (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولايفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولاتفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد * وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) اى عما لايحل قال ابو العالية كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا الا فى هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لايقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لابأس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات فى البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجوهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفروج فضيق وكفاك ان ابيح النظر الا مااستثنى منه وحظر الجماع الا مااستثنى منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولايكاد احد يقدر على الاحتراس منه (ذلك ازكى لهم) اى غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) اى انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم * قوله عزوجل (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن) اى عما لايحل لهن روى عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يارسول الله اليس اعمى لايبصرنا ولايعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعميا وان انتما الستما تبصران اخرجه الترمذى وابوداود * قوله تعالى (ولايبدين) اى لايظهرن (زينتهن) اى لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الاذن والقلائد فى العنق فلايجوز للمرأة اظهارها ولايجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الا ماظهر منها) اى من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن مسعود هى الثياب وقال ابن عباس هى الكحل والخاتم والخضاب فى الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص فى هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه فى الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) اى ليلقين مقانعهن (على جيوبهن) اى موضع الجيب وهو النحر والصدر اى ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من

بالوجود الحقانى (اقاموا الصلوة) صلاة المراقبة والمشاهدة (وآتوا الزكوة) زكاة العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية من نصاب المكاشفة مستحقيها من الطلبة (وأمروا) القوى النفسانية والنفوس الناقصة (بالمعروف ونهوا) من الاعمال الشرعية والاخلاق المرضية فى مقام المشاهدة ونهوهم (عن المنكر) من الشهوات البدنية واللذات الحسية والرذائل المردية والمعاملة (ولله عاقبة الامور) بالرجوع اليه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها اواذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده

صوف اوخز اوكتان وقيل هو الازار وقيل الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعنى الخفية التى لم يبح لهن كشفها فى الصلاة ولا للاجانب وهى ماعدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن (اوآبائهن اوآباء بعولتهن اوابنائهن اوابناء بعولتهن اواخوانهن اوبنى اخوانهن اوبنى اخواتهن) فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى مابين السرة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غيرانه يكره له النظر الى فرجها (اونسائهن) اى المؤمنات من اهل دينهن اراد به انه يجوز للمرأة ان تنظر الى بدن المرأة الا مابين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية اوالكافرة لان الله تعالى قال اونسائهن والذمية اوالكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية فى الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبى كتب عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف للمرأة المسلمة لانهما من جملة النساء (اوماملكت ايمانهن) قيل هو عبد المراة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا مابين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن روى ذلك عن عائشة وام سلمة وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى الى فاطمة بعبد قدوهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبى معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (اوالتابعين غير اولى الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا الاربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير اولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم الا ذلك ولا حاجة فى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذى لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهين وقيل هو المجبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ماههنا لا يدخل عليكن فاحجبوه زاد ابوداود فى رواية واخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت بأربع اى ان لها فى بطنها اربع عكن فهى تقبل بهن اذا اقبلت واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن (اوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) اى لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا امر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفل لفظ اسم للصبى مالم يحتلم (ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها اويتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة فى مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم مايخفين من زينتهن فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه ان يعلم به ماعليهن من الحلى وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) اى من التقصير الواقع فى امره

وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية امليت لها وهى ظالمة ثم اخذتها والى المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الفرق بين النبى والرسول ان النبى هو الواصل بالفناء فى مقام الولاية الراجع بالوجود الموهوب الى مقام الاستقامة متحققا بالحق عارفا به منبئا عنه وعن ذاته وصفاته وافعاله واحكامه بامره مبعوثا للدعوة اليه على شريعة المرسل الذى تقدمه غير مشرع لشريعة ولا واضع لحكم وملة مظهرا للمعجزات منذرا ومبشرا للناس كانبياء بنى اسرائيل اذ كلهم كانوا داعين الى دين موسى عليه السلام كان كتابه حاويا للمعارف والحقائق والمواعظ والنصائح دون الاحكام والشرائع ولهذا قال عليه السلام علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل وهم الاولياء العارفون المتمكنون

ونهيه وراجعوا طاعته فيما امركم به ونهاكم من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل ان اوامر الله
ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك من تقصير
يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك
قوله تعالى (ايه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الاغر اغر مزينة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة فى مرة اليوم
عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفر لى وتب على
انك انت التوّاب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشى (ق) عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله
فى ارض فلاة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس
من مغربها تاب الله عليه * قوله عز وجل (وانكحوا الايامى منكم) جمع الايم يطلق على الذكر
والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) اى من عبيدكم (وامائكم)
بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية امر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن
تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوّج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به
عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح
بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا
الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائى (ق) عن عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى
النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة افضل له من النكاح عند الشافعى وعند اصحاب الرأى النكاح افضل
قال الشافعى قد ذكر الله عبدا اكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لا يأتى النساء وذكر
القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء
لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة
فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابى هريرة وعائشة
وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعى وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب
الثورى والاوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعى واحمد واسحق وجوّز اصحاب الرأى
للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت
شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ما روى عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولى اخرجه ابو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما
استحل من فرجها فان تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له * قوله تعالى (ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج
والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا

والرسول هو الذى يكون له
مع ذلك كله وضع شريعة
وتقنين فالنبى متوسط بين
الولى والرسول (الا اذا
تمنى) ظهرت نفسه بالتمنى
فى مقام القلوب (القى
الشيطان) فى وطء (امنيته)
ما يناسبها لان ظهور النفس
يحدث ظلمة وسوادا فى القلب
يحتجب بها الشيطان ويتخذها
محل وسوسته والقائه
بالتناسب (فينسخ الله ما يلقى
الشيطان) باشراق نور
الروح على القلب بالتأييد
القدسى وازالة ظلمة ظهور
النفس وقمعها ليظهر فساد
ما يلقيه ويميز منه الالقاء
الملكى فيضمحل ويستقر
الملكى (ثم يحكم الله آياته)
بالتمكين (والله عليم) بعلم
الالقاآت الشيطانية وطريق
نسخها من بين وحيه (حكيم)
يحكم آياته بحكمته ومن
مقتضيات حكمته انه يجعل
الالقاء الشيطانى فتنة للشاكين
المنافقين المحجوبين القاسية
قلوبهم عن قبول الحق
وابتلاء لهم لازدياد شكهم
وحجابهم به فانهم بمناسبة
نفوسهم الظلمانية وقلوبهم
المسودة القاسية لا يقبلون
الا ما يلقى الشيطان كما قال
تعالى هل أنبئكم على من تنزل

فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) اى انه ذو الافضال والجود (عليم) اى بما يصلح خلقه من الرزق * قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) اى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) اى يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) اى يطلبون المكاتبة (مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين فى الحرب * بيان حكم الآية وكيفيه المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين او فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل فى يده من المال فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم اخرجه ابو داود وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذى علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان سأل على اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين ابا محمد بن سيرين سأل انس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فابى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعى لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه الى اجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوّز ابو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا فى معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثورى وقيل مالا روى ان عبد السلام الفارسى قال له كاتبنى قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمنى اوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعى اظهر معانى الخير فى العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله اخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فاما الصبى والمجنون فلا تصح وجوّز كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوّز ابو حنيفة كتابة الصبى المراهق * وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) قيل هو خطاب للموالى فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه قال الشافعى ثم اختلفوا فى قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول على ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعى قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على

الشياطين تنزل على كل افاك اثيم (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد) وانهم لفى خلاف بعيد من الحق فكيف يقبلونه (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك) من اهل اليقين والمحققين ان تمكن الشيطان من الالقاء هو الحكمة والحق من ربك على قضية العدل والمناسبة (فيؤمنوا به فتخبت) بان يروا الكل من الله فتطمئن (له قلوبهم) بنور السكينة والاستقامة الموجبة لتميز الالقاء الشيطانى من الرحمانى (وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) لانه يهديهم الى طريق الحق والاستقامة فلا تزل اقدامهم بقبول ما يلقى الشيطان ولا تقبل قلوبهم الا ما يلقى الرحمن لصفائها وشدة نوريتها وضيائها (ولا يزال الذين كفروا) المحجوبون (فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة) تقوم عليهم القيامة الصغرى (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) وقت هائل لا يعلم كنهه ولا يمكن وصفه من الشدة او وقت لا مثل له فى الشدة

خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله وآتوهم من مال الله اى سهمهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفى الرقاب اراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا اولم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعى واحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقى عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعى والحسن وبه قال مالك والثورى واصحاب الرأى ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتبعه اولاده واكسابه كما فى الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم * وقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) اى اماءكم (على البغاء) اى الزنا (ان اردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن ابى ابن سلول يقول لجارية له اذهبى فابغينا شيأ قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفى رواية اخرى ان جارية لعبد الله بن ابى يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون انزلت فى عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء فى معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول الآية فخرج النهى على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثانى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع طوعا الثالث ان ان بمعنى اذا اى اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا) اى لتطلبوا (عرض الحيوة الدنيا) اى من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن (ومن يكرههن) يعنى على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعنى بالمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله * قوله تعالى (ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات) اى من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) اى شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من (المكذبين)

اولا خير فيه (الملك يومئذ) اذ وقع العذاب وقامت القيامة (لله) لا يمنعهم منه احد اذ لا قوة ولا قدرة ولا حكم لغيره يفصل (يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالموقنون العاملون بالاستقامة والعدالة (فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) الصفات يتنعمون والمحجوبون عن الذات والمكذبون بالصفات بنسبتها الى الغير فى عذاب مهين من صفات النفوس والهيئات لاحتجابهم عن عزة الله وكبريائه وصبر ورتهم فى ذل قهره (والذين هاجروا) عن مواطن النفوس ومقارها السفلية (فى سبيل الله ثم قتلوا) بسيف الرياضة والشوق (اوماتوا) بالارادة والذوق (ليرزقنهم الله) من علوم المكاشفات وفوائد التجليات (رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه) وليدخلنهم مقام الرضا (وان الله لعليم) بدرجات استعداداتهم واستحقاقاتهم وما يجب ان يفيض عليهم من كمالاتهم

المكذبين (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر * قوله عزوجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبدالله من مر وليلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

(مثل نوره) اى مثل نور الله عزوجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذى اعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن اى مثل نور قلب المؤمن وقيل اراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كمشكوة) هى الكوة التى لامنفذ لها قيل هى بلغة الحبشة (فيها مصباح) اى سراج واصله من الضوء (المصباح فى زجاجة) يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شئ وضوء يزيد فى الزجاج * ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) من درء الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره فى تلك الحال وفى ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى اى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب اضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى احد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) اى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) اى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفى الادهان واضوؤها قيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشأم لانها هى الارض المباركة وهى شجرة لايسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابى اسيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه الترمذى * وقوله (لاشرقية ولا غربية) اى ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولاغربية وحدها فلاتصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست فى مقنأة لاتصيبها الشمس ولا فى مضحاة لايصيبها الظل فهى لاتضرها شمس ولاظل وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشأم وسط الارض لاشرقى ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت فى الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضئ) اى من صفائه (ولو لم تمسسه نار) اى قبل ان تمسه النار (نور على نور) اى نور المصباح على نور الزجاجة

(حليم) لايعاجلهم بالعقوبة فى فرطاتهم فى التلوينات وتفريطاتهم فى المجاهدات فيمهلهم بما تقتضيه احوالهم ليمكنهم قبولهم ذلك * من راعى طريق العدالة فى المكافاة بالعقوبة ثم مال الى الانظلام لا الى الظلم لوجب فى حكمة الله تأييده بالامداد الملكوتية ونصرته بالانوار الجبروتية فان الاحتياط فى باب العدالة هو الميل الى الانظلام لا الى الظلم قال النبى عليه السلام كن عبدالله المظلوم ولاتكن عبدالله الظالم (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله وان الله لعفو) يأمر بالعفو وترك المعاقبة (غفور) يغفر لمن لايقدر على العفو (ذلك) التغفر انه عند ظهور النفس فى المعاقبة او التأييد والنصر عند رعاية العدالة فيها مع الانظلام فى الكرة الثانية (ب) سبب (ان الله يولج الليل فى النهار) ليل ظلمة النفس فى نور نهار القلب بحركتها واستيلائها عليه فينبعث الى المعاقبة (ويولج النهار فى الليل) نور نهار القلب فى ظلمة النفس فيعفو وكل بتقديره وتصريف قدرته

* فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) * اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفائه وصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوّة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوّة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال ابي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس ان يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نورا على نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) اي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك (والله بكل شيء عليم) * قوله عز وجل (في بيوت) اي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء

(لاهل)

(وان الله سميع) لنياتهم (بصير) باعمالهم يعاملهم على حسب احوالهم (ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف

لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا
نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة
بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايضا (اذن الله ان ترفع) اى تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول
وتطهر من الانجاس والاقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه
(يسبح له فيها) اى يصلى له فيها (بالغدو والآصال) اى بالغداة والعشى قال اهل
التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالآصال صلاة الظهر
والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن
ابي موسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة اراد بالبردين
صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة
العصر عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة
مكتوبة كان اجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا ذاك
كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين اخرجه ابو داود (رجال)
قيل خص الرجال بالذكر فى هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة
(لا تلهيهم) اى لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل الانسان
به عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء
جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) اى
ولا يشغلهم بيع (عن ذكر الله) اى حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعنى
اقامة الصلاة فى وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمى الصلاة روى سالم عن ابن
عمر انه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر
فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكاة)
يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة لا يحبسونها (يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار) يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك
وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع
وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار
الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار
من هول ذلك اليوم من اى ناحية يؤخذ بهم امن ذات اليمين ام من ذات الشمال ومن اين يؤتون
كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب فى الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل
ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته (ليجزيهم الله احسن ما عملوا) يعنى
اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات
كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوى اعمالهم بل
يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء احسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى
سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن اعمالهم

فى وجوه الذين كفروا
المنكر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا
قل افأنبئكم بشر من
ذلكم النار وعدها الله الذين
كفروا وبئس المصير
يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيأ لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره)
اى ما عرفوه حق معرفته
اذ نسبوا التأثير الى غيره
واثبتوا وجود الغير اذ
كل عارف به لا يعرف منه
الا ما وجد فى نفسه من
صفاته ولو عرفوه حق
معرفته لكانوا فانين فيه
شاهدين لذاته وصفاته
عالمين ان ما عداه ممكن
موجود بوجوده قادر
بقدرته لا بنفسه فكيف له
وجود وتأثير (ان الله
لقوى) يقهر ما عداه
بقوة قهره فيفنيه فلا وجود
ولا قوة له (عزيز) يغلب
كل شئ فلا قدرة له (الله
يصطفى من الملائكة رسلا
ومن الناس ان الله سميع
بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع

ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة حسناته وفضله * قوله تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه في الدنيا والآخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البرارى يظنه من رآه فاذا قرب منه لم ير شيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه) اى يتوهمه (الظمآن) اى العطشان (ماء حتى اذا جاءه) اى جاء ماقدرانه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيأ) اى لم يجده على ماقدر وظنه ووجه التشبيه ان الذى يأتى به الكافر من اعمال البر يعتقدان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذاوافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيأ فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعة فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى شيأ ولا نفعه (ووجد الله عنده) اى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) اى جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (اوكظلمات) اعلم الله سبحانه وتعالى ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهى كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر لجى) اى عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) اى يعلوه (موج من فوقه موج) اى متراكم (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللجى يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى (اذا اخرج يده لم يكد يراها) اى لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الابعد الجهد وقيل لما كانت اليه من اقرب شئ يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجى قلبه وبالموج مايغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابى بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادى له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار * قوله عز وجل (الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) اى باسطات اجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لبنى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض) اى ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه

الامور يا ايها الذين آمنوا) الايمان اليقينى (اركعوا) فناء الصفات (واسجدوا) فناء الذات (واعبدوا ربكم) في مقام الاستقامة بالوجود الموهوب فان من بقى منه بقية لم يمكنه ان يعبد الله حق عبادته اذ العبادة انما تكون بقدر المعرفة (وافعلوا الخير) بالتكميل والارشاد (لعلكم تفلحون) بالنجاة من وجود البقية والتلوين (وجاهدوا في الله حق جهاده) اى بالغوا في العبودية حتى لا تكون بانفسكم وانانيتكم وهو المبالغة في التحذير من وجود التلوين لان من نبض منه عرق الانانية لم يجاهد في الله حق جهاده اذ حق الجهاد فيه هو الفناء بالكلية بحيث لا عين له ولا اثر وذلك هو الاجتهاد في ذاته (هو اجتباكم) بالوجود الحقانى لا لغيره فلا تلتفتوا الى غيره بظهور انانيتكم (وما جعل عليكم في الدين) دينه (من حرج) من كلفة ومشقة في العبادة فانه مادامت النفس باقية او يجد العابد من القلب والروح بقية ولم يستقر بنور التوحيد ولم يستحكم

وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه (والى الله المصير) اى والى الله مرجع العباد بعد الموت * قوله تعالى (الم تر ان الله يزجى) اى يسوق (سحابا) بامره الى حيث يشاء من ارضه بلاده (ثم يؤلف بينه) اى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) اى مترا كابعضه فوق بعض (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله ان فى السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال فى الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ماينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) اى البرد (من يشاء) فيهلكه وامواله (ويصرفه عمن يشاء) اى فلا يضره (يكاد سنا برقه) اى ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) اى من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) اى يصرفهما فى اختلاف تعاقبهما فيأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد اصابنا الدهر ويذمونه فى اشعارهم فقيل لهم لاتسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عزوجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم * وقوله تعالى (ان فى ذلك) اى الذى ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لاولى الابصار) اى دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده * قوله عزوجل (والله خلق كل دابة من ماء) اى من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لانشاهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) اى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعنى مثل بنى آدم والطير (ومنهم من يمشى على اربع) يعنى كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك المخلوق من غير نطفة لابد ان يتكون من شئ وذلك الشئ اصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم استعمل فى غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى مالا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف فى القدرة وهو الماشى بغير آلة المشى وهى الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشى على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوانات ما يمشى على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وملله اربع واربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على اربع فى المشى والباقى تبع لها (يخلق الله مايشاء) اى مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل شئ قدير) اى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلق على الكل يخلق ما يشاء لايمنعه مانع ولا دافع (لقد انزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام

مقام التفريد لم يكن فى العبادة روح تام وذوق عام ولا يخلو من حرج وضيق وكلفة ومشقة واما اذا تمكن فى الاستقامة وتصفى فى المحبة التامة وجد السعة والروح (ملة) اى اعنى واخص ملة (ابيكم) الحقيق (ابرهيم) التى هى التوحيد المحض ومعنى ابوته كونه مقدما فى التوحيد مفيضا على كل موحد فكلهم من اولاده (هو) اى ابراهيم او الله تعالى (سماكم المسلمين) الذين اسلموا ذواتهم الى الله بالفناء فيه وجعلكم علماء فى الاسلام اولا وآخرا وهو معنى قوله (من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتوحيد رقيبا يحفظكم فى مقامه بالتأييد حتى لاتظهر منكم بقية (وتكونوا شهداء على الناس) بتكميلهم مطلعين على مقاماتهم ومراتبهم تفيضون عليهم انوار التوحيد ان قبلوا (فاقيموا الصلوة) صلاة الشهود الذاتى فانكم على خطر لشرف مقامكم وعز مرامكم (وآتوا الزكوة) بافاضة الفيض على المستعدين وتربية الطالبين المستبصرين فانه شكر حالكم وعبادة

والحلال والحرام (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته * قوله تعالى (ويقواون) يعنى المنافقين (آمنا بالله وبالرسول واطعنا) اى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) اى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) اى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما اولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى ارض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اى الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) اى مطيعين منقادين لحكمه اى اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا (افى قلوبهم مرض) اى كفر ونفاق (ام ارتابوا) اى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) اى يظلم (بل اولئك هم الظالمون) اى لانفسهم باعراضهم عن الحق * قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) اى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغى ان يكونوا وهو (ان يقولوا سمعنا) اى الدعاء (واطعنا) اى بالاجابة (واولئك) اى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) اى ما عمل من الذنوب (ويتقه) اى فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) اى الناجون * قوله تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيأ (لئن امرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن قمت اقمنا ولئن امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم والله لو امرتنا نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لاتقسموا) اى لاتحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) اى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهى معروفة اى امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون مالاتفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لايوافقها الفعل (ان الله خبير بما تعملون) اى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعنى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) اى على الرسول (ما حمل) اى ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) اى ما كلفتم من الاجابة والطاعة (ان تطيعوه تهتدوا) اى تصيبوا الحق والرشد فى طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) اى التبليغ الواضح البين * قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) قيل مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحى عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لايفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم

مقامكم (واعتصموا) فى ذلك الارشاد (بالله) بان لاتروه من انفسكم وتكونوا به متخلقين باخلاقه (هو مولاكم) فى مقام الاستقامة بالحقيقة وناصركم فى الارشاد بدوام الامداد (فنعم المولى ونعم النصير) وهو الموفق

(سورة المؤمنون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد افلح المؤمنون) دخل فى الفوز الاعظم الموقنون (الذين هم فى صلوتهم) فى صلاة حضور القلب (خاشعون) باستيلاء الخشية والهيبة عليهم لتجلى نور العظمة لهم (والذين هم عن اللغو) اى الفضول (معرضون) لاشتغالهم بالحق (والذين هم للزكاة فاعلون) بالتجرد عن صفاتهم (والذين هم لفروجهم) واسباب لذاتهم وشهواتهم (حافظون) بترك الحظوظ والاقتصار على الحقوق على ازواجهم اوماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين (فمن ابتغى وراء ذلك) بالميل الى الحظوظ (فاولئك هم العادون) المتكبون العدوان على انفسهم (والذين هم

والله ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) اى كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بنى اسرائيل واهلك الجبابرة بمصر والشأم واورثهم ارضهم وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى) اى اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان (وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى) آمنين (لايشركون بى شيأ) فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف امنا وبسطا فى الارض (خ) عن عدى بن حاتم قال بينا انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة قلت لم ارها ولقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف احدا الاالله قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد وائن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب اوفضة يطلب من يقبله منه فلايجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الاجهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الاالله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة ماقال ابوالقاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفى الآية دليل على صحة خلافة ابى بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان فى ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين * عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم اخرجه ابوداود والترمذى بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابى بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة كما ذكر فى الحديث وخلافة على اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا جاء فى بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله اعلم * وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) اراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) اى العاصون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله مابهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا * عن ابن اخى عبدالله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان جاء عبدالله بن سلام فقال عثمان ما جاءبك قال جئت فى نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خيرلى منك داخلا فخرج عبدالله

لاماناتهم) من اسراره التى اودعهم الله اياها فى سرهم (وعهدهم) الذى عاهدهم الله عليه فى بدء الفطرة (راعون) بالاداء اليه والاحياء به (والذين هم على صلواتهم) صلاة مشاهدة ارواحهم (يحافظون اولئك) الموصوفون بهذه الصفات (هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فردوس جنة الروح فى حظيرة القدس (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) غير هذا المتقلب فى اطوار الخلقة بنفخ روحنا فيه وتصويره بصورتنا فهو فى الحقيقة خلق وليس بخلق (ثم انكم بعد ذلك لميتون) بالطبيعة (ثم انكم يوم القيامة) الصغرى (تبعثون) فى النشأة الثانية اويميتون بالارادة ويوم القيامة الوسطى

الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قدجاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمن اخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى لما قتل نبى قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الاقتل به خمسة وثلاثون الفا * قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اى افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (ولا تحسبن الذين كفروا معجزين) اى فائتين عنا (فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم واللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم يعنى العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا امر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التميز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعى وابو يوسف ومحمد واحمد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) اى ليستأذنوا فى ثلاثة اوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) اى وقت القيل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن فى جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعنى العبيد والخدم والصبيان (جناح) اى حرج فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) اى بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) اى العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون فى اشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) اى يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى فى هذه الآية التى امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على اهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا

تبعثون بالحقيقة او ميتون بالفناء ويوم القيامة الكبرى تبعثون بالبقاء (ولقد خلقنا فوقكم) اى فوق صوركم واجسامكم (سبع طرائق) من الغيوب السبعة المذكورة (وما كنا عن الخلق) عن خلقها (غافلين) فان الغيب للشهادة (وانزلنا من السماء ماء بقدر) من سماء الروح ماء العلم اليقينى (فأسكناه فى الارض) فجعلناه سكينة فى النفس (وانا على ذهاب به لقادرون) بالاحتجاب والاستتار (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب) من نخيل الاحوال والمواهب واعناب الاخلاق والمكاسب (لكم فيها فواكه كثيرة) من ثمرات لذات النفوس والقلوب والارواح (ومنها تأكلون) تتقوتون وبها تتقون (وشجرة) التفكر (تخرج من طور سيناء) الدماغ او طور القلب الحقيق بقوة العقل (تنبت بالدهن) ما تنبت من المطالب ملتبسا بدهن استعداد الاشتعال بنور نار العقل الفعال (وصبغ للآكلين) لون نورى او ذوق حالى المستبصرين المتعلمين المتطعمين للمعانى (وان

يعمل بذلك بعد اخرجه ابوداود وفى رواية عنه نحوه وزاده فرايى ان ذلك اغنى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن ابى عائشة قال سألت الشعبى عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هى قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير فى هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية * وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) اى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) اى يستأذنوا فى جميع الاوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) اى الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم اياته) اى دلالاته وقيل احكامه (والله عليم) اى بامور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امه فانما انزلت هذه الآية فى ذلك وسئل حذيفة ايستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره * قوله (والقواعد من النساء) يعنى اللاتى قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتى لا يرجون نكاحا) اى لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتى اذا رآهن الرجال استقذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهى محل الشهوة فلا تدخل فى حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) اى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذى فوق الثياب والقناع الذى فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) اى من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو ان تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره (وان يستعففن) اى فلا يلقين الجلباب ولا الرداء (خير لهن والله سميع عليم) * قوله عز وجل (ليس على الاعمى حرج) اختلف العلماء فى هذه الآية فقال ابن عباس لما انزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل الاموال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى فى اى ليس فى الاعمى والمعنى ليس عليكم فى مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آكل اكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما اجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء فى الاكل من بيوت من سماهم الله فى باقى الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل فى طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله تعالى فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء فى التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج)

لكم فى الانعام) انعام القوى الحيوانية (لعبرة) تعتبرون بها من الدنيا الى الآخرة (نسقيكم مما فى بطونها) من المدركات والعلوم النافعة (ولكم فيها منافع كثيرة) فى السلوك (ومنها تأكلون) تتقوتون بالاخلاق (وعليها وعلى الفلك) فلك الشريعة الحاملة اياكم فى البحر الهيولانى (تحملون) الى عالم القدس بقوة التوفيق (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه ان اصنع الفلك) فلك الحكمة العملية والشريعة النبوية (باعيننا) على محافظتنا اياك عن الزلل فى العمل (ووحينا) بالعلم والالهام (فاذا جاء امرنا) باهلاك القوى البدنية والنفوس المنغمسة المادية (وفار التنور) تنور البدن

وقوله تعالى (ولا على انفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزلت ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان يأكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم (ان تأكلوا من بيوتكم) اى لا حرج عليكم ان تأكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل اراد بيوت اولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء فى الحديث انت ومالك لابيك (او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه) قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا بأس عليه ان يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعنى بيوت عبيدكم ومما ليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز ان يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس ان يأكل الشئ اليسير وقيل ما ملكتم مفاتحه اى ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه (او صديقكم) الصديق هو الذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح ان تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا) نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يأتى من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح اى اتحرج ان آكل معك وانا غنى وانت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا اى مجتمعين او اشتاتا اى متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم) اى ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن فى بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن فى البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اى عن الله امره ونهيه وآدابه * قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) اى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على امر جامع) اى يجمعهم من حرب او صلاة حضرت او جمعة او عيد او جماعة او تشاور فى امر نزل (لم يذهبوا) اى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله

باستيلاء المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة (فاسلك فيها من كل زوجين) اى من كل شئ صنفين من الصور الكلية والجزئية اعنى صورتين اثنتين احداهما كلية نوعية والاخرى جزئية شخصية (واهلك) من القوى الروحانية والنفوس المجردة الانسانية ممن تشرع بشريعتك (الامن سبق عليه القول) باهلاكه من زوجتك النفس الحيوانية والطبيعة الجسمانية (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) من القوى النفسانية والنفوس المنغمسة الهيولانية بالاستيلاء على القوى الروحانية والنفوس المجردة الانسانية وغصب مناصبهم (انهم مغرقون) فى البحر الهيولانى (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) بالاستقامة فى السير الى الله فاتصف بصفات الله التى هى الحمد القلبى على نعمة الانجاء من ظلمة الجنود الشيطانية (وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين) هو مقام القلب الذى بارك الله فيه بالجمع بين العالمين

صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن واذا استأذن الامام ان شاء اذن له وان لم يشأ ما اذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا فى المسجد فتحيض امرأة منهم او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) اى امرهم (فأذن لمن شئت منهم) اى فى الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) اى ان رأيت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) *

قوله عز وجل (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبدالله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقالوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) اى يخرجون (منكم لواذا) اى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كانوا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا اى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه (ان تصيبهم فتنة) اى لئلا تصيبهم فتنة اى بلاء فى الدنيا (او يصيبهم عذاب اليم) اى وجيع فى الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (الا ان لله ما فى السموات والارض) اى ملكا وعبيدا (قد يعلم ما انتم عليه) اى من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) اى من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبدالله بن البيع فى صحيحه والله سبحانه وتعالى اعلم

* (تفسير سورة الفرقان وهى مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

*قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذى نزل الفرقان) اى القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا فى اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق (على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) اى للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذى له ملك السموات والارض) اى هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) اى هو الفرد فى وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) اى هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد

وادراك المعانى الكلية والجزئية وامنه من طوفان بحر الهيولى وطغيان مائه (ان فى ذلك لآيات) دلائل ومشاهدات لاولى الالباب (وان كنا لمبتلين) ممتحنين اياهم ببليات صفات النفوس والتجريد عنها بالرياضة او ممتحنين العقلاء بالاعتبار باحوالهم عند الكشف عن حالاتهم وحكاياتهم (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم

الاصنام (وخلق كل شئ) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) اى سواه وهيأه لما يصلح له لاخلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ماخلق * قوله تعالى (واتخذوا) يعنى عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولانفعا) اى دفع ضر ولاجر نفع (ولا يملكون موتا) اى اماتة (ولا حياة) اى احياء (ولا نشورا) اى بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث واصحابه (ان هذا) اى ماهذا القرآن (الا افك) اى كذب (افتراه) اى اختلقه محمدا صلى الله عليه وسلم (واعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعنى قائلى هذه المقالة (ظلما وزورا) اى بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا اساطير الاولين اكتتبها) يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لايكتب (فهى تملى عليه) اى تقرأ عليه ليحفظها لانه لايكتب (بكرة واصيلا) يعنى غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (انزله) يعنى القرآن (الذى يعلم السر) اى الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما) اى لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) اى كما نأكل نحن (ويمشى فى الاسواق) اى يلتمس المعاش كما نمشى نحن واذا كان كذلك فمن اين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لايأكل ولايملك لان الملك لايتسوق وانت تتسوق وتبتذل وماقالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن صخابا فى الاسواق وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا انزل اليه ملك) اى يصدقه ويشهد له (فيكون معه نذيرا) اى داعيا (او يلقى اليه كنز) اى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف فى طلب المعاش (او تكون له جنة) اى بستان (يأكل منها) اى هو فلا اقل من ذلك ان لم يكن له كنز (وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) اى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه التى لافائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) اى عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة * قوله تعالى (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) اى من الذى قالوا وافضل من البستان الذى ذكروا وقال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) اى بيوتا مشيدة عن ابى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معى جبال مكة ذهبا جاءنى ملك ان حجزته لتساوى الكعبة

الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين) فى النشأة الثانية (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم) القلب (وامه) النفس المطمئنة (آية) واحدة باتحادهما فى التوجه والسير الى الله وحدوث القلب منها عند الترقى (وآويناهما الى ربوة) مكان مرتفع بترقى القلب الى مقام الروح وترقى النفس الى مقام القلب (ذات قرار) استقرار وثبات وتمكن يستقر فيها لخصبها (ومعين) وعلم يقين مكشوف ظاهر (ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعلوا

فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوى بسنده ٭ قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) اى القيامة (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) اى نارا مسعرة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها (سمعوا لها تغيظا) اى غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) اى صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى ٭ متقلدا سيفا ورمحا

اى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر لوجهه (واذا القوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) اى مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى الحديث ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلا ككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة ٭ قوله عز وجل (قل اذلك خير) اى الذى ذكرت من صفة النار واهلها (ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) اى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤن) اى ان جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لا فى غيرها فان قلت قد يشتهى الانسان شيأ وهو لا يحصل فى الجنة كان يشتهى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره (خالدين) اى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الم وانشد فى المعنى

اشد الغم عندى فى سرور ٭ تيقن عنه صاحبه انتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) اى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ٭ قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول أانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) اى اخطؤا الطريق (قالوا) يعنى المعبودين (سبحانك) نزهوا الله سبحانه وتعالى من ان يكون معه آلهة (ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء) يعنى ما كان ينبغى لنا ان نوالى اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان

صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) اى ليس التمتيع باللذات الدنيوية والامداد بالحظوظ الفانية هو ما رغبناهم فى الخيرات كما حسبوا انما المسارعة فيما هو التوفيق لهذه الخيرات الباقية وهى الاشفاق بالانفعال والقبول من شدة الخشية عند تجلى العظمة والايقان العينى بآيات تجلى الصفات الربانية والتوحيد الذاتى بالفناء فى الحق والقيام بهداية الخلق واعطاء كمالاتهم فى مقام البقاء مع الخشية من ظهور البقية فى الرجوع الى عالم الربوبية من الذات الاحدية وهو السبق فى الخيرات واليها ولها (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

تأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك (ولكن متعتهم وآباءهم) اى بطول العمر والصحة والنعمة فى الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى اى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين اى كذبكم المعبودون (بما تقولون) اى انهم آلهة (فما تستطيعون) اى الآلهة (صرفا) اى صرف العذاب عن انفسهم (ولانصرا) اى ولانصر انفسهم وقيل لاينصرونكم ايها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) اى يشرك (نذقه عذابا كبيرا) * قوله عز وجل (وما ارسلنا قبلك) اى يا محمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق انزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلاوجه لهذا الطعن وما انا الارسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) اى بلية قال ابن عباس اى جعلنا بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ماتسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا انتم الهدى قيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم رأى الوضيع قد اسلم قبله فأنف وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علىّ فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى ابى جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا اباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد اسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (اتصبرون) اى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغنى فتنة الفقير يقول مالى لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) اى بمن صبر وبمن جزع (ق) عن ابى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر من هو دونه فى المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لاتزدروا نعمة الله عليكم * قوله تعالى (وقال الذين لايرجون لقاءنا) اى لايخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا انزل علينا الملائكة) فتخبرنا ان محمدا صادق (او نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) اى تعظموا (فى انفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوّا كبيرا) اى طغوا وقيل عتوّا فى القول وهو اشد الكفر والفحش وعتوّهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به * قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) اى عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشرى يومئذ للمجرمين) وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لابشرى لكم وقيل لابشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة ورأوا مايكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة * قوله عز وجل (وقدمنا الى ما عملوا من

انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون (ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى لا نكلف كل احد بمقامات السابقين فانها مقامات لا يبلغها الا الافراد كما قيل جل جناب الحق ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد بل كل مكلف بما يقتضيه استعداده بهويته من كماله اللائق به وهو غاية وسعه (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ او امّ الكتاب (ينطق بالحق) بمراتب استعداد كل نفس وحدود كمالاتها وغاياتها وماهو حق كل منها (وهم لايظلمون) بمنعهم عدو حرمانهم اذا جاهدوا فيه وسعوا فى طلبه بالرياضة بل يعطى كل ماامكنه الوصول اليه ومايشتاقه فى السلوك اليه (بل قلوبهم) قلوب المحجوبين (فى غمرة) غشاوات الهيولى وغفلة غامرة (من هذا) السبق وطلب الحق (ولهم اعمال من دون ذلك) على خلاف ذلك موجبة للبعد عن هذا الباب وتكاثف الحجاب اى كانّ اعمال السابقين

عمل) يعنى من اعمال البر التى عملوها فى حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) اى باطلا لاثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهباء هو ما يرى فى الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدى ولا يرى فى الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ماتسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو مايسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار * قوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ) اى يوم القيامة (خير مستقرا) اى من هؤلاء المشركين المستكبرين (واحسن مقيلا) اى موضع القائلة وذلك ان اهل الجنة لايمر بهم يوم القيامة الاقدر من اول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة قال ابن مسعود لاينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لانوم فيها قال ابن عباس الحساب فى ذلك اليوم فى اوله وروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس * قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) اى عن الغمام وهو غمام ابيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن فى الارض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن فى السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التى تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) اى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لاملك يقضى غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) اى شديدا وفيه دليل على انه لايكون على المؤمنين عسيرا اى شديدا وفيه دليل على انه لايكون على المؤمنين عسيرا وجاء فى الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا * قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) اراد بالظالم عقبة بن ابى معيط وذلك انه لايقدم من سفر الاصنع طعاما ودعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بآكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فلما اخبر ابى بن خلف قال له ياعقبة صبأت قال لاوالله ماصبات ولكن دخل على رجل فابى ان يأكل طعامى الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا الذى ارضى عنك ابدا الا ان تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لااراك خارجا من مكة الاعلوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما بزق عقبة فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فى وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابى معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعنى عقبة بن ابى معيط بن امية

موجبة الترقى فى النبوة وكشف الغطاء والوصول الى الحق فاعمالهم موجبة للتسفل والتكدر وغلظ الحجاب والطرد عن باب الحق لكونها فى طلب الدنيا وشهواتها وهوى النفس ولذاتها (هم لها عاملون) دائبون عليها مواظبون (حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذاهم يجارون لاتجاروا اليوم انكم منا لاتنصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) وكلما سمعوا ذكر الآيات والكمالات ازدادوا عتوا وانهماكا فى الغى واستكبارا وتعمقا فى الباطل وهو النكوص على الاعقاب الى مهاوى جحيم الطبيعة * ولما ابطلوا استعداداتهم واطفؤا انوارها بالرين والطبع على مقتضى قوى النفس والطبع واشتد احتجابهم بالغواشى الهيولانية والهيئات الظلمانية عن نور

بن عبد مناف على يديه اى ندما واسفا على مافرط فى جنب الله ولوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده اكلها على مافعل تحسرا وندامة (يقول ياليتنى اتخذت) اى فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) اى ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية (ياويلتى) دعا على نفسه بالويل (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) قيل يعنى ابى بن خلف (لقد اضلنى عن الذكر) اى عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءنى) يعنى الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) اى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابوداود والترمذى ولهما عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصاحب الامؤمنا ولايأكل طعامك الاتقى * قوله عز وجل (وقال الرسول) يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) اى متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوا قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) اى وكما جعلت لك اعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبى عدوا من المجرمين) اى المشركين والمعنى لايكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قدلقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولانزل عليه القرآن جملة واحدة) اى كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) اى انزلناه مفرقا لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤن وانزلنا القرآن على نبى امى لايكتب ولايقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ماهو جواب لمن سأل عن امور تحدث فى اوقات مختلفة ففرقناه ليكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وبيناه بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يعنى يامحمد هؤلاء المشركين (بمثل) اى يضربونه لك فى ابطال امرك (الا جئناك بالحق) اى بما ترد به ماجاؤا به من المثل وتبطله فسمى مايوردون من الشبه مثلا وسمى مايدفع به الشبه حقا (واحسن تفسيرا) اى احسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) اى هم الذين (يحشرون) اى يساقون ويجرون (على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا) اى منزلا ومصيرا (واضل سبيلا) اى اخطأ طريقا * قوله تعالى

الهدى والعقل لم يمكنهم تدبر القوى ولم يفهموا حقائق التوحيد والعدل فنسبوه الى الجنة ولم يعرفوه لتقابل بين النور والظلمة والتضاد بين الباطل والحق وانكروه وكرهوا الحق الذى جاء به (ولو اتبع الحق) الذى هو التوحيد والعدل اى الدعوة الى الذات والصفات (اهواءهم) المتفرقة فى الباطل الناشئة من النفوس الظالمة المظلمة المحتجبة بالكثرة عن الوحدة لصار باطلا لانعدام العدل الذى قامت به السموات والارض والتوحيد الذى قامت به الذوات المجردة اذ بالوحدة بقاء حقائق الاشياء وبظلها الذى هو العدل ونظام الكثرات قوام الارض والسماء فلزم فساد الكل (لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه هو طريق التوحيد المستلزم لحصول العدالة فى النفس ووجود المحبة فى القلب

(ولقد)

(ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) اى معينا وظهيرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى القبط (فدمرناهم) فيه اضمار اى فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) اى اهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) اى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (اغرقناهم وجعلناهم للناس آية) اى عبرة لمن بعدهم (واعتدنا للظالمين) فى الآخرة (عذابا اليما) اى سوى ماحل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا (وعاد وثمود) اى اهلكنا عاد وثمود (واصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان اهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا اصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيبا فبينما هم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبى يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) اى واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود واصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) اى فى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) اى اهلكناهم اهلاكا * قوله تعالى (ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى اهلك الله منها اربعا ونجت واحدة وهى اصغرها وكان اهلها لايعملون العمل الخبيث (افلم يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم (بل كانوا لايرجون نشورا) اى لايخافون بعثا * قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا) نزلت فى ابى جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزئا (اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) اى قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) اى فى الآخرة عيانا (من اضل سبيلا) اى اخطأ طريقا (ارأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس ارأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ماحاله عندى وقيل الهوى اله يعبد (افانت تكون عليه وكيلا) اى حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة مايهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبى نسختها آية القتال (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون) اى ماتقول سماع طالب الافهام (او يعقلون) اى مايعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التى تقدمت لانهم لشدة عنادهم لايسمعون القول واذا سمعوه لايتفكرون فيه فكأنهم لاسمع لهم ولاعقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (ان هم) اى ماهم (الا كالانعام) اى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى (بل هم اضل سبيلا) لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها هؤلاء الكفار لايعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لايفعلون ذلك * قوله تعالى (الم تر الى ربك كيف مد الظل) هو مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا

وشهود الوحدة فى الروح (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذاهم فيه مبلسون وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلاتعقلون بل قالوا مثل ماقال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون

لانه ظل لاشمس معه (ولوشاء لجعله ساكنا) اى دائما ثابتا لايزول ولاتذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضا يسيرا) اى بالشمس التى تاتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزا جزا قبضا خفيفا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) اى سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذى يشتمل على لابسه (والنوم سباتا) اى راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم (وجعل النهار نشورا) اى يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر (وانزلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى واراد به المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب اصحاب الراى الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع فى الماء شئ غير طعمه اولونه اوريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيأ لايمكن صون الماء عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار فيجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث فى قراره وكذلك لو وقع فيه مالا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته يجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضؤ به وان لم يتغير احد اوصافه نظر ان كان الواقع شيأ طاهرا لايزيل طهوريته يجوز الوضؤ به سواء كان الماء قليلا اوكثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء اقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادى يدل على ماروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون فى الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابوداود والترمذى وهذا قول الشافعى واحمد واسحق وجماعة من اهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لاينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير احد اوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لاينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه اولونه اوريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعى والزهرى واحتجوا بما روى عن ابى سعيد الخدرى قال قيل يارسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لاينجسه شئ وفى رواية قال قلت يارسول الله اتتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لاينجسه شئ * وقوله تعالى (لنحيى به) اى بالمطر (بلدة ميتا) قيل اراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) اى نسقى من ذلك الماء (انعاما واناسى كثيرا) اى بشرا كثيرا والاناسى جمع انسى وقيل جمع انسان * قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة اخرى وقال ابن عباس ما عام بأمطر

(من)

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) والذين يحتجبون من عالم النور بالظلمات ومن العقل بالحس ومن القدس بالرجس انما هم منهمكون فى الظلم والبغضاء والعداوة والركون الى الكثرة فلاجرم انهم عن الصراط لناكبون منصرفون الى ضده فهو فى واد وهم فى واد (ادفع بالتى هى احسن السيئة) اى اذا اقابلك احد بسيئة فتثبت فى مقام القلب وانظر اى الحسنات احسن فى مقابلتها لتقمع بها نفس صاحبك وتنكسر فترجع عن السيئة وتندم ولاتدع نفسك تظهر وتقابله بمثلها فتزداد حدة نفسه وسورتها وتزيد فى السيئة فانك ان قابلته بحسن الحسنات ملكت نفسك وغلبت شيطانك وثبت قلبك واستقمت على ما امرك الله به وحصلت على فضيلة الحلم وتمكنت

من علم ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا مامن ساعة من ليل ولانهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة اخرى ولكن الله عزوجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى هذه السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيا فى والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكروا) اى ليتذكروا ويتفكروا فى قدرة الله تعالى (فابى اكثر الناس الاكفورا) اى جحودا وكفرهم هوانهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهنى انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فامن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب * قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) اى رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما اعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلاتطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم (وجاهدهم به) اى بالقرآن (جهادا كبيرا) اى شديدا * قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين) اى خلطهما وافاض احدهما على الآخر وقيل ارسلهما فى مجاريهما (هذا عذب فرات) اى شديد العذوبة يميل الى الحلاوة (وهذا ملح اجاج) اى شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) اى حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) اى سترا ممنوعا فلا يبغى احدهما على الاخر ولا يفسد الملح العذب * قوله تعالى (وهو الذى خلق من الماء) اى من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) اى جعله ذانسب وصهر وقيل النسب مالايحل نكاحه والصهر مايحل نكاحه والنسب مايوجب الحرمة والصهر مالايوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعهما قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه فى تفسير سورة النساء (وكان ربك قديرا) على ماارادحيث خلق من النطفة الوحدة نوعين من البشر الذكر والانثى (ويعبدون من دون الله) يعنى هؤلاء المشركين (مالاينفعهم) اى ان عبدوه (ولايضرهم) اى ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) اى معينا اعان الشيطان على ربه بالمعاصى لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم يلتفت اليه وقيل اراد بالكافر اباجهل والاصح انه عام فى كل كافر * قوله تعالى (ومارسلناك الامبشرا) اى بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يامحمد (مااسئلكم عليه) اى على تبليغ الوحى (من اجر) فتقولوا انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلانتبعه (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعل هذا يكون المعنى لاأسألكم لنفسى اجرا ولكن امنع من انفاق المال الافى طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته * قوله عزوجل (وتوكل على الحى الذى لايموت) معناه

على مقتضى العلم واستقررت فى طاعة الرحمن ومعصية الشيطان واضفت الى حسنتك اصلاح نفس صاحبك وملكتها ان كان فيه ادنى مسكة وقوتها وشددتها وتلك حسنة اخرى لك فكنت حائزا للحسنيين وان عكست كنت جامعا للسوأتين (نحن اعلم بما يصفون)اى كل المسئ الى علم الله واعلم ان الله عالم به فيجازيه عنك ان كان مستحقا للعقوبة وهو اقدر منك عليه او يعفو عنه ان امكن رجوعه وعلم صلاحه بالعفو عنه * واستعذ بالله من سورة الغضب وظهور النفس بنخس الشيطان وهمزه اياها ومن حضوره وقربه اى توجه الى ربك مستعيذا به قائلا (وقل رب اعوذبك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون) منخرطا فى سلك التوجه الى جنابه بالقلب واللسان والاركان لانه بابه من تحريضات اللعين ودواعيه وحضوره فيصير مقهور امرجوما مطرودا * والموصوف بالسيئة الوا صف لك بها الذاكر لك بالسوء ان بقى على حاله

انه سبحانه وتعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لايطلب منهم اجرا البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لايموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لايموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) اى صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لايحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة * قوله عز وجل (الذي خلق السموات والارض ومابينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) اى فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه ايها الانسان لاترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) اى مانعرف الرحمن الارحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (انسجد لما تأمرنا) انت يامحمد (وزادهم) اى قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) اى من الايمان والسجود

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراءتها * قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثناعشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال ادرك مافاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن اراد ان يذكر) اى يتذكر ويتعظ (او اراد شكورا) يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما * قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء اصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلاما) اى سدادا من القول يسلمون فيه لايسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال ويروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين اواكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله

حتى اذا احتضر وشاهد امارات العذاب وعاين وحشة هيئات السيئات تمنى الرجوع واظهر الندامة ونذر العمل الصالح في الايمان الذي ترك ولم يحصل الا على الحسرة والندامة والتلفظ بالفاظ التحسر والتندم والدعوة دون المنفعة والفائدة والاجابة (حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور) اى امام رجوعهم حائل من هيئات جرمانية ظلمانية مناسبة لهيئات سيئاتهم من الصور المطلقة مانعة من الرجوع الى الحق والى الدنيا وهو البرزخ بين مجرى النور والظلمة وعالم الارواح المجردة والاجساد المركبة يتعذبون فيه باشد انواع العذاب وافحش اصناف العقاب الى وقت البعث في الصورة الكثيفة عند النفخ في الصور ووقوع القيامة وحشر الاجساد وحينئذ (فلا انساب بينهم) الاحتجاب بعضهم عن بعض بالهياكل المناسبة لاخلاقهم واعمالهم وهيئاتهم الراسخة

صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليله * قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اى ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) اى موضع قرار واقامة (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لابد منه وهو ان لايجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف (وكان بين ذلك قواما) اى قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية نزلت في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام مايسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب مايسترون به العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا ان لايشتهى شيأ الا اشتراه فأكله (والذين لايدعون مع الله الها آخر)(ق) عن ابن عباس ان اناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لايدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يارسول الله اى الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق اثاما) اى ومن يفعل شيئا من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد في جهنم وروى في الحديث ان الغي والاثام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد اهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخلد فيه مهانا) اى ذليلا * قوله تعالى (الا من تاب) اى عن ذنبه (وآمن) اى بربه (وعمل عملا صالحا) اى فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لايدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل مافرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر * وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر اهل الجنة دخولا الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه

في نفوسهم المكتوبة عليهم فلا يتعارفون (يومئذ ولا يتساءلون) لشدة مابهم من الاهوال وذهولهم عما كان بينهم من الاحوال وتنقطع العلائق والوصل التي كانت بينهم لتفرقهم بانواع العذاب واسباب الحجاب وتغير صورهم وجلودهم وتبدل اشكالهم ووجوههم على حسب اقتضاء معايبهم وصفات نفوسهم وهو معنى قوله (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) وذلك غلبة الشقوة وسورة العاقبة الموجبة للخسء والطرد والبعد واللعن كخسء الكلاب (الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى

صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت اشياء لا اراها ههنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا فى التوبة من غير ماسبق ذكره فى الآية الاولى من القتل و لزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعنى ادى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) اى يعود اليه بعد الموت (متابا) اى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهى قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية ايضا فى التوبة عن جميع السيآت ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى * قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعنى الشرك وقيل هى شهادة الزور (ق) عن ابى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به فى اسواق وقيل لا يشهدون الزور يعنى اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعد اول الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور حقيقة تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق (واذا مروا باللغو) هو كل ما يجب ان يلغى ويترك (مروا كراما) يعنى اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اى مسرعين معرضين وهوان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه انه ليس فيه نفى الخرور انما هو اثبات له ونفى الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها بآذان واعية واقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يخروا اى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم بآذانهم صمم وباعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه * قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) اى ابرارا اتقياء صالحين فيقرون اعيننا بذلك قيل ليس شئ اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه فى الجنة فيتم سروره تقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) اى ائمة يقتدون فى الخير بنا وقيل معناه نقتدى بالمتقين ويقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله ان يبلغهم فى الطاعات المبلغ الذى يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة فى الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب

انسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين) قال ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين الاحتجاب فى البرزخ المذكور انساهم مدة اللبث وانما استقصروها لانقضائها وكل منقض فهو ليس بشئ ولهذا صدقهم بقوله (قال ان لبثتم الا قليلا) ومعنى (لو انكم كنتم تعلمون) انكم حسبتموها كثيرا فاغتررتم بها وفتنتم بلذاتها وشهواتها ولو علمتموها قليلا لتزودتم وتجردتم عن تعلقاتها (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر) هيئت المعلقات (وارحم) بافاضة الكمالات (وانت خير الراحمين)

(سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات

هنا واجعل للمتقين اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (اولئك يجزون) اى يثابون (الغرفة)
الدرجة العالية الرفيعة فى الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت فى الجنة
(بما صبروا) اى على طاعة الله تعالى واوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات
(ويلقون فيها تحية) اى ملكا وقيل بقاء دائما (سلاما) اى يسلم بعضهم على بعض او يرسل الرب
عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما اى سلامة من الآفات * قوله تعالى (خالدين فيها حسنت
مستقرا ومقاما) اى موضع قرار واقامة * قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربى) اى ما يصنع وما يفعل
بكم فوجوده وعدمكم سواء وقيل معناه اى وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه قيل معناه
لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر
وقيل معناه ما يعبأ بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا
قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبأ اى ما يبالى بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه خلقتكم
ولى اليكم حاجة الا ان تسألونى فأعطيكم وتستغفرونى فاغفر لكم (فقد كذبتم) ايها الكافرون
يخاطب اهل مكة يعنى ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم اى يكون تكذيبهم
لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى
التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا
وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابى بن كعب يعنى
انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس
قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفى رواية الدخان والقمر والروم واللزام
والبطشة والله سبحانه وتعالى اعلم

* (تفسير سورة الشعراء) *

وهى مكية الا اربع ايات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهى مائتان وسبع
وعشرون آية والف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة واربعون حرفا روى عن ابن
عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه الصلاة والسلام

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن تفسيرها وفى رواية اخرى
عنه انه قسم وهو من اسماء الله تعالى وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل اقسم
بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) اى هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن
فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام اجمع ثبت
بذلك ان آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) اى قاتل نفسك (ان
لا يكونوا مؤمنين) اى لم يؤمنوا وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على
ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين)
اى لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى احد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى
وقيل معناه لو شاء الله لاراهم امرا لا يعمل احد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجئ

والزانى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة ولا تأخذ
كم بهما رافة فى دين الله
ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين
الزانى لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك وحرم
ذلك على المؤمنين والذين
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم
شهادة ابدا واولئك هم
الفاسقون الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان
الله غفور رحيم والذين
يرمون ازواجهم ولم
يكن لهم شهداء الا انفسهم
فشهادة احدهم اربع
شهادات بالله انه لمن الصادقين
والخامسة ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين ويدرؤا
عنها العذاب ان تشهد اربع
شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها
ان كان من الصادقين ولولا
فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم ان الذين
جاؤا بالافك عصبة منكم
لا تحسبوه شرا لكم بل هو
خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم
والذى تولى كبره منهم

خاضعين خبراعن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله اولما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم اى فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس اى جماعة ✿ قوله تعالى (ومايأتيهم من ذكر من الرحمن) اى وعظ وتذكير (محدث) اى محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو احدث من الاول (الاكانوا عنه معرضين) اى من الايمان به (فقد كذبوا فسيأتيهم) اى فسوف يأتيهم (انباء) اى اخبار وعواقب (ما كانوا به يستهزؤن اولم يروا الى الارض) يعنى المشركين (كم انبتنا فيها) اى بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) اى جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبى الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان فى ذلك) اى الذى ذكر (لآية) تدل على انه واحد اى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفى كل شئ له آية ✿ تدل على انه واحد

(وما كان اكثرهم مؤمنين) اى سبق علمى فيهم ان اكثرهم لايؤمنون ولايصدقون (وان ربك لهو العزيز) اى المنتقم من اعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لاوليائه ✿ قوله تعالى (واذ نادى) اى واذكر يامحمد اذ نادى (ربك موسى) اى حين رأى الشجرة والنار (ان ائت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعنى القبط (الايتقون) اى يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به (قال) يعنى موسى (رب) اى يارب (انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى) اى بتكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) اى للعقدة التى كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازرنى ويعيننى على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) اى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فاخاف ان يقتلون) اى به (قال) الله تعالى (كلا) اى لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون) اى سامعون ماتقولون ومايقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب (فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) فان قلت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فائتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون مافهت عندهم ✿ بشئ ولاارسلتهم برسول

اى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (ان ارسل معنا بنى اسرائيل) اى خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولاتستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين الفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون بها فاخبره [illegible] وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هرون ان الله قد ارسلنى الى فرعون وارسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما فصاحت وقالت ان فرعون [illegible]

له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فاولئك عندالله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذتلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هيناوهو عندالله عظيم ولولا اذسمعتموه قلتم مايكون لناان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لاتعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم يا ايها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله

[illegible] لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال انا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته (فقال) له (الم نربك فينا وليدا) اى صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) اى ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتلت القبطى (وانت من الكافرين) قال اكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لاقبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون والهيته (قال) يعنى موسى (فعلتها اذا وانا من الضالين) اى من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين (ففررت منكم) اى الى مدين (لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) يعنى النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) اى اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية اوتلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم انس يوم الرحيل وقفتها * وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة * تتركنى هكذا وتنطلق

اى اتتركنى والمعنى اتمن على ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة اى يريد كيف تمن على بالتربية وقد استعبدت قومى ومن اهين قومه فقد ذل فتعبد اسرائيل قد احبط حسناتك الى ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ارفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من اهلى من يربينى ولم يلقونى فى اليم (قال فرعون ومارب العالمين) يقول اى شئ رب العالمين الذى تزعم انك رسوله اى يستوصف الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله وآثار قدرته التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ان كنتما [illegible] فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا [illegible] عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعانى اى كما توقنون هذه الاشياء التى تعاينونها فايقنوا ان الهها الخالق هو الله تعالى الذى خلقها واوجدها فلما قال ذلك موسى [illegible] فى جواب موسى (قال لمن حوله) اى من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة [illegible] عليهم الاسورة (الا تستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى [illegible] وقيل انهم كانوا يعتقدون

سميع عليم ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) انما عظم امر الافك وغلظ فى الوعيد عليه بما لم يغلظ فى غيره من المعاصى وبالغ فى العقاب عليه بما لم يبالغ به فى باب الزنا وقتل النفس المحرمة لان عظم الرذيلة وكبر المعصية انما يكون على حسب القوة التى هى مصدرها فلو تفاوت حال الرذائل فى جنب صاحبها من الحضرة الالهية والانوار القدسية وتوريطه فى المهالك الهيولانية والمهاوى الظلمانية على حسب تفاوت مبادئها فكلما كانت القوة

ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى
ذكر ماهو اقرب اليهم فقال ربكم يعنى انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعنى فرعون
(ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون) يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب
بالآثار الخارجة وهذا لايفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لايفهم السؤال فضلا عن ان
يجيب عنه ويتكلم بكلام لانقبله ولانعرف صحته وكان عندهم ان من لايعتقد مايعتقدون ليس
بعاقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق
ثالث اوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم انه لاجواب عن سؤالك الاماذكرت
(قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيرى
لاجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه
فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده فردا لايسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين
توعده بالسجن (اولو جئتك بشئ مبين) اى بآية بينة والمعنى اتفعل ذلك ولو جئتك بحجة
بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق
بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأت به) اى انا لن نسجنك حينئذ (ان كنت من الصادقين
فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) قيل انها لما صارت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون فقال بالذى ارسلك الا اخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم
وأراه يده ثم ادخلها فى جيبه ثم اخرجها فاذا هى بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو
قوله (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملأ حوله ان
هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلهذا روّج فرعون هذا القول على قومه
ثم قال (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول
موسى (فماذا تأمرون) يعنى ما رأيكم فيه وما الذى اعمله فعند ذلك (قالوا ارجه واخاه) اى اخره
واخاه (وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) قيل ان فرعون اراد قتل موسى
فقالوا لاتفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة فى امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليقاوموه
ولاتثبت له عليك حجة * قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعنى يوم الزينة قال
ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل
انتم مجتمعون) اى انتظروا مايفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين) لموسى قيل اراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما
جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو
بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم
موسى القوا ماانتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) اى بعظمة فرعون
(انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف مايأفكون) اى مايقلبونه عن وجهه
وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل مارموه من حبالهم وعصيهم
ثم اخذها موسى فاذا هى كما كانت اول مرة (فألقى السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا

التى هى مصدرها ومبدؤها
اشرف كانت الرذيلة
الصادرة منها اردأ وبالعكس
لان الرذيلة ماتقابل
الفضيلة فلما كانت الفضيلة
اشرف كان يقابلها من
الرذيلة اخس والافك رذيلة
القوة الناطقة التى هى اشرف
القوى الانسانية والزنا رذيلة
القوة الشهوانية والقتل
رذيلة القوة الغضبية فحسب
شرف الاولى على الباقيتين
تزداد رداءة رذيلتها
وذلك ان الانسان انما يكون
بالاولى انسانا وترقيه الى
العالم العلوى وتوجهه الى
الجناب الآلهى وتحصيله
المعارف والكمالات
واكتسابه للخيرات
والسعادات انما يكون بها
فاذا فسدت بغلبة الشيطنة
عليها واحتجب عن النور
باستيلاء الظلمة حصلت
الشقاوة العظمى وحقت
العقوبة بالنار وهو الرين
والحجاب الكلى كلا بل ران
على قلوبهم ماكانوا يكسبون
كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ولهذا وجب
خلود العقاب ودوام العذاب
بفساد الاعتقاد دون فساد
الاعمال ان الله لايغفر
ان يشرك به ويغفر مادون
ذلك لمن يشاء واما الباقيتان

(مابادر)

ملبلوز حدالسحر علوا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون) اى لاضرر علينا فيما ينالنا فى الدنيا لانا لانقلب ونصير الى ربنا فى الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا) اى الكفر والسحر (ان) اى لان (كنا اول المؤمنين) اى من اهل زماننا وقيل اول المؤمنين اى من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع ❊ قوله تعالى (واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل اوحى الله الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اهل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا اولاد الضأن فاضربوا بدمائها على ابوابكم فانى سآمر الملائكة فتقتل ابكار آل فرعون من انفسهم وآمرهم ان لايدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا من انفسنا واخذوا اموالنا (فارسل فرعون فى المدائن حاشرين) يعنى الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن الف مدينة واثنى عشر الف قرية فارسل فرعون فى اثر موسى وقومه الف الف وخمسمائة الف وخرج فرعون فى الكرسى العظيم فى مائتى الف ملك مسورين مع كل ملك الف فلذلك قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة الف وسبعين الفا ولايحصى عدد اصحاب فرعون (وانهم لنا لغائظون) الغيظ الغضب يعنى انهم اغضبونا بمخالفتهم دينا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التى استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا (وانا لجميع حذرون) اى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون اى ذوو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحذر الذى يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لاتلقاه الاخائفا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وانهار جارية (وكنوز) يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) اى مجلس حسن قيل اراد مجالس الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) اى كما وصفنا (بنى اسرائيل) وذلك ان الله عزوجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال

فرذيلة كل منهما انما تعود بظهورها على الطبقية الملكية ثم ربما محيت بانقهارها وتسخرها لها عندسكون هيجانها وفتور سلطانها باستيلاء ظلمة النور وتسلطها عليها بالطبع كحال النفس اللوامة عند التوبة والندامة وربما بقيت بالاصرار وترك الاستغفار وفى الحالين لاتبلغ رذيلتهما مقام السر ومحل الحضور ومناجاة الرب ولاتجاوز حد الصدر ولاتصير الفطرة بها محجوبة الحقيقة منكوسه بخلاف تلك الاترى ان الشيطنة المغوية للآدمى ابعد عن الحضرة الالهية من السبعة والبهيمة وابعد بما لايقدره فالانسان برسوخ رذيلة الطبقية يصير شيطانا وبرسوخ الرذيلتين الاخريين يصير حيوانا كالبهيمة اوالسبع وكل حيوان ارجى صلاحا واقرب فلاحا من الشيطان ولهذا قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ونهى ههنا عن اتباع خطوات الشيطان فان ارتكاب مثل هذه الفواحش لايكون الا بمتابعته ومطاوعته وصاحبه يكون من جنوده واتباعه فيكون اخس منه واذل محروما

والاماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) اى لحق فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما تراءى الجمعان) اى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال اصحاب موسى انا لمدركون) اى سيدركنا فرعون وقومه ولاطاقة لنا بهم (قال) يعنى موسى لثقته بوعد الله تعالى اياه (كلا) اى لن يدركونا (ان معى ربى سيهدين) اى يدلنى على طريق النجاة (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق) اى فضربه فانشق (فكان كل فرق) اى قطعة من الماء (كالطود) اى الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لايوارى حافر دابته وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لايدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولالبده (وازلفنا ثم الآخرين) اى قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويقول للقبط رويدا ليلحق آخركم اولكم فكان بنو اسرائيل يقولون مارأينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارأينا احسن دعة من هذا الرجل (وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين) يعنى انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا فى البحر انطبق عليهم فاغرقهم (ان فى ذلك لآية) يعنى ماحدث فى البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام (وما كان اكثرهم مؤمنين) يعنى اهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ناموشا التى دلت على قبر يوسف حين اخرجه موسى من البحر (وان ربك لهو العزيز الرحيم) ◎ قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون) اى اى شئ تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليريهم ان مايعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ (قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين) اى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) اى يسمعون دعاءكم (اذ تدعون او ينفعونكم) يعنى بالرزق (او يضرون) اى ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلم يرجعوا الى الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لاتسمع قولا ولاتجلب نفعا ولاتدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا فى ذلك وفى الآية دليل على ابطال التقليد فى الدين ومدح الاخذ بالاستدلال (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) اى الاولون (فانهم عدو لى) اى اعداء لى وانما وحده على ارادة الجنس [illegible] كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لاتعقل قلت معناه فانهم عدو لى [illegible] ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء اطلق ابراهيم لفظ العداوة [illegible] من المقلوب اراد فانى عدو لهم لان من عاديته عاداك (الا رب العالمين) [illegible]

من فضل الله الذى هو نور هدايته محجوبا من رحمته التى هى افاضة كمال وسعادة ملعونا فى الدنيا والآخرة ممقوتا من الله والملائكة تشهد عليه جوارحه بتبدل صورها وتشوه منظرها خبيث الذات والنفس متورطا فى الرجس فان مثل هذه الخبائث لاتصدر الامن الخبيثين كما قال تعالى واما الطيبون المتنزهون من الرذائل فانما تصدر عنهم الطيبات والفضائل بستر الانوار الالهية صفات نفوسهم من المعانى والمعارف الواردة على قلوبهم (يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات

العالمين فانه ربى وولى وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ماتعبدون اعداءلى الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذى هو يطعمنى ويسقين) اى يرزقنى ويغذينى بالطعام والشراب (واذا مرضت) اصابنى مرض اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) اى يبرئنى ويعافينى من المرض (والذى يميتنى ثم يحيين) اى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة (والذى اطمع) اى ارجو (ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين) اى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين اكان ذلك نافعا له قال لاينفعه انه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لايصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لى حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل العلم والفهم (والحقنى بالصالحين) اى بمن سلف قبلى من الانبياء فى المنزلة والدرجة العلية (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) اى ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما فى الامم التى تجيء بعدى فأعطاه الله ذلك وجعل كل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) اى ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابى انه كان من الضالين) قيل دعا لابيه على رجاء ان يسلم فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه (ولاتخزنى) اى ولاتفضحنى (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى خالص من الشك والشرك فأما الذنوب فلايسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة (وازلفت الجنة) اى قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) اى اظهرت (للغاوين) اى للكافرين (وقيل لهم) يعنى يوم القيامة (اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) اى يمنعونكم من عذاب الله (او ينتصرون) لانفسهم (فكبكبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل القوا على رؤسهم (فيها) اى فى جهنم (هم والغاوون) يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس اجمعون) يعنى اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعنى العابدين والمعبودين (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) اى نعدلكم (برب العالمين) فنعبدكم (وما اضلنا) يعنى دعانا الى الضلال (الا المجرمون) يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعنى ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصى (فمالنا من شافعين) يعنى من يشفع لنا يعنى كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولاصديق حميم) اى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق فى المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول فى الجنة مافعل بصديق فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فمالنا من شافعين ولاصديق حميم ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم

يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الاماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الالبعولتهن او آبائهن او آباءبعولتهن اوابنائهن اوابناءبعولتهن اواخوانهن اوبنى اخوانهن اوبنى اخواتهن اونسائهن اوما ملكت ايمانهن اوالتابعين غيراولى الاربة من الرجال اوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مماملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين

القيامة (فلو ان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) اى انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) اى مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) اى المنتقم الذى لا يغلب وهو فى وصف عزته رحيم * قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) اى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم اخوهم نوح) اى اخوهم فى النسب لا فى الدين (الا تتقون) اى الا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصى (انى لكم رسول امين) اى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) اى بطاعته وعبادته (واطيعون) اى فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد (وما اسئلكم عليه من اجر) اى من جعل وجزاء (ان اجرى) اى ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) قيل كرره ليؤكده عليهم ويقره فى نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله فى مخالفتى وانا رسول الله ومعنى الثانى الا تتقون الله فى مخالفتى وانى لست آخذ منكم اجرا (قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون) اى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة (قال) يعنى نوحا (وما علمى بما كانوا يعملون) اى وما اعلم اعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم واحوالهم شئ انما كلفت ان ادعوهم الى الله تعالى ومالى الا ظواهر امرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر فى الديانات وقيل معناه انى لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) اى لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم (وما انا بطارد المؤمنين) اى عنى وقد آمنوا (ان انا الا نذير مبين) معناه اخوف من كذبنى فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا لئن لم تنته يانوح) اى عما تقول (لتكونن من المرجومين) اى من المقتولين بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من المشتومين (قال رب ان قومى كذبون فافتح) اى احكم (بينى وبينهم فتحا)اى حكما (ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) اى الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم اغرقنا بعد الباقين) اى بعد انجاء نوح ومن معه (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين) اى امين على الرسالة فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع) قال ابن عباس اى بكل شرف وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) اى علامة وهى العلم (تعبثون) اى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل ماخذ الماء يعنى الحياض (لعلكم تخلدون) اى كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) اى واذا اخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) اى قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم فى وصف البشر (فاتقوا الله واطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف

خلوا من قبلكم موعظة للمتقين الله نور السموات والارض) النور هو الذى يظهر بذاته وتظهر الاشياء به وهو مطلقا اسم من اسماء الله تعالى باعتبار شدة ظهوره وظهور الاشياء به كما قيل خفى لافراط الظهور تعرضت لادراكه ابصار قوم اخافش وحظ العيون الزرق من نور وجهه كشدة حظ للعيون العوامش ولما وجد بوجوده وظهر بظهوره كان نور السموات والارض اى مظهر سموات الارواح وارض الاجساد وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والاضاءة (مثل نوره)صفة وجوده وظهوره فى العالمين بظهوره به (ك) مثل(مشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) وهى اشارة الى الجسد لظلمته فى نفسه وتنوره بنور الروح الذى اشير اليه بالمصباح وتشبكه بشباك الحواس وتلألؤ النور من خلالها كحال المشكاة مع المصباح والزجاجة اشارة الى القلب المتنور بالروح المنور لما

والفاجر (واتقوا الذى امدكم بما تعلمون) اى اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم فقال (امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (انى اخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتمونى (عذاب يوم عظيم) وكان جوابهم ان (قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين) اى انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الاخلق الاولين) قرئ بفتح الخاء اى اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام اى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) اى انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين) اى فى الدنيا من العذاب (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) اى ثمرها الذى يطلع منها (هضيم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل منهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذى دخل بعضه فى بعض من النضج اوالنعومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين) وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم (فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين) قال ابن عباس اى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون فى الارض) اى بالمعاصى (ولا يصلحون) اى لا يطيعون الله فيما امرهم (قالوا انما انت من المسحرين) اى من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا) والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك (فأت بآية) يعنى على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعنى انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) اى حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) اى بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين) اى على عقرها لما رأوا العذاب (فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين) يعنى نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم) يعنى اتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى ادبار الرجال (بل انتم قوم عادون) اى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) اى من قريتنا (قال انى لعملكم من القالين) اى من التاركين المبغضين (رب نجنى واهلى مما يعملون) اى من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا) اى امرأته (فى الغابرين) اى بقيت فى المهلكين (ثم دمرنا الآخرين) اى اهلكناهم (وامطرنا عليهم مطرا) يعنى الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله عز وجل (كذب

هداه بالاشراف عليه تنور القنديل كله بالشعلة وتنويره لغيره وشبه الزجاجة بالكوكب الدرى لبساطتها وفرط نوريتها وعلو مكانها وكثرة شعاعها كما هو الحال فى القلب والشجرة التى توقد منها هذه الزجاجة هى النفس القدسية المزكاة الصافية شبهت لتشعب فروعها وتفنن قواها نابتة من ارض الجسد ومتعالية اغصانها فى فضاء القلب الى سماء الروح وصفت بالبركة لكثرة فوائدها ومنافعها من ثمرات الاخلاق والاعمال والمدركات وشدة نمائها بالترقى فى الكمالات وحصول سعادة الدارين وكمال العالمين بها وتوقف ظهور الانوار والاسرار والمعارف والحقائق والمقامات والمكاسب والاحوال والمواهب عليها وخصت بالزيتونة لكون مدركاتها جزئية مقارنة للواحق المادية كالزيتون فانه ليس كله لبا ولوفور قلة استعدادها للاشتعال والاستضاءة بنورها والعقل الفعال الواصل اليها بواسطة الروح والقلب كوفور الدهنية القابلة لاشتعال الزيتون ومعنى كونها لاشرقية

اصحاب الايكة المرسلين) اى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (اذ قال لهم شعيبا) لم يقل لهم اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وارسل اليهم (الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين) انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة (اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) اى الناقصين لحقوق الناس فى الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) اى بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاوّلين) يعنى الخليقة والامم المتقدمة (قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) اى قطعا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون) اى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعنى ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين (نزل به الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه امينا لانه مؤتمن على وحيه لانبيائه (على قلبك) يعنى على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب فى الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الاوان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الاوهى القلب اخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب اوحزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم * وقوله تعالى (لتكون من المنذرين) اى المخوفين (بلسان عربى مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه (وانه) يعنى القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لفى زبر الاوّلين) اى كتب الاوّلين (اولم يكن لهم آية) يعنى اولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه) يعنى يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم (علماء بنى اسرائيل) قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد * قوله تعالى (ولو نزلناه) يعنى القرآن (على بعض الاعجمين) جمع اعجمى وهو الذى لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو انزلنا القرآن على رجل ليس بعربى اللسان (فقرأه عليهم) يعنى القرآن (ما كانوا به مؤمنين)

ولاغربية انها متوسطة بين غرب عالم الاجساد الذى هو موضع غروب النور الآلهى وتستره بالحجاب الظلمانى وبين شرق عالم الارواح الذى هو موضع طلوع النور وبروزه عن الحجاب النورانى لكونها الطف وانور من الجسد واكثف من الروح (يكاد زيتها يضئ) زيت استعدادها من النور القدسى الفطرى الكامن فيها يضئ بالخروج الى الفعل والوصول الى الكمال بنفسه فتشرق (ولو لم تمسسه نار) العقل الفعال ولم يتصل به نور روح القدس لقوة استعداده وفرط صفائه (نور على نور) اى هذا المشرق بالاضاءة من الكمال الحاصل نور زائد على نور الاستعداد الثابت المشرق فى الاصل كانه نور متضاعف (يهدى الله لنوره) الظاهر بذاته المظهر لغيره بالتوفيق والهداية (من يشاء) من اهل العناية ليفوز بالسعادة (ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم) يعلم الامثال وتطبيقها ويكشف لاوليائه تحقيقها (فى بيوت) اى يهدى الله

اى لقالوا لانفقه قولك وقيل معنـاه لماآمنوا به انفة من اتبـاع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعنى ادخلنا الشرك والتكذيب (فى قلوب المجرمين لايؤمنون به) اى القرآن (حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) اى لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولارجعة لهم (افبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هـذا العذاب فانزل الله افبعذابنا يستعجلون (افرايت ان متعناهم سنين) اى كفار مكة فى الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ماكانوا يوعدون) يعنى العذاب (مااغنى عنهم ماكانوا يمتعون) اى فى تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا فى نعيم قط (وما اهلكنا من قرية الالها منذرون) اى رسل ينذرونهم (ذكرى) اى تذكرة (وماكنا ظالمين) اى فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) يعنى ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وماينبغى لهم) ان ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) اى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لمعزولون) اى محجوبون بالرمى بالشهب فلايصلون الى استراق السمع (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق على ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك * قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلى ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يامحمد ان لاتفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملاء لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى ابلغهم ماامرت به ففعلت ماامرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو اربعين رجلا يزيدون رجلا اوينقصونه فيهم اعمامه ابوطالب وحمزة والعباس وابولهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابولهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى فان هذا الرجل قدسبقنى الى ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فاعدلنا من الطعام مثل ماصنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى قدجئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقدامرنى الله عزوجل ان ادعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون اخى ووصيي وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يارسول الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى ثم قال هذا اخى ووصيي وخليفتى

لنوره من يشاء فى مقامات (اذن الله ان ترفع) ان يرفع بناؤها وتعلى درجاتها (ويذكر فيها اسمه) باللسان والمجاهدة والتخلق بالاخلاق فى مقام النفس والحضور والمراقبة والاتصاف بالاوصاف فى مقام القلب والمناجات والمكالمة والتحقيق بالاسرار فى مقام السر والمناغاة بالمشاهدة والتحصيل فى الانوار فى مقام الروح والاستغراق والانطماس والفناء فى مقام الذات (يسبح له فيها بالغدو والآصال) بالتزكية والتنزيه والتوحيد والتجريد والتفريد بغدو التجلى وآصال الاستتار (رجال) اى رجال افراد سابقون مجردون مفردون قائمون بالحق (لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله) باستبدال متاع العقبى بالدنيا فى زهدهم ولابيع انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فى جهادهم عن ذكر الذات (واقام الصلوة) صلاة الشهود فى الفناء (وايتاء الزكوة) زكاة الارشاد والتكميل حال البقاء (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب) الى الاسرار (والابصار) الى البصائر بل تتقلب حقايقها بان تفنى

فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبالك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب مااغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش اوكلمة نحوها اشتروا انفسكم لااغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لااغني عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لااغني عنك من الله شيأ وياصفية عمة رسول الله لااغني عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ماشئت من مالي لااغني عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يابني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يريد اهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع (واخفض) اي الن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت مامعنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك) اي فيما تأمرهم به (فقل اني بريء مما تعملون) اي من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته (الذي يراك حين تقوم) اي الى صلاتك وقيل يراك اينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك في الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله مايخفى علي خشوعكم ولاركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المؤمنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة (انه هو السميع) اي لقولك ودعائك (العليم) اي بنيتك وعملك قل يامحمد (هل انبئكم) اي اخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم يتنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل افاك) اي كذاب (اثيم) اي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الانس

وتوجد بالحق كما قال كنت سمعه وبصره من ظهور البقية وبقاء الانية (ليجزيهم الله) بالوجود الحقاني (احسن ماعملوا) من جنات الافعال والنفوس والاعمال (ويزيدهم من فضله) من جنات القلوب والصفات (والله يرزق من يشاء) من جنات الارواح والمشاهدات (بغير حساب) لكونه اكثر من ان يحصى ويقاس (والذين كفروا) حجبوا من الذين (اعمالهم) التي يعملونها رجاء الثواب (كسراب بقيعة) لكونها صادرة عن هيئات خالية قائمة بساهرة نفس حيوانية (يحسبه الظمآن ماء) اي يتوهمها صاحبها المؤمل لتوهما امورا باقية لذيذة دائمة مطابقة لما توهمه (حتى اذاجاءه) في القيامة الصغرى (لم يجده شيأ) موجودا بل خاليا فاسدا وظلا كاذبا كما قال تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) اي وجد ملائكة الله من زبانية القوى والنفوس السماوية

(وهو

وهوقوله تعالى (يلقون السمع) اى مايسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبدالله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن ابي وهب المخزومى ومسافع بن عبدمناف وابو عمرو بن عبدالله الجمحى وامية بن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا يروون منهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفى رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (الم تر انهم فى كل واد) من اودية الكلام (يهيمون) يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه لامقصد له وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لايطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لفنون الكلام والغوص فى المعانى والقوافى (وانهم يقولون مالايفعلون) اى انهم يكذبون فى شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لايفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل فى الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكان ماترمونهم به نضح النبل * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى اسرع فيهم من نضح النبل اخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى وقد روى فى غير هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبدالله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم موتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح او فاخر

والارضية عند ذلك التخيل الموهوم يقودونه الى نيران الحرمان وخزى الخسران ويوفونه مايناسب اعتقاده الفاسد وعمله الباطل من حجيم الجهل وغساق الظلمة (او كظلمات فى بحر لجى) فى بحر الهيولى اللجئ العميق الغامر الجثة كل نفس جاهلة محجوبة بهيئات بدنية الغامس لكل مايتعلق به من القوى النفسانية (يغشاه موج) موج الطبيعة الجسمانية (من فوقه موج) موج النفس النباتية (من فوقه سحاب) سحاب النفس الحيوانية وهيئاتها الظلمانية (ظلمات) متراكمة (بعضها فوق بعض اذا اخرج) المحجوب بها المنغمس المحبوس فيها (يده) القوة العاقلة النظرية بالفكر (لم يكد يراها) لظلمتها وعمى بصيرة صاحبها وعدم اهتدائه الى شئ وكيف يرى الاعمى الشئ الاسود فى الليل البهيم (ومن لم يجعل الله له نورا) باشراق انوار الروح عليه من التأييد القدسى والمدد العقلى (فماله من نور الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض) عالم سموات الارواح بالتقديس

من رسول الله (م) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال صلى الله عليه وسلم لاتعجل فان ابابكر اعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقام يارسول الله قد لخص لى نسبك والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لايزال يؤيدك مانا فحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء * هجوت محمدا برا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء * فان ابى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع من طرفى كداء * يبارين الاعنة مصعدات
على اكتافها الاسل الظماء * تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد ارسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * لنا فى كل يوم من معد
سباب أو قتال او هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس له كفاء

* (فصل فى مدح الشعر) * (خ) عن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابوداود (م) عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت وراء النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد فى رواية لقد كاد يسلم فى شعره * عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن فبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبى كان ابوبكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على اشعر منهما وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشده فى المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التى قالها فقال

امن آل نعمى انت غاد فبكر * غداة غد ام رائح فمهجر

فانشده القصيدة الى آخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من بعد ماظلموا) اى انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم اوعد شعراء

واظهار صفاته الجمالية (ومن فى الارض) عالم اراضى الاجساد بالتحميد والتعظيم واظهار صفاته الجلالية وطير القوى القلبية والسرية بالامرين (والطير صافات) مترتبات فى مراتبها من فضاء السر مستقيمات بنور السكينة لاتتجاوز واحدة منها حدها كما قال ومامنا الاله مقام معلوم (كل قد علم صلاته) طاعته المخصوصة به من انقهاره وتسخره تحت قهره وسلطنته علية كانت او علية ومن محافظته لتربيته وحضوره لوجهه تعالى فيما امره به (وتسبيحه) اظهار خاصيته التى ينفرد بها الشاهدة على وحدانيته (والله عليم بما يفعلون) بافعالهم وطاعاتهم (ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجى سحابا) برياح النفحات والارادات سحاب العقل فروعا منتزعة من الصور الجزئية ثم يؤلف فيه على ضروب المتألفات المنتجة (ثم يجعله ركاما) حججا وبراهين (فترى الودق) ودق النتائج والعلوم اليقينية (يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال) سماء الروح من جبال انوار

المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا) اى اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المطهر من الهجاء (اى منقلب ينقلبون) اى اى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة النمل وهى مائتان وثلاثون وست آيات والف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة واربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) اى هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) اى وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) اى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) اى الخمس بشرائطها (ويؤتون الزكوة) اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) اى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم فى القلب بما فيه المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يعمهون) اى يترددون فيها متحيرين (اولئك الذين لهم سوء العذاب) اى اشده وهو القتل والاسر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) اى انهم خسروا انفسهم واهليهم وساروا الى النار * قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) اى تؤتاه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) اى حكيم عليم بما انزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هى العلم بالامور العملية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف (اذ قال) اى واذكر يا محمد اذ قال (موسى لاهله) اى مسيره باهله من مدين الى مصر (انى آنست) اى ابصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) اى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (او آتيكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى احد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) اى تستدفئون من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار) اى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب فى التوراة جاء الله من سيناء واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعير بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه

السكينة واليقين الموجبة للوقار والطمأنينة والاستقرار (فيها من برد) اى فى تلك الجبال من برد الحقائق والمعارف الكشفية والمعانى الذوقية او من جبال فى السماء وهى معادن العلوم والكشوف وانواعها فان لكل علم وصنعة معدنا فى الروح ثابتا فيه بحسب الفطرة يفيض منه ذلك العلم ولهذا يتأتى لبعضهم بعض العلوم بالسهولة دون بعض ويتأتى لبعضهم اكثرها ولا يتأتى لبعضهم شئ منها وكل ميسر لما خلق له اى ينزل من سماء الروح من الجبال التى فيها برد المعارف والحقائق (فيصيب به من يشاء) من القوى الروحانية (ويصرفه عمن يشاء) من القوى النفسانية والنفوس المحجوبة (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) اى بوارق ذلك البرد وهو ما يقدمه من الانوار الملتمعة التى لا تلبث ولا تستقر بل تلمع وتخفى الى ان تصير متمكنة تذهب بابصار البصائر حيرة ودهشا وكلما زاد ازدادت تحيرا ولهذا قال عليه السلام رب زدنى تحيرا اى علما ونورا (يقلب الله الليل والنهار) ليل ظلمة

من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله
(ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه انا الله وهذا
تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوى القادر على مايبعد من الاوهام
كقلب العصا حية وهو قوله (والق عصاك) تقديره فالقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز)
اى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) اى هرب
من الخوف (ولم يعقب) اى لم يرجع ولم يلتفت * قال الله تعالى (ياموسى لاتخف انى لايخاف
لدى المرسلون) يريد اذا امنتهم لايخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال
النبى صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) قيل
هو مايصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل ان يكون المراد منه التعريض بما
وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى
ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله قال ابن جريج قال الله تعالى
لموسى انما اخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لايخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه
اخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم
ابتدا الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه
تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين
لانه لايجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لايخاف لدى المرسلون انما الخوف
عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب
وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم اى اغفرله وازيل خوفه وقيل الاهنا بمعنى ولا معناه
ولايخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم
ثم ان الله تعالى اراه آية اخرى فقال تعالى (وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت
عليه مدرعة صوف لاكم لها ولا ازار فأدخل يده فى جيبها واخرجها فاذا هى تبرق مثل شعاع
الشمس اوالبرق (من غير سوء) اى من غير برص (فى تسع آيات) اى آية مع تسع آيات انت
مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وقيل فى بمعنى من أى من تسع
آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة
(فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أى بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أى الذى نراه (سحر مبين) اى
ظاهر (وجحدوا بها) أى أنكروا الآيات ولم يقروا انها من عندالله (واستيقنتها أنفسهم) اى
علموا انها من عندالله والمعنى انهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلما وعلوا)
اى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى الغرق
* قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) اى علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح
الطير والجبال وسلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) اى بالنبوة
والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) اراد بالكثير الذين فضلا
عليهم من لم يؤت علما اولم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل

النفس ونهار نور الروح فان
يغلب تارة نور الروح فينور
القلب والنفس ويعقبه
اخرى ظلمة النفس فالظهور
فتكدر وتكدر القلب
فى التلوينات (ان فى ذلك
لعبرة لاولى الابصار) يعتبرها
اولوا الابصار القلبية اوذو
والبصائر فيلتجؤن الى الله
فى التلوينات وظلم النفس
ويلوذون بجناب الحق
ومعدن النور ويعبرون
الى مقام السر والروح
فينكشف عنهم الحجاب (والله
خلق كل دابة)من اصناف
دواب الدواعى التى تدب
فى اراضى النفوس وتبعثها
الى الاعمال (من ماء)
مخصوص اى علم مناسب
لتلك الداعية المتولدة منه
فان منشأ كل داعية ادراك
مخصوص (فمنهم من يمشى
على بطنه) ويزحف
فى الطبيعة ويحدث الاعمال
البدنية الطبيعية (ومنهم
من يمشى على رجلين)
من الدواعى الانسانية
فيحدث الاعمال الانسانية
والكمالات العملية (ومنهم
من يمشى على اربع) من
الدواعى الحيوانية فيبعث
على الاعمال السبعية والبهيمية
(يخلق الله مايشاء ان الله
على كل شئ قدير) من هذه

انما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع * قوله تعالى (وورث سليمان داود) يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى سليمان ما اعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمن اعظم ملكا من داود وافضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال) يعنى سليمان (يا ايها الناس علمنا منطق الطير) سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون مايقول هذا قالوا لا قال لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون مايقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون مايقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يامذنبين وصاحت طيطوى فقال اتدرون ماتقول قالوا لا قال فانها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال اتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى قال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخى مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون مايقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء ان اخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ماتقول القنبرة فى صفيرها والديك فى صعيقه والضفدع فى نقيقه والحمار فى نهيقه والفرس فى صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله ياغافلين واما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود فى البحار واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار واما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فانه يقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم يارزاق واما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ماشئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغضى محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ * وقوله تعالى (واوتينا من كل شئ) اى يؤتى الانبياء والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا لهو الفضل المبين) اى الزيادة الظاهرة على ما اعطى غيرنا وروى ان سليمان اعطى مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس

الدواعى من منشأ قدرته الباهرة الكاملة فى انشاء الاعمال ويهدى من يشاء بالآيات السابقة المذكورة من الحكم والمعانى والمعارف والحقائق من منشأ حكمته البالغة التامة فى اظهار العلوم والاحوال الى صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة اليه (لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول) اى يدومون التوحيد جمعا وتفصيلا والعمل بمقتضاه (ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك) بترك العمل بمقتضى الجمع والتفصيل بارتكاب الاباحة والتزندق (وما اولئك بالمؤمنين) الايمان الذى عرفته وادعوه من العلم بالله جمعا وتفصيلا (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن

والشياطين والطير والدواب والسباع واعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفى زمنه
صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) اى جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من
الاماكن المختلفة فى مسيره (فهم يوزعون) اى يحبسون حتى يرد اولهم على آخرهم قيل كان
على جنوده وزعة من النقباء ترد اولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير قال محمد بن كعب القرظى
كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثناعشر الف خطوة فالبريد ثمانية واربعون
الف خطوة لانه اربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا
من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه فى وسطه فيقعد وحوله كراسى الذهب
والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين
حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وكان له الف بيت
من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف
فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به واوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت
فى ملكك انه لايتكلم احد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح واخبرتك به * قوله عز وجل
(حتى اذا اتوا على وادى النمل) اى اشرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان
سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور
العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض
واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك
على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون فى آخر الزمان طوبى لمن
آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت
فاوحى الله اليه مايبكيك قال يارب ابكانى هذا نبى من انبيائك ومعه قوم من اوليائك مروا على ولم يهبطوا
ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فاوحى الله اليه لاتبك فانى سوف املؤك وجوها
سجدا وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك نبيا فى اخر الزمان احب انبيائى الى واجعل فيك عمارا
من خلقى يعبدوننى وافرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسر الى وكرها ويحنون اليك حنين
الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى
مر بوادى السدير واد من الطائف فاتى على وادى النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشأم
وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل ان ذلك النمل امثال الذباب وقيل كالبخاتى
والمشهور انه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية
وقيل جرمى (ياايها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين
فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك
لايحطمنكم) اى لايكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لايشعرون) قال اهل التفسير علمت النملة
ان سليمان نبى ليس فيه جبروتية ولاظلم ومعنى الآية انكم لولم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم
فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لايتكلم احد بشئ الا حملته الريح حتى تلقيه الى مسامع
سليمان فلما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحلم من سليمان

(وجنوده)

يطع الله) بالفنا بشهود الجمع
(ورسوله) ظاهرا بحكم
التفصيل (ويخش الله)
بالقلب بمراقبة تجليات
الصفات (ويتقه) بالروح
من ظهور انانيته فى شهود
الذات (فاولئك هم الفائزون)
بالفوز العظيم (واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن امرتهم
ليخرجن قل لاتقسموا طاعة
معروفة ان الله خبير بما
تعملون قل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول فان تولوا
فانما عليه ماحمل وعليكم
ماحملتم وان تطيعوه تهتدوا
وماعلى الرسول الا البلاغ
المبين وعد الله الذين آمنوا
منكم) باليقين (وعملوا
الصالحات) باكتساب
الفضائل (ليستخلفنهم
فى الارض) واقسم ليجعلنهم
خلفاء فى ارض النفس
اذا جاهدوا فى الله حق جهاده
(كما استخلف الذين من قبلهم)
سبقوهم الى مقام الفناء
فى التوحيد من اوليائه
(وليمكنن لهم) بالبقاء
بعد الفناء (دينهم الذى
ارتضى لهم) طريق
الاستقامة فيه المرضية
(وليبدلنهم من بعد خوفهم)
فى مقام النفس (امنا)
بالوصول والاستقامة
(يعبدوننى لايشركون بى

وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادى فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل اكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان اوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم * عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه الترمذى فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئان احدهما مادل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لوشعروا مايفعلون الثانى سروره بما آتاه الله ممالم يؤت احدا من ادراك سمعه ماقالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى او سمع مالا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم به عليه (وقال رب اوزعنى) اى الهمنى (ان اشكر نعمتك التى انعمت علىّ وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) اى ادخلنى فى جملتهم واثبت اسمى مع اسمائهم واحشرنى فى زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلنى الجنة مع عبادك الصالحين * قوله عز وجل (وتفقد الطير) اى طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب مافقد من الطير (فقال مالى لا ارى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق ياوصاف انظر ماتقول ان الصبى مايضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفى رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالى لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه الشك فقال (ام كان من الغائبين) اى اكان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده على غيبته فقال (لاعذبنه عذابا شديدا) قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه (اولاذبحنه اوليأتينى بسلطان مبين) اى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ماذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام ماشاء الله ان يقيم وكان فى كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن يحضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده فى الحق سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يانبى الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبى الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد

شيأ) اى يوحدوننى من غير التفات الى غيرى وآياته (ومن كفر بعد ذلك) بالطغيان بظهور الانانية والخروج عن الاستقامة والتمكين بالتلوين (فاولئك هم الفاسقون) الخارجون عن دين التوحيد (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير

الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا اى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين انت يا يعفير قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كوره مع كل ملك اربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثناعشر الف قائد مع كل قائد اثناعشر الف مقاتل فهل انت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليمانى ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو اشد الطير فقال له على بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب فى الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذى قواك واقدرك على الا ما رحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله واخبروه بما قال سليمان الهدهد اوما استثنى نبى الله قالوا بلى ولكنه قال اوليأتينى بسلطان مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا نبى الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وارخى وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه اخذ برأسه فمداليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذى ابطاك عنى فقال الهدهد ما اخبر الله عنه بقوله تعالى (فمكث غير بعيد) معناه اى غير طويل (فقال احطت بما لم تحط به) اى علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ انت ولا جنودك الهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى خلق الله قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له فى ترك الاعجاب والاحاطة بالشئ علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لايخفى عليه منه معلوم (وجئتك من سبا) قيل هو اسم البلد وهى مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة (بنبا) اى بخبر (يقين) فقال سليمان وماذاك فقال (انى) اى الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك

لمن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم

الاطراف ليس احدمنهم كفؤا لى وابى ان يتزوّج منهم فخطب الى الجن فزوّجوه منهم امراة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوّجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت واطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه قال لاتخف انا الحية البيضاء التى احييتنى والاسود الذى قتلته هو عبدلنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لاحاجة لى به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء فى الحديث ان احد ابوى بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت فى الملك وطلبت قومها ان يبايعوها فأطاعها قوم وابى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال له ابن اخى الملك وكان خبيثا سيئ السيرة فى اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فأرسلت اليه فعرضت نفسها عليه فأجابها الملك وقال مامنعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لاارغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال اهلى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لانراها تفعل فقال بلى انها قدرغبت فى فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى ملأ كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يأنف الكريمته اوكرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لانرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح مكرا وخديعة منها (خ) عن ابى بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ❊ قوله تعالى (واوتيت من كل شئ) يعنى ماتحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) اى سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين فى ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا ❊ قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان اعمالهم) المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) اى عن طريق الحق الذى هو دين الاسلام (فهم لايهتدون) اى الى الصواب (الا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا أيها الناس اسجدوا وهوامر من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذى يخرج الخبء) يعنى الخفى المخبأ (فى السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ماتخفون وماتعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على

مانتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بماعملوا والله بكل شئ عليم

❊ (سورة الفرقان) ❊

❊ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❊

(تبارك الذى) اى تكاثر خير الذى (نزل الفرقان على عبده) وتزايد لان انزال الفرقان هو اظهار العقل الفرقانى المخصوص بعبده المخصوص به بانفراده من جملة العالمين بالاستعداد الكامل الذى لم يكن لاحد مثله فيكون عقله الفرقانى هو العقل المحيط المسمى عقل الكل الجامع لكمالات جميع العقول وذلك انما يكون بظهوره تعالى فى مظهره المحمدى بجميع صفاته المفيض بها على جميع الخلائق على اختلاف استعداداتهم وذلك الظهور هو تكثر الخير وتزايده الذى لم يمكن ازيد ولا اكثر منه ولذلك قال (ليكون للعالمين نذيرا) اى على العموم فان كل نبى غيره كانت رسالته مخصوصة بمن ناسب استعداده من الخلائق ورسالته عليه السلام عامة للكل وهو بعينه معنى ختم النبوة ومن هذا تبين كون امته خير الامم (الذى له ملك السموات والارض

من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) اى هو العرش المستحق للعبادة والسجود لاغيره

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتهما فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا واما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر اصدقت) اى فيما اخبرت (ام كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلوا علىّ واتونى مسلمين قيل لم يزد على مانص الله فى كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) اى تنح عنهم فقف قريبا (فانظر ماذا يرجعون) اى يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اى انصرف الىّ فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى الهدهد والقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فألقى الكتاب فى حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجاءت هى حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملاء من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة الف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا واخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلقيس (يا ايها الملاء انى القى الى كتاب كريم) قيل سمته كريما لانه كان مختوما روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم اى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدا سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت مافى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (الا تعلوا على) قال ابن عباس

ولم يتخذ ولدا) يقهرهما تحت ملكوته اوجد كل شئ موسوما بسمة الامكان ويشهد عليه بالعدم (ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) على قدر قبول بعض صفاته ومظهرية بعض كمالاته دون بعض اى هيأ استعداداتهم لماراه من كمالاتهم التى هى صفاته (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذى يعلم السر فى السموات (والارض) الغيب المخفى عن المحجوبين فى العالمين (انه كان غفورا) يستر صفات النفوس الحاجبة للغيوب بانوار صفاته (رحيما) يفيض الكمالات على القلوب عند صفائها بحسب الاستعدادات ومن غفرانه ورحمته هذا الانزال الذى تشكون فيه ايها

لاتتكبروا على والمعنى لاتمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (واتونى مسلمين) اى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت ياايها الملاء افتونى فى امرى) اى اشيروا على فيما عرض لى (ماكنت قاطعة امرا) اى قاضية وفاصلة (حتى تشهدون)اى تحضرون (قالوا) يعنى الملاء مجيبين لها (نحن اولوقوة) اى فى الجسم على القتال (واولوا بأس شديد) اى عند الحرب وقيل ارادبالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال اى ان امرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) ايتها الملكة اى فى القتال وتركه (فانظرى ماذاتأمرين) اى تجدينا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤل اليه امره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) اى عنوة (افسدوها) اى خربوها (وجعلوا اعزة اهلها اذلة) اى اهانوا اشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) اى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها والتأكيد لما قالت ثم قالت (وانى مرسلة اليهم بهدية) اى الى سليمان وقومه اصانعه بها على ملكى واختبره بها املك هو ام نبى فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه فى دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى ايديهم اساور الذهب وفى اعناقهم الطواق الذهب وفى آذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وارسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل وراى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف واخبرنا بما فى الحق قبل ان تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل فى الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك امره ومنظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا اللبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وان يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اى دواب البر والبحر احسن فقالوا يانبى الله مارأينا احسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة الوانها

المحجوبون (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا اويلقى اليه كنز اوتكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) بالقيامة الكبرى وذلك التكذيب انما يكون لفرط الاحتجاب اونقصان الاستعداد وكلاهما يوجب التعذيب بالعذاب لاستيلاء نيران الطبيعة الجسمانية والهيئات الهيولانية على النفوس الظلمانية بالضرورة وتأثير زبانية النفوس السماوية والارضية فيها التى اذا قابلتهم باستعداد قبول تأثيرها وقهرها من بعيد لكونها تكون فى الجهة السفلية ظهر لهم آثار قهرها وتسلط غضب تأثيرها (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها) من جملة اماكن نار الطبيعة الحرمانية

لها اجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وامر الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان راوا اول الامر الدواب التى لا يرى مثلها تروث فى لبنات الذهب والفضة فلما راوا ذلك تقاصرت انفسهم وخبؤ امامهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع فلما راى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما راوا الشياطين هالهم ماراوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه واعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاتى به فحركه فجاء جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فانقب الدرة وادخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاء الارضة اخذت شعرة فى فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك قالت تصير رزقى الشجر فقال لك ثم قال من لى بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء انا لها يانبى الله فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك فقالت يكون رزقى فى الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجوارى ثم رد سليمن الهدية كما اخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال اتمدوننى بمال فما آتانى الله) اى ما اعطانى من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) اى افضل (مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) معناه انتم اهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى لان الله قد اعطانى منها مالم يعط احد اومع ذلك اكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد (ارجع اليهم) اى بالهدية (فلنأتينهم بجنود لاقبل) اى لاطاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) اى من ارض سبا (اذلة وهم صاغرون) اى ان لم يأتونى مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وبلغوها ماقال سليمان قالت والله لقد عرفت ماهذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وما الذى تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة ابيات بعضها داخل بعض ثم اغلقت عليه سبعة ابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى لايخلص اليه احد ثم امرت منادا ينادى فى اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان فى اثنى

(مكانا ضيقا) يحبسها فى برزخ يناسب هيئاتها مقدر بقدر استعدادها (مقرنين) بسلاسل محبة السفلانيات وهوى الشهوات تمنعها عن الحركة فى تحصيل المرادات واغلال صور هيولانية مانعة لاطرافها وآلاتها عن مباشرة الحركات فى طلب الشهوات ومقرنين بما يجانسهم من الشياطين المغوية اياهم عن سبيل الرشاد والداعية لهم الى الضلال (دعوا هنالك ثبورا) بتمنى الموت والتحسر على الفوت لكونهم من الشدة فيما يتمنى فيه الموت الاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) عالم القدس الموعودة للمجردين عن ملابس الابدان وصفات النفوس (لهم فيها مايشاؤن خالدين) من اللذات الروحانية ابدا سرمدا (كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) عام لكل معبود سوى الله والقول انما يكون بلسان الحال

عشر الف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين) قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان فى احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل اراد ان يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوى وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) اى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (وانى عليه) اى على حمله (لقوى امين) اى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل هو آصف ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه اعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحى ياقيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت ائتنى بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدى سليمان وقيل سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال انت النبى ابن النبى وليس احد عند الله اوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت (فلما رآه) يعنى رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) اى محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربى ليبلونى) يعنى التمكن من حصول المراد (أأشكر) اى نعمته على (ام اكفر) فلا اشكرها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) اى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربى غنى) اى عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) اى بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعنى غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو ان يزاد فيه او ينقص منه وقيل انما جعل اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر (ننظر أتهتدى) الى معرفة عرشها (ام تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب

لان كل شئ سوى الانسان المحبوب شاهد بوجوده ووجده بالله تعالى ووحدانيته مسبح له باظهار خاصيته وكاله مطيع له فيما اراد الله من افعاله وذلك معنى قوله (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء) فسألهم ما المقتضى الضلال عن نفسهم فى ابتغت الضلال للواقفين معهم المحجوبين بهم بسبب الانهماك فى اللذات الحسية والاشتغال بالطيبات الدنيوية الموجبة للغفلة ونسيان الذكر والبور الهلكى (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) لان ذلك اليوم هو وقت وقوع القيامة الصغرى واخراب البدن الذى به تؤثرتهم

ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفضي اليه باسرار الجن [illegible]
جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه
فيها وقالوا ان في عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها
بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (اهكذا عرشك قالت كأنه هو)
قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب
ولا قالت لا خوفا من ايضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه
عليها امر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغنى
عنك اغلاق الابواب ثم قالت (واوتينا العلم من قبلها) اى من قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين)
اى منقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى واوتينا العلم اى بالله وبصحة نبوة
سليمان بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبلها اى من قبل الآية في العرش وكنا مسلمين
او معناه واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا
شكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها وبمجيئها طائعة
من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اى منعتها عبادة
الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال
بينها وبينه (انها كانت من قوم كافرين) اخبر الله انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت
بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير
العرش واراد ان ينظر الى قدميها من غير ان يسألها كشفهما لما اخبرت الجن ان رجليها كحافر
حمار وهي شعراء الساقين امر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح
صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب الماء ثم وضع
سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصفاء
والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته
حسبته لجة) اى ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي احسن
النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال
انه صرح ممرد) اى مملس (من قوارير) من زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت
من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت
رب انى ظلمت نفسى) بعبادة غيرك (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) اى [illegible]
التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح [illegible] قالت [illegible]
يغرقني وكان القتل اهون من هذا [illegible] [illegible]
الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى [illegible]
ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب [illegible]
وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها [illegible]
لم يمسسه [illegible] فذكره سليمان للانس [illegible]
الشياطين [illegible]

الروحانيات السماوية
والارضية بالقهر والتعذيب
والزام الهيئات البرزخية
المنافية لطباع ارواحهم
في الاصل وان كانت مناسبة
لها في الحال (ويقولون
حجرا محجورا) يتمنون ان
يدفع الله عنهم ذلك ويمنعه
(وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا) وانما
جعلت اعمالهم هباء لكونها
غير مبنية على عقائد صحيحة
والاصل في العمل الايمان
اللازم لسلامة الفطرة واذا
لم يكن كان كل حسنة سيئة
لمقارنتها النية الفاسدة
والتوجه بها الى غير وجه الله
(اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا
ويوم تشقق السماء بالغمام)
سماء الروح الحيواني بغمام
الروح الانساني بانفتاحها
عنه ولهذا قيل في التفاسير
الغمام ابيض دقيق وانما
شبهه بالغمام لاكتسابه
الهيئة البدنانية والصورة
اللطيفة المتمايزة من البدن
واحتجابه بها وكونه منشأ
العلم كالغمام للماء وفي تلك
الصورة الثواب والعقاب
قبل البعث الجسداني (ونزل
الملائكة تنزيلا) باتصالها
به للثواب واما العقاب لانها
مظاهر اللطف وانما

[illegible] من قومك * تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يانبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال ثم انه لايكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله قالت ان كان ولابد فزوجني ذاتبع ملك همذان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذاتبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يامعشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) اي وحدوه ولاتشركوا به شيأ (فاذا هم فريقان) اي مؤمن وكافر (يختصمون) اي في الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحا الفريق المكذب (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) اي بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) اي العافية والرحمة (لولا) اي هلا (تستغفرون الله) اي بالتوبة اليه من الكفر (لعلكم ترحمون) اي لاتعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) اي تشاءمنا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك (قال طائركم عند الله) اي مايصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمي طائرا لانه لاشيء اسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم اي عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السماء (بل انتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون * قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من ابناء اشرافهم (يفسدون في الارض) اي بالمعاصي (ولا يصلحون) اي لايطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم (لنبيتنه) اي لنقتلنه ليلا (واهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) اي لولي دمه (ما شهدنا) اي ماحضرنا (مهلك اهله) اي ماندري من قتله ولا هلاك اهله (وانا لصادقون) اي في قولنا ماشاهدنا ذلك (ومكروا مكرا) اي غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح واهله (ومكرنا مكرا) اي جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب (وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) اي اهلكناهم اي التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملائكة [illegible] الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم [illegible] وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم [illegible] (ان في ذلك لآية)

مظاهر القهر (الملك يومئذ الحق) اي الثابت الذي لايتغير (للرحمن) الموصوف بجميع صفات اللطف والقهر المفيض على كل مايستحق لزوال كل ملك بالكلية ولاقدرة حينئذ لاحد على انجاء المعذبين منه ولا يمكنهم الالتجاء بغيره لبطلان التعلقات والاضافات وظهور ملك الرحمن على الاطلاق او يوم تشقق سماء القلب بغمام نور السكينة وتنزل ملائكة القوى الروحانية بالامداد الالهية والانوار الصفاتية في القيامة الوسطى تكون تلك السلطنة على القلب للرحمن المستوي على عرشه المتجلي له بجميع صفاته (و) على كلا التقديرين (كان يوما على الكافرين عسيرا) اما على الاول فلتعذبهم بخراب البدن بالهيئات المظلمة وقهر القوى السماوية واما على الثاني فلظهور تعذيبهم في شهود صاحب هذه القيامة والملاحظة ولم يوجد موجودا مستقلا في التأثير فيناسبه ولم يكن قاهرا غيره فيشاركه على حالهم او للبناء على تأويلهم بالقوى النفسانية المقهورة هناك المعذبة بالرياضة والله اعلم (ويوم يعض

اى لعبرة (لقوم يعلمون) اى قدرتنا (وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا اربعة آلاف * قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة) اى الفعلة القبيحة (وانتم تبصرون) اى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لايستترون عتوا منهم (ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يعنى من ادبار الرجال (فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) اى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب (وامطرنا عليهم مطرا) اى الحجارة (فساء) اى فبئس (مطر المنذرين) * قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير اما يشركون) فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده ام الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لاغنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر انواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته * فالنوع الاول قوله تعالى (امن خلق السموات والارض) ذكر اعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى الاصنام خير ام الذى خلق السموات والارض * ثم ذكر نعمه فقال (وانزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) اى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) اى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من رآه (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) يعنى ماينبغى لكم لانكم لاتقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول انا المنبت للشجرة بان اغرسها واسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لايقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأتى لاحد وان تأتى ذلك لغيره محال (أاله مع الله) يعنى هل معه معبود اعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل * النوع الثانى قوله عز وجل (امن جعل الارض قرارا) اى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لاتميد باهلها (وجعل خلالها انهارا) اى وسطها بانهار تطرد بالمياه (وجعل لها رواسى) اى جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعنى العذب والملح (حاجزا) اى مانعا لايختلط احدهما بالآخر (أاله مع الله بل اكثرهم لايعلمون) اى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه * النوع الثالث قوله تعالى (امن يجيب المضطر) اى المكروب المجهود وقيل المضطر بالحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعنى فيكشف ضره (ويكشف السوء) اى الضر لانه لايقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى

الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك) تثبيت فؤاده عليه السلام بالقرآن هو انه لما رد فى مقام البقاء بعد الفناء الى حجاب القلب لهداية الخلق كان قد يظهر نفسه وتغلب وقت على قلبه بصفاتها ويحدث له التلوين بسببها كما ذكر فى قوله وما ارسلنا من رسول ولانبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته وفى قوله عبس وتولى فكان يتدارك الله تعالى بانزال الوحى والجذبة ويؤدبه ويعاتبه فيرجع اليه فى كل حال ويتوب كما قال عليه السلام ادبنى ربى فاحسن تأديبى وقال انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة حتى يتمكن ويستقيم

فقد ومن ضيق الى سعة الا القادر الذى لايعجز والقاهر الذى لايغلب ولاينازع (ويجعلكم خلفاء الارض) اى سكانها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن فى الارض (ءاله مع الله قليلا ماتذكرون) اى تتعظون * النوع الرابع قوله عزوجل (امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) اى يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته) اى قدام المطر (ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون) * النوع الخامس قوله تعالى (امن يبدأ الخلق) اى نطفا فى الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) اى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم) اى حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) * قوله تعالى (قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (ومايشعرون ايان يبعثون) يعنى ان من فى السموات وهم الملائكة ومن فى الارض وهم بنو آدم لايعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادارك علمهم) اى بلغ ولحق علمهم (فى الآخرة) هو ماجهلوه فى الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا فى الآخرة حين عاينوها ماشكوا فيه وعموا عنه فى الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم فى شك منها) اى هم اليوم فى شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو اعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله اخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم فى الآخرة وماوعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة فى الدنيا * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) اى مشركوا مكة (ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون) اى من قبورنا احياء (لقد وعدنا هذا) اى هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) اى ماهذا (الا اساطير الاولين) اى احاديثهم واكاذيبهم التى كتبوها (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولاتحزن عليهم) اى بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) نزلت فى المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف) اى دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذى تستعجلون) اى من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر * قوله عزوجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعنى على اهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب (ولكن اكثرهم لايشكرون) اى ذلك (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم) اى تخفى (ومايعلنون) اى من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومامن غائبة) اى جملة غائبة من مكتوم سر وخفى امر وشئ غائب (فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائل) اى يبين لهم (اكثر الذى هم فيه يختلفون) اى من امر الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان مااختلفوا فيه (وانه) يعنى القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) اى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيامة (بحكمه) اى الحق (وهو العزيز) الممتنع الذى لايرد له امر (العليم) اى بأحوالهم لايخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) اى فثق به (انك على الحق المبين) اى البين (انك

وكان سبب ظهور ابتلاء الله تعالى اياه بالدعوة لايذاء الناس اياه وعداوتهم ومنا صبتهم له والحكمة فى الابتلاء امران احدهما راجع اليه وهو ان يظهر نفسه بجميع صفاتها فى مقابلة استيلاء الاعداء المختلفين فى النفوس وصفاتها واستعداداتها ومراتبها فيؤيده الله بحكمة وجود كل صفة وفضيلة كل قوة فيحصل له جميع مكارم الاخلاق وكمالات جميع الانبياء كما قال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واوتيت جوامع الكلم فان ظهوره بكل صفة هو ظرف قبوله لفضيلتها وحكمتها اذلولا الجهات المختلفة فى القلب بواسطة صفات النفس لما استعد لقبول الحكم المتفننة والفضائل بتخصص توجهه الكل واحدة منها والثانى راجع الى الامة فانه رسول الى الكل واستعداداتهم متباينة ونفوسهم فى الصفات متفاوتة فيجب ان يكون ذا جوامع الحكم والكلم والفضائل والاخلاق ليهدى كلا منهم بما يناسبه من الحكمة ويزكيه بمايليق به

لاتسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) يعني
معرضين فان قلت مامعنى مدبرين والاصم لايسمع سواء اقبل اوادبر قلت هو تأكيد
ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم
ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لاسبيل الى سماعه وكالاصم الذي
لايسمع ولايفهم (وماانت بهادي العمي عن ضلالتهم) معناه ماانت بمرشد من اعماه الله عن الهدى
واعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن انه من الله (فهم
مسلمون) اى مخلصون * قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب
وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا
عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (اخرجنا لهم دابة
من الارض (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة (م) عن
عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجا
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى
على اثرها قريبا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم
سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الحق ليجتمعون
فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا ياكافر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوى
باسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج
خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لايدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا
ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة
ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم
الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمر ومابين الركن الاسود الى باب بني مخزوم
عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم
لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها
كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لايدركها طالب ولايعجزها هارب حتى ان الرجل
ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يافلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه
فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف
الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يامؤمن وللكافر ياكافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يارسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد
حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم [illegible]
[illegible] المدعى وتخرج الدابة من الصفا اول ماتخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش [illegible]
الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا [illegible]
وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب بين عينيه [illegible]

من الخلق وبعلمه ماينتفع به
من العلم على حسب
استعداداتهم وصفاتهم والا
لم يمكنه دعاء الكل فعلى هذا
كون التنزيل مفرقا منجما
انمايكون بحسب اختلاف
صفات نفسه في الظهور
منها على اوقاته موجبا
لتثبت قلبه في الاستقامة
في السلوك الى الله وفي الله
عند الاتصاف بصفاته
ومن الله في هداية الخلق
وتلك هي الاستقامة التامة
المطلقة فليقتد به السالكون
والواصلون والكاملون
المكملون في سلوكهم
وكونهم مع الحق وتكميلهم
(ورتلناه ترتيلا) والترتيل
هو ان يتخلل بين كل نجم
وآخر مدة يمكن فيها ترايله
في قلبه ويترسخ ويصير
ملكة لاحالا ومن هذا تبين
معنى قوله (ولايأتونك
بمثل) اى صفة عجيبة
(الاجئناك بالحق) الذى
يقمع بالمل تلك الصفة كما
قال بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه وهو الفضيلة
المقابلة لتلك الرذيلة (واحسن
تفسيرا) اى كشفا باظهار
صفة الهية تجلى بها تلك
تقوم مقامها فتكشفها
وبالحقيقة تلك الصفة الالهية
الكاشفة اياها هي تفسير

[illegible] ان تخرج الدابة [illegible] والناس يسيرون الى منى وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين اوثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب اجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها فى الارض وروى عن على قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (تكلمهم) اى بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما اخبر الله تعالى (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن اهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر ❁ قوله تعالى (ويوم نحشر من كل امة فوجا) اى نحشر من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) اى يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) يعنى يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (اكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) اى ولم تعرفوها حق معرفتها (اماذا كنتم تعملون) اى حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الآية اكذبتم بآياتى غير عالمين بها ولم تتفكروا فى صحتها بل كنتم جاهلين (ووقع القول) اى وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) اى بما اشركوا (فهم لا ينطقون) اى بحجة وقيل ان افواههم مختومة (الم يروا انا جعلنا) اى انا خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) اى مضيا يبصر فيه وفى الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) اى يصدقون فيعتبرون ❁ قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الى الاجساد فتحيا بها الاجساد (ففزع) اى فصعق (من فى السموات ومن فى الارض) اى ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الا من شاء الله) روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قوله تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة وروى [illegible] ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقى ياملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام بقى وجهك الباقى الدائم ثم بقى جبريل وميكائيل [illegible] خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم [illegible] بقى جبريل وملك الموت فيقول مت [illegible] تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام

الصفة الباطلة ومعاملتها فان كل صفة نفسانية ظل للمعانى لصفة الهية نورانية تنزلت فى مراتب التنزلات واحتجبت وتضاءلت وتكدرت كالشهوة للمحبة والغضب للقهر وامثالها (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) لشدة ميل نفوسهم الى الجهة السفلية فتنكست فطرتهم فبعثوا على صور وجوهها الى الارض يسحبون الى نار الطبع (اولئك شر مكانا) من ان يقبلوا الحق الدامغ لباطل صفاتهم (واضل سبيلا) من ان يهتدوا الى صفات الله تعالى التى هى تفسير صفاتهم وكشفها (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون

بقى وجهك الدائم الباقى وجبريل الميت الفانى فيقول الله ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظرب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق احد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادرى اكان ممن استثنى الله عز وجل ام رفع راسه قبلى ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية * وقوله تعالى (وكل) اى وكل الذين احيوا بعد الموت (اتوه) اى جاؤه (داخرين) اى صاغرين * قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) اى قائمة واقفة (وهى تمر مر السحاب) اى تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوى بها وذلك ان كل شئ عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو فى حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذى اتقن كل شئ) يعنى انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التى لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التى اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب (انه خبير بما تفعلون) * قوله تعالى (من جاء بالحسنة) اى بكلمة الاخلاص وهى شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص فى العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل (فله خير منها) يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله رضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشر اضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من فى السموات ومن فى الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر اليه فاما الفزع الثانى فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه احد (ومن جاء بالسيئة) يعنى بالشرك (فكبت وجوههم فى النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم فى النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) اى تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك * قوله تعالى (انما امرت) يعنى يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت (ان اعبد رب هذه البلدة) يعنى امرت ان اخص بعبادتى وتوحيدى الله الذى هو رب هذه البلدة يعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذى حرمها)

تشوزا واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه) كل محجوب بشئ واقف معه فهو محب له مجانس لذلك الشئ فهو فى الحقيقة ما يعبده هواه بعبادته لذلك المحبوب والباعث لهواه على محبة غير الله هو الشيطان فمحب كل شئ غير الله لا لله وبغير محبة الله عابد له ولهواه وللشيطان متعدد المعبود متفرق الوجهة ابعد ذلك (افانت تكون عليه وكيلا) بدعوته الى التوحيد وقد كان فى غاية البعد محجوبا بظل ظلاله (أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا الم تر الى ربك كيف مد الظل) بالوجود الاضافى اعلم ان ماهيات الاشياء وحقائق الاعيان هى ظل الحق وصفة عالمية الوجود المطلق لوجدانه اظهارها باسمه النور الذى هو الوجود الظاهر الخارجى الذى يظهر به

اى جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا
يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان
تحريمها من الله لا من الاصنام (وله كل شئ) اى خلقا وملكا (وامرت ان اكون من المسلمين)
لله المطيعين له (وان اتلوا القرآن) اى امرت ان اتلوا القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل
ما امر به اتم قيام على ما امر به (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) اى نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن
ضل) اى عن الايمان واخطأ طريق الهدى (فقل انما انا من المنذرين) اى من المخوفين وما على
الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) اى على جميع نعمه وقيل على ما وفقنى من القيام باداء
الرسالة والانذار (سيريكم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل
والسبى وضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وقيل آياته فى السموات والارض وفى انفسكم
(فتعرفونها) اى فتعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء
على اعمالهم والله سبحانه وتعالى اعلم

* (تفسير سورة القصص) *

وهى مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة
والمدينة وهى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهى ثمان وثمانون آية واربعمائة
واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح
المحفوظ وقيل هو الكتاب الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه
الحلال والحرام والحدود والاحكام (نتلوا عليك من نبأ) اى خبر (موسى وفرعون بالحق)
اى بالصدق (لقوم يؤمنون) اى يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) اى تجبر وتكبر (فى الارض)
اى ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) اى فرقا انواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة
منهم) يعنى بنى اسرائيل (يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم) سمى هذا استضعافا لانهم
عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم (انه كان من المفسدين) اى بالقتل والتجبر فى الارض
(ونريد ان نمن) اى ننعم (على الذين استضعفوا فى الارض) يعنى بنى اسرائيل (ونجعلهم
ائمة) اى قادة فى الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعنى املاك فرعون
وقومه بان نجعلهم فى مساكنهم (ونمكن لهم فى الارض) اى نوطن لهم ارض مصر
والشام ونجعلها لهم سكنا (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) اى
يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم
الله ما كانوا يحذرون * قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف
فى قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوى بن يعقوب (ان ارضعيه) قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل
اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها (فاذا خفت عليه) اى الذبح
(فالقيه فى اليم) اى فى البحر واراد به نيل مصر (ولا تخافى) اى عليه من الغرق وقيل الضيعة
(ولا تحزنى) اى على فراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بنى

بكل شئ ويبرزكم العدم
الى فضاء الوجود اى
الاضافى (ولو شاء لجعله
ساكنا) اى ثابتا
فى العدم الذى هو خزانة
وجوده اى ام الكتاب
واللوح المحفوظ الثابت
وجود كل شئ فيهما
فى الباطن وحقيقته لا العدم
الصرف بمعنى اللاشئ
فانه لا يقبل الوجود
اصلا وما ليس له وجود
فى الباطن وخزانة علم الحق
وغيبه لم يمكن وجوده
اصلا فى الظاهر والايجاد
والاعدام ليس الا اظهار
ما هو ثابت فى الغيب
واخفاؤه فحسب وهو
الظاهر والباطن وهو بكل
شئ عليم (ثم جعلنا الشمس)
شمس العقل (عليه) اى
الظل (دليلا) يهدى الى
ان حقيقته غير وجوده
والا فلا مغايرة بينهما
فى الخارج فلا وجود
الا الوجود فحسب اذ لو
لم يمكن وجوده لما كان
شيأ فلا بد على كونه شيأ
غير الوجود الا العقل (ثم
قبضناه الينا) بافنائه (قبضا
يسيرا) لان كل ما يفنى
من الموجودات فى كل وقت
فهو يسير بالقياس الى ما سبق
وسيظهر كل مقبوض عما

اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان انجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام * (ذكر القصة في ذلك) * قال ابن عباس ان ام موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ماجئت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ماوجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجؤا الى بابها ليدخلوا الى ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة والقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وراوا ام موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل القابلة قالت هي مصافة لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها ان تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقال ابن لي اخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال وتقل اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء مايقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه واخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما اراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لاتتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك لاتبرا الامن قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية

قليل في مظهر آخر والقبض دليل على ان الافناء ليس اعداما محضا بل هو منع عن الانتشار في قبضته التي هي العقل الحافظ لصورته وحقيقته ازلا وابدا (وهو الذي جعل لكم الليل) ليل ظلة النفس (لباسا) يغشاكم بالاستيلاء عن مشاهدة الحق وصفاته والذات وظلالها فتحجبون ونوم الغفلة في الحياة الدنيا (والنوم سباتا) تسبتون بها عن الحياة الحقيقية السرمدية كما قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وجعل النهار) نهار نور الروح (نشورا) تحيا قلوبكم به فتنشرون في فضاء القدس بعد نوم الحس (وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) رياح النفحات الربانية ناشرة محيية او مبشرة بين يدي رحمة الكمال بتجلي الصفات (وانزلنا من السماء) من سماء الروح ماء العلم (طهورا) مطهرا يطهركم عن لوث الرذائل ورجس الطبائع والعقائد الفاسدة والجهالات المفسدة (لنحيي به بلدة ميتا) اى قلبا ميتا بالجهل (ونسقيه مما خلقنا انعاما) من القوى النفسانية

بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذا اقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرات فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته فى قلب آسية واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبى من التابوت عمدت الى ما يسيل من اشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرات فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا اى فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان موهو الماء وساهو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشئ من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) اى عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) اى آثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا انه الذى يذهب بملكهم (وقالت امرات فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر اليه فرعون قال اعبرانى من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امراة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت ان تذبح من ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت انه اتانا من ارض اخرى وليس هو من بنى اسرائيل فاستحياه فرعون والقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو ان عدو الله قال فى موسى كما قالت آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله ولكنه ابى للشقاء الذى كتبه الله عليه ۞ قوله تعالى (واصبح فؤاد ام موسى فارغا) اى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحى الذى اوحى الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه فى اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذى عهد اليها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله والقيته فى البحر واغرقته ولما اتاها الخبر بأن فرعون اصابه فى النيل قالت انه قد وقع فى يد عدوه الذى فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدى به) اى لتصرح بأنه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكانت تقول هو ابنى وقيل كادت تبدى بالوحى الذى اوحى الله اليها ان يرده عليها (لولا ان ربطنا على قلبها) اى بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) اى من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته) اى لمريم اخت موسى (قصيه) اى اتبعى اثره حتى تعلمى خبره (فبصرت به عن جنب) اى عن بعد وقيل

بالعلوم النافعة العملية (وانا سى) من القوى الروحانية (كثيرا) بالعلوم الظرية (ولقد صرفنا بينهم) هذا العلم المنزل على صور وامثال مختلفة (ليذكروا) حقائقهم واوطانهم الحقيقية وما نسوا من العهد والوصل وطيب الاصل (فابى اكثر الناس الا كفورا) لنعمة الهداية الحقانية وغمطا للرحمة الرحيمية للاحتجاب بصور الرحمة فى ستور الجلال من الغواشى الهيولانية (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) اى فرقنا كالك المطلق الذى تدعونه جميع الخلق الى الحق على اشخاص ووزعناه بحسب اصناف الناس على اختلاف استعداداتهم على الانبياء كما قال ولكل قوم هاد فبعثنا فى كل صنف نبيا يناسبهم كما كان قبل بعثة محمد من اختصاص موسى ببنى اسرائيل واختصاص شعيب باهل مدين واصحاب الايكة وغير ذلك وخففنا عنك الجهاد اذ الجهاد انما يكون بحسب الكمال وكلما كان الكمال اعظم كان الجهاد اكبر لان الله تعالى رب كل طائفة باسم

كانت تمشي جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من ترضعه كلما اتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) اى قبل مجيء ام موسى وذلك لما رأته اخت موسى التي ارسلتها امه في طلب ذلك (فقالت) يعني اخت موسى (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) اى يضمنونه ويرضعونه وهي امراة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه ان تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) اى لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله قالت ما اعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمي قالوا أولامك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا اصدقت فأتينا بها فانطلقت اليها واخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه يا قيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى امه كي تقر عينها) اى برد موسى اليها (ولا تحزن) اى ولئلا تحزن (ولتعلم ان وعد الله حق) اى برده اليها (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها ان يرده اليها (ولما بلغ اشده) قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) اى بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) اى عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) * قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي منف من اعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس (على حين غفلة من اهلها) قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها وليس في طرافها احد وقيل كان لموسى شيعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وامر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان) اى يتخاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) اى من بني اسرائيل (وهذا من عدوه) اى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطي يريد ان يأخذ الاسرائيلي يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم

من اسمائه فاذا كان الكامل مظهر بجميع صفاته متحققا بجميع اسمائه وجب عليه الجهاد مع جميع طوائف الامم بجميع الصفات ولكن ما فعلنا ذلك لعظم قدرك وكونك الكامل المطلق والقطب الاعظم والخاتم على ما ذكر في تأويل قوله كذلك لنثبت به فؤادك (فلا تطع الكافرين) المحجوبين بموافقتهم في الوقوف مع بعض الحجب ونقصان بعض الصفات (وجاهدهم به) لكونك مبعوثا الى الكل (جهادا كبيرا) هو اكبر الجهادات كما قال ما اوذي نبي مثل ما اوذيت اى ما كل نبي مثل كمالي (وهو الذي مرج البحرين) اى خلط بحر الجسم والروح في الايجاد (هذا) الذي هو بحر الروح (عذب فرات) اى صاف لذيذ (وهذا) الذي هو بحر الجسم (ملح اجاج) اى متغير متكدر غير لذيذ (وجعل بينهما برزخا) هو النفس الحيوانية الحائلة بينهما من الامتزاج وتكدر الروح بالجسم وتكثفه وتنور الجسم بالروح وتجرده

حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان احدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه اخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) اى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) اى قتله وفرغ من امره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) اى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وحزبه (قال رب انى ظلمت نفسى) اى بقتل القبطى من غير امر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب * وقوله (فاغفر لى) اى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفر لى اى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) اى فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) اى بالمغفرة والستر الذى (انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا اكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلى الذى اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى اى لم يقل فلا اكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فاصبح فى المدينة) اى التى قتل فيها القبطى (خائفا يترقب) اى ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) اى يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتى فرعون فقيل له بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذلنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبيناهم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى (قال له موسى) للاسرائيلى (انك لغوى مبين) اى ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك ان موسى اخذته الغيرة والرقة للاسرائيلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد ان يبطش انه لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوى مبين (قال ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى حتى افشى عليه الاسرائيلى ذلك فسمعه القبطى فاتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض) اى بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذى يقتل ويضرب ولا ينظر فى العواقب وقيل هو الذى يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى

(وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) حاجزا يتعوذ به كل منهما من بغى الآخر ومانعا يمنع ذلك (وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت) اى شاهد موت الكل وعدم حراكهم بذواتهم كما قال انك ميت وانهم ميتون فانهم لا يتحركون الا بدواعٍ اوجدها الله فيهم بفناء افعالك وافعال الكل فى افعال الحق ورفع حجبها عن افعاله اذ مقام التوكل هو الفناء فى الافعال وبين بقوله على الحى الذى لا يموت ان منشأ التوكل شهود صفة حياته التى بها يحيا كل حى لان من يموت لا يكون حيا بالذات وبالترقى من مقام فناء الافعال الى الفناء فى صفة الحياة يصح مقام التوكل كما قالت المتصوفة لا يمكن تصحيح كل مقام الا بالترقى الى المقام الذى فوقه واذا كان كل حى يموت انما

(وماتريد ان تكون من المصلحين) ولما فشا ان موسى قتل القبطي امر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) اى يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى واخبره وانذره بما سمع (قالوا ياموسى ان الملأ يأتمرون بك) اى يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) اى من المدينة (انى لك من الناصحين) اى في الامر بالخروج (فخرج منها) يعني موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) اى ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لاملجأ الا اليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) اى الكافرين * قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) اى قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولازاد ولا احد ولم يكن له طعام الاورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته في بطنه وماوصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) اى قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين * قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) اى على الماء (امة) اى جماعة (من الناس يسقون) اى مواشيهم (ووجد من دونهم) اى سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تذودان) اى تحبسان وتمنعان اغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان اغنامهما عن ان تند وتذهب والقول الاول اولى لمابعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ماخطبكما) اى ماشأنكما لاتسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لانسقي) اى اغنامنا (حتى يصدر الرعاء) اى حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لانستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا فضل مابقي منهم في الحوض (وابونا شيخ كبير) اى لايقدر ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وكان شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن اخي شعيب وكان شعيب قدمات بعد ماكف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر اخرى كانت بقربهما لايطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر لايرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) اى عدل الى اصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتاجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ماسأل الا الخبز فلما رجعتا

(الى)

يحيا بحي الذات الذي حياته عين ذاته فبه يتحرك فلا تبال بافعالهم فانهم لو اجتمعوا باسرهم على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بما كتب الله عليك على ماورد في الحديث (وسبح بحمده) ونزهه بتجردك عن صفاتك ومحوها في صفاته عن ان تكون لغيره صفة مستقلة تكون مصدر الفعله ملتبسا بحمده اى متصفا بصفاته فان الحمد الحقيق هو الاتصاف بصفاته الكمالية التي هو بها حميد وذلك هو تصحيح مقام التوكل وتحقيقه بنفي الصفات التي هي مبادي الافعال من الغير واذا تجردت عن صفاتك بالاتصاف بصفاته شاهدت احاطة علمه بالكل فاكتفيت به عن سؤاله في دفع جناياتهم عنك وجزاء ايذائهم لك وشاهدت قدرته على مجازاتهم كما قال ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وذلك معنى قوله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض) اى احتجب بسموات الارواح وارض الاجسام (ومابينهما في ستة ايام) من القوى في الايام الستة التي هي

الى ابيهما سريعا قبل الناس ولغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول ابيها (قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق اذا اخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يافتى فتعش فقال موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا اهل بيت لانطلب على عمل من اعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لاوالله يافتى ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس واكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) اي موسى (وقص عليه القصص) اي اخبره بامره اجمع من خبر ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله (قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين) يعني من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت احداهما ياأبت استأجره) اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا (ان خير من استأجرت القوي الامين) يعني ان خير من استعملت من قوي على العمل وادى الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الاعشرة وقيل اربعون رجلا واما امانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لاتصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (اني اريد ان انكحك) اي ازوجك (احدى ابنتي هاتين) قيل زوجه الكبرى، وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهي التي ذهبت في طلب موسى (على ان تاجرني ثماني حجج) اي تكون لي اجيرا ثماني سنين (فان اتممت عشرا فمن عندك) اي فان اتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما اريد ان اشق عليك) اي الزمك تمام العشر الا ان تتبرع (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) اي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته (قال) يعني موسى (ذلك بيني وبينك) أي ما شرطت على فلك وما شرطت من تزوج احداهما فلي والامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيت) أي أي الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان علي) أي لاظلم علي بأن أطالب باكثر منه (والله على مانقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى قلت لاأدري حتى أقدم على حبر العرب فاسأله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى أكثرهما واطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروى عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت ياابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى شداد بن اوس

الآلاف الستة من ابتداء زمان آدم الى محمد عليهما السلام لان الخلق ليس الاحتجاب الحق بالاشياء والايام هي ايام الآخرة لاايام الدنيا اذلم تكن الدنيا ثمة ولاالشمس والنهار وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم استوى على العرش الرحمن) عرش القلب المحمدي في السابع الذي هو يوم الجمعة اي يوم اجتماع جميع الاوصاف والاسماء فيه وذلك هو معنى الاستواء في الاستقامة بالظهور التام والفيض العام الذي هو الرحمة الرحمانية ولهذا جعل فاعل الاستواء اسم الرحمن دون اسم آخر اذ لايكون الاستواء بمعنى الظهور التام الابه ويمكن ان تؤول الايام بالشهور الستة التي يتم فيها خلق سموات ارواح الجنين وارض جسده ومابينهما من القوى والاستواء بالظهور التام على عرش قلبه الذي كان على ماء النطفة قبل خلقه ما خلق في الشهر السابع الذي انشأ فيه خلقا آخر بحصول انسانا والرحانية بعموم فيضه المعنوي والصوري من قلبه الى جميع اجزاء وجوده (فاسئل

مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ماهذا البكاء اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك لقائى ياشعيب لذلك اخدمتك كليمى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبى الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبى من ابيك ان يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا اراد ان يجازى موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد اغنامى كل ابلق وبلقاء فى هذه السنة فأوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما اخطأت واحدة الا وضعت حملها مابين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام * قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) اى اتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار بأهله اى بزوجته قاصدا الى مصر (آنس) اى ابصر (من جانب الطور نارا) وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) اى من الطريق لانه كان قد اخطأ الطريق (او جذوة من النار) اى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) اى تستدفئون (فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) اى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (ان ياموسى انى انا الله رب العالمين) قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم انه لايقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته بجميع اجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لايقدر عليه احد الا الله تعالى (وان الق عصاك) اى فالقاها (فلما رآها تهتز) اى تتحرك (كأنها جان) هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبرا) اى هاربا منها (ولم يعقب) اى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجرة والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك (ياموسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين) * قوله عز وجل (اسلك يدك) اى ادخل يدك (فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) اى برص والمعنى انه ادخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) اى من الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس امر الله موسى ان يضم

به خبيرا) اسأل عارفا به يخبرك بحاله واساله فى حالة كونه عالما بكل شئ (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا اانسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) اى اذا امرتهم بالفناء فى جميع صفاته وطاعته بم انكروا ولم يمتثلوا امرك لقصور استعدادهم عن قبول هذا الفيض وعدم معرفتهم لهذا الاسم لعدم احتظائهم من جميع الصفات اووجود احتجابهم عنها (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) سماء النفس بروج الحواس (وجعل فيها سراجا وقمرا) سراج شمس الروح وقمر القلب (منيرا) بنور الروح (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) ليل ظلمة النفس ونهار نور القلب يتعقبان (لمن اراد ان يذكر) فى نهار نور القلب العهد المنسى وينظر فى المعانى والمعارف ويعتبر (او اراد) فى ليل ظلمة النفس (شكورا) باعمال الطاعات واكتساب الاخلاق والملكات (وعباد الرحمن) اى المخصوصون بقبول فيض هذا الاسم لسعة الاستعداد (الذين يمشون على الارض هونا) اى الذين اطمأنت نفوسهم

يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون اى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شان الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه (فذانك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) اى آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) اى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفسا) يعنى القبطى (فأخاف ان يقتلون) اى به (واخى هرون هو افصح منى لسانا) اى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمرة فى فيه (فأرسله معى ردا) اى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (انى اخاف ان يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) اى سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) اى حجة وبرهانا (فلا يصلون اليكما) اى بقتل ولا سوء (بآياتنا) قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما (انتما ومن اتبعكما الغالبون) اى لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) اى مختلق (وما سمعنا بهذا) اى بالذى تدعونا اليه (فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده) اى انه يعلم المحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) اى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) اى الكافرون (وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقد لى يا هامان على الطين) اى اطبخ لى الآجر قيل انه اول من اتخذ آجرا وبنى به (فاجعل لى صرحا) اى قصرا عاليا وقيل منارة قال اهل السير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق احد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله (لعلى اطلع الى اله موسى) اى انظر اليه واقف على حاله (وانى لاظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) اى فى زعمه ان للارض والخلق الها غيرى وانه ارسله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) اى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون) اى للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) اى فألقيناهم فى البحر القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم ائمة) اى قادة ورؤساء (يدعون الى النار) اى الكفر والمعاصى التى يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) اى لا يمنعون من العذاب (واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) اى خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيمة هم من المقبوحين) اى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين

بنور السكينة وامتنعت عن الطيش بمقتضى الطبيعة فهم هينون فى الحركات البدنية لتمرن اعضائهم بهيئة الطمأنينة (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) اهل السفاهة يسلمون مقالهم ولا يعارضونهم لامتلائهم بالرحمة وبعد حالهم عن ظهور النفس بالسفاهة وتكبر نفوسهم بالتقوى بنور القلب من ان تتأثر بالايذاء وتضطرب (والذين يبيتون لربهم) اى الذين هم فى مقام النفس يبيتون بالارادة (سجدا وقياما) فانين بالرياضة قائمين بصفات القلب احياء بحياته لله قائلين بلسان الحال الذى لا تتخلف عن دعائه الاجابة (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ولما وصفهم بالتزكية التامة والفناء عن جميع صفات النفس من الرذائل الذميمة المورطة فى عذاب جهنم الطبيعة ومستقر السوء والعاقبة الوخيمة عقب وصفهم بالتحلية التامة من الاتصاف بجميع اجناس الفضائل الاربع وذلك هو حياتهم بالقلب

بسوادالوجوه ورزقة العيون * قوله عزوجل (ولقدآتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة
(من بعدما اهلكنا القرون الاولى) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى
(بصائر للناس) اى ليبصروا ذلك فيهتدوا به (وهدى) اى من الضلالة لمن عمل به (ورحمة)
اى لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) اى بما فيه من المواعظ (وما كنت) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
اى وما كنت يامحمد (بجانب الغربى) اى بجانب الجبل الغربى قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى
ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) اى عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت
من الشاهدين) اى الحاضرين ذلك المقام الذى اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك
(ولكنا انشأنا قرونا) اى خلقنا بعد موسى امما (فتطاول عليهم العمر) اى طالت عليهم المدة
فنسوا عهدالله وتركوا امره وذلك ان الله عهدالى موسى وقومه عهودا فى محمد والايمان به فلما
طال عليهم العمر وخلفت القرون بعدالقرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت
ثاويا) اى مقيما (فى اهل مدين) اى كمقام موسى وشعيب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) اى تذكرهم
بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين)
يعنى ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها
انت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) اى بناحية الجبل الذى كلم الله موسى عليه
(اذ نادينا) يعنى موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب ارنى محمدا وامته قال
انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى
ياامة محمد فاجابوه من اصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى ياامة محمد فاجابوه من اصلاب
الآباء والارحام اى ارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك قال
الله تعالى ياامة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد اعطيتكم قبل ان تسألونى
وقد اجبتكم قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة
بشهادة ان لااله الا الله وان محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد
البحر (ولكن رحمة من ربك) اى رحمناك رحمة بارسالك والوحى اليك واطلاعك على
الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) يعنى اهل مكة (لعلهم يتذكرون)
اعلم ان الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع
بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التى اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر
هو انزل التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا
فى اهل مدين اول امر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه اعظم احوال موسى
ولما بينها لرسوله ولم يكن فى هذه الاحوال حاضرا بين الله انه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة
على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا
مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك * قوله تعالى (ولولا ان تصيبهم مصيبة) اى عقوبة ونقمة
(بما قدمت ايديهم) يعنى من الكفر والمعاصى (فيقولوا ربنا لولا) اى هلا (ارسلت الينا
رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم
لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا)

بعدموتهم عن النفس كاقيل
مت بالارادة تحيا بالطبيعة
فالقوام بين الاسراف
والاقتار فى الانفاق هو
البذل والتوحيد المشار اليه
بقوله (والذين لايدعون
مع الله الها آخر ولايقتلون
النفس التى حرم الله الا
بالحق ولا يزنون) هو
اساس فضيلة الحكمة الذى
الذى اذا حصل وقع ظله
الذى هو العدل فى النفس
فاتصفت بجميع انواع
الفضائل والامتناع عن
قتل النفس المحرمة اشارة
الى فضيلة الشجاعة والامتناع
عن الزنا فضيلة العفة ثم
ذكر من فى مقابلتهم من
المحجوبين من فيض الرحمة
الرحيمية التى فى ضمن
الرحمانية الذى لايستعدون
لقبول عموم فيضه فلا
يختصون به وان كانوا
لايخلون من فيضه الظاهر
الشامل للكل فقال (ومن
يفعل ذلك) اى يرتكب
جميع اجناس الرذائل
حتى الشرك بالله (يلق
أثاما) جزاء الاثم الكبير
المطلق وهو مضاعفة
العذاب الروحانى والجسمانى
بالاحتجاب الكلى وهيئات
الهيكل السفلى (يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا) الصغرى

يعنى كفار مكة (لولا) اى هلا (اوتى) محمد (مثل مااوتى موسى) يعنى من الآيات كالعصا واليدالبيضاء وقيل اوتى كتابا جملة واحدة كما اوتى موسى التوراة قال الله تعالى (اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش ان يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل مااوتى موسى فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعنى التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعنى محمدا وموسى وقيل ان مشركى مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته فى كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا انا بكل كافرون) يعنى بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يامحمد (فاتوا بكتاب من عندالله هو اهدى منهما) يعنى بالتوراة والقرآن (اتبعه) يعنى الكتاب الذى تأتون به من عندالله وهذا تنبيه على عجزهم من الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوالك) اى فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون اهواءهم) يعنى ان ماركبوه من الكفر لاحجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ماهم عليه من الهوى (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين) ❊ قوله عزوجل (ولقد وصلنالهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما فى القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنالهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة فى الدنيا (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب فلما رأوا مابالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت فى ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشأم ❊ ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) اى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبى حق (اولئك يؤتون اجرهم مرتين) يعنى بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) اى على دينهم وعلى اذى المشركين (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها ثم تزوجها فله اجران (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لااله الا الله الشرك وقيل يدفعون ماسمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) اى

والخلود فيه على غاية الهوان (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا) رجع الى الله وتنصل عن المعاصى فبدل الشرك بالايمان واستبدل الرذائل بالفضائل (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) بمحو الهيئات عن نفوسهم واثبات هذه (وكان الله غفورا) يستر صفات نفوسهم بنوره (رحيما) يفيض عليهم الكمالات بجوده وهذه هى التوبة بالحقيقة ثم بين بعد ذكر التوبة الحقيقية حال اهل السلوك فقال (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لايشهدون الزور) اى لايحضرون اهل الزور المشتغلين بمتاع الغرور فان اهل الدنيا اهل الزور يحسبون الفانى باقيا والقبيح حسنا ويعدون المعدوم موجودا والشر خيرا فهم الكذابون المبطلون الخالطون اى يعتزلونهم بملازمة الخلوات وايثار الطاعات واقام الصلاة (واذا مروا باللغو) اى الفضول غير الضرورية تركوها واعرضوا عنها (مروا كراما) بها مكرمين انفسهم عن مباشرتها قانعين بالحقوق عن الحظوظ وهم الزاهدون بالحقيقة التاركون المجردون

فى الطاعة (واذا سمعوا اللغو) اى القول القبيح (اعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى اهل مكة ويقولون تبالكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) اى لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لانعارضكم بالشتم (لانبتغى الجاهلين) يعنى لانحب دينكم الذى انتم عليه وقيل لانريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال * قوله تعالى (انك لاتهدى من احببت) اى هدايته وقيل احببته لقرابته (ولكن الله يهدى من يشاء) وذلك ان الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهواعلم بالمهتدين) اى بمن قدرله الهدى (م) عن ابى هريرة قال انك لاتهتدى من احببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راودعمه ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب عندالموت ياعم قل لااله الاالله اشهدلك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبدالمطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) يعنى مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارض مكة قال الله تعالى (اولم نمكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب كانت فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة (يجبى اليه) اى يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون) يعنى ان أكثر أهل مكة لايعلمون ذلك * قوله عزوجل (وكم أهلكنا من قرية) أى من أهل قرية (بطرت معيشتها) اى أشرت وطغت وقيل عاشوا فى البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الاقليلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) يعنى لم يخلفهم فيها احد بعدهلاكهم وصار امرها الى الله تعالى لانه الباقى بعدفناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعنى الكافرة اهلها (حتى يبعث فى امها رسولا) اى فى اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث فى ام القرى وهى مكة رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعنى انه يؤدى اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) اى مشركون * قوله عزوجل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) اى تتمتعون بها ايام حياتكم ثم هى الى فناء وانقضاء (وما عندالله خير وابقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهى دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا

ثم لما بين الزهد الحقيقى والتجريد قرن به العبادة الحقيقية والتحقيق بقوله (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) اى كوشفوا المعارف والحقائق وتجليات الصفات والمشاهدات (لم يخروا عليها) على العلم بتلك الآيات من المعارف والحقائق (صما) بل تلقوها بآذان واعية هى آذان القلوب لا النفوس وعلى مشاهدتها (و) تجليات (عميانا) بل احدقوا نحوها ببصائر حديدة مكحلة بنور الهداية ثم وصف طلبهم للترقى عن مقام القلب الى مرتبة السابقين والاستعانة بالله عن تلوين النفس وصفاتها لينخرطوا فى سلك المقربين بقوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) ازواج نفوسنا وذريات قوانا ماتقربه اعيننا من طاعاتهم وانقيادهم خاضعين وتنورهم بنور القلب مخبتين غير طالبين للاستعلاء والترفع والاستكبار والتجبر (واجعلنا للمتقين) اى المجردين (اماما) بالوصول الى مقام السابقين (اولئك

كالذرة بالقياس الى البحر العظيم (افلاتعقلون) اى ان الباقى خير من الفانى وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من أعطى القليل واخذ الكثير وماهم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (افمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة (فهو لاقيه) اى مصيبه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) اى وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) اى فى النار قيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل وقيل فى على وحمزة وابى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ❊ قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) اى فى الدنيا انهم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) اى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) اى دعوناهم الى الغى وهم الاتباع (اغويناهم كما غوينا) اى اضللناهم كما ضللنا (تبرأنا اليك ماكانوا ايانا تعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا اعداء (وقيل) يعنى للكفار (ادعوا شركاءكم) اى الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) اى لم يجيبوهم (ورأو العذاب لو انهم كانوا يهتدون) معناه لو انهم كانوا يهتدون فى الدنيا ما رأوا العذاب فى الآخرة (ويوم يناديهم) اى يسأل الكفار (فيقول ماذا اجبتم المرسلين) اى ماكان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) اى خفيت واشتبهت عليهم (الانباء) يعنى الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لايتساءلون) اى لايجيبون ولايحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) اى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب ❊ وقوله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة اوعروة بن مسعود الثقفى اخبر الله تعالى انه لايبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله ان يخص من يشاء بمايشاء الاعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) اى ليس لهم الاختيار اوليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ماكان هو الاصلح والخير لهم فيه ❊ ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عمايشركون وربك يعلم ماتكن) اى تخفى (صدورهم ومايعلنون) اى يظهرون (وهو الله لااله الاهو له الحمد فى الاولى والآخرة) اى يحمده اولياؤه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة فى الجنة (وله الحكم) اى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة (واليه ترجعون) ❊ قوله عز وجل (قل) اى قل يامحمد لاهل مكة (ارأيتم) اى اخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) اى دائما (الى يوم القيامة) لانهار فيه (من اله غير الله يأتيكم بضياء) اى بنهار تطلبون فيه المعيشة (افلاتسمعون) اى سماع فهم وقبول (قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) اى لاليل فيه (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلاتبصرون) اى ماانتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل مايحتاج اليه ولايتم له ذلك لولا ضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك

يجزون الغرفة بما صبروا) غرفة الفردوس وجنة الروح بصبرهم مع الله وفى الله عن غيره ويلقون فيها تحية) خلود حياة (وسلاما) سلامة وبراءة عن الآفات اى يحييهم الله بابقائهم سرمدا ببقائه ويسلمهم بابقائهم كماله كما قيل تحيتهم يوم يلقونه بسلام وقال تحيتهم فيها سلام (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل مايعبؤبكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما اى لولم يكن طلبكم لله وارادتكم لكنتم شيأ غير ملتفت اليه ولامعبوأ به كالحشرات والهوام فان الانسان انما يكون انسانا وشيأ معتدا به اذا كان من اصحاب الارادة والطلب والله تعالى اعلم

* (سورة الشعراء)*

(بسم الله الرحمن الرحيم) طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الايكونوا مؤمنين (ط) اشارة الى الطاهر (س) الى السلام و (م) الى المحيط بالاشياء بالعلم * والكتاب المبين الذى هو الاسماء والصفات آياته

لايتم الابالراحة والسكون بالليل فلا بدمنهما فاما فى الجنة فلانصب ولانصب فلاحاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء ابدافبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) اى تعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) اى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) اى بالنهار (ولعلكم تشكرون) اى نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ (ونزعنا) اى اخرجنا وقيل ميزنا (من كل امة شهيدا) يعنى رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) اى للامم المكذبة لرسلهم (هاتوا برهانكم) اى حجتكم بان معى شريكا (فعلموا ان الحق لله) اى التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اى يختلقون فى الدنيا من الكذب على الله * قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن فى بنى اسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد فى طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء اخرجاه فى الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلوم (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعنى خزائنه (لتنوء بالعصبة اولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلنا من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) اى لا تبطر ولا تاشر ولا تمرح (ان الله لا يحب الفرحين) اى الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها فامامن يعلم انه سيفارق الدنيا قريب لم يفرح ولقد احسن من قال

اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اى اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما انعم عليك وتنفقه فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) اى لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم (واحسن كما احسن الله اليك) اى احسن بطاعة الله كما احسن اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس (ولا تبغ) اى ولا تطلب (الفساد فى الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعنى قارون (انما اوتيته على علم عندى) اى على فضل وخير علمه الله عندى

هو الوجود الصمدى الكامل ذو البيان والحكمة كما قال امير المؤمنين عليه السلام * وفيك الكتاب المبين الذى * باحرفه يظهر المضمر * فيكون معناه على ما ذكر فى طه انه عليه السلام لما رأى عدم اهتدائهم بنوره وقبولهم لدعوته استشعر انه من جهته لا من جهتهم فزاد فى الرياضة والمجاهدة والفناء فى المشاهدة فاوحى اليه بان هذه الصفات التى هى الطهارة من لوث البقية المانع من التأثير فى النفوس وسلامة الاستعداد عن النقص فى الامثل والكمال الشامل لجميع المراتب بالعلم هى صفات كتاب ذاتك المبين لكل كمال ومرتبة باتصافها بجميع الصفات الالهية واشتمالها على معانى جميع اسمائه فلا تبخع نفسك اى لا تهلكها على آثارهم بشدة الرياضة لعدم ايمانهم وامتناعهم فانه من جهتهم اما الوجود المانع بشدة الحجاب واما العدم الاستعداد فعسى لعل فى لعلك باخع الاشفاق اى اشفق على نفسك ان تهلكها بالرياضة لعدم ايمانهم وفواته (ان نشأ ننزل عليهم من

لرأى اهلا لذلك تفضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه
علم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى
اضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة
امواله وقيل كان علمه حسن التصرف فى التجارات والزراعات وانواع المكاسب * قال الله
عزوجل (اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا)
اى للاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا اراد عقاب المجرمين
فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال
توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم * قوله عزوجل (فخرج
على قومه فى زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات
وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها
سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة آلاف فرس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان
ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم) اى من المال (وقال الذين
اوتوا العلم) اى بما وعد الله فى الآخرة وقال ابن عباس يعنى الاحبار من بنى اسرائيل للذين
تمنوا مثل ما اوتى قارون (ويلكم ثواب الله) اى ماعند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن)
اى صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) اى ذلك خير مما اوتى قارون فى الدنيا (ولا يلقاها
الا الصابرون) اى لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهى قوله
ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون اى على طاعة الله وعن زينة الدنيا * قوله تعالى
(فخسفنا به وبداره الارض)

* (ذكر قصة قارون) *

قال اهل العلم بالاخبار والسير كان قارون اعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واقرأهم للتوراة
واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى
اوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا فى اورديتهم خيوطا اربعة فى كل طرف خيطا اخضر
كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب
افلا تأمرهم ان يجعلوا اورديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تستحقر هذه الخيوط فقال له ربه
ياموسى ان الصغير من امرى ليس بصغير فاذا لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر
الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا فى اورديتكم خيوطا خضرا كلون السماء
لكى تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما امرهم به موسى واستكبر قارون
فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه
فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهى رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل
يأتون بقربانهم الى هرون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من
ذلك فى نفسه فأتى الى موسى فقال له ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ من
ذلك وانا اقرأ التوراة لا صبر لى على هذا فقال اما انا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له

السماء آية فظلت اعناقهم
لها خاضعين) من العالم
العلوى بتأييد ذلك قهرا
فتخضع اعناقهم له منقادين
مسلمين مستسلمين ظاهرا
وان لم يدخل الايمان
فى قلوبهم كما كان يوم الفتح
اى (فقد كذبوا فسيأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزؤن
اولم يروا الى الارض كم انبتنا
فيها من كل زوج كريم
ان فى ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم واذ نادى
ربك موسى) القلب
المهذب بالحكمة العملية
المدرب بالعلوم العقلية
المشوق بذكر الانوار
القدسية والكمالات
الانسية ووصف المفارقات
والمجردات الى الحضرة
الالهية الغالب على القوة
الشهوانية بالسعى فى طلب
الارزاق الروحانية من
المعارف اليقينية والمعانى
الحقيقية بعد قتل جبار
الشهوة الذى كان يجبر
لفرعون النفس الامارة
وفراره من استيلائها الى
مدين مدينة العلم من الافق
الروحانى ووصوله الى
خدمة شعيب الروح
فى مقام السر الذى هو محل
المكالمة والمناجاة بالسير

قارون والله لااصدقك حتى تريني بآية فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزلها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا فقال له قارون والله ماهذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى اتاه قارون فصالحه على كل الف دينار عنها دينار وعلى كل الف درهم عنها درهم وكل الف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو يريد يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تجيئوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون انزلك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا احضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى ان يموت فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها احدث توبة افضل من ان اوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى ياارض خذيهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق واصحابه في ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده اربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال ياارض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما اغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه اما وعزتي وجلالي لو استغاثني مرة لاغثته وفي بعض الآثار لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة واصبح بنو اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى حتى

العقل بطريق الحكمة واكتساب الاخلاق بالتعديل قبل السلوك في الله التوحيد والرياضة بالترك والتجريد مع بقاء النفس المتقوية بالعلم والمعرفة المتزينة بالفضيلة والمتبهجة بزينتها وكمالها الطاغية بظهورها على اشرف احوالها المنازعة ربها صفة العظمة والكبرياء المحتجبة بالبهجة والبهاء لاحتجابها بانانيتها وانتحالها كمال الحق برؤيته لها فكانت شر الناس كما قال عليه الصلاة والسلام شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حي ولو ماتت ثم قامت القيامة عليها لكانت خير الناس (ان ائت القوم الظالمين) من القوى النفسانية الفرعونية العاتية لفرعون النفس الامارة المتخذة لها ربا الواضعة كمال الحق موضع كمالها وهو افحش الظلم (قوم فرعون الا يتقون) قهري وباسي بتدميرهم وافنائهم (قال رب اني اخاف ان يكذبون) في دعوتي الى التوحيد ولم يطيعوني في الرياضة والترك والتجريد (ويضيق صدري) لعدم اقتداري على قهرهم وعلى بامتناعهم من قبول الاوامر الشرعية

الخسف بداره وكنوزه وامواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) اى
جماعة (ينصرونه من دون الله) اى يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من الممتنعين
مما نزل به من الخسف (واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) اى صار اولئك الذين تمنوا مارزقه
الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى (يقولون ويكأن الله) الم تعلم وقيل الم تر
وقيل هى كلمة تقرير معناها اما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروى
ان وى مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ماسلف منهم وى وكان
معناها اظن واقدر ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس اى يوسع
لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا ان من الله علينا) اى بالايمان (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح
الكافرون) * قوله عزوجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض)
اى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف
والعز عند ذى سلطان وعن على انها نزلت فى اهل التواضع من الولاة واهل المقدرة (ولا فسادا)
قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل اخذ اموال الناس بغير حق وقيل العمل
بالمعاصى (والعاقبة للمتقين) اى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب
نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ان الذى
فرض عليك القرآن) اى انزل عليك القرآن وقيل معناه اوجب عليك العمل بالقرآن
(لرادك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة اخرجه البخارى عنه قال القتيبى معاد
الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار
مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق ونزل
الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام
وقال له اتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى
معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس ايضا لرادك الى الموت وقيل
الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى
صلى الله عليه وسلم انك فى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى اعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه
(ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عزوجل (وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) اى يوحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) فأعطاك القرآن
(فلا تكونن ظهيرا) اى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره
نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ماهم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعد اذ
انزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس
الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم
(ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا انه خاطبه به خصوصا لاجل التعظيم فان
قيل النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من ان يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى قلت الخطاب
معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على امورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو

والاسرار الوحيية ومايكون
خارجا عن طور الفكر
والعقل لتدرجهم بذلك
وتفرعنهم باستبدادهم
(ولا ينطلق لسانى) معهم
فى هذه المعانى لكونها على
خلاف ما تعودوا به ونشؤا
عليه من الحكم العملية
الداعية الى مراعاة التعديل
فى الاخلاق دون الفناء
بالاطلاق (فارسل الى
هرون) العقل ليؤديهم
بالمعقول ويسوسهم بما
يسهل قبولهم له من رعاية
مصلحة الدارين واختيار
سعادة المنزلين فتلين
عريكتهم وتضعف
شكيمتهم بمداراته ورفقه
وموافقته لهم بعلمه وحلمه
(ولهم على ذنب) بقتلى
جبار الشهوة (فاخاف)
ان دعوتهم الى التوحيد
وامرتهم بالتجريد وترك
الحظوظ والاقتصار على
الحقوق (ان يقتلون)
بالاستيلاء والغلبة وهذا
صورة حال من احتجبت
نفسه بالحكمة ولم يتألف
بعد بطريق الوحدة مع
قوة استعداده وعدم وقوفه
مع ما نال من كمال فقلما
تقبل نفسه خلاف ما يعتقد
وتنقاد فى متابعة الشريعة
وتقيد الامن تداركه سبق

كل شيء هالك) اي فان (الا وجهه) اي الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا ما اريد به
وجهه لان عمل كل شيء اريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) اي فصل القضاء بين الخلق (واليه
ترجعون) اي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم والله اعلم بمراده

(تفسير سورة العنكبوت)

وهي مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة
وحروفها اربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (الم احسب الناس) اي اظن الناس (ان يتركوا) اي بغير اختبار وابتلاء
(ان) اي بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) اي لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم
لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في اناس كانوا بمكة قد اقروا
بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام تهاجروا
فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فمنهم من نجا فأنزل الله هاتين
الآيتين وقال ابن عباس اراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن
الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر
وكان اول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول
من يدعى الى باب الجنة من هذه فجزع ابواه وامرأته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى
(ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل
بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب *(فليعلمن الله الذين صدقوا)* اي في قولهم *(وليعلمن
الكاذبين)* والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين
حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار افعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع * قوله تعالى
(ام حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك *(ان يسبقونا)* اي يعجزونا فلا نقدر على
الانتقام منهم *(ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله)* قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب
وقيل من كان يطمع في ثواب *(فان اجل الله لآت)* يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب
وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم *(وهو
السميع العليم)* اي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم او يعاقبهم او يعفو * قوله
تعالى *(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه)* اي له ثوابه وهذا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا
وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة
النفس *(ان الله لغني عن العالمين)* اي عن اعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف اما البشارة
فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شيء عليه لاستغنائه
عنه وهذا يوجب الرجاء التام واما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم
بعذابه فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم *(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم)*
اي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة *(ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون)* اي باحسن اعمالهم وهو الطاعة يعطيهم اكثر مما عملوا * قوله عز

العناية وساعده التوفيق
بالجذبة و (قال كلا) ردع
له عن الخوف بالتشجيع
والتأييد (فاذهبا) امر
باستصحاب العقل للمناسبة
والجنسية وتقرير التوحيد
بطريق البرهان القامع
للتفرعن والطغيان (بآياتنا
(انا معكم مستمعون) وعد
بالكلاءة والحفظ وتقوية
اليقين فان من كان الحق
معه لا يغلبه احد (فأتيا
فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين ان ارسل معنا
بني اسرائيل) القوى
الروحانية المستضعفة
المستخدمة في تحصيل اللذات
الجسمانية (قال الم نربك
فينا وليدا ولبثت فينا من
عمرك سنين) وتربيته اياه
وليدا ولبثه فيهم سنين
صورة حال الطفولية
والصبوية الى اوان التجرد
وطلب الكمال الذي اشده
بلوغ الاربعين فان القلب
في هذا الزمان في تربية
النفس والولاية لها لحكمة
عادية الآلة (فعلت فعلتك
التي فعلت) والفعلة هي
الحركة المذمومة عند
النفس من الاستيلاء على
الشهوة والكفر الذي نسبه
اليه هو اضاعة حق التربية
(وانت من الكافرين قال

وجل *(ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما مايحسن نزلت هذه الآية والتى فى سورة لقمان والاحقاف فى سعد بن ابى وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهرى وامه حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بابيه قالت له امه ماهذا الذى احدثت والله ما آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال ياقاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يااماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى ان شئت وان شئت فلا تأكلى فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وامره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما فى الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما) وفى الحديث لاطاعة لمخلوق فى معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فانبئكم) اى فاخبركم (بما كنتم تعملون) اى بصالح اعمالكم وسيآتها اى فاجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) اى فى زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل فى مدخل الصالحين وهو الجنة * قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى) يعنى اصابه بلاء من الناس افتتن (فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) اى جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله فى الآخرة والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا اوذى فى الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) اى فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) اى هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) اى على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ماقلنا فاكذبهم الله تعالى فقال *(اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين)* اى من الايمان والنفاق *(وليعلمن الله الذين آمنوا)* اى صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء *(وليعلمن المنافقين)* اى بترك الاسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية فى اناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس او مصيبة فى انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت فى الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم وقيل هذه الآيات العشر من اول السورة الى ههنا مدنية وباقى السورة مكى *(وقال الذين كفروا)* يعنى من اهل مكة قيل قاله ابو سفيان (للذين آمنوا) اى من قريش *(اتبعوا سبيلنا)* يعنى ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله *(ولنحمل خطاياكم)* اى اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل بقوله *(وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون)* فى قولهم نحمل خطاياكم *(وليحملن اثقالهم)* اى اوزار اعمالهم التى عملوها بانفسهم *(واثقالا مع اثقالهم)* اى اوزار من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن

فعلتها اذا وانا من الضالين) اى لست من الكافرين لكون الصلاح فى ذلك بل من الذين لايهتدون الى طريق الوحدة (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) اى حكمة متعالية عن طريق البرهان وراء طور الكسب والعقل (وجعلنى من المرسلين) اليكم بها (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) واما تعبيد بنى اسرائيل القوى التى هى قومى فليس بمنة تمنها على بل عدوان وطغيان اذ لولم تعبد هم لما القتنى اى الطبيعة البدنية فى يم الهيولى فى تابوت الجسد واقسام بتربيتى اهلى وقومى من القوى الروحانية (قال فرعون ومارب العالمين) قيل فى القصة ان فرعون كان منطقيا مباحثا سأل بما هو عن حقيقته تعالى فلما اجابه موسى عليه السلام بقوله (قال رب السموات والارض ومابينهما) وبين ان حقيقته لاتعرف بالحد لبساطتها غير معلومة للعقل لشدة نوريتها ولطافتها بل عرفها بالصفة الاضافية والخاصة اللازمة وعرض به فى تجهيله ونفى الايقان عنه بقوله

في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شئ رواه مسلم *(وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون)* اى سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم باعمالهم وافترائهم * قوله تعالى *(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث)* اى اقام *(فيهم)* يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده *(الف سنة الا خمسين عاما)* فان قلت مافائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان احداهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل انه يقول مائة سنة تقريبا لاتحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا اوالا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هى لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا واعلى مراتب العدد الف سنة وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم وافخم هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فصبر فى الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقى فى قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره الفا وخمسين عاما وقيل فى عمره غير ذلك * قوله تعالى *(فاخذهم الطوفان)* اى فاغرقهم *(وهم ظالمون)* قال ابن عباس مشركون *(فانجيناه واصحاب السفينه)* يعنى من الغرق *(وجعلناها)* يعنى السفينة *(آية)* اى عبرة *(للعالمين)* قيل انها بقيت على الجودى مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة * قوله تعالى (وابرهيم) اى وارسلنا ابراهيم (اذقال لقومه اعبدوا الله واتقوه) اى اطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) اى ماهو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لاتعلمون (انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا) اى تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما بايديكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) اى لايقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا) اى فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه القادر على ذلك (واعبدوه) اى اى وحدوه (واشكروا له) لان المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) اى فى الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم) اى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) * قوله تعالى (اولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة فى قصة ابراهيم هى فى تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا أو لم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) اى يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) اى فى الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) اى الخلق الاول والخلق الثانى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) اى انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) اى ثم ان الله الذى خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لايتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شئ قدير) اى من البداءة والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (واليه تقلبون) اى تردون (وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) قيل معناه ولا من فى السماء بمعجز والمعنى انه لايعجزه اهل الارض فى الارض ولا اهل السماء فى

(السماء)

ان كنتم موقنين) اى لو كنتم من اهل الايقان لعلمتم ان لاطريق للعقل الى معرفته الا الاستدلال على وجوده بافعاله الخاصة به واما حقيقته فلا يعرفها الا هو وحده وماسألتم عنه مما لايصل اليه نظر العقل (قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون) استخفه ونبه قومه على خفة عقله وكون جوابه غير مطابق للسؤال تعجبا منه لقومه وتسفيها له فلاتى قوله بمثل ماقال اولا من اراد خاصة اخرى جننه ثلث بقوله) قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون) اى ان جننت فاين عقلكم حتى يعرف طوره ولم يتجاوز حده وهذه المقالة اشارة الى ان النفس المحجوبة بعقولها لاتهتدى الى معرفة الحق وحكمة الرسالة والشرع ولاتذعن المتابعة ولاتنقاد للمطاوعة بل تظهر بالانانية وطلب العلوم والربوبية والتغلب على الرسالة الالهية وهو معنى قوله (قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك

السماءوقيل معنى قوله ولا فى السماء اى لو كنتم فيها (ومالكم من دون الله من ولى) اى يمنعكم منى ولا نصير) اى ينصركم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) يعنى بالقرآن (ولقائه) اى البعث *(أولئك يئسوا من رحمتى)* يعنى الجنة *(وأولئك لهم عذاب اليم)* فهذا آخر الآيات فى تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى *(فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه أوحرقوه)* قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه اوحرقوه *(فأنجاه الله من النار)* اى بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار *(ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)* يصدقون (وقال) يعنى ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا) اى ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها فى الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعنى العابدين والمعبودين جميعا (ومالكم من ناصرين) اى مانعين من عذابه (فآمن له لوط) اى صدقه برسالته لما راى معجزاته وهو اول من صدق ابراهيم واما فى اصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر *(وقال)* يعنى ابراهيم (انى مهاجر الى ربى)* الى حيث امرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشأم ومعه لوط وامرأته سارة وهو اول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة *(انه هو العزيز)* اى الذى لا يغلب والذى يمنعنى من اعدائى *(الحكيم)* الذى لا يأمرنى الا بما يصلحنى * قوله تعالى *(ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب)* يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله *(وآتيناه اجره فى الدنيا)* هو الثناء الحسن فكل اهل الاديان يتولونه ويحبونه والصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له فى الدنيا *(وانه فى الآخرة لمن الصالحين)* اى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح * قوله عزوجل *(ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة)* اى الفعلة القبيحة *(ماسبقكم بها من احد من العالمين)* اى لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال *(أئنكم لتأتون الرجال)* يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال *(وتقطعون السبيل)* وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء *(وتأتون فى ناديكم المنكر)* اى مجالسكم والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن ام هانئ بنت ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمى الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه قال انا اولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا فى مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف والرمى بالجلاهق واللوطية *(فما كان جواب قومه)* اى لما انكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح *(الا ان قالوا)* يعنى استهزاء *(ائتنا بعذاب الله ان كنت

بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فالقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين) والشئ المبين الذى يمنعه عن الاستيلاء ويردعه عن الغلبة والاستعلاء

من الصادقين) اى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك *(قال رب انصرني على القوم المفسدين)* اى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل *(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى)* يعنى من الله باسحق ويعقوب *(قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية)* يعنى قوم لوط والقرية سدوم *(ان اهلها كانوا ظالمين قال)* يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله *(ان فيها لوطا قالوا)* اى قالت الملائكة *(نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين)* اى من الباقين فى العذاب *(ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم)* اى ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه *(وضاق بهم ذرعا)* اى عجز عن تدبير امرهم فحزن لذلك *(وقالوا لا تخف)* اى من قومك *(ولا تحزن)* علينا *(انا منجوك واهلك)* اى انا مهلكوهم ومنجوك واهلك *(الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا)* اى عذابا *(من السماء)* قيل هو الخسف والحصب بالحجارة *(بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها)* اى من قريات لوط *(آية بينة)* اى عبرة ظاهرة *(لقوم يعقلون)* يعنى افلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض * قوله تعالى *(والى مدين)* اى وارسلنا الى مدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول وارسلنا الى اهل مدين *(اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر)* اى افعلوا فعل من يرجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه *(ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة)* اى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة *(فأصبحوا فى دارهم جاثمين)* اى باركين على الركب ميتين *(وعادا وثمودا)* اى واهلكنا عادا وثمود *(وقد تبين لكم)* اى من منازلهم بالحجر واليمن *(وزين لهم الشيطان اعمالهم)* اى عبادتهم لغير الله *(فصدهم عن السبيل)* اى عن سبيل الحق *(وكانوا مستبصرين)* اى عقلاء ذوى بصائر وقيل كانوا معجبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين *(وقارون وفرعون وهامان)* اى اهلكنا هؤلاء *(ولقد جاءهم موسى بالبينات)* اى بالدلالات الواضحات *(فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين)* اى فائتين من عذابنا اى فائتين من عذابنا *(فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا)* وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهى الحصى الصغار *(ومنهم من اخذته الصيحة)* يعنى ثمود *(ومنهم من خسفنا به الارض)* يعنى قارون واصحابه *(ومنهم من اغرقنا)* يعنى قوم نوح وفرعون وقومه *(وما كان الله ليظلمهم)* اى بالهلاك *(ولكن كانوا انفسهم يظلمون)* اى بالاشراك * قوله تعالى *(مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء)* يعنى الاصنام يرجون نصرها ونفعها *(كمثل العنكبوت اتخذت بيتا)* لنفسها تأوى اليه وان بيتها فى غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص او نحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقريتها

هو النور البارق القدسى والبرهان النير العرشى الذى اشلف به القلب فى الافق الروحى المعجز للنفس والقوى الدالة على صدقه فى الدعوى المفيد لقوتيه العاقلتين النظرية والعلمية الهيئة النورية والقوة القهرية حتى صارت الاولى قوة قدسية متأيدة بالحكمة البالغة يعتمد عليها فى قمع العدو عند المجادلة ودفع الخصم عند المغالطة والثانية قوة ملكية متأيدة بالقدرة الكاملة يعجزبها من غالبه فى القوة وعارضة بالقدرة فاذا القى عصى القوة القدسية بالذكر القلبى صار ثعبانا ظاهر الثعبانية فى الغلبة القوية واذا نزع يد الملكية من جيب الصدر حير الناظر بالاشراق والنورية ولما تحيرت النفس الفرعونية وقواها وعجزت وخافت ان يخرجها من ارض البدن ويدفع شر فسادها ورياستها فيها ويمنع تسلطها واستيلاءها بعثوا لدواعى الشيطانية واستنهضوا البواعث النفسانية الى مدائن محال القوى الوهمية والتخيلية واحضروا سحرتها لالقاء الوساوس والهواجس

لتباذ بنا عبادة الاوثان لانها لاتضر ولاتنفع *(وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت)* اشار الى ضعفه فان الريح اذاهبت عليه اولمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان *(لو كانوا يعلمون)* اى ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن *(ان الله يعلم مايدعون من دونه من شئ)* هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعنى ان الذى يدعون من دونه ليس بشئ *(وهو العزيز الحكيم)* معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شئ ويشتغل بعبادة من ليس بشئ اصلا *(وتلك الامثال) اى الاشباه يعنى امثال القرآن التى شبه بها احوال الكفار من هذه الامة بأحوال كفار الامم السابقة (نضربها) اى نبينها (للناس) اى لكفار مكة (ومايعقلها الا العالمون) يعنى مايعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عزوجل روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله ان النبى صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) اى للحق واظهار الحق (ان فى ذلك لآية) اى دلالة (للمؤمنين)على قدرته وتوحيده* وقوله تعالى(اتل مااوحى اليك من الكتاب) يعنى القرآن (واقم الصلوة)فان قلت لم بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد الحق ولسانية وهى الذكر الحسن وبدنية وهى العمل الصالح لكن الاعتقاد لايتكرر فان من اعتقد شيأ لايمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك امر بهما (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) اى ماقبح من الاعمال (والمنكر) اى مالايعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصى والسيئات كما روى عن انس قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيأ الاركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه مادام فى صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان فى الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القرآن وبه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفى رواية انه قيل يارسول الله ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعى للصلاة لابدوان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لايراعيها (ولذكر الله اكبر) اى انه افضل الطاعات عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قدمار سول الله قال ذكر الله اخرجه الترمذى وله عن ابى سعيد الخدرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله

بالآلات المغالطات والتشكيكات وجموعها لوقت الحضور وجمعية جميع القوى النفسانية والبدنية والروحانية فى توجه السر الى حضرة القدس فالقوا حبال التخييلات والوهميات وعصى الهواجس والوساوس لتوهم الغلبة بعزة فرعون النفس الامارة وقوته ورجاء التعظيم والمنزلة والتقريب فى صدر الرياسة والسلطنة فتلقفها ثعبان القوة القدسية بقوة التوحيد وابتلع مأفوكاتها بنور التحقيق فانقادت سحرة الوهم والخيال والتخيل اذفقدت آلاتها وآمنت بنور اليقين فى متابعة موسى القلب وهرون العقل بربهما فبقيت مقطوعة الارجل والايدى عن السعى فى ارض البدن بانواع الحيل والكيد والمكر وطلب المعاش وتحصيل اللذات والشهوات والتصرف فى املاك القوى البدنية بالرياسة والسلطنة من جهة مخالفة النفس وموافقة القلب مصلوبة على جذوع النفس النباتية ممنوعة عن حركاتها بالرياضة والقهر والسياسة منقلبة الى ربهم فى متابعة القلب

كثيرا قالوا يارسول الله والغازى فى سبيل الله فقال لوضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب فى سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد اتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهى وقيل هم المتخلفون من الناس بذكر الله لايخلطون به غيره (خ) عن ابى هريرة وابى سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لايقعد قوم يذكرون الله الاحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان اعرابيا قال يارسول الله اى الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله اكبر اى لن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) اى لايخفى عليه شئ من امركم ❊ قوله عز وجل (ولا تجادلوا اهل الكتاب) اى ولا تخاصموهم (الابالتى هى احسن) اى القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه واراد بهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) اى ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فالجؤهم بالسيف حتى يسلموا اويعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لاعهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) اى للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشئ مما فى كتبكم (آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن ابى هريرة قال كان الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا الآية ❊ قوله عز وجل (وكذلك) اى كما انزلنا اليهم الكتاب (انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعنى مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه (ومن هؤلاء) يعنى اهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يامحمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب اى من قبل ما انزلنا اليك الكتاب (ولا تخطه بيمينك) اى ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحى (اذا لارتاب المبطلون) معناه لوكنت تكتب اوتقرأ قبل الوحى اليك لارتاب المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين اوينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذى نجد نعته فى التوراة لايقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعنى القرآن (فى صدور الذين اوتوا العلم) يعنى المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدون نعته وصفته فى كتبهم (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) يعنى اليهود (وقالوا) يعنى كفار مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) اى كما انزل على الانبياء من قبل وقيل اراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح

ومشايعة السر عند التوجه الى الحق مغفورة خطاياهم من التزويرات والمفتريات بنور القدس واوحى الى موسى القلب اسراء القوى الروحانية فى ليل هدو الحواس وسكون القوى النفسانية الى الحضرة الوحدانية والعبور من بحر المادة الهيولانية فلما انبعهم فرعون النفس فى التلوينات حاشرا جنوده من مدائن طبائع الاعضاء حاذرا من ذهاب رياسته وملكه متمثلا من غيظ تسلط القلب واتباعه واستيلائه على مملكته واعوانه فكادوا ان يظهروا بهم ضرب موسى القلب بامر الحق عند تقابلهما وتعارضهما بعصا القوة القدسية البحر الهيولانى فانفلق الى الحقوق والحظوظ ونجا موسى وقومه بطريق التجريد واخرج اعداءهم بالمنع عن الحظوظ والاجبار على الحقوق من جنات اللذات النفسانية وعيون اذواقها واهوائها وكنوز مدخراتها واسبابها ومقام كون الى مشتهياتها الى ان خرج موسى واهله من البحر بالمفارقة وغرق فرعون النفس وقومه

مائدة وعيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) اى هو القادر على انزالها ان شاء انزلها (وانما انا نذير مبين) اى انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدى (اولم يكفهم انا انزلنا) هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه آية من ربه قال اولم يكفهم انا انزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لاتضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) يعنى القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) اى تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لى انى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والارض) اى هو المطلع على امرى وامركم ويعلم حق وباطلكم لاتخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثانى لبيان قبح الاول فهو كقول القائل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (اولئك هم الخاسرون) اى المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان * قوله عزوجل (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك انى لا اعذب قومك ولا استأصلهم واؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعنى العذاب وقيل الاجل (بغتة وهم لايشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب) اعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) اى جامعة لهم لايبقى منهم احد الادخلها (يوم يغشاهم العذاب) اى يصيبهم (من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) اى جزاء ما كنتم تعملون * قوله تعالى (يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) قيل نزلت فى ضعفاء مسلمى اهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم فى ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى ارض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها اى لجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عملوا فى الارض بالمعاصى فاهربوا منها فان ارضى واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصى فاهربوا فان ارضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيه بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى ان ارضى واسعة اى رزقى لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) اى كل احد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) فنجزيكم باعمالكم * قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) اى على جمع غرفة وهى العلية (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين) اى لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى (وعلى ربهم يتوكلون) اى يعتمدون على الله فى جميع امورهم * قوله عزوجل

اجمعون (قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون فارسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال

(وكاين من دابة لاتحمل رزقها) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان المؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنابها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة لاتحمل رزقها اى لاترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيأ لغد مثل البهائم والطير (الله يرزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) اى لاقوالكم (العليم) بما فى قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار الى اوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيأ قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ليس من شئ يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث فى روعى الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصى الله عزوجل فانه لايدرك ما عند الله الا بطاعته * قوله عزوجل (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر امرين احدهما اشارة الى اتحاد الذات والثانى اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر (ليقولن الله فانى يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدر له) اى يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) اى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) اى على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم (بل اكثرهم لايعقلون) اى انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء * قوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لايعنيه وما لايهمه واللعب هو العبث وفى هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) اى الحياة الدائمة الخالدة التى لاموت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفانى على الباقى * قوله عزوجل (فاذا ركبوا فى الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) اى تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) اى عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح القوها فى البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم)

(اى)

افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين) كل من عكف على شئ بهواه ويحبه ويتولاه فهو عابد له محجوب به عن ربه موقوف معه عن كماله وذلك عدو والموحد اذا الغير لايوجد عنده الا فى التوهم فالباعث على عبادته الشيطان والغالب على عابده الظلم والعدوان ولايضر غير الحق فى شهوده ولا ينفع ولا يبصر بنفسه ولا يسمع لانه يشهد الحق قائما على كل نفس بما تفعل وابدى الافعال كلها فى حضرة اسمائه منه تصدر كما قال عليه السلام (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين) فهو الخالق والهادى والمطعم والساقى والممرض والشافى والمميت والمحيى ويقرر هذا المعنى قوله انما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون الى قوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولما كان هذا المقام مقام الفناء وذنبه لايكون الا بوجود البقية خاف ذنب حاله

اى ليجحدوا نعمة الله فى اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لا فائدة لهم فى الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به فى العاجلة ولا نصيب لهم فى الآخرة (فسوف يعلمون) يعنى عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد * قوله عزوجل (اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعنى العرب يسبى بعضهم بعضا واهل مكة آمنون (افبالباطل) يعنى الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اى فزعم ان له شريكا فانه منزه عن الشركاء (او كذب بالحق) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين) معناه اما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم * قوله عزوجل (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا (لنهدينهم سبلنا) لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهى التى توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) اى بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة فى عقباهم فى الآخرة وثوابهم الجنة والله اعلم

* (تفسير سورة الروم وهى مكية) *

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عزوجل (الم غلبت الروم فى ادنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجالا وجيشا وامر عليهم رجلا يدعى يحنين فالتقيا باذرعات وبصرى وهى ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابى بن خلف الجمحى فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة اى اراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع

ورجا غفرانه منه بنور ذاته فقال (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى القيامة الكبرى ولا يجازينى من ظهور البقية بالحرمان ثم سأل الاستقامة فى التحقق به فى مقام البقاء بقوله (رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين) اى حكمة وحكما بالحق لاكون من الذين جعلتهم سببا الصلاح العالم وكمال الخلق واجعلنى محبوبا لك فحببنى بحبك خلقك ابدا فحصل لى (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) اذ لابد لمن يحب شيأ من كثرة ذكره بالخير ذكره اللازم مكان الملزوم (واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى الاحال من اتى الله وسلامة القلب بامرين براءته عن نقص الاستعداد فى الفطرة ونزاهته عن حجب صفات النفس فى النشأة (وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون

فكبكبوا فيها هم والغاوون
وجنود ابليس اجمعون
قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم برب العالمين
وما اضلنا الا المجرمون
فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم فلو ان لنا كرة
فنكون من المؤمنين ان
في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت
قوم نوح المرسلين اذ قال
لهم اخوهم نوح) يمكن
ان يؤول كل نبي مذكور
فيها بالروح او القلب
وتكذيب قومه المرسلين
بامتناع القوى النفسانية
عن قبول التأدب بآداب
الروحانيين والتخلق
باخلاق الكاملين وقول
النبي (الا تتقون) معناه
تجتنبون الرذائل (اني لكم
رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجري الا على
رب العالمين فاتقوا الله
واطيعون قالوا انؤمن
لك واتبعك الارذلون قال
وما علمي بما كانوا يعملون
ان حسابهم الا على ربي
لو تشعرون وما انا بطارد
المؤمنين ان انا الا نذير مبين
قالوا لئن لم تنته يا نوح

فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال
ازايدك في الخطر واماددك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين فقال
قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان
تخرج من مكة فاقم لي ضامنا كفيلا فكفله ابنه عبدالله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان
يخرج الى احد اتاه عبدالله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه
كفيلا ثم خرج الى احد قال ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه
النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس
سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق
مدينة وسموها رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به النبي صلى الله عليه
وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم
فارسا على ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى
بلغ الخليج فبينا اخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لاصحابه لقد رأيت كاني جالس على
سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا اتاك كتابي فابعث الي برأس اخيك
فرحان فكتب اليه ايها الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لنكاية وصولة في العدو فلا تفعل
فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل الي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه
وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث
مع البريد صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولي فرحان الملك وانقاد له اخوه
فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة
ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها
استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا
بسفط ففتحه واعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد قتلي بكتاب
واحد فرد فرحان الملك الى اخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم اما بعد ان لي اليك
حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك في خمسين فارسيا
فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة ان يريد أن
يمكر به حتى اتاه عيونه فاخبروا انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها
ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذي خرب
بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد ان يقتل اخي فابيت عليه ثم امر
اخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد اصبتما واشار احدهما الى صاحبه ان
السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم على فارس عند
ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض يعني
قرب ارض الشام الى فارس وقيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد
غلبهم) اي فارس لهم (سيغلبون) اي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة

الى السبع وقيل الى التسع وقيل مادون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) اى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) اى للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك (ينصر من يشاء) اى بيده النصر ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) اى بالمؤمنين * قوله تعالى (وعد الله) اى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اى ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) يعنى امر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلى وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) اى ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها * قوله عز وجل (اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعنى لاقامة الحق (واجل مسمى) اى لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا فى الارض) اى يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اى ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض) اى حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعنى الامم الخالية (اكثر مما عمروها) يعنى اهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) اى فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) اى بنقص حقوقهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) اى اى ببخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين اساؤا) اى اساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعنى الخلة التى تسوءهم وهى النار وقيل السواء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (ان كذبوا) اى لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيآت على ان كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) * قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) اى خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء (ثم اليه ترجعون) اى فيجزيهم باعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه انهم يأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعنى اصنامهم التى عبدوها (شفعؤا) اى يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) اى جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) اى يتميز اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالى (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) اى فى جنة وقيل الروضة البستان الذى هو غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل فى معنى يحبرون هو السماع فى الجنة قال الاوزاعى ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ فى السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ فى السماع فلا يبقى فى الجنة شجرة الا وردت وسأل اباهريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة

لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله

اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيجاوب بعضها بعضا لم يسمع احد احسن منه (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى البعث يوم القيامة (فاولئك فى العذاب محضرون) ❊ قوله تعالى (فسبحان الله) يعنى فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) اى تدخلون فى المساء وهى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) اى تدخلون فى الصباح وهى صلاة الصبح (وله الحمد فى السموات والارض) قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) اى وصلوا لله عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) اى تدخلون فى الظهيرة وهى صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان افضل الاعمال ادومها والانسان لايقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى مايعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وامر بها فى اول النهار ووسطه وآخره وفى اول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتى الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتى الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته فى التسبيح والعبادة

❊ (فصل فى فضل التسبيح) ❊ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال اوزاد عليه اخرجهما الترمذى وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه فى صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجدها فرجع بعد ماتعالى النهار فقال مازلت فى مجلسك هذا مذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن ابى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب الف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف خطيئة وفى رواية غير مسلم يحط عنه اربعين الفا ❊ قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) اى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيى الارض بعد موتها) اى بالمطر واخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) اى مثل اخراج النبات

والمطيعون وماأسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) اؤدى اليكم ماتلقفت من الحق من الحكم والمعانى اليقينية غير مخلوطة بالوهميات والتخيلات (فاتقوا الله) فى التجريد والتزكية (واطيعون) فى التنور والتحلية (ولاتطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولايصلحون قالوا انما انت من المسحرين ماانت الابشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الاتتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وماأسئلكم عليه من اجر) عما عندكم من اللذات والمدركات الجزئية فانى غنى عنها

من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته ان خلقكم من تراب) اى
خلق اصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) اى تنبسطون فى الارض (ومن
آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) اى جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حواء من ضلع
آدم (لتسكنوا اليها) اى لتميلوا للازواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) اى
جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة
ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ احب الى احدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان
(ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) اى فى عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم) اى اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس
النطق واشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء
حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت احد صوت الآخر (والوانكم) اى
اسود وابيض واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل
واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف اى ليعرف
كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا
واحدا لوقع التجاهل والالتباس وتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره
والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفى
ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) اى لعموم العلم فيهم
(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) اى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم
من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) اى سماع
تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) اى للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) اى
للمقيم ليستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء
فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) اى قدرة الله وانه القادر عليه
(ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد
وقيل بدوم قيامهما بامره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا
انتم تخرجون) اى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
من الارض (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) اى مطيعون قال ابن عباس كل له
مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العادة (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم
يعيده) اى يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو اهون عليه) اى هو هين عليه
وما من شئ عليه بعزيز وقيل معناه وهو ايسر عليه فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة
تكون اهون من الانشاء وقيل هو اهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة
فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية
عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) اى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شئ وقيل هو
الذى لا اله الا هو (فى السموات والارض وهو) اى فى ملكه (العزيز الحكيم) اى فى خلقه
* قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) اى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل (من انفسكم)

(ان اجرى الا على رب العالمين)
بالقاء المعانى والحكم الكلية
واشراق الانوار اللدنية
القدسية (اتأتون الذكران
من العالمين وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم
بل انتم قوم عادون قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين قال انى لعملكم
من القالين رب نجنى واهلى
مما يعملون فنجيناه واهله
اجمعين الا عجوزا فى الغابرين
ثم دمرنا الآخرين وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين ان فى ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة المرسلين
اذ قال لهم شعيب الا تتقون
انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين
اوفوا الكيل ولا تكونوا
من المخسرين وزنوا
بالقسطاس المستقيم
ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا فى الارض
مفسدين واتقوا الذى
خلقكم والجبلة الاولين
قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا
وان نظنك لمن الكاذبين
فاسقط علينا كسفا من السماء

ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت ايمانكم) اى عبيدكم واماثكم (من شركاء فيما رزقناكم) اى من المال (فانتم فيه سواء) اى هل يشارككم عبيدكم فى اموالكم التى اعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم انفسكم) اى تخافون ان يشاركوكم فى اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر فى المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامره دون شريكه ويخاف الرجل شريكه فى الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون ان تكون آلهتكم التى يعبدونها شركائى وهم عبيدى (كذلك نفصل الآيات) اى الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) اى ينظرون فى هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعنى اشركوا بالله (اهواءهم) اى فى الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم فمن يهدى من اضل الله) اى عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) اى مانعين يمنعونهم من عذاب الله * قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) يعنى اخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده * قوله تعالى (حنيفا) اى مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) اى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التى فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخارى فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا فطرت الله الآية ولهما فى رواية قالوا يا رسول الله افرأيت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعنى على العهد الذى اخذ الله عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه او ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال فى معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اى خلقته التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود فى مبدا الخلقة على الفطرة اى على الجبلة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل الى اديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والمحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء اى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون

(فيها)

ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) لان تنزلهم لا يكون الا عند استعداد قبول النفوس لنزولها بالمناسبة فى الخبث والكيد والمكر والغدر

فيها من جدعاء يعني هل تشعرون او تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الاذن اوالانف * قوله عزوجل (لاتبديل لخلق الله) اي لاتبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولاتبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لاتبديل لخلق الله هو ماجبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلايصير السعيد شقيا ولاالشقي سعيدا وقيل الآية في تحريم اخصاء البهائم (ذلك الدين القيم) اي المستقيم (ولكن اكثر الناس لايعلمون) * قوله عزوجل (منيبين اليه) اي فاقم وجهك انت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) اي ومع ذلك خافوه (واقيموا الصلاة) اي داوموا على ادائها في اوقاتها (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) اي راضون بما عندهم * قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) اي قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) اي مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) اي خصبا ونعمة (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) اي ليجحدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) اي حالكم في هذه الآخرة (ام انزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) اي ينطق (بما كانوا به يشركون) اي بشركهم ويأمرهم به (واذا اذقنا الناس رحمة) اي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) اي فرحوا وبطروا (وان تصبهم سيئة) اي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت ايديهم) من السيآت (اذاهم يقنطون) اي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره * قوله عزوجل (فآت ذاالقربى حقه) اي من البر والصلة (والمسكين) اي حقه وهو التصدق عليه (وابن السبيل) اي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) اي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (واولئك هم المفلحون) * قوله عزوجل (وما آتيتم) اي اعطيتم (من ربا ليربو في اموال الناس) اي في اجتلاب اموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه اكثر منها فهو جائز حلال ولكن لايثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يربو عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولاتمنن تستكثر اي لاتعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه اوقريبه ليكثر ماله لايريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيحصل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربوا عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتم من زكوة) اي اعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) اي بتلك الصدقة (فاولئك هم المضعفون) اي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف ذوالاضعاف من الحسنات * قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) اي

والخيانة وسائر الرذائل فان مدركات الشياطين من قبيل الوهميات والخياليات فمن تجرد صفات النفس وترقى عن افق الوهم الى جناب القدس وتنورت نفسه بالانوار الروحية اومصابيح الشهب السبوحية واشرق عقله لاتصال بالعقل الفعال وتلقى المعارف والحقائق في العالم الاعلى ماينبغي و لايمكن للشياطين ولا ان يتلقفوا المعارف والحقائق والمعاني الكلية و الشرائع فانهم معزولون عن جناب سماء الروح واستماع كلام الملكوت الاعلى مرجومون بشهب الانوار القدسية والبراهين العقلية لان طور الوهم لايترق عن افق القلب ومقام الصدر ولايتجاوز الى السر فكيف الى حد من هو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى (فلاتدع مع الله الها آخر) اي لاتلتفت الى وجود الغير بظهور النفس ولاتحتجب في الدعوة بالكثرة عن الوحدة (فتكون من المعذبين) بالقاء الشياطين وان امتنع تنزلهم بالموافقة والمراقبة كقوله القى الشيطان في امنيته فانه

بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح افواهها فما وقع فيه المطر صار لؤلؤا (بما كسبت ايدي الناس) اي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل احد بني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) اي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) اي عن الكفر واعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) اي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان اكثرهم مشركين) اي فاهلكوا بكفرهم * قوله عزوجل (فاقم وجهك للدين القيم) اي لدين الاسلام (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر احد على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) اي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) اي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) اي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا اكثر من اعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم * قوله تعالى (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات) اي تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته) اي بالمطر وهو الخصب (ولتجري الفلك) اي بهذه الرياح (بامره ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) اي هذه النعم * قوله تعالى (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) اي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين اجرموا) يعني اهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اي مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء * عن ابي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن * قوله عزوجل (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) اي تنشره (فيبسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم او يومين او اكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) اي قطعا متفرقة (فترى الودق) اي المطر (يخرج من خلاله) اي من وسطه (فاذا اصاب به) اي بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) اي يفرحون بالمطر (وان كانوا) اي وقد كانوا (من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين) اي آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) اي المطر والمعنى انظر الى حسن

لا يأمن في الانذار والنزول الى مبالغ عقول المنذرين ونفوسهم القاهم وان امن تنزلهم ومصاحبتهم واغواءهم عند التلاق (وانذر عشيرتك الاقربين) من الذين يقارب استعدادهم استعدادك ويناسب حالهم بحسب الفطرة حالك اذ القبول لا يكون الا بجنسية ما في النفس وقرب في الروح (واخفض جناحك لمن) لمن بالنزول الى مرتبة من (اتبعك من المؤمنين) تخاطبه بلسانه ليفهم وترقيه عن مقامه فيصعدوا الا لم يمكنهم متابعتك (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) لاستحكام الرين وتكاثف الحجاب تبرأ عن حولهم وقوتهم وحولك وقوتك بالتوكل والفناء في افعاله تعالى فانهم واياك لا يقتدرون على ما لم يشا الله ولا يكون الا ما يريد وشاهد في توكلك وفنائك عن افعالك مصادر افعاله عن العزة التي يقهر بها من يشاء من العصاة فيحجبهم ويمنعهم من الايمان والرحمة التي يرحم بها ويفيض النور على من يشاء من اهل الهداية فانه يحجب المحجوبين بقهره وجلاله

تأثيره فى الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى) يعنى ان الذى احيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شئ قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا) اى الزرع بعد الخضرة (لظلوا من بعده) اى من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) اى يجحدون ماسلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتى (فانك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن با ياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره قوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف) اى بدأكم وانشاكم على ضعف وقيل من ماء ذى ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه احوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) اى من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) اى هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق مايشاء) اى من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من افعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على مايشاء * قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) اى يحلف المشركون (مالبثوا) اى فى الدنيا (غير ساعة) معناه انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا فى قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) اى يصرفون عن الحق فى الدنيا وذلك انهم كذبوا فى قولهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لايبعثوا والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم فحلفوا على شئ تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره * ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث) اى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه من اللبث فى القبور وقيل معنى الآية وقال الذين اوتوا العلم فى كتاب الله والايمان يعنى الذين يقرؤن كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث اى فى قبوركم (فهذا يوم البعث) اى الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا (ولكنكم كنتم لاتعلمون) اى وقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون) اى لاتطلب منهم العتبى والرجوع فى الآخرة وقيل لاتطلب منهم التوبة التى تزيل الجريمة لانها لاتقبل منهم * قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون) يعنى ما انتم الا على الباطل وذلك على سبيل العناد فان قلت مامعنى توحيد الخطاب فى قوله ولئن جئتهم والجمع فى قوله ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهى ان الله تعالى قال ولئن جئتهم كل آية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انكم كلكم ايها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) اى توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) اى فى نصرك واظهارك على عدوك (ولا يستخفنك) اى لايحملنك على الجهل وقيل لايستخفن رأيك (الذين لايوقنون) اى بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

(تفسير سورة لقمان وهى مكية)

واربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف

ويهدى المهتدين بلطفه وجماله وليس لك من الامر شئ انك لاتهتدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك) ويحضرك ويحفظك (حين تقوم) فى النشأة فى القيامة الصغرى والفطرة فى الوسطى بالوحدة حين الاستقامة فى الكبرى (وتقلبك فى الساجدين) انقلابك وانتقالك فى اطوار القانتين فى افعاله تعالى وصفاته وذاته بالنفس والقلب والروح فى زمرتهم وقبل النشأة الاولى فى اصلاب آبائك الانبياء القانتين فى الله عنها (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) لما تعمله فيعلم انه ليس من كلام الشياطين والقائهم (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالايفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) تقرير لقوله تعالى وماينبغى لهم ومايستطيعون لان الافك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) اى الذين يعلمون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) * قوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الآية قيل نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجر فيأتى الحيرة ويشترى اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشترى ذات لهو اوذا لهو الحديث وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل تعليم المغنيات ولابيعهن وأثمانهن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ومامن رجل يرفع صوته بالغناء الابعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلايزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت أخرجه الترمذى وهذا لفظه عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتبيعوا القينات المغنيات ولاتشتروهن ولاتعلموهن ولاخير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام وفى مثل هذا نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذى لااله الاهو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) اى دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) اى يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) اى يتخذ آيات الله مزحا (أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) اى لايعبأ بها ولا يرفع لها رأسا (كأن لم يسمعها) اى يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) اى ثقلا ولاوقر فيهما (فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لايخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) * قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصفحة مستوية وهو قول المفسرين وهى فى الفضاء والفضاء لانهاية له وكون السماء فى بعضه دون بعض ليس ذلك الابقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) اى ليس لها شئ يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لاتزول وليس ذلك الابقدرة الله تعالى وفى قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أى ليست هى بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثانى انه راجع الى العمد ومعناه

والاثم من لوازم النفوس الكدرة الخبيثة المظلمة السفلية المستمدة من الشياطين بالمناسبة المستدعية لالقائهم وتنزلهم بحسب الجنسية ومن جملتهم الشعراء الذين يركبون الخيلات والمزخرفات من القياسات الشعرية والاكاذيب الباطلة سواء كانت موزونة ام لافيتبعهم الغاوون الضالون فى ذلك ويأخذون منهم التزويرات والمفتريات دون الذين ينظمون المعارف والحقائق والآداب والمواعظ والاخلاق والفضائل ومانفع الناس ويفيد ويهيج اشواقهم فى الطلب ويزيد والله اعلم

* (سورة النمل) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) اى تلك الصفات العظيمة المذكورة فى طسم التى اصلها الطهارة من صفات النفس وسلامة الاستعداد فى الاصل من النقص هى (آيات القرآن وكتاب مبين) اى العقل القرآنى وهو الاستعداد الجدى الجامع لجميع الكمالات بالمنافاذا ظهرت وبرزت الى الفعل فى القيامة الكبرى كانت فرقانا وقوله (هدى وبشرى) قائم مقام (م) فى طسم لان

بغير عمد مرئية (والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم) اى لئلا تتحرك بكم (وبث فيها) اى فى الارض (من كل دابة) اى يسكنون فيها (وانزلنا من السماء ماء) يعنى المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) اى من كل صنف حسن (هذا) يعنى الذى ذكرت مما تعاينون (خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه) اى آلهتكم التى تعبدونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) * قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودى يا لقمان هل لك ان نجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة وانى أعلم ان الله ان فعل بى ذلك اعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال ان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان ينجو وان اخطأ الطريق اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنينى وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشى رابعهم اوتى الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة فى الامور وقيل الحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر * وقوله (ان اشكر لله) وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) اى عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غنى) اى غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) اى هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد * قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه انعم وقيل اشكم (وهو يعظه) وذلك لان اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ فى وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف (وفصاله فى عامين) اى

الهداية الى الحق والبشارة بالوصول لا يكونان الا بعد الكمال العلمى اذ الهداية للغير التى هى التكميل ملزومة العلم الذى هو الكمال فحصل الاكتفاء بها عنه وهما حالان معمولان لتلك المشار بها الى الصفات المذكورة فى طسم كما ذكر ى هاديا ومبشرا (للمؤمنين) اى الموقنين بعلم التوحيد (الذين يقيمون الصلوة) صلاة الحضور والمراقبة (ويؤتون الزكوة) عن صفات النفوس اى يزكون بالتجريد والمجاهد (وهم بالآخرة) اى مقام المشاهدة (هم يوقنون) يعنى فى حال المكاشفة يوقنون بالمعاينة والرسول يهديهم اليها ويبشرهم بجنة الذات والفوز الاعظم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) من المحجوبين تزين نفوسهم بكمالاتها وهيآت اعمالها (فهم يعمهون بصائرهم عن ادراك صفات الحق وتجليات انوارها والا لم يحجبوا بصفاتهم وافعالهم بل فنوا عنها (اولئك الذين لهم سوء العذاب) بنيران الحجاب والحرمان عن لذات تجليات الصفات

فطامه فى سنتين (ان اشكرلى ولوالديك الى المصير) لما جعل الله بفضله الوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربى فى الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكرلى ولوالديك ثم فرق فقال الى المصير يعنى ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتى عليك فى الدنيا والآخرة وقيل اامر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الى قال سفيان بن عيينة فى هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى ادبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما) قال النخعى يعنى ان طاعتهما واجبة فان افضى ذلك الى الاشراك بى فلا تطعهما فى ذلك لانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) اى بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من اناب الى) اى اتبع دين من اقبل الى طاعتى وهو النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب الى يعنى ابابكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابى بكر (ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يابت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله قال يابنى انها اى الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل اى فى الصغر (فتكن) اى مع صغرها (فى صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت فى الماء والماء على صفاة والصفاة على ظهر ثور وهو على صخرة وهى التى ذكر لقمان ليست فى الارض ولا فى السماء فلذلك قال (او فى السموات او فى الارض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يأت بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله (ان الله لطيف) اى باستخراجها (خبير) اى بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات (يابنى اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعنى اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التى امر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والغنى عندك سواء (ولا تمش فى الارض مرحا) اى خيلا (ان الله لا يحب كل مختال) فى مشيه (فخور) اى على الناس (واقصد فى مشيك) اى ليكن فى مشيتك قصد بين الاسراع والتأنى اما الاسراع فهو من الخيلاء واما التأنى فهو ان يرى فى نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) اى اخفض وقيل انقص (من صوتك ان انكر) اى اقبح (الاصوات لصوت الحمير) لان اوله زفير وآخره شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثورى فى هذه الاية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى

(الآية).

(وهم فى الآخره) ومقام كشف الذات فى القيامة الكبرى (هم الأخسرون) لتكاثف حجابهم بصفاتهم وذواتهم فلا خلاق لهم من الجنتين ولذاتهما (وانك لتلقى القرآن) اى العقل القرآنى (من لدن) اى من عين جمع الوحدة فى الصفات الاول الذى لا حجاب بينه وبين الحضرة الاحدية بل هو نفسه الحجاب الاقدس المفيض لكل الاستعدادات من العقول الفرقانية على اربابها من الاعيان الثابتة الانسانية (حكيم عليم) ذى حكمة بالغة تامة وعلم محيط شامل (اذ قال موسى) اذكر من جملة علوم الحق وحكمه وقت قول موسى القلب (لاهله) من النفس والحواس الظاهرة والباطنة (امكثوا) واثبتوا ولا تشوشوا وقتى بالحركات (انى آنست) بعين البصيرة (نارا) اى نار وما اعظمها هى نار العقل الفعال (سآتيكم منها بخبر) اى علم بالطريقة الى الله وكان حاله انه ضل الطريقة الى الله برعاية اغنام القوى البهيمية وزوجه النفس الحيوانية (او آتيكم بشهاب

الآية هو المطلسة الفجة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه اخرى وقال له اذبحها وائتنى باخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شئ اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اى الناس شر قال الذى لا يبالى ان يراه الناس مسيأ * قوله عز وجل (الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض واسبغ) اى اتم واكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (اولو كان الشيطان يدعوهم) معناه افيتبعونهم ان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) * قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه الى الله) اى يخلص لله دينه ويفوض اليه امره (وهو محسن) اى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخاف نقضه ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى اعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) اى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) اى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم * قوله تعالى (نمتعهم قليلا) اى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) اى نلجئهم ونردهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله مافى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا اعنيتنا ام قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد آتاكم الله بما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتى به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فأنزل الله تعالى ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام اى بريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم (والبحر يمده) اى يزيده وينصب اليه (من بعده سبعة ابحر) اى مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله (مانفدت كلمات الله) لانها لا نهاية

قبس) اى بشعلة نورية تشرق عليكم حين اتصالى بالنار وتنورى بها (لعلكم تصطلون) عن برد الركون الى البدن والسكون اليه وهوى لذاته متشتاقوا بحركة تلك النار الى جنابى وتسيرون بصحبتى الى مقام الصدر (فلما جاءها نودى ان بورك) اى كثر خير (من فى النار) اى هو موسى القلب الواصل الى النار بتجليات الصفات الالهية ووجدان الكمالات الحقيقية ومقام المكالمة من النبوة (ومن حولها) من القوى الروحانية والملائكة السماوية بانوار المكاشفة واسرار العلوم والحكم والتأييدات القدسية والاحوال السرية والذوقية (وسبحان الله رب العالمين) ونزه ذات الله بتجرده عن الصفات النفسانية والغواشى الجسدانية والنقائص والمعائب (يا موسى انه انا الله العزيز) القوى الذى قهر نفسك وكل شئ بالفناء فيه (الحكيم) الذى علمك الحكمة وهداك بها الى مقام المكالمة (والق عصاك) عصا نفسك القدسية المؤتلفة بشعاع القدس اى خلفها عن الضبط بالرياضة

لها (ان الله عزيز حكيم) * قوله تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) اى
الا كخلق نفس واحدة وبعثها لايتعذر عليه شئ (ان الله سميع) اى لاقوالكم (بصير) باعمالكم
(الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى
وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) اى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت
هو الحق المستحق للعبادة (وان مايدعون من دونه الباطل) اى لايستحق العبادة (وان الله
هو العلى) اى فى صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) فى ذاته لانه اكبر من كل كبير * قوله
تعالى (الم تر ان الفلك) اى السفن والمراكب (تجرى فى البحر بنعمت الله) اى ذلك من نعمة الله
عليكم (ليريكم من آياته) اى من عجائب صنعه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) اى على ما امر الله
(شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كالظلل) اى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج
فى كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع فى شدة ابتهل
الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ماسواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على
تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) اى عدل موف فى البر
بما عاهد عليه الله فى البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت فى عكرمة بن ابى جهل
وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجانا الله من هذا لارجعن
الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده فى يدى فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم
وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار)
اى غدار (كفور) اى جحود لانعمنا عليه * قوله تعالى (يا ايها الناس اتقوا ربكم) اى خافوا
ربكم (واخشوا) اى وخافوا (يوما لايجزى) اى لايقضى ولا يغنى (والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيأ) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما
الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزى عن ولده لكمال شفقته
عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان
يقول نفسى نفسى ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه (ان وعد الله
حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل
الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لايجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول أحسن
واظهر (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) اى لانها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان
قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة * قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية
نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من اهل البادية اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله
عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا اجدبت فقل لى متى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى
فمتى تلد ولقد علمت اين ولدت فبأى ارض اموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام
وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى ارض تموت ان الله عليم خبير ومعنى
الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى اى سنة او اى يوم ليلا

وارسلها ولاتمنعها من
الحركة فانها تنورت (فلما
رآها تهتز) تضطرب
وتتحرك (كانها جان)
حية غالبة بالظهور (ولى)
الى جناب الحق (مدبرا)
خوف ظهور النفس (ولم
يعقب ياموسى) اى لم يرجع
وبقى مشتغلا بتدارك العقبة
(لاتخف) من استيلاء
النفس وظهور الحجاب فان
النفس اذا حييت بعد موتها
بالارادة وفنائها بالرياضة
ان استقلت بنفسها
واستبدت بامر كانت حجابا
وابتلاء واذا تحركت بامر
حية بنور الروح والصفة
الحقانية لابهواها لم تكن
حجابا (انى لايخاف لدى
المرسلون) الذين ارسلتهم
بالبقاء بعد الفناء واحييت
نفوسهم بحياتى (الامن
ظلم) بظهور النفس قبل
وقت الاستقامة واستحكام
مقام البقاء فانه ذنب حاله
تجب عنه التوبة بالاستغفار
والخوف بالابتلاء (ثم بدل
حسنا) بالخوف والتدارك
بدفعها والالتجاء الى جناب
الحق من شرها (بعد سوء)
آية صفة ظهرت بها من
صفاتها (فانى غفور)
استر بنورى ظلمتها (رحيم)
ارحم بعد الغفران بصفتى

او نهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا او نهارا الا الله (ويعلم مافى الارحام) اذكر ام انثى احمر ام اسود تام الخلقة ام ناقص (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر (وماتدرى نفس باى ارض تموت) اى ليس احد من الناس يعلم اين مضجعه من الارض فى بر او بحر فى سهل او جبل (ان الله عليم) اى بهذه الاشياء وبغيرها (خبير) اى ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيأ من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة السجدة وهى مكية)

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله افمن كان مؤمنا وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لاريب فيه) اى لاشك فيه انه (من رب العالمين ام يقولون) اى بل يقولون يعنى المشركين (افتراه) يعنى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) اى القرآن (من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) يعنى العرب كانوا امة امية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك فى كل زمان (لعلهم يهتدون) يعنى تنذرهم راجيا اهتداءهم (الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (يدبر الامر) اى يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) اى يصعد (اليه) جبريل بالامر (فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) يعنى مسافة مابين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء فى مقدار الف سنة لو ساره احد من بنى آدم وجبريل ينزل ويصعد فى مقدار يوم من ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم اجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اى يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع امر الآمر وحكم الحاكم فى يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال فى موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت اراد بقوله خمسين الف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التى هى مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة فى يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلها فى القيامة فيكون على بعضهم مثل الف سنة وعلى بعضهم خمسين الف سنة وهذا فى حال الكفار واما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء فى الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا قال ابراهيم

القائمة صفتها الظاهرة هى بها (وادخل يدك) العاقلة العلية (فى جيبك) تحت لباس النفس متصلة بالقلب فى ابطك الايسر موضع الصدر (تخرج بيضاء) نورانية ذات قدرة (من غير سوء) اى التلون والظهور بصفة من صفاتها بل بالتنور بالنور (فى تسع آيات) اى اذهب بها بين الآيتين بين النفس القدسية والعاقلة العلية الحية احداهما بحياة القلب والمتنورة ثانيهما بنوره فى جملة تسع آيات هما ثنتان منها والباقية هى السبع المشار اليها فى قول المتكلمين بالقدماء السبعة وهى الصفات الالهية التى تجلى بها الحق تعالى على القلب فقامت مقام صفاته وهى الحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والتكلم الى فرعون) النفس الامارة بالسوء المحجوبة بالانانية (وقومه) من قواها كلما ظهرت بتفرعنها على اية صفة فى اى مظهر ظهرت وايما وجدت اذهب بهذه الصفات (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن دين الحق وطاعته بدين الهوى مكرين

التي لايكون على المؤمنين الا كمايكون مابين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا
عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبدالله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس
فساله ابن فيروز عن هذه الاية وعن مقدار خمسين الف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما ايام
سماها الله تعالى لاادري ماهي واكره ان اقول في كتاب الله مالا اعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة)
يعني الذي صنع ماذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة اي ماغاب عن
خلقه لاتخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ماحضر وظهر (العزيز) اي الممتنع المنتقم من اعدائه
(الرحيم) باوليائه واهل طاعته * قوله تعالى (الذي احسن كل شيء خلقه) قال ابن
عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق
البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من اعضائه
مقدر على مايصلح به معاشه وقيل معناه الهم خلقه مايحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه احسن
الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من
سلالة) اي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) اي ضعيف (ثم سواه) اي
سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) اضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله
ثم ذكر مايترتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) اي خلق بعد ان كنتم نطفا
مواتا (السمع والابصار والافئدة) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى
قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام
من اي جهة كان (قليلا ماتشكرون) يعني انكم لاتشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا
قليلا * قوله تعالى (وقالوا) يعني منكري البعث (أئذا ضللنا) هلكنا (في الارض)
والمعنى صرنا ترابا (أئنا لفي خلق جديد) استفهام انكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم
كافرون) اي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) اي يقبض ارواحكم حتى لايبقى احد ممن
كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) اي انه لايغفل
عنكم واذا جاء اجل احدكم لايؤخر ساعة ولاشغل له الا ذلك روى ان ملك الموت جعلت له
الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ماأحب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلائق
من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال
ابن عباس ان خطوة ملك الموت مابين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع
اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت
حربة تبلغ مابين المشرق والمغرب وهي تتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت
يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له
الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم الى ربكم ترجعون) اي تصيرون الى ربكم احياء
فيجزيكم باعمالكم * قوله عز وجل (ولو ترى اذ المجرمون) اي المشركون (ناكسوا رؤسهم
عند ربهم) اي يطأطؤنها حياء من ربهم وندما على مافعلوا عند ربهم يقولون (ربنا ابصرنا)
اي ماكنا به مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما اتينا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا

توحيد بظهورهم (فلما
جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين) منه نورانية
غيروا فيها (وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم)
بظهورهم بصفاتها ومخالفتها
(ظلما وعلوا) وان استيقنتها
انفسهم من طريق العلم
بالعقل لتفرعنها وتعودها
الاستعلاء وعدم ملكية
العدل (فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين) عاقبتهم
من الغرق في يم القطران
لفسادهم في ارض البدن
بالطغيان (ولقد آتينا داود
الروح (وسليمان) القلب
(علما) واتصفا بالصفات
الربانية العامة وذلك قولهما
(وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين
وورث سليمان) القلب
(داود) الروح الملك
بالسياسة والنبوة بالهداية
(وقال يا أيها الناس) اي
نادى القوى البدنية وقت
الرياسة عليها وقال (علمنا
منطق الطير) القوى
الروحانية (واوتينا من كل
شيء) من المدركات
الكلية والجزئية والكمالات
الكسبية والعطائية (ان
هذا لهو الفضل المبين) اي
الكمال الظاهر الراجح
صاحبه على غيره (وحشر

وسمعنا ماقيل فيها (فارجعنا) اى فارددنا الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اى فى الحال آمنا ولكن لاينفع ذلك الايمان (ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها) اى رشدها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول منى) اى وجب القول منى (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) اى من كفار الجن والانس (فذوقوا) اى فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بمانسيتم لقاء يومكم) اى تركتم الايمان فى الدنيا (هذا انانسيناكم) اى تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسى قطعا لرجائكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) اى من الكفر والتكذيب * قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) اى وعظوا بها (خروا سجدا) اى سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) اى صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لايستكبرون) اى من الايمان به والسجود له (ق) من ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى مايجد احدنا مكانا لوضع جبهته فى غير وقت الصلاة (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلتا امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فابيت فلى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ وللمستمع * قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) اى ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح وفى رواية ابى داود عنه قال كانوا يتنفلون مابين المغرب والعشاء اى يصلون وهو قول ابى حزم ومحمد بن المنكدر وقيل هى صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر فى جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لويعلمون مافى العتمة والصبح لاتوهما ولوحبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعى وجماعة

* (فصل فى فضل قيام الليل والحث عليه) * عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة فاصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة

لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من جن القوى الوهمية والخيالية ودواعيها وانس الحواس الظاهرة وطير القوى الروحانية بتسخيره ريح الهوى وتسليطه عليها بحكم العقل العملى جالسا على كرسى الصدر موضوعا على رفرف المزاج المعتدل (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم ويوقفون على مقتضى الرأى العقلى لايتقدم بعضهم بالافراط ولايتأخر البعض بالتفريط (حتى اذا اتوا على وادى النمل) اى نمل الحرص فى جمع المال والاسباب فى السير على طريق الحكمة العملية وقطع الملكات الردية (قالت نملة) هى ملكة الشره ملكة دواعى الحرص وكانت على ماقيل عرجاء لكسر العاقلة رجلها ومنعها بمخالفة طبعها عن مقتضاه من سرعة سيرها (ياايها النمل) اى الدواعى الحرصية الفائتة الحصر (ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون) اى اختبؤا فى مقاركم ومحالكم ومباديكم لايكسرنكم القلب والقوى الروحانية بالاماتة والافناء

سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك امك يامعاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم اوقال على مناخرهم الا حصائد السنتهم اخرجه الترمذى عن ابى امامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيآت ومنهاة عن الآثام ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذى * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه واهله الى صلاته فيقول الله عزوجل للملائكة انظروا الى عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه واهله الى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ورجل غزا فى سبيل الله وانهزم مع اصحابه فعلم ماعليه فى الانهزام وماله فى الرجوع فرجع حتى اهريق دمه فيقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى حتى اهريق دمه اخرجه الترمذى بمعناه (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن ابى سنان انه سمع اباهريرة رضى الله عنه فى قصة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان اخا لكم لايقول الرفث يعنى بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ما اذا قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

اخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن ابى هريرة فى الصحيحين غير هذا الحديث * وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام فى الواجب والتطوع * قوله عزوجل (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين) اى مما تقربه اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لاتفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) اى من الطاعات فى دار الدنيا (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين * قوله تعالى (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) نزلت فى على بن ابى طالب والوليد بن عقبة بن ابى معيط كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبى وانا شيخ والله انى ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لايستوون اراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا

وهذا هو السير الحكمى باكتساب الملكات الفاضلة وتعديل الاخلاق والالما بقيت للنملة الكبرى ولصغارها عين ولا اثر فى الفناء بتجليات الصفات (فتبسم ضاحكا من قولها) اى استبشر بزوال الملكات الرديئة وحصول الملكات الفاضلة ودعا ربه بالتوفيق لشكر هذه النعمة التى انعم بها عليه بالاتصاف بصفاته وافعاله والفناء عن افعال نفسه وصفاتها وعلى والديه اى الروح والنفس بكمال الاول وتنوره وقبول الثانية وتأثرها بقوله (قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه) بالاستقامة فى القيام بحقوق تجليات صفاتك والعبادات القلبية لوجهك ونور ذاتك (وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) اى بكمال ذاتك فى زمرة الكمل الذين هم سبب صلاح العالم وكمال الخلق (وتفقد الطير) حال طير القوى الروحانية ففقد هدهد القوة المفكرة اذا كانت فى طاعة الوهم كانت مخيلة والمفكرة غائبة بل معدومة ولاتكون مفكرة الا اذا

ولا فاسقا واحدا (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) اى التى يأوى اليها المؤمنون (نزلا) هو ما يهيأ للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات فى دار الدنيا (واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) * قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) اى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) اى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن اظلم) اى لا احد اظلم (ممن ذكر بآيات ربه) اى بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم اعرض عنها) اى ترك الايمان بها (انا من المجرمين) يعنى المشركين (منتقمون) معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فلا تكن فى مرية) اى فى شك (من لقائه) اى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره فان قلت قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة عند مراجعته فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل ان تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء والسادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ قدير فان قلت كيف تصح منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه باجوبة احدها ان الانبياء كالشهداء بل هم افضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا او يصلوا كما صح فى الحديث وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى ان تفنى ثم يرحلون الى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه فى الجنة اكثر مما كان يعبده فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى مرية من لقائه اى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعنى الكتاب (هدى لبنى اسرائيل وجعلنا

كانت مطيعة للعقل (فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا) بالرياضة القوية ومنعها عن طاعة الوهمية وتطويعها للعاقلة (او لاذبحنه) بالاماتة (او ليأتينى بسلطان مبين) او تصير مطواعة للعقل لصفاء جوهرها ونورية ذاتها فتأتى بالحجة البينة فى حركتها (فمكث غير بعيد) اى لم يطل زمان ورياضتها لقدسيتها وما احتاجت الى الاماتة لطهارتها حتى رجعت بسلطان مبين وتمرنت فى تركيب الحجج على اصح المناهج (فقال احطت بما لم تحط به) من احوال مدينة البدن وادراك الجزئيات وتركيبها مع الكليات فان القلب لا يدرك بذاته الا الكليات ولا يضمها الى الجزئيات فى تركيب القياس واستنتاج واستنباط الرأى الا الفكر وبواسطته يحيط باحوال العالمين ويجمع بين خيرات الدارين (وجئتك من سبا) مدينة الجسد (بنبا يقين) عيانى مشاهد بالحس (انى وجدت امرأة تملكهم) هى الروح الحيوانية المسماة باصطلاح القوم النفس

منهم) اى من بنى اسرائيل (ائمة) اى قادة للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهدون بأمرنا) اى يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) اى على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) اى انها من الله تعالى (ان ربك هو يفصل) اى يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء واممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون * قوله تعالى (اولم يهد لهم) اى نبين لهم (كم أهلكنا) اى كثرة من اهلكنا (من قبلهم من القرون) اى الامم الخالية (يمشون فى مساكنهم) يعنى اهل مكة يسيرون فى بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون) اى آيات الله ومواعظه فيتعظون بها * قوله عز وجل (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) اى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها قال ابن عباس هى ارض باليمن وقيل هى ابين (فنخرج به) اى بذلك الماء (زرعا تأكل منه انعامهم) اى العشب والتبن (وانفسهم) اى من الحبوب والاقوات (افلا يبصرون) اى فيعتبروا * قوله تعالى (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل اراد بيوم الفتح يوم القيامة الذى فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اى القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعنى يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) اى لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) اى يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فاعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) اى موعدى لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) اى بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال طاوس تفضلان عن كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة اخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

* (تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية) *

وثلاث وسبعون آية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت فى ابى سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابى ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعيد بن ابى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك

(واوتيت من كل شئ) من الاسباب التى يدبرها البدن ويتم بها تملكه (ولها عرش عظيم) هو الطبيعة البدنية التى هى متكؤها بهيئة ارتفاعها من طبائع البسائط العنصرية التى هى المزاج المعتدل او تؤول مدينة بالعالم الجسمانى والعرش بالبدن (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) لشمس عقل المعاش المحجوب عن الحق بانقيادها له واذعانها لحكمه دون الانقياد لحكم الروح والانخراط فى سلك التوحيد والاذعان لامر الحق وطاعته (وزين لهم الشيطان) شيطان الوهم (اعمالهم) من تحصيل الشهوات واللذات البدنية والكمالات الجسمانية (فصدهم عن السبيل) الحق وسلوك طريق الفضيلة بالعدل (فهم لا يهتدون) الى التوحيد والصراط المستقيم (الا يسجدوا لله) اى فصدهم عن السبيل لئلا ينقادوا ويذعنوا فى اخراج كمالاتهم الى العقل (الذى يخرج الخبأ فى السموات والارض) اى المخبوء من الكمالات الممكنة فى سموات الارواح وارض الجسم

وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله ائذن لى فى قتلهم فقال انى اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله اى دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امة ولا تطع الكافرين يعنى من اهل مكة يعنى اباسفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعنى من اهل المدينة عبدالله بن ابى وعبدالله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليما) اى بخلقه قبل ان يخلقهم (حكيما) اى فيما دبره لهم (واتبع مايوحى اليك من ربك) اى من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله) اى ثق بالله وكل امرك اليه (وكفى بالله وكيلا) اى حافظا لك وقيل كفيلا برزقك * قوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) نزلت فى أبى معمر حميد بن الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقال قريش ماحفظ ابو معمر هذه الاشياء الاوله قلبان وكان يقول ان لى قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فقال له يا أبامعمر ماحال الناس فقال انهزموا فقال له فمابال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ماشعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده وعن أبى ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت قول الله ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ماعنى بذلك قال قام نبى الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه الاترون ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التى تحصل للانسان فى صلاته وقيل فى معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها ان لايكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى الله باحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبنى ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لايخلوا ماان يفعل باحدهما مايفعل بالآخر من افعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا مالا يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا فى حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لايكون امرأة المظاهر امه حتى يكون له امان ولايكون والد واحد ابن رجلين * قوله تعالى (وماجعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم) وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى يقول الله وماجعل نساءكم التى تقولون لهن هذا فى التحريم كأمهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى سورة المجادلة * قوله تعالى (وماجعل ادعياءكم) يعنى الذين تتبنونهم (ابناءكم) وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى وتبناه قبل الوحى وآخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك

(ويعلم ماتخفون) مما فيهم بالقوة من الكمالات بالاعمال الحاجبة والمانعة لخروج مافى الاستعداد الى الفعل (وماتعلنون) من الهيئات المظلمة والاخلاق المردية (الله لااله الاهو) فلا يجوز التعبد والانقياد الاله (رب العرش العظيم) المحيط بكل شئ فما اصغر عرش بلقيس النفس فى جنب عظمته فكيف لاتطيعه وتحتجب بمحبة عرشها عن طاعته (قال سننظر اصدقت) فى تضليلهم والاحاطة باحوالهم بالطريق العقلى (ام كنت من الكاذبين) بموافقة الوهم وتركيب التخيلات الفاسدة (اذهب بكتابى هذا) اى الحكمة العملية والشريعة الالهية (فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) ايقبلون الطاعة والانقياد ام يأبون (قالت يا أيها الملأ انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان) لصدوره من القلب بواسطة الفكر الى النفس (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) اى باسم الذات الموصوفة بافاضة الاستعداد ومايخرج به مافيه الى الفعل من الآلات وافاضة الكمال المناسب له

فانزل الله هذه الآية ونسخ بها التبني (ذلكم قولكم بافواهكم) اى لاحقيقة له يعنى قولهم زيد بن
محمد دعوا دعاء النسب لاحقيقة له (والله يقول الحق) اى قوله الحق (وهو يهدى السبيل)
اى يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) اى الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو
اقسط عند الله) اى اعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله
الآية (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين) اى فهم اخوانكم (ومواليكم) اى كانوا
محررين وليسوا ببنيكم اى فسموهم باسماء اخوانكم فى الدين وقيل معنى مواليكم اولياؤكم
فى الدين (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) أى قبل النهى فنسبتموه الى غير ابيه (ولكن
ماتعمدت قلوبكم) اى من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهى وقيل فيما اخطأتم به ان تدعوه الى غير
ابيه وهو يظن انه كذلك (وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن ابى وقاص وابى بكرة
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام *
قوله عزوجل (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه عليهم
ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شئ
كانت طاعة النبى صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح لان انفسهم
تدعوهم الى مافيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى مافيه نجاتهم وقيل هو
اولى بهم فى الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج الى
الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وامهاتنا فنزلت الآية (ق) عن ابى هريرة قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن الا وأنا اولى الناس به فى الدنيا والآخرة
اقرؤا ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن
ترك دينا اوضياعا فليأتنى فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله
اوضياعا اى عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع
* وقوله تعالى (وازواجه امهاتهم) يعنى امهات المؤمنين فى تعظيم الحرمة وتحريم
نكاحهن على التأبيد لا فى النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام فى حقهن كما فى حق الاجانب
ولا يقال لبناتهن هن اخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن هن اخوال المؤمنين وخالاتهم
قال الشافعى تزوج الزبير اسماء بنت ابى بكر وهى اخت عائشة ام المؤمنين ولم يقل هى خالة
المؤمنين وقيل ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم كن امهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء
وقيل كن امهات الرجال دون النساء بدليل ماروى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة ياامه
فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن
(واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) يعنى فى الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة
وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخى بين الرجلين فاذا مات احدهما
ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل فى معنى الآية
لاتوارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (فى كتاب الله) اى فى حكم الله
(من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعنى

من الاخلاق والصفات (الاتعلوا على) ان لاتغلبوا ولاتستعلوا (واتونى مسلمين) منقادين مستسلمين وقولها (قالت ياايها الملأ افتونى فى امرى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون) اشارة الى قابلية النفس ونجابة جوهرها ومخالفتها لامر قواها فى الاستعلاء والغرور بهيئة الشوكة والاستيلاء وان لم يمكنها القبول الا بمظاهرتهم ومشاورتهم (قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) وافساد القرية واذلال اعزتها اشارة الى منعها عن الحظوظ واللذات وقمع مايغلب ويستولى على القوى بالرياضات (وانى مرسلة اليهم بهدية) من اموال المدركات الحسية والشهوات النفسية واللذات الوهمية والخيالية وامداد المواد الهيولانية بتزيينها عليهم وتسويلها لهم على ايدى الهواجس والدواعى والبواعث (فناظرة بم يرجع المرسلون) هل يقبلها

الى ذوى القرابات اولى ببعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا) يعنى الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة اباح ان يوصى لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة (كان ذلك) اى الذى ذكر من ان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض (فى الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ وقيل التوراة (مسطورا) اى مكتوبا مثبتا * قوله تعالى (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم (ومنك) يعنى يا محمد (ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرائع واولو العزم من الرسل وقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) اى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعنى اخذ ميثاقهم لكى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بافواههم عن صدقهم فى قلوبهم (واعد للكافرين عذابا اليما) * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ايام الخندق (اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا) يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى ارسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه * قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة بجوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما تعملون بصيرا)

(ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب)

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة اربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش

فيلين ويميل الى النفس اوبردها فيتصلب فى الميل الى الحق (فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما آتانى الله) من المعارف اليقينية والحقائق القدسية واللذات العقلية والمشاهدات النورية (خير مما آتاكم) من المزخرفات الحسية والخيالية والوهمية (بل انتم بهديتكم تفرحون) لا نحن واتباعنا لما هو من عند الله لا بما ذكر (ارجع اليهم) خطاب للمتخيل المرسول العارض للهدايا عليهم بالتسويل (فلنأتينهم بجنود) من القوى الروحانية وامداد الانوار الالهية (لا قبل) طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) بالقهر والاستيلاء والقمع (اذلة وهم صاغرون) اذلاء بالطبع والرتبة لدنو مرتبتهم فى الاصل والطينة وتنورها بالآداب (قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين) اى قبل قرب النفس وقواها بالاخلاق والطاعة فان تسخير القوى الطبيعية بالاعمال والآداب اسهل واقرب من تسخير النفس الحيوانية وقواها بالاخلاق والملكات (قال عفريت من

بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله
فقالت لهم قريش يامعشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد
فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما
قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان وقيسا وغيلان فاجتمعوا على
ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت
قريش وقائدهم ابوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في
بني فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن
تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب
الخندق على المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان
اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يارسول الله انا كنا
بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى
احكموه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة
اربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون
سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف
كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى
اذا كنا تحت اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان
ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما
ان يأمرنا فيها امره فانا لانحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ضارب عليه قبة تركية فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت
حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها منا شئ قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لانحب ان نجاوز خطك
فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق واخذ عليه السلام
المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى
كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه
ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى اضاء ما بين لابتيها حتى لكأن
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم
ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا
في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد
سلمان ورقي فقال بابي انت وامي يارسول الله لقد رأيت شيأ ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال ارأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يارسول الله قال ضربت ضربتي
الاولى فبرق البرق الذي رأيتم فاضاءلي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم اضاءلي

(منها)

الجن انا آتيك به) والعفريت
هو الوهم لانه يحضرها
بالخوف والرجاء ويبعثها
على الاعمال بالدواعي الوهمية
والاماني الموافقة (قبل
ان تقوم من مقامك واني
عليه لقوي امين) اي مادمت
في مقام الصدر قبل الترقي
الى مقام السر فان الوهم
حينئذ ينعزل عن فعله
بالهداية والمتابعة والذي
عنده علم من الكتاب هو
العقل العملي الذي عنده
بعض العلم وهو الحكمة
العملية والشريعة من
كتاب اللوح المحفوظ
يحضرها ويقربها ويبعثها
على الطاعات بتحبيب الكمال
وحصول الشرف والذكر
الجميل والكرامة اليها (قال
الذي عنده علم من الكتاب
انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك) اي نظرك الى
ذاتك وما ينبغي لها من الترقي
الى عالمك في عالم القدس
لادراك الحقائق والمعارف
الكلية والمشاهدات الحقة
العينية فان الكمال العملي
مقدم على الكمال الذوقي
والكشفي (فلما رآه مستقرا
عنده) ثابتا على حالة
اتصاله به متمرنا في الطاعة
غير متغير بالدواعي الشهوانية
والنوازع الشيطانية (قال

منها قصور قيصر من ارض الروم كأنها انياب الكلاب فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم اضاءلى منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون ان تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حيينا ابدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله مااهتدينا * ولا تصدقنا ولاصلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * اذا ارادوا فتنة ابينا

ويرفع بها صوته وفى رواية قدوارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة فى عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب من بنى النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح لنا فقال ويحك ياحيي انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت محمدا فلست بناقض مابيني وبينه ولم ارمنه الاوفاء وصدقا فقال ويحك افتح اكلمك قال ماانا بفاعل قال والله ان اغلقت دونى الا خوفا ان آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نعمى الى جانب احد قد عاهدونى وعاقدونى ان لايبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد يهرق ماؤه ويرعد ويبرق ليس فيه شئ دعنى ومحمدا وما انا عليه فانى لم ار من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك فى حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله

هذا من فضل ربى ليبلونى (أأشكر) بالطاعة والعمل بالشريعة (ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم) بالمعصية ومخالفة الشريعة او اشكر عند التوفيق للطاعة بالسلوك فى الطريقة والاقبال على الحضرة وتبديل الصفات ومراقبة التجليات ام اكفر بالاحتجاب برؤية الاعمال والادبار عن الحق بالغرور والعجب والوقوف مع المعقول والعقل (قال نكروا لها عرشها) بتغيير العادات وترك المذمومات ونهك القوى الطبيعية بالرياضات وتنكيسه بجعل ماكان اعلى رتبة منه عندها وهى الهيئات البدنية وراحات البدن ولذاته وماكان فى جهة الافراط من الاكل والشرب والنوم وامثالها والقوى الطبيعية المستعلية اسفل وماكان اسفل من انواع التعب والرياضة والتقليل والسهر وكل ماما ل الى التفريط من الامور البدنية والقوى الروحانية المستضعفة اعلى (ننظر اتهتدى) الى الفضائل وطرق الكمالات بالرياضة لنجاة جوهرها وشرف اصلها وحسن استعدادها

صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بنى عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بنى ساعدة وهو يومئذ سيد بنى الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحة اخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا مابلغنا عن هؤلاء القوم احق ام لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث مابلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لاعقد بيننا وبينه ولاعهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة اى كغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب بن عدى واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يامعشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لايقدر ان يذهب الى الغائط ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس بن قيظى احد بنى حارثة يارسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملا من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقال لا يارسول الله اشئ امرك الله به لابد لنا من العمل به ام امر تحبه فتصنعه ام شئ تصنعه لنا قال بل شئ اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا انى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لانعبد الله ولانعرفه ولايطمعون ان يأكلوا منها ثمرة واحدة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم اموالنا مالنا بهذا من حاجة والله مانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا مافيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بنى عامر بن لؤى وعكرمة بن ابى جهل وهبيرة بن ابى وهب المخزوميان ونوفل بن عبدالله بن ضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بنى كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يابنى كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق

وقبولها (ام تكون من الذين لايهتدون) اليها لعكس ماذكر (فلما جاءت) مترقية الى مقام القلب متنورة بانواره متخلقة باخلاقه منقادة مستسلمة بجنودها (قيل اهكذا عرشك) اى على هذه الصورة المغيرة عرشك ام على الصورة الاولى اى اهذا صورته المستوية التى ينبغى ان يكون عليها ام تلك وتلك منكوسة ام هذه (قالت كأنه هو) اى كان هذا بالنسبة الى حالى هو بالنسبة الى الحالة الاولى اى اذا كنت متوجهة الى جهة السفل كان عرشى على تلك الصورة مطابقا لحالى واذا توجهت الى جهة العلو كان على هذه الصورة مستويا موافقا لحالى (واوتينا العلم من قبلها) من قبل هذه الحالة اى اوتيناه فى الازل عند ميثاق الفطرة (وكنا مسلمين) منقادين قبل هذه النشأة الا انا نسينا فتذكرنا الساعة (وصدها ماكانت تعبد من دون الله) من شمس عقل المعاش بصرفها الى التوحيد (انها كانت من قوم كافرين) محجوبين عن الحق (قيل لها ادخلى الصرح) اى مقام الصدر

طيفا ضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي
طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان تعنق نحوهم
و كان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج
معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش
الى خلتين الا اخذت منه احداهما قال اجل قال له علي فاني ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام
قال لا حاجة لي بذلك قال اني ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال
علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره اوضرب وجهه ثم
اقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة
وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات بمكة
ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي و كان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال
يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون جسده فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده
وثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة ام المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة
وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب
علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة
وهو يقول * لا بأس بالموت اذا حان الاجل * فقالت له الحق يا بني فقد والله اخرت قالت عائشة
فقلت يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب السهم
منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه حباب بن قيس بن العرقة احد بني
عامر بن لؤي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال
سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم
من قوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي
شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن
اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان
حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد
حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم
لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى
يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله
لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيأ اعتجرت ثم اخذت عمودا
ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت
يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه حاجة يا بنت عبد
عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة
لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان

الذي هو صرح ممرد مملس
عن تقابل الاضداد وتخالف
الطباع مستو بالتجرد عن
المواد من قوارير انوار
القلب الصافي المشبه
الزجاجة في الصفاء والتنور
(فلما رأته حسبته لجة) بحر
الوحدة لكونه غاية رتبتها
في التجرد والترقي ونهاية
كمالها في التداني والتلقي
ولا يتجاوز نظرها الى اعلى
منه وكل ما لا يمكن فوقه
من الكمال لشئ فيه نهايته
في التوحيد ومعظم ما يستغرق
فيه من جمال المعبود
والمطلوب (وكشفت عن
ساقيها) يعني جردت
جهتها السفلية التي تلي
البدن وتسمى بما فيه المنقسمة
الى القوة الغضبية والشهوية
عن الغواشي البدنية والملابس
الهيولانية بقطع التعلقات
لكن كان عليها شعر الهيئات
الباقية من اعمالها والآثار
المسودة من كدوراتها ومن
هذا قيل يدخل سليمان
الجنة بعد الانبياء بخمسمائة
خريف ويحبو حبوا (قال
انه صرح ممرد من قوارير
قالت رب اني ظلمت
نفسي) بالاحتجاب واتخاذ
العقل المشوب بالوهم
المشرب بالهوى الها
ومعبودا (واسلمت)

اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فامرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم لاتقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت برأى ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراق محمدا فقد بلغنى امر رأيت حقا على ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يامعشر غطفان انتم اهلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهموننى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابوسفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيأ وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عزوجل بينهم وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مااختلف من امرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر مافعل القوم ليلا وروى

بالانقياد لامر الحق والانخراط فى سلك التوحيد (مع سليمان لله رب العالمين) وعلى تأويل العرش بالبدن يستقيم هذا ايضا ويتجه وجه آخر وهو ان يراد انها كانت محجوبة بعقولها مابقى عرشها وماانقادت لسليمان القلب الا فى النشأة الثانية فعلى هذا يكون الذى عنده علم من الكتاب هو العقل الفعال واتيانه به قبل ارتداد الطرف ايجاد البدن الثانى فى آن واحد ومعنى قبل ان يأتونى مسلمين تقدم مادة البدن على تعلق النفس به وقال ابن الاعرابى رحمه الله ان الاتيان كان بافنائه ثمة وايجاده بحضرة سليمان والتنكير تغيير الصورة ومعنى كأنه يشابه صورته والصرح هو مادة البدن الثانى فيكون دخول الصرح على هذا مقدما على تنكير الصورة وكشف الساقين قطع تعلق البدن الاوله دون زوال الهيئات البدنية التى هى بمثابة الشعر وهذا بناء على ان النفوس المحجوبة الناقصة لابدلها من التعلق والله اعلم (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) اى

محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وروى غيره عن ابراهيم التيمى عن ابيه قالا قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا عبدالله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخى قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ماتركناه يمشى على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه مافعلنا فقال حذيفة يا ابن اخى والله لقد رأيتنى ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وماقام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم على ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لى بد من القيام حين دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى اتيته فاخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولاتحدثن شيأ حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمى وشددت على اسلابى ثم انطلقت امشى نحوهم كانما امشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء قال وابوسفيان قاعد يصطلى فاخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى ابو سفيان ماتفعل الريح وجنود الله بهم لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء قام فقال يامعشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسى فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفنى انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يامعشر قريش انكم والله مااصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى امشى فى حمام فاتيته وهو قائم يصلى فلما سلم اخبرته فضحك حتى بدت انيابه فى سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفاء فادنانى النبى صلى الله عليه وسلم فانامنى عند رجليه والقى على طرف ثوبه والصق صدرى ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما اصبحت قال قم يانومان فذلك قوله عزوجل (اذ جاؤكم من فوقكم) اى من فوق الوادى من قبل المشرق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزارى فى الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدى فى بنى اسد وحيى بن اخطب فى يهود قريظة (ومن اسفل منكم) يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وابوالاعور عمرو بن سفيان السلمى من قبل الخندق وكان الذى جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم (واذ زاغت الابصار) اى مالت وشخصت من

اهل الماء القليل الذى هو المعاش صالح القلب بالدعوة الى التوحيد (فاذاهم فريقان) فريق القوى الروحانية وفريق القوى النفسانية (يختصمون) تقول الاولى ماجاء به صالح حق وتقول الثانية بل باطل ومانحن عليه حق (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) اى الاستيلاء على القلب بالرذيلة (قبل الحسنة) الاتيان بالفضيلة (لولاتستغفرون الله)بالتنور بنور التوحيد والتنصل عن الهيئات البدنية المظلمة (لعلكم ترحمون) بافاضة الكمال (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) لمنعك ايانا من الحظوظ والترفه (قال طائركم عندالله) سبب خيركم وشركم من الله (بل انتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولايصلحون) والرهط المفسدون الحواس الغضب والشهوة والوهم والتخيل وتبييته اهلاكه فى ظلمة ليل النفس والولى الروح ومكر الله بهم اهلاكهم بهدّ جبال الاعضاء عليهم وتدميرهم فى غار محالهم وتدمير قومهم بالصيحة التى هى النفخة الاولى وفاحشة

الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) اى زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته واذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) اى اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد واصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) اى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلزالا شديدا) اى حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) يعنى معتب بن قشير وقيل عبدالله بن ابى واصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول اهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله هذا هو الغرور ❊ قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) اى من المنافقين وهم اوس بن قيظى واصحابه (يا اهل يثرب) يعنى يا اهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ (لا مقام لكم) اى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) اى الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبى) يعنى بنى حارثة وبنى سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) اى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) اى انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من اقطارها) يعنى لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحى المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) اى الشرك (لآتوها) اى لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام (وما تلبثوا بها) اى ما احتبسوا عن الفتنة (الا يسيرا) اى لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا ❊ قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) اى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) اى لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم اناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) اى عنه فى الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) يعنى الذى كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل لا بد من ذلك (واذا لا تمتعون) اى بعد الفرار (الا قليلا) اى مدة آجالكم وهى قليل (قل من ذا الذى يعصمكم) اى يمنعكم (من الله ان اراد بكم سوأ) اى هزيمة (او اراد بكم رحمة) اى نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) اى ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) اى المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أى ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه

قوم لوط فى هذا التطبيق وهى اتيان الذكور اتيان القوى النفسانية ادبار القوى الروحانية واستنزالها من رتبة التأثير بتأثرهم من تأثير هذه من الجهة السفلية واستيلاؤها عليهم فى تحصيل اللذات والشهوات البدنية بهم قالوا (تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله) بظهور كمالاته وتجليات صفاته على مظاهر مخلوقاته (وسلام على عباده الذين اصطفى)

الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم اناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم اى ابتلعهم ابوسفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت فى المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذى يحملكم على قتل انفسكم بيد ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم فى هذه المرة لم يستبقوا منكم احد وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه قالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا اما ترجعون عن محمد ماعنده خير ماهو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا * وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعنى الحرب (الا قليلا) اى رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (اشحة عليكم) اى بخلاء بالنفقة فى سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم) اى فى رؤسهم من الخوف والجبن (كالذى يغشى عليه من الموت) اى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) اى زال (سلقوكم) اى آذوكم ورموكم فى حالة الامن (بالسنة حداد) اى ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشجع قوم وعند الحرب اجبن قوم (اشحة على الخير) اى يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (اولئك لم يؤمنوا) اى لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان اظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله اعمالهم) اى التى كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هى الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) اى احباط اعمالهم مع ان كل شئ على الله يسير * قوله تعالى (يحسبون) يعنى هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعنى قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) اى لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) اى يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو انهم بادون فى الاعراب) اى يتمنون لو انهم كانوا فى بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن انبائكم) اى عن اخباركم وما آل اليه امركم (ولو كانوا فيكم) يعنى هؤلاء المنافقين (ماقاتلوا الا قليلا) يعنى يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمى بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب * قوله عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) اى قدوة صالحة اى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على مايصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى فصبروا واساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعنى ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) اى فى جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب

بصفاء استعداداتهم وبراءتهم من النقص والآفة فالحمد مطلقا مخصوص به لكون جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الاكوان صفاته الجمالية والجلالية ليس لغيره فيها نصيب وصفاء ذوات المصطفين من عباده ونزاهة اعيانهم عن نقص الاستعداد وآفة الحجاب سلامة عليهم وحصول الامرين للمظهر التام النبوى بالفعل هو قوله ذلك مأمورا به من عين الجمع فى مقام التفصيل منتقلا من مقام التفصيل لعين الجمع مبتدأ منه وراجعا اليه (آلله خير) الذى له الحمد المطلق والسلام المطلق محض فى ذاته (اما يشركون) من الاكوان التى اثبتوا لها وجودا وتأثيرا اذ لا يبقى بعد الكمال المطلق والقبول المطلق الذى هو اسم السلام المطلق باعتبار الفيض الاقدس الا العدم البحت والشر الصرف المطلق الذى يقابل الخير المحض المطلق فكيف يكون خيرا (امن خلق السموات والارض) اى المؤثر المطلق الموجد لكل من الاعيان الممكنة وصفاتها

فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) اى قالوا ذلك
تسليما لامر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) اى فيما وعدا وهو فى مقابلة قول
المنافقين ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ماوقع
فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة فى جميع ماوعد
فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا
الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (ومازادهم
الا ايمانا) اى تصديقا لله (وتسليما) اى لامره * قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا
ماعاهدوا الله عليه) اى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) اى فرغ
من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى اجله فقتل على
الوفاء يعنى حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه
استشهد يوم بدر واحد (ومنهم من ينتظر) يعنى من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون
احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعداء (وما بدلوا) يعنى عهدهم (تبديلا) (ق)
عن انس قال غاب عمى انس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن اول قتال قاتلت
المشركين لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله مااصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون
قال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وابرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين
ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى اجد ريحها من دون
احد قال سعد فما استطعت يارسول الله ماصنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف
اوطعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته
ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفى اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا
ماعاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من اجره شيأ منهم
مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا
رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطى رأسه ونجعل على رجليه
من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا
من اينعت اى ادركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها
اى يجنيها ويقطفها * عن ابى موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذى وقال هذا
حديث غريب (خ) عن قيس بن ابى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه
وسلم يوم احد * قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) اى جزاء صدقهم وصدقهم
هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) اى فيهديهم الى الايمان ويشرح له
صدورهم (ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا) اى من قريش وغطفان (بغيظهم)
اى لم يشف صدورهم بنيل ماارادوا (لم ينالوا خيرا) اى ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال)
اى بالملائكة والريح (وكان الله قويا) اى فى ملكه (عزيزا) اى فى انتقامه * قوله تعالى

خير فى التأثير والايجاد
ام ما لاوجود له فكيف
بالتأثير والايجاد (وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة ماكان لكم
ان تنبتوا شجرها االه مع الله)
فى التأثير والايجاد (بل هم
قوم يعدلون) عن الحق
فيثبتون الباطل بالتوهم (امن
جعل الارض قرارا وجعل
خلالها انهارا وجعل لها
رواسى وجعل بين البحرين
حاجزا االه مع الله بل
اكثرهم لايعلمون امن
يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض االه مع الله قليلا
ماتذكرون امن يهديكم)
الى نور ذاته (فى ظلمات
البر والبحر) اى حجب
الصفات (ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدى رحمته االه
مع الله تعالى الله عما يشركون)
رياح النفحات محيية
للقلوب من يدى رحمة
التجليات (امن يبدأ الخلق)
باختفائه باعيانهم واحتجابه
بذواتهم (ثم يعيده) بافنائهم
فى عين الجمع واهلاكهم
فى ذاته بالطمس او باظهارهم
فى النشأة واعادتهم الى
الفطرة (ومن يرزقكم
من السماء) الغذاء الروحانى
(و) من (الارض) الجسمانى

(وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب) اى عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم) اى من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية (وقذف فى قلوبهم الرعب) اى الخوف (فريقا تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة وقيل وخمسين (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها) يعنى بعد قيل هى خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هى كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا)

* (ذكر غزوة بنى قريظة) *

قيل كانت فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها كانت فى سنة اربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليل التى انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بنى قريظة فانهد اليهم فانى قد قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال فامر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار على حتى اذا دنا من الحصون وسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يارسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال اظنك سمعت لى منهم اذى قال نعم يارسول الله قال لو قد راونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة قد اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا اباالقاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يارسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخيرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن اخطب دخل على بنى قريظة حصنهم

اذ من السماء المعارف والحقائق ومن الارض الحكم والاخلاق (اله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل

على الله انك على الحق المبين انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذاولوا مدبرين وماانت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم) اى واذا تحقق وقوع ما سبق فى القضاء حكمنا به من الشقاوة الابدية عليهم اخرجنالهم دابة من الارض) من صورة نفس كل شقى مختلفة الهيئات والاشكال هائلة بعيدة النسبة بين اطرافها وجوارحها على ماذكر من قصتها بحسب تفاوت اخلاقها وملكاتها من ارض البدن قدام القيامة الصغرى التى هى من اشراطها (تكلمهم) بلسان حياتها وصفاتها (ان الناس كانوا بآياتنا) قدرتنا على البعث (لايوقنون ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال اكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما امماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ فى الصور) النفخة الاولى

حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يامعشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ماترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وماهن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دياركم واموالكم وابنائكم ونسائكم فقالوا لانفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولانترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما فى العيش بعدهم خير قال فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن احدث فيه من قبلنا الامن قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك قال مابات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا اباليابة بن عبد المنذر اخابنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم فقالوا يااباليابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله مازالت قدماى حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ربط فى المسجد الى عمود من عمده وقال والله لاابرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لايطأ ارض بنى قريظة ابدا ولا يرانى الله فى بلد قد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال اما لو قد جاءنى لاستغفرت له فاما اذ فعل فما انا بالذى اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابى لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت مم ضحكت يارسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابى لبابة فقلت الا ابشره بذلك يارسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يااباليابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوها فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة ابن سعيد واسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل من بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لاتحرمنى من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى اين ذهب من ارض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله

بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولايدرى اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يارسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى الخزرج بالامس ماقد علمت وقدكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبدالله بن ابي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يامعشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له وسادة من آدم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون ياابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال قد آن لسعد ان لاتأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أباعمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهدالله وميثاقه ان الحكم فيهم ماحكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذرارى والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدوالله ورسوله حيي بن اخطب وكعب بن سعد رأس القوم وهم ستمائة اوسبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ماترى مايصنع بنا قال أفي كل موطن لاتعقلون الا ترون الداعي لاينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم واتي بحيي بن أخطب عدوالله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله مالمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امراة واحدة قالت والله انها لعندى

نفخة الاماتة في القيامة الصغرى (ففزع من في السموات ومن في الأرض) من العقلاء المجردين والجهال البدنيين اومن القوى الروحانية والجسمانية (الامن شاء الله) من الموحدين الفانين في الله والشهداء القائمين بالله (وكل اتوه داخرين) الى المحشر للبعث صاغرين اذلاء لاقدرة لهم ولااختيار اواتوه منقادين قابلين لحكمه بالموت (وترى الجبال) جبال الابدان (تحسبها جامدة) ثابتة في مكانها (وهي تمر مر السحاب) وتذهب وتتلاشى بالتحليل كالسحاب اجتمع اجزاؤها عند البعث في اليوم الطويل (صنع الله الذى اتقن كل شئ) اى صنع هذا النفخ والاماتة والاحياء لمجازاة العباد بالاعمال صنعا متقنا يليق به (انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) اى بمحو صفة من صفات نفسه بالتوبة الى الله عنها من قيام صفة الهية مقامها (ومن جاء بالسيئة) باحتجابه بصفة من صفات نفسه (فكبت وجوهم في النار) بتنكيس

تحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذهتف
هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قلت ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت حدثا احدثته
قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ماانسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدى وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظى وكانت قتلت
خلاد بن سويد قال وكان على والزبير يضربان اعناق بنى قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهرى ان الزبير بن باطا القرظى ويكنى أباعبد الرحمن كان
قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم
قريظة وهو شيخ كبير فقال يا اباعبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى اريد ان اجزيك
بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم قال ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يارسول الله قد كان للزبير عندى يد وله على منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لى دمه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد وهب لى دمك قال شيخ كبير لااهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يارسول الله اهله واولاده فقال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطانى
امرأتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ماله يارسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطانى ماله
فهو لك فقال اى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل
قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى
بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فانى اسألك بيدى عندك ياثابت الا ما الحقتنى
بالقوم فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه
فلما بلغ أبابكر الصديق قوله حتى يلقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بنى قريظة ونساءهم على المسلمين
واعلم فى ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة اسهم سهمان للفرس
ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان اول يوم وقع
فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى اخابنى الاشهل بسبايا
من سبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى
لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهى فى ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص
على ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو أخف على
وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجد فى نفسه بذلك من امرها فبينما هو بين اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال
ان هذا الثعلبة بن شعبة يبشرنى باسلام ريحانة فجاءه فقال يارسول الله قد اسلمت ريحانة فسره

بانهم لشدة ميلهم الى الجهة
السفلية فى نار الطبيعة
(هل تجزون الا ما كنتم
تعملون) الابصور اعمالكم
وجعل هيئاتها صوركم
(انما امرت ان) لاالتفت
الى غير الحق و (اعبد رب
هذه البلدة) اى القلب
(الذى حرمها) حماها
عن استيلاء صفات
النفس ومنعها من دخول
اهل الرجس وآمنها وآمن
من فيها لئلا يكب وجوهى
فى نار الطبيعة (وله كل
شئ) اى تحت ملكوته
وربوبيته يعطى عابده ماشاء
ان يعطيه ويمنعه ويدفع من
غالبه (وامرت ان اكون من
المسلمين) الذين اسلموا وجو
ههم بالفناء فيه (وان اتلوا
القرآن) افضل الكمالات
المجموعة فى ابرازها
واخراجها الى الفعل
فى مقام البقاء (فمن اهتدى
فانما يهتدى لنفسه ومن ضل
فقل انما انا من المنذرين
وقل الحمد لله) بالاتصاف
بصفاته الحميدة (سيريكم
آياته) صفاته فى مقام
القلب (فتعرفونها ومار بك
بغافل عما تعملون) او آيات
افعاله وآثارها بالقهر
فى مقام النفس فتعرفونها
عند التعذب بها اويوم ينفخ

ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقني له وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر وانى لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رحماء بينهم (خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده * قوله تعالى (يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن) اى متعة الطلاق (واسرحكن سراحا جميلا) اى من غير ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت هذا الامر وانزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع غير قرشيات وهي زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لاقولن شيأ اضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها

في الصور بتجلي الذات في القيامة الكبرى ففزع من السموات ومن في الارض بصعقة الفناء والقهر الكلي الا من شاء الله من اهل البقاء الذين احيوا الحياة وافاقوا بعد صعقة الفناء وكل اتوه داخرين ساقطين عن درجة الحياة والوجود مقهورين وترى جبال الوجودات تحسبها جامدة ثابتة على حالها ظاهرا وهي تمر مر السحاب في الحقيقة زائلة

* (سورة القصص) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض) النفس الامارة استعلى وطغى في ارض البدن (وجعل اهلها شيعا) فرقا مختلفة مخالفة متعادية لاتباعهم السبل المتفرقة وتجافيهم عن طريق العدل والتوحيد والصراط المستقيم (يستضعف طائفة منهم) هم اهل القوى الروحانية (يذبح ابناءهم) من ناسب الروح في التأثير والتعلي من نتائجها باماتته وعدم امتثال داعيته وقهره (ويستحيي نساءهم انه كان

كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيأ ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية ياايها
النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال
ياعائشة انى اريد اعرض عليك امرا احب ان لاتعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وماهو
يارسول الله فتلا عليها الآية قالت افيك يارسول الله استشير ابوى بل اختار الله ورسوله والدار
الآخرة واسألك ان لاتخبر امرأة من نسائك بالذى قلت قال لاتسألني امرأة منهن الا اخبرتها
ان الله لم يبعثني معنتا ولامتعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله واجما اى مهتما والواجم الذى
اسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها اى دققته وقوله لم يبعثني
معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهرى ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لايدخل على
ازواجه شهرا قال الزهرى فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأبي فقلت يارسول الله اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا
وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

(فصل فى حكم الآية) اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى
يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق
وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل
انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لاتعجلي حتى تستشيري ابويك وفى تفويض الطلاق
يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا
* التفريع على حكم الآية اختلف اهل العلم فى حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا
خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لايقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول
عمر بن عبد العزيز وابن ابى ليلى وسفيان والشافعى واصحاب الرأى الا ان عند اصحاب الرأى يقع
طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع
طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن على
انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على
انها اذا اختارت زوجها لايقع شئ (ق) عن مسروق قال مابالى خيرت امرأتي واحدة او
مائة او الفا بعد ان تختارني ولقد سألت عائشة رضى الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما كان طلاقا وفى رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيأ * قوله تعالى (يانساء النبي من
يأت منكن بفاحشة مبينة) اى بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
لا ان منهن من ابت بفاحشة فان الله تعالى صان ازواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس
المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) اى مثلين وسبب تضعيف
العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة عن الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه
وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بالمؤمنين من انفسهم فكذلك
ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) اى عذابها
(ومن يقنت منكن لله ورسوله) اى تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين)

من المفسدين) ماناسب
النفس فى التأثر والتسفل
بقوته والملائمة فى فعله
(ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا فى الارض)
بالاذلال والاهانة والاستعمال
فى الاعمال الطبيعية
والاستخدام فى تحصيل
اللذات البهيمية والسبعية
وذبح الابناء واستحياء
النساء فنجيهم من العذاب
(ونجعلهم ائمة) رؤساء
مقدمين (ونجعلهم الوارثين)
وراث الارض وملوكها
بافناء فرعون وقومه
(ونمكن لهم فى الارض)
بالتأييد (ونرى فرعون)
النفس الامارة (وهامان)
العقل المشوب بالوهم
المسمى عقل المعاش
(وجنودهما) من القوى
النفسانية منهم (ماكانوا
يحذرون) من ظهور موسى
القلب وزوال ملكهم
ورياستهم على يده (واوحينا
الى ام موسى) اى النفس
الساذجة السليمة الباقية
على فطرتها وهى اللوامة
(ان ارضعيه) بلبان
الادراكات الجزئية والعلوم
النافعة الاولية (فاذا
خفت عليه) من استيلاء
النفس الامارة واعوانها

اى مثلى اجر غيرهن قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء العالمين (واعتدنا لها رزقا كريما) يعنى الجنة * قوله تعالى (يا نساء النبى لستن كاحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم على وثوابكن اعظم لدى (ان اتقيتن) يعنى الله فاطعتنه فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) اى لاتلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام (فيطمع الذى فى قلبه مرض) اى فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لاتقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة فى المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) اى يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى * قوله عز وجل (وقرن فى بيوتكن) اى الزمن بيوتكن وقيل هو امر من الوقار اى كن اهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقيل كان فى زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت الف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان احدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم فى آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى (واقمن الصلوة) اى الواجبة (وآتين الزكوة) اى المفروضة (واطعن الله ورسوله) اى فيما امر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى الاثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (اهل البيت ويطهركم تطهيرا) هم نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل على ما روى عن عائشة ام المؤمنين قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط رجل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا

(فالقيه فى اليم) فى يم العقل الهيولانى والاستعداد الاصلى او فى يم الطبيعة البدنيه بالاخفاء (ولا تخافى) من هلاكه (ولا تحزنى) من فراقه (انا رادوه اليك) بعد ظهور التميز ونور الرشد (وجاعلوه من المرسلين) الى بنى اسرائيل (فالتقطه آل فرعون) من القوى النفسانية الظاهرة عليه الغالبة على امره فانه لا يصل الى التميز والرشد ولا يتوقف الا بمعاونة التخيل والوهم وسائر المدركات الظاهرة والباطنة وامدادها (ليكون لهم عدوا وحزنا) فى العاقبة ويعلم ان اعدى عدوه النفس التى بين جنبيه فيقهرها واعوانها بالرياضة ويفنيها بالقمع والكسر والاماتة (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون) اى النفس المطمئنة العارفة بنور اليقين والسكينة حالة المحبة لصفائها التى تستولى عليها الامارة وتؤثر فيها بالتلوين (قرة عين لى) بالطبع للتناسب (ولك) بالتوسط ورابطة الزوجية والتواصل وقيل قال فرعون لك لالى وعالجوا التابوت فلم ينفتح

اخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال عن ام سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وانا جالسة عند الباب فقلت يارسول الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح غريب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يااهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن ارقم اهل البيت. من حرم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ❊ قوله تعالى (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) يعنى القرآن (والحكمة) قيل هى السنة وقيل هى احكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا) اى باوليائه واهل طاعته (خبيرا) اى بجميع خلقه ❊ قوله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لاتقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالى ارى كل شئ الى الرجال وما ارى النساء يذكرن بشئ فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابى امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم مابال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شئ من كتابه ونخشى ان لايكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى انه اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يراد به امر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما امر الله وفيما ساء وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو ان لايلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعنى عما لايحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لايكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن ابى رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن

فنفخت آسية بعدما رأت نورا في جوفه فاحبته (لاتقتلوه عسى أن ينفعنا) في تحصيل اسباب المعاش ورعاية المصالح وتدبير الامور بالرأى (او نتخذه ولدا) بان يناسب النفس دون الروح ويتبع الهوى ويخدم البدن بالاصلاح فيقوينا (وهم لايشعرون) على ان الامر على خلاف ذلك (واصبح فؤاد ام موسى) اى النفس الساذجة اللوامة (فارغا) عن العقل من استيلاء فرعون عليها وخوفها منه لقهوريتها له (ان كادت لتبدى به) اى كادت تطيع النفس الامارة باطنا وظاهرا فلاتخالفها بسرها وما اضمرته من نور الاستعداد وحال موسى الخفى لكونه بالقوة بعد (لولا ان ربطنا على قلبها) اى صبرناها وقويناها بالتأييد الروحى والالهام الملكي (لتكون من المؤمنين) بالغيب لصفاء الاستعداد (وقالت لاخته) القوة المفكرة (قصيه) اى اتبعيه وتفقدى حاله بالحركة في تصفح معانيه المعقولة وكمالاته العلمية والعملية (فبصرت به عن جنب) ادركت حاله عن بعد لانها

اطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله
عن الكذب فهو داخل فى قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية
وعلى الرزية فهو داخل فى قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه
ومن شماله فهو داخل فى قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق فى كل اسبوع بدرهم فهو
داخل فى قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام فى كل شهر ايام البيض وهى الثالث عشر والرابع
عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو
داخل فى قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل
فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (اعد الله لهم مغفرة) اى بمحو ذنوبهم (واجرا
عظيما) يعنى الجنة * قوله تعالى (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان
يكون لهم الخيرة من امرهم) نزلت هذه الآية فى زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبدالله
بن جحش وامهما امية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا
فى الجاهلية بعكاظ واعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه
يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت وقالت انا ابنة عمك يارسول الله فلا ارضاه
لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى وماكان لمؤمن
يعنى عبدالله بن جحش ولا مؤمنة يعنى اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعنى نكاح زيد
لزينب ان تكون لهم الخيرة من امرهم اى الاختيار على ماقضى والمعنى ان يريد غير ما اراد الله
او يمتنع مما امر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) اى اخطأ
خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب واخوها رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير
وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر * قوله
عزوجل (واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك) الآية نزلت فى
زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب فى درع وخمار وكانت بيضاء
جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش فوقعت فى نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب
القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد والقى فى نفسه كراهيتها فى الوقت واتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اريد ان افارق صاحبتى فقال له مالك ارابك منها شئ
قال لا والله يارسول الله مارأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله
عزوجل واذ تقول للذى انعم الله عليه اى بالاسلام وانعمت عليه اى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة
مولاه امسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش (واتق الله) اى فيها ولا تفارقها (وتخفى
فى نفسك) اى تسر وتضمر فى نفسك (ما الله مبديه) اى مظهره قيل كان فى قلبه لو فارقها
تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل وده انه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل

لاترتقى الى حده ولاتطلع
عن مكاشفته واسراره
ومايحصل له من انوار صفاته
(وهم لايشعرون) اى
لايطلعون على اطلاع اخته
عليه لقصور جميع القوى
النفسانية عن حد الفكرة
وبلوغ شأوه (وحرمنا
عليه المراضع) منعناه
من التقوى والتغذى بلذات
القوى النفسانية وشهواتها
وقبول اهوائها واعدادها
(من قبل) اى قبل استعمال
الفكر بنور الاستعداد
وصفاء الفطرة (فقالت
هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم) بالقيام
بتربيته بالاخلاق والآداب
ويرضعونه بلبان البادى
من المشاهدات والوجدانيات
والتجربيات وماطريقة
الحس والحدس من العلوم
(وهم له ناصحون) يشدونه
بالحكم العملية والاعمال
الصالحة ويهذبونه ولا يغوونه
بالوهميات والمغالطات
ويفسدونه بالرذائل
والقبائح (فرددناه الى امه
النفس اللوامة بالميل نحوها
والاقبال (كى تقر عينها)
بالتنور بنوره (ولا تحزن)
بفوات قرة عينها وبهائها
وتقويتها به (ولتعلم) بحصول
اليقين بنوره (ان وعد الله)

تخف لائمتهم ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله احق ان تخشاه) قال عمر
وابن مسعود وعائشة مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه الآية
وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكتم هذه الآية واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
(فصل) فان قلت ماذكروه في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب
النبي صلى الله عليه وسلم عندما رآها وارادته طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج ومالايليق بمنصبه
صلى الله عليه وسلم من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم
يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد
فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما
ذكر عن جماعة من المفسرين واصح مافي هذا الباب ماروي عن سفيان بن عيينة عن علي بن
زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال مايقول الحسن في قوله تعالى
وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت يقول لما جاء
زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني اريد ان اطلق زينب اعجبه ذلك
وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فان الله عز وجل
قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له
امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون
من ازواجك وهذا هو الاولى واليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي
ويظهر مااخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم محبتها اوارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لايجوز ان يخبر انه يظهره ثم
يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء مااعلمه الله انها ستكون زوجته وانما اخفى
ذلك استحياء ان يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن
مرضي وكم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع
وحلال مطلق لامقال فيه ولاعيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول
واجبات يعظم اثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم
اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ماكان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فان قلت فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم
زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
واخفى في نفسه مااعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها
زيد ومثل ذلك لايقدح في حال الانبياء من ان العبد غير ملوم على مايقع في قلبه مثل هذه الاشياء
وانه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لانكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة

بايصال كل مستعد الى كماله
المودع فيه واعادة كل
حقيقة الى اصلها (حق
ولكن اكثرهم لايعلمون)
ذلك فلا يطلبون الكمال
المودع فيهم لوجود الحجاب
وطريان الشك والارتياب
(ولما بلغ اشده) اى مقام
الفتوة وكمال الفطرة
(واستوى) استقام بحصول
كماله ثم بتجرده عن النفس
وصفاته (آتيناه حكما
وعلما) اى حكمة نظرية
وعملية (وكذلك نجزي
المحسنين) المتصفين بالفضائل
السائرين في طريق العدالة
(ودخل المدينة) مدينة
البدن (على حين غفلة
من اهلها) اى في حال هدو
القوى النفسانية وسكونها
حذرا من استيلائها عليه
وعلوها (فوجد فيها
رجلين يقتتلان) اى العقل
والهوى (هذا) اى العقل
(من شيعته وهذا) اى
الهوى (من عدوه) من
جملة اتباع شيطان الوهم
وفرعون النفس الامارة
(فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه) العقل
واستنصره على الهوى
(فوكزه موسى فقضى
عليه) ضربه بهيئة من
هيئات الحكمة العملية

القبيلة معفو عنها مالم يقصد مائمالان الودوميل النفس من طبع البشر والله اعلم وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو حسن لااثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية فى عموم الاحوال فى جميع الاشياء ❁ قوله عزوجل (فلما قضى زيد منها وطرا) اى حاجته منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها (زوجناكها) قال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث مامن امرأة من نسائك تدل بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله فى السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى اتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت يازينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ماانا بصانعة شيأ حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى اناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادرى انا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب (ق) عن انس قال مااولم النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه مااولم على زينب اولم بشاة وفى رواية اكثروا فضل مااولم على زينب قال ثابت بم اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه ❁ قوله عزوجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) اى اثم (فى ازواج ادعيائهم) جمع الدعى وهو المتبنى (اذا قضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهى امرأة زيد الذى كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لاتحل للاب (وكان امر الله مفعولا) اى قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ قوله تعالى (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) اى فيما فرض الله) اى فيما احل الله له من النكاح وغيره (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) معناه من الله سنة فى الانبياء وهو ان لاحرج عليهم فى الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسرارى فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) اى قضاء مقضيا ان لاحرج على احد فيما احل له ثم اثنى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) اى فرائض الله وسننه واوامره ونواهيه الى من ارسلوا اليهم (ويخشونه) اى يخافونه (ولايخشون احدا الا الله) اى لايخافون

بقوة من التأييدات ملكية بيد العاقلة العملية فقتله (قال هذا) الاستيلاء والاقتتال (من عمل الشيطان) الباعث للهوى على التعدى والعدوان (انه عدو مضل مبين) اوهذا القتل من عمل الشيطان لان علاج الاستيلاء بالافراط لايكون بالفضيلة التى هى العدالة الفائضة من الرحمن بل انما يكون بالرذيلة التى يقابلها من جانب التفريط كعلاج الشره بالجمود وعلاج البخل بالتبذير والاسراف بالتقتير وكلاهما من الشيطان (قال رب انى ظلمت نفسى) بالافراط والتفريط (فاغفرلى) استرلى رذيلة ظلمى بنور عدلك (فغفرله) صفات نفسه المائلة الى الافراط والتفريط بنوره فحصلت له العدالة (انه هو الغفور) الساتر هيئات النفس بنوره (الرحيم) بافاضة الكمال عند زكاء النفس عن الرذائل (قال رب بما انعمت على) اى اعصمنى بما انعمت على من العلم والعمل (فلن اكون ظهيرا) معاونا (للمجرمين) المرتكبين الرذائل من القوى النفسانية (فاصبح فى المدينة) فى مدينة

قاله الناس ولا تمتم فيما احل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم
* قوله عز وجل (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
يعنى زيد بن حارثة والمعنى لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين
الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له ابناء القاسم والطيب والطاهر
وابراهيم وقال للحسن ان ابنى هذا سيد قلت قد اخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم وهؤلاء
لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله) اى ان كل رسول
هو ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه
(وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده اى ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم اختم به
النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكرا
يصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) اى دخل فى علمه انه لا نبى بعده فان قلت قد صح ان عيسى
عليه السلام ينزل فى آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل
فى آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته (ق)
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل الانبياء من
قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس
يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه
وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة
اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على
قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن ابى موسى قال
كان النبى صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفى وانا الماحى ونبى
التوبة ونبى الرحمة المقفى هو المولى الذاهب يعنى آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبى بعده *
قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل
على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له
حدا ينتهى اليه ولم يعذر احدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به فى الاحوال كلها فقال تعالى
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعنى بالليل
والنهار فى البر والبحر وفى الصحة والسقم وفى السر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان
لا ينساه ابدا (وسبحوه) معناه اذا ذكرتموه ينبغى لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه
عن كل سوء (بكرة واصيلا) فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط ايضا
وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح واصيلا يعنى صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله زاد فى نسخة العلى العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا
هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذى يصلى عليكم وملائكته)
الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هى

البدن خاشعا يترقب) من
استيلاء القوى النفسانية
باثارة الدواعى والهواجس
والقاء احاديث النفس
والوساوس فى مقام المراقبة
(فاذا الذى استنصره
بالامس يستصرخه قال
له موسى انك لغوى مبين)
اى يستنصره العقل على
اخرى من قوى النفس
وهى الوهم والتخيل لانهما
يفسدان فى مقام الترقب
ويثيران الوساوس
والهواجس ويبعثان
النوازع والدواعى ولا
ينكسران ولا يفتران فى حال
ما من احوال الوجود القلب
الا عند الفناء فى الله الا ترى
الى معارضته وممارأته له
فى قوله (فلما ان اراد ان يبطش
بالذى هو عدو لهما قال
يا موسى اتريد ان تقتلنى كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد
الا ان تكون جبارا فى الارض
وما تريد ان تكون
من المصلحين) وانما نسب
صاحبه الذى هو العقل
بقوله انك لغوى لافتتانه
بالوهم وعجزه عن دفعه
واحتياجه فى معارضته
الى القلب وانما اراد ان يبطش
ولم يتيسر له البطش ومانعه
وانكر فعله بقوله ان تريد
ان تقتلنى كما قتلت نفسا

اشاعة الذكر الجميل له فى عباده والثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى قال ابو بكر ما خصك الله يارسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعنى انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلى عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحى بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعنى تحية المؤمنين (يوم يلقونه) اى يرون الله يوم القيامة (سلام) اى يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعنى يلقون ملك الموت لايقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (واعد لهم اجرا كريما) يعنى الجنة * قوله عز وجل (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) اى لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) اى الى توحيده وطاعته (باذنه) اى بامره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضئ * فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت نور الشمس لايمكن ان يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) اى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم) قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لاتجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) اى حافظا * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) اى تجامعوهن ففى الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة اجنبية اذا نكحتك فانت طالق او قال كل امرأة انكحها فهى طالق فنكح لايقع الطلاق وهذا قول على وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمن بن يسار ومجاهد والشعبى وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعى وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعى واصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعى ان عين امرأة وقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم فى الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهى طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاطلاق فيما لاتملك ولا عتق فيما لاتملك ولا بيع فيما لاتملك اخرجه ابو داود والترمذى بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخارى فى ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) اى تحصونها بالاقراء

بالامس لان القلب ما لم يصل الى مقام الروح ولم يفن فى مقام الولاية ولم يتصف بالصفات الالهية لم يذعن له شيطان الوهم لانه فى القيامة الكبرى فما دام القلب فى مقام الفتوة متصفا بكمالاته فى القيامة الوسطى يطمع هو فى اغوائه ولا ينقهر ولا يمتنع بمجرد الكمال العلمى والعملى عن استعلائه (وجاء رجل من اقصى المدينة) هو الحب الباعث على السلوك فى الله الذى يسمونه الارادة واتيانه من اقصى المدينة انبعاثه من مكمن الاستعداد عند قتل هوى النفس (يسعى) اذ لا حركة اسرع من حركته يحذره عن استيلائهم عليه وينبه على تشاورهم وتظاهرهم عند ظهور سلطان الوهم عليه ومقابلته ومماراته ومجادلته له على هلاكه بالاضلال (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج) عن مدينتهم حدود سلطنتهم الى مقام الروح (انى لك من الناصحين فخرج منها) بالاخذ فى المجاهد فى الله ودوام الحضور والمراقبة (خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين)

والاشهر اجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) اى اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) اى خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن ❋ قوله عز وجل (يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن) اى مهورهن (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) اى من السبى فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعنى نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى نساء بنى زهرة (اللاتى هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن ام هانئ بنت ابى طالب قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الآية قالت فلم اكن احل له لانى لم اهاجر كنت من الطلقاء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) اى احللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة الى انها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على اربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فذهب اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعى وقال ابراهيم النخعى واهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا فى نكاح النبى صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج كما فى حق سائر الامة لقوله تعالى ان اراد النبى ان يستنكحها وكان اختصاصه فى ترك المهر لا فى لفظ النكاح واختلفوا فى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم ❋ وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) اى اوجبنا على المؤمنين (فى ازواجهم) اى من الاحكام وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر (وما ملكت ايمانهم) اى ما اوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج)

من غلبتهم ملتجئا الى الله فى طلب النجاة من ظلمهم (ولما توجه تلقاء مدين) مقام الروح غلب رجاؤه على الخوف لقوة الارادة وطلب الهداية الحقانية بالانوار الروحية والتجليات الصفاتية الى سواء سبيل التوحيد وطريقة السير فى الله (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين) اى مورد علم المكاشفة ومنهل علم السر والمكالمة (وجد عليه امة من الناس) من الاولياء والسالكين فى الله المتوسطين الذين مشربهم من منهل المكاشفة (يسقون) قواهم ومريديهم منه والعقول المقدسة والارواح المجردة من اهل الجبروت فانها فى الحقيقة اهل ذلك المنهل يسقون منه اغنام النفوس السماوية والانسية وملكوت السموات والارض (ووجد من دونهم) من مرتبة اسفل من مرتبتهم (امرأتين) هما العاقلتان النظرية والعملية (تذودان) اغنام القوى عنه لكون مشربها من العلوم العقلية والحكمة العملية قبل وصول موسى القلب الى المناهل الكشفية

وتنفقا يرجع الى اول الآية معناه احللنا لك ازواجك وماملكت يمينك والموهوبة لكى لايكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) اى للواقع فى الحرج (رحيما) اى بالتوسعة على عباده ❊ قوله تعالى (ترجى) اى تؤخر (من تشاء منهن وتؤوى اليك) اى تضم اليك (من تشاء) قيل هذا القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض امهات المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين لاينكحن ابدا وعلى انه يؤوى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن اولم يقسم اوقسم لبعضهن دون بعض اوفضل بعضهن فى النفقة والكسوة فيكون الامر ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ماجعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن روى عن ابى رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يانبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فارجى صلى الله عليه وسلم بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وارجى منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية لهن مايشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن انفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلاتقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن انفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اماتستحى المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن رسول الله ماارى ربك الايسارع فى هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) اى طلبت ان تؤوى اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة (فلاجناح عليك) اى لااثم عليك فاباح الله ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن فى نوبتها ويطأ من يشاء منهن فى غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولايحزن) اى ذلك التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن اقرب الى رضاهن والطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) اى اعطيتهن (كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء (والله يعلم مافى قلوبكم) اى من امر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) اى بما فى ضمائركم (حليما) اى عنكم ❊ قوله تعالى (لايحل لك النساء من بعد) اى من بعد هؤلاء التسع اللاتى اخترنك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل ابيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء اخرجه الترمذى وقال حديث

والموارد الذوقية ولانصيب لها من علوم المكاشفة (لانسقى حتى يصدر الرعاء) اى شربنا من فضلة رعاء الارواح والعقول المقدسة عند صدورها عن المنهل متوجهة الينا مفيضة علينا فضلة الماء (وابونا) الروح (شيخ كبير) اكبر من ان يقوم بالسقى (فسقى لهما) من مشرب ذوقه ومنهل كشفه بالافاضة على جميع القوى من فيضه لان القلب اذاورد منهلا ارتوى من فيضه فى تلك الحالة جميع القوى وتنورت بنوره (ثم تولى) من مقامه (الى الظل) اى ظل النفس فى مقام الصدر مستقرا لعلمه المعقول بالنسبة الى العلوم الكشفية مستمدا من فضل الحق ومقامه القدسى والعلم اللدنى الكشفى (فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) اى محتاج سائل لما انزلت الى من الخير العظيم الذى هو العلم الكشفى وهو مقام الوجد والشوق اى الحال السريع الزوال وطلبه حتى يسير ملكا (فجاءته احداهما) هى النظرية المتنورة بنور القدس التى تسمى حينئذ القوة القدسية

حسن صحيح والنسائي عنها حتى احل له ان يتزوج من النساء ماشاء وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال انما احل له ضربا من النساء فقال تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا ان تبدل بهن من ازواج) اى بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون ام المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ماملكت يمينك اى من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج اى تبدل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الا ماملكت يمينك اى لا بأس ان تبادل بجاريتك ماشئت فاما الحرائر فلا (ولو اعجبك حسنهن) يعنى ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعنى اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب لما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك (الا ماملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شئ رقيبا) اى حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر الى من يريد انكاحها من النساء ويدل عليه ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى مايدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود (م) عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيأ قال الحميدى يعنى هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم) الآية قال اكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فكانت امهاتى تواظبنى على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم الناس بشأن الحجاب حين انزل وكان اول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بينى وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول يا ايها الذين

(تمشى على استحياء) لتأثرها منه وانفعالها بنوره (ان ابي يدعوك) اشارة الى الجذبة الروحية بنور القوة القدسية واللمة الملكية (ليجزيك اجر ماسقيت لنا) اى ثواب ارتواء القوى الشاغلة الجاجبة من استفاضتك وتنورها بنورك فانها اذا انفعلت بالبارق القدسى وارتوت بالفيض السرى سهل الترقى الى جناب القدس وقوى استعداد القلب للاتصال بالروح لزوال الحجب اوزوال ظلمتها وكثافتها (فلما جاءه) واتصل به وترقى الى مقامه واطلع الروح على حاله (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) وهو صورة حاله (قالت احداهما يا ابت استأجره) اى استعمله بالمجاهدة في الله والمراقبة لحاله في رعاية اغنام القوى حتى لا تنتشر فتفسد جمعيتنا وتشوش فرقتنا وبالذكر القلبى في مقام تجليات الصفات والسير فيها باجرة ثواب التجليات وعلوم المكاشفات (ان خير من استأجرت) لهذا العمل (القوى) على كسب الكمال (الامين)

آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله والله لايستحيي من الحق (ق) عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك ياسودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول او الغائط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع (ق) عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل ان يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم يعني الا ان تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظرين اناه) يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) اي اكلتم الطعام (فانتشروا) اي فاخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) اي لاتطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) اي فيستحيي من اخراجكم (والله لايستحيي من الحق) اي لايترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قال لايستحيي من الحق بمعنى لايمتنع منه ولايتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم (واذا سألتموهن متاعا) اي واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) اي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) اي من الريب (وماكان لكم ان تؤذوا رسول الله) اي ليس لكم اذاه في شيء من الاشياء (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انكح عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيأ) اي من امر نكاحهن على السنتكم (او تخفوه) اي في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليما) اي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة مابالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن ايضا يارسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله

الذي لايخونون عهد الله بالوفاء بابرازها في الاستمداد من وديعته اولايخونون لروح بالميل الى بناته فيحتجب بالمعقول وقد قيل ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الا سبعة رجال وقيل عشرة فاقله وحده وذلك قوته وفيها اشارة الى ان العلم الدني لايحصل الا بالاتصاف بالصفات السبع الالهية اوالعشر (قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين) اي اجعلها تحتك تحظى عندك بنور القدس وعلوم الكشف وتكون بحكمك وأمرك لاتحتجب عنك بقولها (على ان تأجرني ثماني حجج) اي تعمل لاجلي بالمجاهدة حتى تأتي عليك ثمانية اطوار هي اطوار الصفات السبعة الالهية بالفناء عن صفاته في صفات الله التي آخرها مقام المكالمة مع طور المشاهدة التي يتم بها الوصول المطلوبة بقوله رب ارني انظر اليك (فان اتممت عشرا) بالترقي في طورين آخرين هما الفناء في الذات والبقاء بعده بالتحقق (فمن عندك) فمن كمال استعدادك وقوته وخصوصية عينك

عزوجل (لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن)
اى لا اثم عليهن في ترك الحجاب من هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولا نسائهن) قيل اراد به
النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن (ولا ماملكت
ايمانهن) اختلفوا في ان عبد المرأة هل يكون محرما لها ام لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله
تعالى ولا ماملكت ايمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد
(واتقين الله) اى ان يراكن احد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) اى من اعمال العباد
(شهيدا) * قوله عزوجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس
اراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله
الرحمة ومن الملائكة استغفار فصلاة الله ثناؤه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) اى حيوه بتحية الاسلام

* (فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها) * اتفق العلماء على وجوب الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب في كل
صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن احمد وقيل تجب كلما ذكر
واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة
(ق) عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي
صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن
ابي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن ابي مسعود البدري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي
عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا * عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات
ورفعت له عشر درجات اخرجه الترمذي وله عن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت انا نرى البشر في وجهك قال انه اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك
يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه
عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض
يبلغوني من امتي السلام * عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس

اقتضاه هويتك وهي
الكمالات العشر التي ابتلى
بها ابراهيم ربه فأتمهن بفضله
اماما للناس في مقام التوحيد
والله اعلم (وما اريد ان اشق
عليك) احمل عليك فوق
طاقتك وما لا يفي به وسع
استعدادك (ستجدني
ان شاء الله من الصالحين)
المربين بما يصلح للوصول
من الافاضات والعلوم
الهادين الى ما في اصل
الاستعداد من الكمال
المودع في عين الذات بالانوار
مكلفين بما لم يكن في وسعك
(ذلك بيني وبينك) ذلك
الامر الذي عاهدتني عليه
ثابت بيني وبينك يتعلق
بقوتنا واستعدادنا وسعينا
لا مدخل لغير فيه (ايما
الاجلين قضيت فلا عدوان
علي) اي ما النهايتين بلغت
فلا اثم علي اذ لا علي الا السعي
واما البلوغ فهو بحسب
ما اوتيت من الاستعداد
في الازل وانما تقدر فوق
في السعي بحسب ذلك (والله
على ما نقول وكيل) والله
هو الذي وكل اليه امرنا
وهو بذلك شاهد عليه اي
ما اوتينا من الكمال المقدر لنا
امر تولاه الله بنفسه وعينه
من فيضه الاقدس لا يمكن
لاحد تغييره ولا يطلع عليه

بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابوداود * قوله عزوجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء. واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عزوجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب فى الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذى يصيبهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اى انا الذى احل بهم النوازل وانا الفاعل لذلك الذى تنسبونه الى الدهر فى زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون فى اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير (ق) عن ابى هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يؤذون الله اى يؤذون اولياء الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) اى من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) قيل انها نزلت فى على بن ابى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شأن عائشة وقيل نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة فى درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين) اى يرخين ويغطين (عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يتستر به من كساء وغيره قال ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤسهن

احد غيره ولا يبطل قبل الوصول قدر الكمال المودع فى الاستعداد وهو من غيب الغيوب الذى استأثر به الله لذاته (فلما قضى موسى الاجل) اى بلغ حد الكمال الذى هو اقصر الاجلين (وسار باهله) من القوى باسرها الى جانب القدس مستصحبا للجميع بحيث لم يمانعه ولم يتخلف عنه واحدة منها وحصل له ملكة الاتصال للتدرب فى المجاهدة والمراقبة بلا كلفة (آنس من جانب الطور نارا) طور السر الذى هو كمال القلب فى الارتقاء نار روح القدس وهو الافق المبين الذى اوحى منه الى من اوحى اليه من الانبياء (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة) اى مقام كمال القلب المسمى سرا من شجرة نفسه القدسية (ان يا موسى انى انا الله رب العالمين) وهو مقام المكالمة والفناء فى الصفات فيكون القائل والسامع

ووجوههن بالجلابيب الاعينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يؤذين) اى لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) اى لما سلف منهن قال انس مرت
بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القى القناع لكاع كلمة
تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس * قوله
تعالى (لئن لم ينته المنافقون) اى عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) اى فجورهم الزنا
(والمرجفون فى المدينة) اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا
من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتفشو الاخبار
(لنغرينك بهم) اى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) اى
لا يساكنونك فى المدينة الا قليلا اى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلى
منهم المدينة (ملعونين) اى مطرودين (اينما ثقفوا) اى وجدوا وادركوا (اخذوا وقتلوا
تقتيلا) اى الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) اى كسنة الله (فى الذين خلوا من قبل) اى
فى المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء ان يقتلوا حيث ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) * قوله
عز وجل (يسئلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله
تعالى عمى عليهم علم وقتها فى التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله
(قل انما علمها عند الله) يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك)
اى اى شئ يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) اى انها قريبة الوقوع
وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين (ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار) اى تنقلب ظهرا لبطن حين يسحبون
عليها (يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) اى فى الدنيا (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا) يعنى رؤس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعنى
عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعنى ضعفى عذاب
غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) اى لعنا متتابعا * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) اى فطهره الله مما قالوا فيه (وكان عند الله وجيها) اى كريما ذا جاه
وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيأ الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل
كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذى به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام
يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع
ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل
الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر
ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى الحجر اخرجه البخارى ومسلم
وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شئ

هو الله كما قال كنت سمعه
الذى به يسمع ولسانه الذى
به يتكلم والقاء العصا
والادبار واظهار اليد
البيضاء مر تأويله فى المحل
(والق عصاك فلما رآها
تهتز كأنها جان ولى مدبرا
ولم يعقب يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الآمنين
اسلك يدك فى جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء واضمم
اليك جناحك من الرهب)
اى لا تخف من الاحتجاب
والتلوين بعد الرجوع
من الله واربط جاشك
بتأييدى آمنا متحققا بالله
وقد سمعت شيخنا المولى
نور الدين عبد الصمد قدس
الله روحه العزيز فى شهود
الوحدة ومقام الفناء عن
ابيه انه كان بعض الفقراء
فى خدمة الشيخ الكبير
شهاب الدين السهروردى
فى شهود الوحدة ومقام
الفناء ذا ذوق عظيم فاذا
هو فى بعض الايام يبكى
ويتأسف فسأله الشيخ عن
حاله فقال انى حجبت عن
الوحدة بالكثرة ورددت
فلا اجد حالى فنبهه الشيخ
على انه بداية مقام البقاء
وان حاله اعلى وارفع من
الحال الاولى وامنه (فذانك
برهانان من ربك) من التمتع

من جسده استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح اى اسرع وقوله ثوبي حجر اى دع ثوبي يا حجر قوله وطفق اى جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الاية ان آذاهم اياه انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله (يصلح لكم اعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) اى ظفر بالخير العظيم * قوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا ادوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض

المذكور (الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون) العقل (هو افصح مني لسانا) لان العقل بمثابة لسان القلب ولولاه لم يفهم احوال القلب اذ الذوقيات ما لم تدرج في صورة المعقول وتنزل في هيئة العلم والمعلوم وتقرب بالتمثيل والتأويل الى مبالغ فهوم العقول والنفوس لم يمكن فهمها (فارسله معي ردأ يصدقني) عونا يقرر معناي في صورة العلم بمصداق البرهان (اني اخاف ان يكذبون) لبعد حالي عن افهامهم عن مقامي وحالي فلا بد من متوسط (قال سنشد عضدك باخيك) نقويك بمعاضدته (ونجعل لكما سلطانا) غلبة بتأثيرك فيهم بالقدرة الملكوتية وبتأييدك العقل بالقوة القدسية واظهار العقل كمالك في الصورة العملية والحجة القياسية (فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر

عليهن تخييرا لا الزاما ولو ازمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاشعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء (فابين ان يحملنها واشفقن منها) اى خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعنى آدم قال الله عز وجل لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين اذنى وعاتقى قال الله اما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلقه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمة وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحتمله ويستقل به فأبى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اى لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل فى تفسير الآية اقوال اخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على كل شئ وائتمن آدم واولاده على شئ فالامانة فى حق الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فأبين ان يحملنها اى ادين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة فى حق بنى آدم فهى ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان اى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانه فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

(فصل) فى الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالى ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ اصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هو النفطات فى الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شئ (خ) عن ابى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره

مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين) نار الهوى على طين الحكمة الممتزجة من ماء العلم وتراب الهيئات المادية (فاجعل لى صرحا) مرتبة عالية من الكمال من صعد اليها كان عارفا وهو اشارة الى احتجابه بنفسه وعدم تجرد عقله من الهيئات المادية لشوب الوهم اى حاولت النفس المحجوبة بانائيته من عقل المعاش المحجوب بمعقوله ان يبنى بنيانا من العلم والعمل المشوبين بالوهميات ومقاما عاليا من الكمال الحاصل بالدراسة والتعلم لا بالوراثة والتلقى من استعلى عليه توهم كونه عارفا بالغا حد الكمال كما ذكر فى الشعراء انهم كانوا قوما محجوبين بالمعقول عن الشريعة والنبوة متدربين بالمنطق والحكمة معتنين بهما معتقدين الفلسفة غاية الكمال منكرين للعرفان والسلوك والوصال (لعلى

يقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها أنا يارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يارسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) اى بما خانوا الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) اى يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه اى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة سبا وهى مكية)

(واربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة والف وخمسمائة واثناعشر حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من اجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له ما فى السموات وما فى الارض اى ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) اى كما هو له فى الدنيا لان الام فى الدارين منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) اى الذى احكم امور الدارين (الخبير) اى بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج فى الارض) اى من المطر والكنوز والاموات (وما يخرج منها) اى من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) اى من المطر والثلج والبرد وانواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) اى فى السماء من الملائكة واعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) اى للمفرطين فى اداء ما وجب عليهم من شكر نعمه * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطؤا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربى لتأتينكم) يعنى الساعة (عالم الغيب) اى لا يفوت علمه شئ من الخفيات واذا كان كذلك اندرج فى علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لا يعزب عنه) اى لا يغيب عنه (مثقال ذرة) اى وزن ذرة (فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك) اى من الذرة (ولا أكبر الا فى كتاب مبين) اى فى اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة) اى لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) اى فى ابطال ادلتنا (معجزين) اى يحسبون انهم يفوتوننا (اولئك لهم عذاب من رجز اليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعنى مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (الذى انزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) يعنى انه من عندالله (ويهدى) يعنى القرآن (الى صراط العزيز الحميد) اى الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعنى المنكرين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) اى قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبئكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وهى انكم

اطلع الى اله موسى) بطريق التفلسف وانما ظنه من الكاذبين لقصوره عن درجة العرفان والتوحيد واحتجابه بصفة الانانية والطغيان والتفرعن بغير الحق من غير ان يتصفوا بصفة الكبرياء عند الفناء فيكون تكبرهم بالحق لا بالباطل عن صفات نفوسهم (وانى لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربى) اى جانب غروب شمس الذات الاحدية فى عين موسى واحتجابها بعينه فى مقام المكالمة لانه سمع النداء من شجرة نفسه ولهذا كانت قبلته جهة المغرب ودعوته

(اذا مزقتم كل ممزق) اى قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا (انكم لفى خلق جديد) اى يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا (افترى على الله كذبا) اى اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (ام به جنة) اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون فى شئ وهو مبرأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى منكرى البعث (فى العذاب والضلال البعيد) اى من الحق فى الدنيا (افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض) اى فيعلموا انهم حيث كانوا فى ارضى وتحت سمائى فان ارضى وسمائى محيطتان بهم لا يخرجون من اقطارها وانا قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) اى كما خسفنا بقارون (او نسقط عليهم كسفا من السماء) اى كما فعلنا باصحاب الايكة (ان فى ذلك) اى فيما ترون من السماء والارض (لآية) اى تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) اى تائب راجع الى الله بقلبه ❊ قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعنى النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما اوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال أوّبى معه) اى وقلنا يا جبال سبحى معه اذا سبح وقيل رجعى معه اذا رجع ونوحى معه اذا ناح (والطير) اى وأمرنا الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (والناله الحديد) يعنى كان الحديد فى يده كالشمع او كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود والكم هذا اى رجل هو فيثنون عليه ويقول خيرا فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هى يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (ان اعمل سابغات) اى دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب فى الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر فى السرد) اى ضيق فى نسج الدرع وقيل قدر المسامير فى حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر فى السرد أى اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (انى بما تعملون بصير) ❊ قوله تعالى (ولسليمان الريح) اى وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به فى كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب

الى الظواهر التى هى مغارب شمس الحقيقة بخلاف عيسى عليه السلام (اذ قضينا الى موسى الامر) اوحينا اليه بطريق المكالمة (وما كنت من الشاهدين) مقامه فى مرتبة نقبائه واولياء زمانه الذين شهدوا مقامه ولكن بعد قرنك من قرنه بانشاء قرون كثيرة بينهما فنسوا فاطلعناك على مقامه وحاله فى معراجك وطريق صراطك ليتذكروا (ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين) مقام الروح (تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين) علوم صفاتنا ومشاهداتنا بل كانت فى طريقك اذ ترقيت من الافق الاعلى فدنوت من الحضرة الاحدية الى مقام قاب قوسين او ادنى فاخبرتهم بذلك عند ارسالنا اياك بالرجوع الى مقام القلب بعد الفناء فى الحق (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) مقام السر واقفا (ولكن رحمة) تامة واسعة شاملة (من ربك) تداركتك ورقتك الى مقام الفناء فى الوحدة الذى تندرج فيه مقامات جميع الانبياء وصارت وصفك

المسرع وقيل انه كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند (واسلناله عين القطر) اى اذبناله عين النحاس قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن تجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) اى بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وامرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) اى يعدل (منهم) من الجن (عن امرنا) اى الذى امرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا فى الآخرة وقيل فى الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته (يعملون له مايشاء من محاريب) اى مساجد وقيل هى الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه ولم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضى اتمامه على يديه فلما توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام احب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وأجعلها اثنى عشر ربضا وانزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من اماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنها فاتى من ذلك بشئ كثير لايحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافى وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما يوافق حكمه فاوتيه وسأل الله تعالى ملكا لاينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه احد لاينهزه الا الصلاة فيه الا اخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النسائى ولغير النسائى ان له مثله ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحو قوله لاينهزه اى لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ مافيه من الذهب والفضة وسائر انواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر * وقوله عز وجل (وتماثيل) اى ويعملون له تماثيل اى صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا فى شريعتهم

وصورة ذاتك عند التحقق به فى مقام البقاء والارسال لتم نبوتك بختم النبوات و(لتنذر قوما) بلغت استعداداتهم فى القبول حدا من الكمال مابلغ استعدادات آبائهم الذين كانوا فى زمن الانبياء المتقدمين وتدعوهم الى كمال مقام المحبوبين الذى لم يدع اليه احد منهم امته (فما آتاهم من نذير من قبلك) يدعوهم الى مادعوت اليه (لعلهم يتذكرون) بالوصول الى كمال المحبة (ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب)

وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظله النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه (وجفان) اى قصاع (كالجواب) اى كالحياض التى يجبى فيها الماء اى يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الوحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) اى ثابتات على أثافيها لاتحرك ولاتنزل عن اماكنها لعظمهن و كان يصعد اليها بالسلالم و كانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) اى وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال ثابت البنانى كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتى ساعة من ليل او نهار الاوانسان من آل داود قائم يصلى (وقليل من عبادى الشكور) اى قليل العامل بطاعتى شكرا لنعمتى * قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) اى على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التى مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لايصبح يوما الا وقد نبتت فى محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا و كذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حى انت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها فى حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لايعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيأ ويعلمون ما فى غد ثم دخل المحراب وقام يصلى على عادته متكئا على عصاه فمات قائما و كان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملون فى حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حى ولاينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين فى جوف الخشب فذلك قوله تعالى (مادلهم على موته الادابة الارض) يعنى الارضة (تأكل منسأته) قال البخارى يعنى عصاه (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل فى معنى الآية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى الملك مدة أربعين سنة وشرع فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين * قوله عز وجل (لقد كان لسبإ فى مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادى قال لما انزل فى سبا ما انزل قال رجل يارسول الله وما سبأ ارض

(اوامرأة)

العقل القرآنى والفرقانى (من قبله هم به يؤمنون) لكمال استعدادهم دون غيرهم (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) وجوهنا لله بالتوحيد منقادين لامره (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) اولا فى القيامة الوسطى من جانب الافعال والصفات قبل الفناء فى الذات وثانيا فى القيامة الكبرى عند البقاء بعد الفناء من الجنات الثلاث (ويدرؤن بالحسنة) المطلقة من شهود افعال الحق والصفات والذات (السيئة) المطلقة من افعالهم وصفاتهم وذواتهم (ومما رزقناهم ينفقون) بالتكميل وافاضة الكمالات على المستعدين القابلين (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه) لغوا لفضول المانع من القبول لم يلحوا واعرضوا لكونهم اولياء موحدين لانبياء (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) سلمكم الله من الآفات المانعة عن قبول الحق (لانبتغى) صحبة (الجاهلين) المفقودين بالسفاهة والجهل المركب فانهم لاينتفعون بصحبتنا

اوامرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة أخرجه الترمذى مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبأ هوابن يشجب بن يعرب بن قحطان فى مسكنهم اى بمأرب من ارض اليمن آية اى دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) اى بستانان (عن يمين وشمال) اى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من اتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد احاطت به الجنتان (كلوا) اى قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) اى من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فتمتلئ المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيأ (واشكروا له) اى على مارزقكم من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) اى ارض مارب وهى سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة ولاذباب ولابرغوث ولاحية ولاعقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب اى وربكم ان شكرتم على مارزقكم رب غفور لمن شكره * قوله عز وجل (فاعرضوا) قال وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا مانعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم (فارسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذى لايطاق قيل كان ماء أحمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم المسكر الذى يحبس الماء وقيل العرم الوادى قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الماء جنانهم واخرب ارضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون علمه ان الذى يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الاربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ماارادالله تعالى بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد وحفرت حتى اوهنت السيل وهم لايعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط) قيل هو شجر الاراك وثمره البرير وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لايمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به (واثل)

ولايقبلون هدايتنا (انك لاتهدى من احببت) هدايته لاهتمامك بحاله غير مطلع على استعداده بمجرد الجنسية النفسية اوالقرابة البدنية دون الاصلية اوالصحبة العارضية دون الحقيقية الروحية (ولكن الله يهدى من يشاء) من اهل عنايته (وهو اعلم بالمهتدين) القابلين للهداية لاطلاعه على استعدادهم وكونهم غير مطبوع على قلوبهم (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لايعلمون وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الاقليلا وكنا نحن الوارثين وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وماكنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وماعندالله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين

قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا انه اعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشئ قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) اي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازى الا الكفور) اي هل يكافأ بعمله الا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) اي الماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) اي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (وقدرنا فيها السير) اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) اي وقلنا لهم سيروا (فيها ليالى واياما) اي في اي وقت شئتم (آمنين) اي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيها وطلبوا الكد والتعب في الاسفار (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا) وقرئ باعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلموا انفسهم) اي بالبطر والطغيان (فجعلناهم احاديث) اي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق (ان في ذلك لآيات) اي لعبرا ودلالات (لكل صبار) اي عن المعاصي (شكور) اي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر لنعماه وقيل المؤمن اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر * قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه اصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) اي ما كان تسليطنا اياه عليهم (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) اي لنرى ونميز المؤمن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شئ حفيظ) اي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ * قوله تعالى (قل) اي قل يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) اي انهم آلهة اي (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) يعني من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) اي للآلهة (فيهما) اي في السموات والارض

ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ) اي خفيت عليهم الحقائق والتبست في القيامة الصغرى لكونهم محجوبين واقفين مع الاغيار كالعمى وقد رسخ جهلهم الشامل اوقات النشأتين كقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى (فهم لا يتساءلون) لعجزهم عن النطق وكونهم مختوما على افواههم (فاما من تاب وآمن) تنصل عما غطى بصيرته وغشى قلبه واستعداده من صفات النفس وآمن بالغيب بطريق العلم (وعمل) في الطلب واكتساب الخيرات والصفات (عملا صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) الفائزين بالتجرد عن مقام النفس بمقام القلب والرجوع الى الفطرة من جانب النشأة (وربك يخلق ما يشاء) من المحجوبين

(من شرك) اى من شركة (وماله) اى لله (منهم) اى من الآلهة (من ظهير) عوين (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) اى اذن الله له فى الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن أذن الله فى ان يشفع له (حتى اذا فزع عن قلوبهم) معناه كشف الفزع واخرج من قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذى قال (الحق وهو العلى الكبير) وللترمذى اذا قضى الله فى السماء امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح قوله خضعا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق اخرجه ابو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة اوستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير اى ذو العلو والكبرياء * قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المطر والنبات (قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنت ان رازقكم هو الله (وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) معناه ما نحن وانتم على امر واحد بل احد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجاج كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خلفه فى ضلال فكذبهم من غير ان يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل او بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين (قل لا تسئلون عما اجرمنا) اى لا تؤاخذون به (ولا نسئل عما تعملون) اى من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعنى يوم القيامة (ثم يفتح) اى يقضى ويحكم (بيننا بالحق) اى بالعدل (وهو الفتاح) اى القاضى (العليم) اى بما يقضى (قل اروني) اعلمونى (الذين الحقتم به) اى بالله (شركاء) اى الاصنام التى اشركوها معه فى العبادة هل يخلقون او يرزقون واراد بذلك ان يريهم ان الخطأ

والمكاشفين (ويختار) بمقتضى مشيته وعنايته لهم ما يريد (ما كان لهم الخيرة) فى ذلك (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) نزهه من ان يكون لغيره اختيار مع اختياره فيكون شريكه (وهو الله لا اله الا هو) لاشريك له فى الوجود (له الحمد فى الاولى والآخرة) المطلق لثبوت جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الاكوان والباطنة وعنها له فيكون كل جيل غنى قوى عزيز فى الدنيا بجماله وغناه وقوته وعزته جيلا غنيا قويا عزيزا وكل كامل عالم عارف به فى الآخرة بكماله وعلمه ومعرفته كاملا عالما عارفا (وله الحكم) بقهر كل شئ على مقتضى مشيئته ويحكم عليه بموجب ارادته فيكون كل قبيح فقير ذليل ضعيف فى الدنيا بحكمه وتحت قهره كذلك وكل محجوب مخذول اسير مردود فى الآخرة فى قهره وتحت حكمه مخذولا محجوبا اسيرا مردودا (واليه ترجعون) بالفناء فى وجوده او افعاله وصفاته اوذاته (قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل) ليل ظلمة

العظيم فى الحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) اى الغالب على امره (الحكيم) اى فى تدبير خلقه فانى يكون له شريك فى ملكه * قوله عزوجل (وما ارسلناك الا كافة للناس) اى للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد (ق) عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فى الحديث بيان الفضائل التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبى قبله يبعث الى قومه اولى اهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام وقيل فى معنى كافة اى كافا تكفهم عما هم عليهم من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) اى لمن كفر بالنار (ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنى يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يزاد فى آجالهم اوينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) يعنى التوراة والانجيل (ولو ترى) اى يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتحادثون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا انتم لكنا مؤمنين) يعنى انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) اى اجاب المتبوعون فى الكفر (للذين استضعفوا انحن صددناكم) اى منعناكم (عن الهدى) اى عن الايمان (بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) اى بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اى مكركم بنا فى الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار وهو طول السلامة فى الدنيا وطول الامل فيها (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) اى هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار ان تصير طاعة بعضهم لبعض فى الدنيا سبب عداوتهم فى الآخرة (واسروا الندامة) اى اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا) اى فى النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) اى من الكفر والمعاصى فى الدنيا * قوله عزوجل (وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) اى رؤساؤها واغنياؤها (انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا) يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن اكثر اموالا واولادا) يعنى لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا اموالا ولا اولادا (وما نحن بمعذبين) اى ان الله قد احسن الينا فى الدنيا بالمال والولد

النفس (سرمدا الى يوم القيامة) الصغرى (من اله غير الله يأتيكم بضياء) من نور الروح (افلا تسمعون) حال كونكم فى الحجاب فتفهمون المعانى والحكم فتؤمنون بالغيب (قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) نهار نور الروح سرمدا بالتجلى الدائم دون الاستتار (الى يوم القيامة) الصغرى (من اله غير الله يأتيكم بليل) من اوقات الغفلات وغلبات صفات النفس وغشاوات الطبع (تسكنون فيه) الى حقوق نفوسكم وراحات ابدانكم (افلا تبصرون) بنور روح تجليات الحق (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) بالغفلة والحضور فى مقام القلب والاستتار والتجلى فى مقام الروح (لتسكنوا فيه) فى ظلمة النفس الى نور البدن وترتيب المعاش (ولتبتغوا من فضله) من فضل مكاشفاته وتجليات صفاته ومشاهداته (لعلكم تشكرون) نعمه الظاهرة والباطنة والجسمانية والروحانية فى اولاكم وآخراكم باستعمالها لوجه الله فيما وجب عليكم من طاعته

فلا يعذبنا في الآخرة (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اي انها كذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) اي بالتي تقربكم عندنا تقريبا (الا) اي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) اي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) اي يعملون في ابطال حججنا (معجزين) اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) قوله عز وجل (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه) اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وانفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق انفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) اي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيق الذي لا رازق سواه * قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) اي في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك * وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) اي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) اي نحن نتولاك فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (اكثرهم بهم مؤمنون) اي مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا) اي شفاعة (ولا ضرا) اي بالعذاب يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين

في كل مقام به وفيه وله (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا) اي نخرج يوم القيامة عند خروج المهدي من كل امة نبيهم وهو اعرفهم بالحق (فقلنا) على لسان الشهيد الذي يشهد الحق بشهود الكل ولا يحتجب بهم عنه (هاتوا برهانكم) على ما انتم عليه احق هو ام لا فعجزوا عن آخرهم وظهر برهان النبي (فعلموا ان الحق لله) اظهره مظهر الشهيد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مفترياتهم من المذاهب المختلفة والطرق المتشعبة المتفرقة او قلنا للشهداء هاتوا برهانكم باظهار التوحيد فاظهروا فعلموا ان الحق لله (ان قارون كان من قوم موسى) طالما كبلعام بن باعوراء (فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم

(من كتب يدرسونها) اى يقرؤنها (وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) اى لم يأت العرب قبلك
نبي ولا انزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) اى من الامم السالفة رسلنا (وما بلغوا)
يعني هؤلاء المشركين (معشار) اى عشر (ما آتيناهم) اى اعطينا الامم الخالية من القوة
والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم يحذر بذلك
كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية * قوله عز وجل (قل انما اعظكم) اى آمركم واوصيكم
(بواحدة) اى بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (ان تقوموا لله) اى لاجل الله
(مثنى) اى اثنين اثنين (وفرادى) اى واحدا واحدا (ثم تتفكروا) اى تجتمعوا جميعا
فتنظروا وتتحاوروا وتتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ان (ما بصاحبكم من جنة)
ومعنى الآية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس
المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله
خالصا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد
منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى
واما الفرد فيفكر في نفسه ايضا بعدل ونصفة هل رأينا في هذا الرجل جنونا قط او جربنا عليه
كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم انه من ارجح قريش
عقلا واوزنهم حلما واحدهم ذهنا وارصنهم رأيا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما
يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبي
نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اى في السموات والارض فتعلموا
ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد قل ما سألتكم) اى على تبليغ الرسالة (من اجر) اى جعل (فهو لكم) اى لم اسألكم شيأ
(ان أجرى) اى ثوابي (الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) اى يأتي بالوحي
من السماء ليقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) اى خفيات الامور (قل جاء الحق) اى القرآن
والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) اى ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدئ شيأ
او تعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل
الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما اضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له
انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على
نفسي اى اثم ضلالتي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي الى ربي) اى من القرآن والحكمة
(انه سميع قريب) * قوله عز وجل (ولو ترى) اى يا محمد (اذ فزعوا) اى عند البعث
اى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) اى لا يفوتونا ولا نجاة لهم (واخذوا
من مكان قريب) قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما
كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو
القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت امرا تعتبر به (وقالوا
آمنا به) اى حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وانى لهم التناوش)
اى التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا

ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون فخرج
على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير لمن آمن وعمل صالحا
ولا يلقاها الا الصابرون
فخسفنا به وبداره الارض
فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله وما كان
من المنتصرين واصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس يقولون
ويكأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر
لولا ان من الله علينا لخسف
بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون)
لاحتجابه بنفسه وعمله
بالتكبر والاستطالة عليهم
فغلب عليه الحرص ومحبة
الدنيا ابتلاء من الله لغروره
واحتجابه برؤيته زينة
نفسه بكمالها فال هواه الى
الجهة السفلية فخسف به
فيها محجوبا ممقوتا (تلك
الدار الآخرة) من العالم
القدسي الباقي (نجعلها
للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا)
لا يحتجبون بنفوسهم
وصفاتها فتصير فيهم الارادة

فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) اى من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) اى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم مايقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لاعلم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين مايشتهون) يعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كما فعل باشياعهم) اى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) اى لم تقبل منهم التوبة والايمان فى وقت اليأس (انهم كانوا فى شك) اى من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) اى موقع الريبة والتهمة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)

وهى مكية وخمس واربعون آية تسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) اى خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) اى الى الانبياء (اولى اجنحة) اى ذوى اجنحة (مثنى وثلاث ورباع) اى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة (يزيد فى الخلق مايشاء) اى يزيد فى خلق الاجنحة مايشاء قال عبد الله بن مسعود فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح وقيل فى قوله يزيد فى الخلق مايشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) اى مما يريد ان يخلقه * قوله تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا ممسك لها) اى لا يستطيع احد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) اى لا يقدر احد على فتح ما امسك (وهو العزيز) اى فيما امسك (الحكيم) اى فيما ارسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت اى لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك * قوله عزوجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) اى لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والارض) اى النبات (لا اله الا هو فانى تؤفكون) اى من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) اى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه * قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) اى لا تخدعنكم بلذاتها ومافيها

الفطرية الطالبة للترقى والعلو فى سماء الروح هوى نفسانية تطلب الاستعلاء والاستطالة والتكبر على الناس فى الارض ويصير صلاحهم بطلب المعارف واكتساب الفضائل والمعالى فسادا يوجب جمع الاسباب والاموال واخذ حقوق الخلق بالباطل (والعاقبة للمتقين) للمجردين الذين تركت نفوسهم عن الرذائل المردية والاهواء المغوية (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذى فرض عليك القرآن) اوجبك فى الازل عند البداية والاستعداد الكامل الذى هو العقل القرآن الجامع لجميع الكمالات وجوامع الكلم والحكم (لرادك الى معاد) ما اعظمه لا يبلغ كنهه ولا يقدر قدره هو الفناء فى الله فى احدية الذات والبقاء بالتحقق به بجميع الصفات (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) اى لا يعلم حالى وكنه هدايتى وما اوتيت من العلم اللدنى المخصوص به الا ربى لا انا ولا غيرى لفنائى فيه عن نفسى واحتجاب غيرى عن

عن عمل الآخرة وسلب ماعندالله (ولا يغرنكم بالله الغرور) اى لايغل لكم اعملوا ماشئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) اى عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصى (انما يدعو حزبه) اى اشياعه واولياءه (ليكونوا من اصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير) * قوله عز وجل (افمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت فى ابى جهل ومشركى مكة وقيل نزلت فى اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم وليس اصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لايستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له ومو٘ه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفى الآية حذف مجازه افمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وقيل مجاز الآية افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والحسرة شدة الحزن على مافات والمعنى لاتغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا) اى تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به (فسقناه) اى فنسوقه (الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) اى مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه * قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى طاعة من له العزة اى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لاعزة الا لله ولرسوله ولاوليائه المؤمنين (اليه) اى الى الله (يصعد الكلم الطيب) قيل هو قول لااله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر روى البغوى باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفى اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد اى يقبل الله الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس اى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى وليس بالتحلى ولكن ماوقر فى القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء فى الحديث لايقبل الله قولا الا بعمل ولاقولا ولا عملا

حال (ومن هو فى ضلال مبين) من هو محجوب عن الحق لعدم الاستعداد وكثافة الحجاب لكون غيرى محجوبا عن حال استعدادى فاعلته بل هو العالم به لا انا الفانى فيه والمتحقق به (وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب) كتاب العقل الفرقانى بتفصيل ماجمع فيك لكونك فى حجب النشأة مغمورا وعما اودع فيك محجوبا (الارحمة) اى لكن القى اليك لتجلى صفة الرحمة الرحيمة (من ربك) وظهور فيضها فيك شيأ فشيأ حتى صارت وصفك (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) المحجوبين باحتجابك بها عن الفناء فى الذات فتظهر انانيتك برؤية كمالها (ولا يصدنك عن آيات الله) وتجليات صفته فتقف مع انانيتك كوقوفهم مع الغير فتكون من المشركين بالنظر الى نفسك واشراكها بالله فى الوجود (وادع الى ربك) به لا الى نفسك بها فانك الحبيب والحبيب لايدعو الى نفسه ولا يكون بنفسه بل الى حبيبه بحبيبه (لااله الا هو) فلاتدع معه

الابنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح اى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال (والذين يمكرون السيئات) اى يعملون السيئات اى الشرك وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم اصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور) اى يبطل ويهلك في الآخرة * قوله عزوجل (والله خلقكم من تراب) يعنى آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته (ثم جعلكم ازواجا) يعنى اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم بعضا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) اى لا يطول عمر احد (ولا ينقص من عمره) اى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يؤخر اجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد ذلك وقرأ هذه الآية (الا في كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى كتابة الآجال والاعمال على الله هين * قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب والمالح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) اى طيب يكسر العطش (سائغ شرابه) اى سهل في الحلق هنئ مرئ (وهذا ملح اجاج) اى شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعنى من البحرين (تأكلون لحما طريا) السمك (وتستخرجون) أى من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم) يعنى انهم جماد (ولو سمعوا) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرؤن منكم اياها (ولا ينبئك مثل خبير) يعنى نفسه اى لا ينبئك أحد مثلى لانى عالم بالاشياء * قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن خلقه لا يحتاج اليهم (الحميد) أى المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أى لاتخاذكم أندادا وكفركم بآياته (ويأت بخلق جديد) أى بخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيأ (وما ذلك على الله بعزيز) أى بممتنع (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الاوزار الذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم قلت هذه الآية

غير الا نفسك ولا غيرها فمن امتثال قوله وادع الى ربك حصل له وصف ما لمغى ومن قوله لا تدع مع الله ما زاغ البصر (كل شئ هالك الا وجهه) اى ذاته ذلا موجود سواه (له الحكم) بقهره كل ما سواه تحت صفاته (واليه ترجعون) بالفناء في ذاته

(سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الم) اى الذات الالهية والصفات الحقيقية التى اصلها واولها باعتبار النسبة الى الغير العلم والاضافية التى اولها ومنشؤها المبدئية اقتضت ان لا يترك الناس على نقصانهم وغفلتهم واحتجابهم بمجرد اقوالهم المطابقة للحق وظواهر اعمالهم بل يفتنوا بانواع البليات ويمتحنوا بالشدائد والرياضات حتى يظهر ما كمن في استعداداتهم واودع في غرائزهم فان الذات الالهية احبت ان تظهر كمالاتها المخزونة في عين الجمع فاودعها معادن اعيان الناس واوجدها في عالم الشهادة كما قال تعالى كنت كنزا مخفيا الحديث فحجب اليهم بالابتلاء بالالم والنقم ليعرفوه عند ظهور

في الضالين وثلث في المضلين انهم يحملون أ ثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها (لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى) اى ولو كان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يعلق الاب والام بالابن فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا استطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين يخشون ربهم) اى يخافون ربهم (بالغيب) اى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب (واقاموا الصلوة ومن تزكى) اى اصلح وعمل خيرا (فانما يتزكى لنفسه) اى لها ثوابه (والى الله المصير ومايستوى الاعمى والبصير) اى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (ومايستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعنى حتى يتعظ ويجيب (وماانت بمسمع من فى القبور) يعنى الكفار شبههم بالاموات فى القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) اى ماانت الا منذر تخوفهم بالنار (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) اى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) اى من جماعة كثيرة فيما مضى (الا خلا) اى سلف (فيها نذير) اى نبى منذر فان قلت كم من امة فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا ان تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيمة لانه لا نبى بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) اى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) اى الصحف (وبالكتاب المنير) اى الواضح قيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تاكيدا (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء) يعنى المطر (فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) يعنى اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعنى الوانها فى الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعنى الخطط والطرق فى الجبال (مختلف الوانها) يعنى منها ماهو ابيض ومنها ماهو احمر ومنها ماهو أصفر (وغرابيب سود) اى شديدة السواد كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه) اى خلق مختلف الوانه (كذلك) اى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال مابال اقوام يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اى لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه اقوام اى تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى افتنى ايها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل

صفاته عليهم فيصيروا مظاهر له فى الانتهاء اليه كما كانوا معادن وخزائن عند الابتداء منه فان كونه منتهى من لوازم كونه مبتدأ (ولقد فتنا الذين من قبلهم) من اهل الاستبصار والاستعداد بانواع المصائب والمحن والرياضات والفتن حتى يتميز الصادق فى الطلب القابل للكمال بظهور كماله من الكاذب المهوس الضعيف الاستعداد (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله) فى احد المواطن سواء كان موطن الثواب والآثار او موطن الافعال او موطن الاخلاق او موطن الصفات او موطن الذات (فان اجل الله) فى احدى القيامات الثلاث (لآت وهو السميع العليم) اى فليتيقن وقوع اللقاء بحسب حاله ورجائه عند الاجل المعلوم وليعمل الحسنات ليجد الكرامة فى جنة النفس من باب الآثار والافعال عند الموت الطبيعى او ليجتهد فى المحو بالرياضات والمراقبات

اشد الناس خشية لله اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز)
اى فى ملكه (غفور) اى لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا
كان كذلك فهو أحق ان يخشى ويتقى * قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) اى يداومون
على قراءته ويعلمون مافيه ويعملون به (واقاموا الصلوة) اى ويقيمون الصلاة فى اوقاتها (وانفقوا
مما رزقناهم) اى فى سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) اى لن تفسد ولن تهلك
والمراد من التجارة ماوعد الله من الثواب (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس
سوى الثواب يعنى مما لم تر عين ولم تسمع اذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من
ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم (والذى اوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن (هو الحق
مصدقا لما بين يديه) اى من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) * قوله تعالى (ثم اورثنا الكتاب)
اى اوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم اورثناه يعنى حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى نورثه
(الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم
على سائر الامم واختصهم بكرامته بأن جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم
قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن اسامة
بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوى بغير سند وعن
ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فان هؤلاء كلهم بمنزلة
واحدة وكلهم فى الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب
انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد رواته فحدثت به
يحيى بن معين فجعل يتعجب منه اخرجه البغوى بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل
المسجد فقال اللهم ارحم غربتى وآنس وحشتى وسق الى جليسا صالحا فقال ابو الدرداء لئن
كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق
بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس
فى المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بنى كلهم فى الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه
حتى لحق به واما الظالم لنفسه فمثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن
المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة
فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق
هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد
من استوت سيآته وحسناته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره

ليشاهد فى جنة القلب من
تجليات الصفات ومقامات
الاخلاق مايشتهيه ويدعيه
عند الموت الارادى او ليجاهد
فى الله حق جهاده بالفناء
فيه ليجد روح الشهود
وذوق الجمال جنة الروح
عند الموت الاكبر والطامة
الكبرى (ومن جاهد)
فى اى مقام كان لاى موطن
اراد (فانما يجاهد لنفسه
ان الله لغنى عن العالمين
والذين آمنوا) كل واحد
من انواع الايمان المذكورة
(وعملوا الصالحات) بحسب
ايمانهم (لنكفرن عنهم)
سيآت اعمالهم او اخلاقهم
او صفاتهم اوذواتهم بانوار
ذاته (ولنجزينهم احسن
الذى كانوا يعملون) من
اعمالنا الصادرة عن صفاتنا
بدل اعمالهم (ووصينا
الانسان بوالديه حسنا
وان جاهداك لتشرك بى
ماليس لك به علم فلاتطعهما
الى مرجعكم فانبئكم بما
كنتم تعملون والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم
فى الصالحين ومن الناس
من يقول آمنا بالله فاذا اوذى
فى الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله ولئن جاء نصر
من ربك ليقولن انا كنا
معكم اوليس الله باعلم بما

خيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارئ له العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدا بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر فى الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم فى الجنة وقيل رتبهم هذ الترتيب على مقامات الناس لان احوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل فى عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومعنى سابق بالخيرات اى بالاعمال الصالحة الى الجنة اوالى رحمة الله (باذن الله) اى بأمر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ايراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة (يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وانهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن اهل الجنة كل حزن كان لمعاش او معاد روى البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكانى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى احلنا) اى انزلنا (دار المقامة) اى الاقامة (من فضله) اى لا باعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) اى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اى اعياء من التعب * قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) اى فيستريحوا مما هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) اى من عذاب النار (كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون) اى يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) اى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) اى فى الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله تعالى توبيخا لهم (اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل اربعون سنة قال ابن عباس ستون سنة يروى ذلك عن على وهو العمر الذى اعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى كل امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتى ما بين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) اى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) اى ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور)

فى صدور العالم وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون

يعنى انه اذا علم ذلك وهو اخفى مايكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم * قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) اى يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم ورأت ماينبغى ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى ارضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها فاشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) اى جحد هذه النعمة وغمطها (فعليه كفره) اى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) اى غضبا وقيل المقت اشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) اى فى الآخرة (قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم (اروني ماذا خلقوا من الارض) يعنى اى جزء استبدوا بخلقه من الارض (ام لهم شرك فى السموات) اى خلق فى السموات والارض (ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) اى على حجة وبرهان من ذلك (بل ان يعد الظالمون بعضهم) يعنى الرؤساء (بعضا الا غرورا) يعنى قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله * قوله عز وجل (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) اى لكى لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا هدا لعظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده) اى ليس يمسكهما احد سواه (انه كان حليما غفورا) اى غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) يعنى كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم (لئن جاءهم نذير) اى رسول (ليكونن اهدى من احدى الامم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مازادهم) مجيئه (الا نفورا) اى تباعدا عن الهدى (استكبارا فى الارض) يعنى عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السيء) يعنى عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيء الا باهله) اى لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك (فهل ينظرون) اى ينتظرون (الا سنت الاولين) يعنى ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا) اى تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) اى تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) اى ليفوت عنه (من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) اى من الجرائم (ماترك على ظهرها) اى ظهر الارض (من دابة) اى من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وغيرهم كما اهلك من كان فى زمن نوح بالطوفان الا من كان فى السفينة (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) يعنى يوم القيامة (فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

*(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع اوله سورة يس) *

وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم) جعل اول مكارم الاخلاق احسان الوالدين اذهما مظهرا صفتى الايجاد والربوبية فكان حقهما يلى حق الله بقرن طاعتهما بطاعته لان العدل ظل التوحيد فمن وحد الله لزمه العدل واول العدل مراعاة حقوقهما لانهما اولى الناس فوجب تقديم حقوقهما على حق كل احد الا على حقه تعالى ولهذا وجبت طاعتهما فى كل شئ الا فى الشرك بالله (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم) شيأ عبدتموه مودودا فيما بينكم (فى الحيوة الدنيا) او ان كل ما اتخذتم من دون الله شيأ مودودا فيما بينكم فى الحياة الدنيا او ان كل ما اتخذتم اوثانا مودود فى هذه الحياة او لمودة بينكم فى هذه على القراءتين والمعنى ان المودة

قسمان مودة دنيوية ومودة اخروية والدنيوية منشؤها النفس من الجهة السفلية والأخروية منشؤها الروح من الجهة العلوية فكل مايحب ويود من دون الله لا لله ولا بمحبة الله فهو محبوب بالمودة النفسية وهي هوى زائل كلما انقطعت الوصلة البدنية زالت ولم تصل الى احدى القيامات فانها نشأت من تركيب البدن واعتدال المزاج فاذا انحل التركيب وانحرف المزاج تلاشت وبقي التضاد والتعاند بمقتضى الطبائع كقوله تعالى (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) ولهذا شبهها ببيت العنكبوت في الوهن في قوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين) واما الاخروية فمنشؤها الذات الاحدية والمحبة الالهية وتلك المودة هي التي تكون بين الاصفياء والاولياء لتناسب الصفات وتجانس الذوات لا تصفو غاية الصفاء ولا تتجرد عن الغطاء الا عند زوال التركيب والبروز عن حجب النفس والبدن في مقام القلب والروح لقربها من منبعها هناك فتصير يوم القيامة محبة صرفة صافية الهيئة بخلاف تلك (اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة) اي فصل ما اجمل فيك من كتاب العقل القرآني بسبب الوحي ونزول كتاب العلم الفرقاني واقم الصلاة المطلقة على ترتيب تفاصيل التلاوة والعلوم ومعناه اجمع بين الكمال العلمي والعمل المطلق فان لك بحسب كل علم صلاة وكما ان العلوم اما نافعة تتعلق بالآداب والاعمال واصلاح المعاش وهي علوم القوى من غيب الملكوت الارضية واما شريفة تتعلق بالاخلاق والفضائل واصلاح المعاد وهي علوم النفس من غيب الصدر والعقل العلمي واما كلية يقينية تتعلق بالصفات وهي على نوعين عقلية نظرية وكشفية سرية وكلاهما من غيب القلب والسر واما حقيقية تتعلق بالتجليات والمشاهدات وهي من غيب الروح واما ذوقية لدنية تتعلق بالعشقيات والمواصلات وهي من غيب الخفاء واما حقية من غيب الغيوب وبحسب كل علم صلاة فالاولى هي الصلاة البدنية باقامة الاوضاع واداء الاركان والثانية صلاة النفس بالخضوع والخشوع والانقياد والطمأنينة بين الخوف والرجاء والثالثة صلاة القلب بالحضور والمراقبة صلاة السر بالمناجاة والمكالمة والخامسة صلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة والسادسة صلاة الخفاء بالمناغاة والملاطفة ولا صلاة في المقام السابع لانه مقام الفناء والمحبة الصرفة الفناء في عين الوحدة وكما كان نهاية الصلاة الظاهرة وانقطاعها بظهور الموت الذي هو ظاهر اليقين وصورته كما قيل في تفسير قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فكذلك انتهاء الصلاة الحقيقية بالفناء المطلق الذي هو حق اليقين واما في مقام البقاء بعد الفناء فيتجدد جميع الصلوات الست مع سابعة وهي صلاة الحق بالمحبة والتفريد (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فالصلاة البدنية تنهى عن المعاصي والسيئات الشرعية وصلاة النفس عن

(الرذائل)

بالرذائل والاخلاق الرديئة والهيئات المظلمة وصلاة القلب تنهى عن الفضول والغفلة وصلاة السر تنهى عن الالتفات الى الغير والغيبة كما قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى ما التفت وصلاة الروح عن الطغيان بظهور القلب بالصفات كتنهى صلاة القلب عن ظهور النفس بها وصلاة الخفاء عن الانائية وظهور الانائية وصلاة الذات تنهى عن ظهور البقية بالتلوين وحصول المخالفة فى التوحيد (ولذكر الله اكبر) الذى هو ذكر الذات فى مقام الفناء المحض وصلاة الحق عند التمكين فى مقام البقاء اكبر من جميع الاذكار والصلوات (والله يعلم ما تصنعون) فى جميع المقامات والاحوال والصلوات (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن) انما منع المجادلة مع اهل الكتاب الا بالطريقة التى هى احسن لانهم ليسوا محجوبين عن الحق بل عن الدين فهم اهل استعداد ولطف لا اهل خذلان وقهر وانما ضلوا عن مقصدهم الذى هو الحق فى الطريق لموانع وعادات وظواهر فوجب فى الحكمة مرافقهم فى المقصد الذى هو التوحيد كما قال (الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد) ومرافقتهم فى الطريق ما استقام منها ووافق طريق الحق لا ما اعوج وانحرف عن المقصد كالانقياد والاستسلام للمعبود بالحق الواحد المطلق كما قال (ونحن له مسلمون) ليتحقق عندهم انهم على الحق متوجهون الى مقصدهم سالكون لسبيله فتطمئن قلوبهم وملاطفتهم فى بيان كيفية سلوك الطريق بتصويب ما هو حق مما هم عليه وتبصير ما هو باطل لاحتجابهم عنه بالعبادة كقوله آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم لمناسبتهم ومشاركتهم اياهم فى اللطف فيستأنسوا بهم ويقبلوا اقوالهم ويهتدوا بهداهم الا الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فبطل استعدادهم وحجبوا عن الدين ظلموا منهم على انفسهم بابطال استعداداتهم ونقص حقوقها من كمالاتها بتكديرها وتسويدها ومنعها عن القبول بكثرة ارتكاب الفضول فانهم اهل القهر لا يؤثر فيهم الا القهر ولا تنجع فيهم الملاطفة للمضادة بين الوصفين (وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) اى القرآن علوم حقيقية ذوقية بينة محلها صدور العلماء المحققين وهى المعانى النازلة من غيب الغيوب الى الصدر لا الالفاظ والحروف الواقعة على اللسان والذكر وما يجحد بها الا الكافرون المحجوبون لعدم الاستعداد او الظالمون الذين ابطلوا استعدادهم بالرذائل والوقوف مع الاضداد (وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) المحجوبين عن الحق لكونهم مغمورين فى الغواشى الطبيعية والحجب الهيولانية بحيث لم يبق فيهم فرجة الى عالم النور فيستبصروا ويستضيؤا بها ويتنفسوا منها فيتروحوا فيها (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم) لحرمانهم عن الحق واحتجابهم عن النور واحتراقهم تحت القهر (ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) لحرمانهم اللذات والشهوات واحتجابهم عنها بفقدان الاسباب والآلات وتعذيبهم بايلام الهيئات ونيران الآثار وهم بين مبتلين شديدين ومشوقين قويين الى الجهة العلوية بمقتضى الفطرة الاصلية والى السفلية باقتضاء رسوخ الهيئة العارضية مع الحرمان عنهما واحتباسهم فى برزخ بينهما نعوذ بالله منه (يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين

له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا) من اهل الطريقة (فينا) بالسير فى صفاتنا وهو السير القلبى لان المبتدى الذى هو فى مقام النفس سيره بالجهاد الى الله والمجاهدة فى هذا السير بالحضور والمراقبة والاستقامة الى الله فى الثبات على حكم التجليات (لنهدينهم سبلنا) الى طرق الوصول الى الذات وهى الصفات لانها حجب الذات فالسلوك فيها بالاتصاف بها موصل الى حقيقة الاسم الثابت له تعالى بحسب الصفة الموصوف هو بها وهو عين الذات الواحدية وهى باب الحضرة الاحدية (وان الله لمع المحسنين) الذين يعبدون الله على المشاهدة كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فالمحسنون السالكون فى الصفات والمتصفون بها لانهم يعبدون بالمراقبة والمشاهدة وانما قال كأنك تراه لان الرؤية والشهود العينى لا يكون الا بالفناء فى الذات بعد الصفات

* (سورة الروم) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم غلبت الروم فى ادنى الارض) الذات الاحدية مع صفتى العلم والمبدئية كما ذكر اقتضت ان روم القوى الروحانية تكون مغلوبة فى اقرب موضع من ارض النفس الذى هو الصدر لان فيض المبدا يوجب اظهار الخلق واحتجاب الحق به فكل ما كان اقرب الى الحق كان مغلوبا بالذى هو اقرب الى الخلق وذلك حكم الاسم المبدى فى مظهر النشأة وتجليه تعالى به واسمه الظاهر واسمه الخالق وفى الجملة بما فى حضرته المبدئية من الاسماء (وهم من بعد غلبهم) كونهم مغلوبين (سيغلبون) على فارس القوى النفسانية الاعجمية المحجوبة بالرجوع الى الله وظهور القلب (فى بضع سنين) من الاطوار التى يكون فيها الترقى الى الكمال واوقات الحضور والمقامات والتجليات (لله الامر من قبل) بحكم اسمه المبدئ (ومن بعد) بحكم اسمه المعيد يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه (يومئذ) اى يوم غلبة روم الروحانيات على النفسانيات (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتأييده من الملكوت السماوية وامدادهم بالامداد القدسية (ينصر من يشاء) من اهل عنايته المستعدين بها (وهو العزيز) القوى الغالب على قهر الفارسيين المحجوبين (الرحيم) بافاضة الامداد الكمالية والانوار التأييدية القدسية على الروميين الغالبين (وعد الله) فى تكميل المستعدين من اهل عنايته (لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لاحتجابهم يحسبون ان هذه الغلبة بقوتهم وكسبهم وانه قد يمكن انه لا يبلغ المعنى به السعى الى الكمال لعدم السعى ولا يعرفون ان ذلك المستعد ايضا من توفيقه وعلامة عنايته تعالى به وعدم السعى من خذلانه وآية كونه غير معنى به فان اعمالنا معرفات لا موجبات (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) وان وجوه المكاسب منوطة بسعى العباد وتدبيرهم (وهم من الآخرة) عن الباطن واحوال العالم الروحانى (هم غافلون) لا يفطنون ان وراء هذه الحياة المنقطعة حياة سرمدية كما قال وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وان وراء تدبير العباد وسعيهم لله تعالى تقديرا وحكما (اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض) سموات الغيوب السبعة وارض البدن (وما بينهما) من القوى الطبيعية والملكوت الارضية والروحانية والملكوت السماوية والصفات والاخلاق وغيرها الا بالحكمة والعدل وظهور الحق فى مظاهرهم بالصفات على حسب استعداد قبولها لتجليه (واجل مسمى) هو غاية كمال كل منهم وفنائه فى الله بمقتضى هوية استعداده الاول حتى يشهدوا بقدر استعدادهم ولقاء الله فيهم بصفاته وذاته (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) لاحتجابهم عنه فيتوهمون انه لا يكون الا بالمقابلة الصورية فى عالم آخر باندراج الهوية فى الهوية (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق) باظهار الفرس على الروم (ثم يعيده) باظهار الروم على الفرس (ثم اليه ترجعون) بالفناء فيه (ويوم تقوم الساعة)

الساعة) بوقوع القيامة الصغرى (يبلس المجرمون) عن رحمة الله وتحيرهم في العذاب غير قابلين للرحمة او القيامة الكبرى بظهور المهدي وقهرهم تحت سطوته وحرمانهم من رحمته وحينئذ يتفرق الناس بتميز المؤمن عن الكافر (ولم يكن لهم من شركائهم شفعواء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله) ان يكون غيره في الوجود والصفة والفعل والتأثير (حين تمسون) بغلبة ظلمة الفرس على نور الروم (وحين تصبحون) عند ظهور نورهم على ظلمة الفرس (وله الحمد في السموات والارض) بظهور صفات كماله وتجليات جماله في سموات الغيوب السبعة وقت اصباح غلبة نور الروحانيات على ظلمات النفسانيات وقرب طلوع شمس الروح وبظهور صفات جلاله في ارض البدن عند امساء غلبة ظلمة النفسانيات على نور الروحانيات (وعشيا) وقت فنائهم وغيبة شمس الروح في الذات (وحين تظهرون) في البقاء بعد الفناء عند الاستقامة والاستواء (يخرج الحي) حي القلب من ميت النفس بالاعادة وقت الاصباح (ويخرج الميت) ميت النفس من حي القلب في الابداء عند الامساء (ويحيي الارض بعد موتها) ارض البدن حينئذ (وكذلك تخرجون) في النشأة الثانية (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته) اي من افعاله وصفاته التي يتوصل بها الى ذاته معرفة وسلوكا (ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) اي خلق لكم من النفوس ازواجا للارواح (لتسكنوا اليها) وتركنوا وتميلوا نحوها بالمودة والتأثير والتأثر (وجعل بينكم مودة ورحمة) من الجانبين المودة والرحمة فتود النفس نور الروح وتأثيره بالقبول والتأثر فتسكن عن الطيش وتتسق فيرحمها الله بولد القلب في مشيمة الاستعداد برآبها فتهدى ببركته وتتخلق باخلاقه فتفلح وتود الروح النفس بالتأثير فيها والافاضة النور عليها فيرحمه الله بالولد المبارك براعطوفا فيرتقي ببركته ويظهر به كماله (ان في ذلك لآيات) صفات وكمالات (لقوم يتفكرون) في انفسهم وذواتهم وما جبلت عليها واودعت فيها (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) من لسان النفس والقلب والسر والروح والخفاء بكل مقال في كل مقام فانه لا ينحصر وجوه اختلافات هذه الالسن (والوانكم) تلوناتكم وتلويناتكم في السموات والارض (ان في ذلك لآيات للعالمين) من تجليات الصفات والافعال للعلماء العارفين في مراتب علومهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) غفلتكم في ليل النفس ونهار القلب بظهور صفاتها (وابتغاؤكم من فضله) بالترقي في الكمالات واكتساب الاخلاق والمقامات (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) كلام الحق بسمع القلب فيفهمون معناه بحسب مقاماتهم في الاطوار (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) برق اللوامع والطوالع في البدايات خائفين من انقضائها وخفوقها وبقائكم في الظلمة بفواتها وطامعين في رجوعها ومزيدكم بها وينزل مياه الواردات والمكاشفات بعدها من سماء الروح وسحاب السكينة فيحيي بها اراضي النفوس والاستعدادات الهامدة بعد موتها بالجهل (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) بمطاوعة نفوسهم للدواعي العقلية معاني الواردات وما يصلحهم من الحكم والمعقولات (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) اي الوصف الاعلى بالفردانية في الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد في معناه انه لا اله الا هو (ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين) لدين التوحيد وهو طريق الحق تعالى ولذلك اطلق من غير اضافة اي هو الدين مطلقا وما سواه ليس بدين لانقطاعه دون الوصول الى المطلوب والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ما سوى الحق قائما بالتوحيد والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره فيكون سيره حينئذ سير الله ودينه وطريقته اللذان هو عليهما دين الله وطريقته اذ لا يرى غيره موجودا (حنيفا) مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التي هي طرق الاغيار والانداد لمن اثبت غيره فاشركه بالله (فطرت الله)

فطر الناس عليها) اى الزموا فطرة الله وهى الحالة التى فطرت الحقيقة الانسانية عليها من الصفاء والتجرد فى الازل وهى الدين القيم ازلا وابدا لايتغير ولا يتبدل عن الصفاء الاول ومحض التوحيد الفطرى وتلك الفطرة الاولى ليست الامن الفيض الاقدس الذى هو عين الذات من بقى عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق اما امتناع الانحراف والاحتجاب من غواشى النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلقة او التربية والعادة اما الاول فلقوله عليه السلام فى الحديث الربانى كل عبادى خلقت حنفاء فاحتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى واما الثانى فلقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لان تغير تلك الحقيقة فى نفسها عن الحالة الثانية فانه محال وذلك معنى قوله (لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) تلك الحقيقة (منيبين اليه) حال من الضمير المتصل فى الزموا المقدر اى الزموا تلك الفطرة المخصوصة بالله منيبين اليه من جميع الاغيار المتوهم وجودها من قبل شياطين الوهم والخيال واديانها الباطلة بالتجرد عن الغواشى الجبلية والعوارض البدنية والهيئات الطبيعية والصفات النفسانية الى الحق ودينه (واتقوه) بعد الانابة اليه بتجريد الفطرة بالفناء فيه (واقيموا الصلوة) الشهود الذاتى (ولا تكونوا من المشركين) ببقية الفطرة وظهور الانائية فى مقامها (من الذين فرقوا دينهم) فرقوا دينهم الحقيق بسقوطهم عن الفطرة واحتجابهم بحسب النشأة والعادة (وكانوا شيعا) فرقا مختلفة لوقوف كل احد مع حجابه واختلاف حجبهم وتفريق الشيطان اياهم فى اودية صفات النفس فبعضهم على دين البهائم وبعضهم على دين السباع وبعضهم على دين الهوى وبعضهم على دين الشيطان خاصة وانواع الشياطين لا تنحصر فكذا الاديان (كل حزب بما لديهم فرحون) اى من المفارقين الدين الحقيق المتفرقين شيعا مختلفة كل حزب عند تكدر الفطرة وتكاثف الحجاب يفرح بما يقتضيه استعداده من الحجاب لكونه مقتضى طبيعة حجابه فيناسب حاله من الاستعداد الغالب والفرح انما يكون بادراك الملائم من حيث هو ملائم وذلك ملائم فى الحال بحسب الاستعداد العارضى وان لم يلائم فى الحقيقة بحسب الاستعداد الاصلى ولهذا يجب به التعذيب عند زوال العارض (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم

(كنتم

كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله) اى وجوده الى الله بالفناء فى افعاله او صفاته او ذاته (وهو محسن) عابد له على مشاهدته بحسب مقامه يعمل فى الاول باعمال التوكل على مشاهدة افعاله تعالى وفى الثانى باعمال مقام الرضا على مشاهدة صفاته وفى الثالث بالاستقامة فى التحقق به على شهود ذاته (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بدين التوحيد الذى هو اوثق العرى (والى الله عاقبة الامور) بالفناء فيه واليه انتهاء الكل (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير الم تر ان الفلك تجرى فى البحر) ان فلك البدن تجرى فى بحر الهيولى بافاضة آثار صفاته من الحياة والقدرة والادراك عليه واعداده بالآلات (بنعمة الله) اى لقبول الكمالات عليه (ليريكم من آياته) بهذا الجرى واستعداد من آيات تجليات افعاله وصفاته (ان فى ذلك لآيات) من تجليات افعاله وصفاته (ان فى ذلك لآيات) من تجليات افعاله وصفاته اذ لا مظهر الاعلى هذا المظهر (لكل صبار) يصبر مع الله بالمجاهدة عن ظهور افعال نفسه وصفاتها لاحكام مقام التوكل والرضا (شكور) يشكر نعم التجليات بالقيام بحقها والعمل بأحكام مقام التوكل فى تجليات الافعال واحكام مقام الرضا فى تجليات الصفات ليكون على مزيد من جلاله (واذا غشيهم موج) من غلبات صفات النفس ومقتضيات الطبع (كالظلل) كالحجب الساترة لانوار التجليات (دعوا الله مخلصين له الدين) لتحول الى الله بالاخلاص والفناء عنه فى مقامهم لتنكشف الحجب ببركة الثبات على العمل بالاخلاص فان السالك اذا حجب

بالتلوين عن المقام الاعلى وجب عليه التثبت فى مقام الذى دونه مما هو ماثله كالاخلاص بالنسبة الى التوكل (فلما نجاهم الى البر) بالتجلى الفعلى الى بر مقام التوكل والامن من الغرق فى بحر الهيولى بغلبات النفس (فمنهم مقتصد) ثابت على العدل فى القيام بحقوق التوكل والسير فى افعاله تعالى على التمكين (وما يجحد بآياتنا) باضافة حقوق مقامه فى التجليات والاحتجاب فى التلوينات (الا كل ختار) يغدر فى الوفاء بعقد العزيمة وعهد الفطرة مع الله عند الابتلاء بالفترة (كفور) لا يستعمل نعم الله فى مراضيه ولا يقضى حقوق مقامه فى التجليات ولا يعمل باعمال اهل التوكل والرضا عند ظهور انوار الافعال والصفات اوتلك الشريعة تجرى مراكبها فى هذا البحر الى ساحل بر النجاة وجنة الآثار ليريكم من آيات تجليات الافعال (يا ايها الناس اتقوا ربكم) احذروه فى الظهور بأفعالكم وصفاتكم وذواتكم بالفناء فيدعنها (واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) لانقطاع الوصل عند بروزكم لله المتجلى بالوحدة والقهر ولا يبق وجود للوالد والولد فلا يجزى بعضهم عن بعض شيأ (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) من الحياة القلبية التى هى اقرب اليكم بأنها حقيقية دائمة فانه لا حياة لاحد حينئذ (ولا يغرنكم بالله الغرور) فتظهروا بالانانية وتحتجبوا بوسوسته فتقعوا فى الطغيان (ان الله عنده علم الساعة) الكبرى لفناء الكل فيه حينئذ فكيف يعلمونهم (وينزل الغيث) غيث ذلك بحسب الاستعدادات قبل الفناء (ويعلم ما فى الارحام) ارحام الاستعداد من الكمالات اهى تامة ام لا اوفى ارحام النفوس من اولاد القلوب اهى رشيدة كاملة ام لا (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من العلوم والمقامات فى الزمان المستقبل لاحتجابها عما فى استعدادها (وما تدرى نفس باى ارض) من اراضى المقامات (تموت ان الله عليم خبير) ويفنى استعدادها لانقضاء ما فيها من الكمالات لان علم الاستعدادات وحدودها مما استأثر به الله تعالى لذاته فى غيب الغيب والله تعالى اعلم

* (سورة السجدة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) اى ظهور الذات الاحدية والصفات والحضرات الاسمائية هو (تنزيل الكتاب لاريب فيه) كتاب العقل الفرقانى المطلق على الوجود المحمدى (من رب العالمين) بظهوره فى مظهره بصورة الرحمة التامة (ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) باحتجابه بهما فى الايام الستة الالهية التى هى مدة دور الخفاء من لدن آدم عليه السلام الى دور محمد عليه الصلاة والسلام (ثم استوى على العرش) على عرش القلب المحمدى ظهور فى هذا اليوم الاخير الذى هو جمعة تلك الايام بالتجلى بجميع صفاته فان استواء الشمس هو كمال ظهورها فى الاشراق ونشر الشعاع ولهذا قال عليه السلام بعثت فى نسم الساعة فان وقت بعثته طلوع صبح الساعة ووسط نهار هذا اليوم وقت ظهور المهدى عليه السلام ولامر ما استحب قراءة هذه السورة فى صبح يوم الجمعة (مالكم من دونه) عند ظهوره (من ولى ولا شفيع) لفناء الكل فيه (افلا تتذكرون) العهد الاول من ميثاق الفطرة عند ظهور الوحدة (يدبر الامر من السماء الى الارض) بالاخفاء والخلافية من سماء ظهور الوحدة الى ارض خفائها وغروبها فى الايام الستة (ثم يعرج اليه فى يوم كان) بالظهور فى هذا اليوم السابع الذى كان (مقداره الف سنة مما تعدون ذلك) المدبر (عالم الغيب) وحكمة الخفاء فى الستة (والشهادة) اى الظهور فى هذا اليوم (العزيز) المنيع بستور الجلال فى الاحتجاب (الرحيم) بكشفها واظهار الجمال (الذى احسن كل شئ خلقه) بأن جعله مظاهر صفاته فان الحسن مختص بالصفات والاكوان كلها مظاهر صفاته الا الانسان الكامل فانه مختص بجمال الذات ولهذا خصه بالتسوية اى التعديل بأعدال الامزجة واحسن التقويم ليستعد بذلك لقبول الروح المخصوص به تعالى (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه) وبهذا النوع انتهى الخلق وظهر الحق (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا ائذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) اى النفس الانسانية الكلية التى هى معاد النفوس الجزئية ما لم تسقط عن الفطرة بالكلية وان احتجبت بالهيآت الظلمانية والصفات

النفسانية فانها مالم تبلغ الى حد الرين والانغلاق باب المغفرة تتوفاها النفس التى هى بمثابة القلب للعالم وان بلغت فرقتها ملائكة العذاب فحسب ولما لم يبلغوا الى هذا الحد وان احتجبوا عن لقاء الرب وصفهم مع ميلهم الى الجهة السفلية المنكسة رؤسهم بسبب رسوخ هيآت الاجرام بالبصر والسمع وتمنى الرجوع اذ لو لم يبق فيهم نور الفطرة وطمسوا بالكلية لم يقولوا (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اناموقنون ولو شئنا) ولم يتمنوا الرجوع وهؤلاء هم الذين لايخلدون فى النار بل يعدلون بحسب رسوخ الهيآت ثم يرجعون (لآتينا كل نفس هداها) بالتوفيق للسلوك مع المساواة فى الاستعداد ولكنه ينافى الحكمة لبقائهم حينئذ على طبيعة واحدة وبقاء سائر الطبقات الممكنة فى حيز الامكان مع عدم الظهور ابدا وخلو اكثر مراتب هذا العالم عن اربابها فلا تمشى الامور الخسيسة والدنيئة المحتاج اليها فى العالم التى تقوم بها اهل الحجاب والذلة والقسوة والظلمة البعداء عن المحبة والرحمة والنور والعزة فلا ينضبط نظام العالم ولا يتم صلاح المهتدين ايضا لوجوب الاحتياج الى سائر الطبقات فان النظام ينصلح بالمنافى وبالمظاهر كلهم انبياء وسعداء لاختل بعدم النفوس الثلاث وشياطين الانس القائمين بعمارة العالم الاترى الى قوله تعالى انى جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم فوجب فى الحكمة الحقة التفاوت فى الاستعدادات بالقوة والضعف والصفاء والكدورة والحكم بوجود السعداء والاشقياء فى القضاء ليتجلى بجميع الصفات فى جميع المراتب وهذا معنى قوله (ولكن حق القول منى) اى فى القضاء السابق (لأملأن جهنم) الطبيعة (من الجنة) اى النفوس الارضية الخفية عن البصر (والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) لاحتجابكم بالغشاوات الطبيعية والملابس البدنية (انا نسيناكم) بالخذلان عن الرحمة لعدم قبولكم اياها وادباركم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) بسبب اعمالكم فعلى هذا التأويل المذكور تكون الخلد مجازا وعبارة عن الزمان الطويل او يكون الخطاب بذوقوا لمن حق عليهم القول فى القضاء السابق من الجنة والناس (انما يؤمن بآياتنا) على التحقيق بآيات صفاتنا (الذين اذا ذكروا بها خروا) لسرعة قبولهم لها بصفاء فطرتهم (سجدا) فانين فيها (وسبحوا بحمد ربهم) اى جردوا ذواتهم متصفين بصفات ربهم فذلك هو تسبيحهم وحمدهم له بالحقيقة (وهم لايستكبرون) بظهور صفات النفس والانانية (تتجافى جنوبهم) بالتجرد عن الغواشى الطبيعية والقيام (عن المضاجع) البدنية والخروج عن الجهات بمحو الهيآت (يدعون ربهم) بالتوجه الى التوحيد فى مقام القلب (خوفا) من الاحتجاب بصفات النفس بالتلوين (وطمعا) فى لقاء الذات (ومما رزقناهم) من المعارف والحقائق (ينفقون) على اهل الاستعداد (فلا تعلم نفس) شريفة منهم (ما اخفى لهم من قرة أعين) من جمال الذات ولقاء نور الانوار الذى تقربه أعينهم فيجدون من اللذة والسرور مالا يبلغ كنهه ولا يمكن وصفه (جزاء بما كانوا يعملون) من التجريد والمحو فى الصفاء والعمل بأحكام التجليات (أفمن كان مؤمنا) بالتوحيد على دين الفطرة (كمن كان فاسقا لايستوون) بخروجه عن ذلك الدين القيم بحكم دواعى النشأة (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) بحسب مقاماتهم من الجنان الثلاث (نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها) بالميل الفطرى (اعيدوا فيها) لاستيلاء الميل السفلى وقهر الملكوت الارضية بسبب رسوخ الهيئات الطبيعية (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى) الذى هو عذاب الآثار ونيران مخالفات النفوس والطباع فى البليات والشدائد والاهوال دون العذاب الاكبر) الذى هو الاحتجاب بالظلمات عن انوار الصفات والذات (لعلهم يرجعون) الى الله عند تصفية فطرتهم بشدة العذاب الادنى قبل الرين بكثافة الحجاب (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب) كتاب العقل الفرقانى (فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) من لقاء موسى عند بلوغك الى مرتبته فى معراجك كما ذكر فى قصة المعراج انه لقيه فى السماء الخامسة وهو عند ترقيه عن مقام السر الذى هو مقام المناجاة الى مقام الروح الذى هو الوادى المقدس (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا

تأثير كل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) الفتح المطلق يوم القيامة الكبرى بظهور المهدى لاينفع ايمان المحجوبين حينئذ لانه لايكون الا باللسان ولايغنى عنهم العذاب والله تعالى اعلم

(سورة الاحزاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها النبي اتق الله) بالفناء عن ذاتك بالكلية دون بقاء البقية (ولا تطع الكافرين) بموافقتهم في بعض الحجب لظهور الانائية (والمنافقين) بالنظر الى الغير فتكون ذا وجهين وبالانتهاء بحكم هذا النهي وصف بقوله مازاغ البصر وماطغى (ان الله كان عليما) بعلم ذنوب الاحوال (حكيما) في ابتلائك بالتلوينات فانها تنفع في الدعوة واصلاح امر الامة اذ لو لم يكن له تلوين لم يعرف ذلك من امته فلا يمكنه القيام بهدايتهم (واتبع) في ظهور التلوينات (ما يوحى اليك من ربك) من التأديبات وانواع العتاب والتشديدات بحسب المقامات كما ذكر غير مرة في قوله ولولا ان ثبتناك وامثاله (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعلم مصادر الاعمال وانها من اى الصفات تصدر من الصفات النفسانية او الشيطانية او الرحمانية فيهديك اليها ويزكيك منها ويعلمك سبيل التزكية والحكمة في ذلك (وتوكل على الله) في دفع تلك التلوينات ورفع تلك الحجب والغشاوات (وكفى بالله وكيلا) فانها لاترتفع ولاتنكشف الابيده لابنفسك وعلمك وفعلك اى لاتحتجب برؤية الفناء في الفناء فانه ليس من فعلك سواء كان في الافعال او الصفات او الذات او ازالة التلوينات فانها كلها بفعل الله لامدخل لك فيها والا لما كنت فانيا (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) لانه مبدأ كمالاتهم ومنشأ الفيضين الاقدس الاستعدادى اولا والمقدس الكمالى ثانيا فهو الاب الحقيقى لهم ولذلك كانت ازواجه امهاتهم في التحريم ومحافظة الحرمة مراعاة لجانب الحقيقة وهو الواسطة بينهم وبين الحق في مبدا فطرتهم فهو المرجع في كمالاتهم ولايصل اليهم فيض الحق بدونه لانه الحجاب الاقدس واليقين الاول كما قال اول ما خلق الله نورى فلو لم يكن احب اليهم من انفسهم لكانوا محجوبين بانفسهم عنه فلم يكونوا ناجين اذ نجاتهم انما هي بالفناء فيه لانه المظهر الاعظم (وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) بعضهم اولى ببعض من غيرهم للاتصال الروحانى والجسمانى والاخوة الدينية والقرابة الصورية ولاتخلو القرابة من تناسب مافى الحقيقة لاتصال الفيض الروحانى بحسب الاستعداد المزاجى فكما تناسب امزجة اولى الارحام وهياكلهم الصورية فكذلك ارواحهم واحوالهم المعنوية (الا ان تفعلوا الى اوليائكم) المحبوبين في الله للتناسب الروحى والتقارب الذاتى (معروفا) احسانا بمقتضى المحبة والاشتراك في الفضيلة زائدا عما بين الاقارب (كان ذلك في الكتاب) اى اللوح المحفوظ (مسطورا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا) وخصوصا الخمسة المذكورة لاختصاصهم بمزيد المرتبة والفضيلة ميثاق التوحيد والتكميل والهداية بالتبليغ عند الفطرة وهو الميثاق الغليظ المضاعف بالكمال والتكميل ولذلك اضافه اليهم بقوله ميثاقهم اى الميثاق الذى ينبغى لهم ويختص بهم وقدم في الاختصاص بالذكر نبينا عليه السلام بقوله منك لتقدمه على الباقين في الرتبة والشرف (ليسئل) الله بسبب عهدهم وميثاقهم وبواسطة هدايتهم (الصادقين) الذين صدقوا العهد الاول والميثاق الفطرى في قوله الست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) بالوفاء والوصول الى الحق باخراج مافى استعدادهم من الكمال بحضور الانبياء كما قال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالسؤال انما كان مسببا عن ميثاق الانبياء لانه يسألهم على السنتهم وهم الشاهدون لهم آخرا كما كانوا شاهدين عليهم اولا (واعد للكافرين عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لامقام لكم فارجعوا

(ويستأذن)

ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا ولودخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الا يسيرا ولقدكانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهدالله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت اوالقتل واذا لاتمتعون الاقليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان ارادبكم سوأ اوارادبكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياولانصيرا قديعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولايأتون البأس الاقليلا اشحة عليكم فاذاجاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لوانهم بادون فى الاعراب يسئلون عن انبائكم ولوكانوا فيكم ماقاتلوا الاقليلا لقدكان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وجب على كل مؤمن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلقا حتى يتحقق رجاؤه ويتم عمله لكونه الواسطة فى وصولهم والوسيلة فى سلوكهم للرابطة النفيسة بينه وبينهم بحكم الجنسية (وذكر الله كثيرا) وذكر الرجاء اللازم للايمان بالغيب فى مقام النفس وقرن به الذكر الكثير الذى هو عمل ذلك المقام ليعلم ان من كان فى بدايته يلزمه متابعته فى الاعمال والاخلاق والمجاهدة والمواساة بالنفس والمال اذ لولم يحكم البداية لم يفلح بالنهاية ثم اذا تجرد وتزكى عن صفات نفسه فليتابعه فى موارد القلب اى الصدق والاخلاص والتسليم والتوكل كماتابعه فى منازل النفس ليحتظى ببركة متابعته بالمواهب والاحوال وتجليات الصفات فى مقامه كما احتظى بالمكاسب والمقامات وتجليات الافعال فى مقام النفس وكذافى مقام السر والروح حتى الفناء ومن صحة المتابعة تصديقه فى كل مااخبر به بحيث لايعتوره الشك فى شئ من اخباره والافترت العزيمة وبطلت المتابعة فان الاصل والعمدة فى العمل الاعتقاد الجازم ولهذا مدحهم بقوله (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) اذوعدهم الابتلاء والزلزال حتى يخلعوا عن ابدانهم ويتجردوا فى التوجه اليه عن نفوسهم فى قوله ولمايأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرالله (ومازادهم) اى وقوع البلاء بالاحزاب (الاايمانا وتسليما) لقوة اعتقادهم فى البداية وصحة متابعتهم فى التسليم ففازوا بمقام الفتوة والانخلاع بالبلاء وعن قيود النفس لسلامة الفطرة فوصفهم بالوفاء الذى هو كمال مقام الفتوة وسماهم رجالا على الحقيقة بقوله (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) اى رجال اى رجال ماعظم قدرهم لكونهم صادقين فى العهد الاول الذى عاهدوا الله فى الفطرة الاولى بقوة اليقين وعدم الاضطراب عند ظهور الاحزاب فلم يتضعضعوا بكثرتهم وقوتهم عن التوحيد وشهود تجلى الافعال فيقعوا فى الارتياب ويخافوا سطوتهم وشوكتهم (فمنهم من قضى نحبه) بالوفاء بعهده والبلوغ الى كمال فطرته (ومنهم من ينتظر) فى سلوكه بقوة عزيمته (ومابدلوا تبديلا) بالاحتجاب بغواشى النشأة وارتكاب مخالفات الفطرة بمحبة النفس والبدن ولذاتهما والميل الى الجهة السفلية وشهواتها فيكونوا كاذبين فى العهد غادرين (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) جنات الصفات (ويعذب المنافقين) الذين وافقوا المؤمنين بنور الفطرة واحبوهم بالميل الفطرى الى الوحدة واحبوا الكافرين بسبب غواشى النشأة والانهماك فى الشهوة فهم متذبذبون بين الجهتين لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء وبهيآت نفوسهم المظلمة (ان شاء) لرسوخها (اويتوب عليهم) لعروضها وعدم رسوخها (ان الله كان غفورا) يستر هيآت النفوس بنوره (رحيما) بفيض الكمال عند امكان قبوله (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يانساء النبى لستن كاحد من النساء

ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما) اختيار النساء هو احدى خصال التجريد واقدام الفتوة التى يجب متابعته فيها فانه عليه السلام مع ميله اليهن لقوله حبب الى من دنياكم ثلاث لاذ شوشن وقته بميلهن الى الحياة الدنيا وزينتها خيرهن وجرد نفسه عنهن وحكمهن بين اختيار الدنيا ونفسه فان اخترنه لقوة ايمانهن بقين معه بلا تفريق معه بلا تفريق لجمعيته وتشويش لوقته بطلب الزينة والميل اليها بل على التجرد والتوجه الى الحق كقوى نفسه وان اخترن الدنيا وزينتها متعهن وسرحهن وفرغ قلبه عنهن بمثابة امانة القوى المستولية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل) من جملة الخصال التى يجب طاعته ومتابعته فيها وهو مقام الرضا والفناء فى الارادة لكونه عليه السلام اذا فنى بذاته وصفاته فى ذات الله وصفاته تعالى اعطى صفات الحق بدل صفاته عند تحققه بالحق فى مقام البقاء بالوجود الموهوب وكان حكمه وارادته حكم الله وارادته تعالى كسائر صفاته الاترى الى قوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فمن لوازم متابعته الفناء فى ارادة الحق فارادته ارادة الحق فيجب الفناء فى ارادته وترك الاختيار مع اختياره والا لكان عصيانا و (ضلالا مبينا) لكونه مخالفة صريحة للحق (واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) احد التأديبات الالهية النازلة فى تلوينه عند ظهور نفسه للتأديب وتلك التلوينات هى موارد التأديبات ولهذا كان خلقه القرآن (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) باللسان فى مقام النفس والحضور فى مقام القلب والمناجاة فى مقام السر والمشاهدة فى مقام الروح والمواصلة فى مقام الخفاء والفناء فى مقام الذات (وسبحوه) بالتجريد عن الافعال والصفات والذات (بكرة واصيلا) وقت طلوع فجر نور القلب وادبار ظلمة النفس وليل غروب شمس الروح بالفناء فى الذات اى دائما من ذلك الوقت الى الفناء السرمدى (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) بحسب تسبيحكم بتجليات الافعال والصفات دون الذات لاحتراقهم هناك بالسبحات كما قال جبريل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت (ليخرجكم من الظلمات الى النور) بالامداد الملكوتى والتجلى الاسمائى من ظلمة افعال النفوس الى نور تجليات افعاله فى مقام التوكل ومن ظلمة صفات النفوس الى نور تجليات صفاته ومن ظلمة الانائية الى نور الذات (وكان بالمؤمنين رحيما) يرحمهم بما يستدعيه حالهم ويقتضيه استعدادهم من الكمالات (تحيتهم يوم يلقونه سلام) اى تحية الله اياهم وقت اللقاء بالفناء فيه تكميلهم وتسليمهم عن النقص بجبر كسرهم بافعاله وصفاته وذاته او تحيته لهم بافاضة هذه الكمالات وقت لقائهم اياه بالمحو والفناء هى سلامتهم عن آفات صفاتهم وافعالهم وذواتهم او بسلامتهم لان التحية بالتجليات والسلامة عن الآفات تكونان معا والاول يناسب اطلاق اسم السلام على الله تعالى (واعد لهم اجرا كريما) باثابة هذه الجنات عن اعمالهم فى التسبيحات والمذاكرات (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) للحق فى الارسال الى الخلق غير محتجب بالكثرة عن الوحدة مطلقا على احوالهم وكمالاتهم بنور الحق (ومبشرا) للمستعدين السالكين فيه بالفوز بالوصول (ونذيرا) للمحجوبين والواقفين مع الغير بالعقاب والحرمان والحجاب (وداعيا الى الله) كل مستعد بحسب حاله ومقامه (باذنه) وما يسر الله له بحسب استعداده (وسراجا منيرا) ينور

(الخلق)

الحق النفوس المظلمة بغشاوات الجهل وهيآت البدن والطبع (وبشر المؤمنين) المستبصرين بنور الفطرة (بان لهم) بحسب صفاء استعداداتهم (من الله فضلا) بافاضة الكمالات بعدهبة الاستعدادات (كبيرا) من جنات الصفات (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فى التلوينات كما ذكر فى اول السورة فيتكدر نور سراجك (ودع اذاهم) بنفسك لتنجو من آفة التلوين ورؤية فعل الغير فانهم لايفعلون مايفعلون بالاستقلال بانفسهم (وتوكل على الله) برؤية افعالهم وافعالك منه (وكفى بالله وكيلا) يفعل بك وبهم مايشاء فان آذاهم على مظهرك فهو القادر على ذلك مع براءتك عن ذنب التلوين كما فعل عند التمكين والاغهواعلى بشأنه (ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ياأيها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وماملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم فى ازواجهم وماملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافى قلوبكم وكان الله عليما حليما لايحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الاماملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الاان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عندالله عظيما ان تبدوا شيأ او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لاجناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولاماملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) بالامداد وبالتأييدات والافاضة للكمالات فالمصلى فى الحقيقة هو الله تعالى جمعا وتفصيلا بواسطة وغير واسطة ومن ذلك تعلم صلاة المؤمنين عليه وتسليمهم له فانها من حيز التفصيل وحقيقة صلاتهم عليه قبولهم لهدايته وكماله ومحبتهم لذاته وصفاته فانها امداد له منهم وتكميل وتعميم للفيض اذلولم يمكن قبولهم لكمالاته لماظهرت ولم يوصف بالهداية والتكميل فالامداد اعم من ان يكون من فوق بالتأثير اومن تحت بالتأثر وذلك كقبول المحبة والصفاء هو حقيقة الدعاء فى صلاتهم بقولهم اللهم صل على محمد وتسليمهم جعلهم اياه بريئا من النقص والآفة فى تكميل نفوسهم والتأثير فيها وهو معنى دعائهم له بالتسليم (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) لان النبي فى غاية القرب منه بحيث يتحقق به بفناء انيته ولم تبق الانية هناك لخلوص محبته فالمؤذى له يكون مؤذيا لله والمؤذى لله هو الظاهر بانيته نفسه لعداوة الله له فهو فى غاية البعد الذى هو حقيقة اللعن فى الدارين ظاهرا وباطنا وهو مقابل لحضرة العزة فيكون فى غاية الهوان فى عذاب الاحتجاب (ياأيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الاقليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عندالله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا) لمن استعد لها (ان الله لعن الكافرين) لبعدهم عنه بالاحتجاب (واعدلهم سعيرا خالدين فيها ابدا لايجدون وليا ولانصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) بتغير صورهم فى انواع العذاب ونيران الحجاب (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيها ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) بالاجتناب عن الرذائل والسداد فى القول الذى هو الصدق والصواب والصدق هو مادة كل سعادة واصل كل كمال لانه من صفاء

القلب وصفاؤه يستدعى قبول جميع الكمالات وانوار التجليات وهو وان كان داخلا فى التقوى المأمور بها الا انه اجتناب من رذيلة الكذب مندرج تحت التزكية التى عبرعنها بالتقوى لكنه افرد بالذكر للفضيلة كأنه جنس برأسه كاخص جبريل وميكائيل من الملائكة (يصلح لكم اعمالكم) بافاضة الكمالات والفضائل اى زكوا انفسكم لقبول التحلية من الله بفيض الكمالات عليكم (ويغفر لكم ذنوبكم) ذنوب صفاتكم بتجليات صفاته (ومن يطع الله ورسوله) فى التزكية ومحو الصفات (فقد فاز) بالتحلية والاتصاف بالصفات الالهية وهو الفوز العظيم (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) بايداع حقيقة الهوية عندها واحتجابها بالتعينات بها (فأبين ان يحملنها) بان نظر عليهن مع عظم اجرامها لعدم استعدادها لقبولها (واشفقن منها) لعظمها عن اقدارها وضعفها عن حملها وقبولها (وحملها الانسان) لقوة استعداده واقتداره على حملها فانتحلها لنفسه باضافتها اليه (انه كان ظلوما) يمنع حق الله حين ظهر بنفسه وانتحلها (جهولا) لايعرفها لاحتجابه بانانيته عنها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات) الذين ظلموا بمنع ظهور نور استعدادهم بظلمة الهيئات البدنية والصفات النفسانية ووضعوه فى غير موضعه فجهلوا حقه (والمشركين والمشركات) الذين جهلوا لاحتجابهم بالانانية والوقوف مع الغير بغلبة الرين وكثافة الحجب الخلقية فعظم ظلمهم لانطفاء نورهم بالكلية وامتناع وفائهم بالامانة الالهية (ويتوب على المؤمنين والمؤمنات) الذين تابوا عن الظلم بالاجتناب عن الصفات النفسانية المانعة عن الاداء وعدلوا بابراز مااخفوه من حق الله عند الوفاء وعن الجهل بحقه اذ عرفوه وادوا امانته اليه بالفناء (وكان الله غفورا) ستر ذنوب ظلمهم وجهلهم من التزكية والتصفية والتجريد والمحو والطمس بانوار تجلياته (رحيما) رحمهم بالوجود الحقانى عند البقاء بافعاله وصفاته وذاته اوعرضنا الامانة الالهية بالتجلى عليها وايداع ماتطيق حملها فيها من الصفات بجعلها مظاهر لها اوفابين ان يحملنها بخيانتها وامساكها عندها والامتناع عن ادائها واشفقن من حملها عندها فأدينها باظهار مااودع فيها من الكمالات وحملها الانسان باخفائها بالشيطنة وظهور الانانية والامتناع عن ادائها باظهار مااودع فيه من الكمال وامساكها بظهور النفس بالظلمة والمنع عن الترقى فى مقام المعرفة والله اعلم

* (سورة سبا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله الذى له مافى السموات وما فى الارض) بجعله مظاهر لصفاته الظاهرة وكمالاته الباهرة وظهوره فيها بالحجب الجلالية (وله الحمد فى الآخرة) بتجليه على الارواح بالكمالات الباطنة والصفات الجمالية اى له الحمد بالصفات الرحمانية فى الدنيا ظاهرا وله الحمد بالصفات الرحيمية فى الآخرة باطنا (وهو الحكيم) الذى احكم ترتيب عالم الشهادة بمقتضى حكمته (الخبير) الذى نفذ علمه فى بواطن عالم الغيب للطافته (يعلم مايلج فى الارض) من الملكوت الارضية والقوى الطبيعية (ومايخرج منها) بالتجريد من النفوس الانسانية والكمالات الخلقية (وماينزل من السماء) من المعارف والحقائق الروحانية (ومايعرج فيها) من هيئات الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة (وهو الرحيم) بافاضة الكمالات السماوية النورانية (الغفور) بستر الهيئات الارضية الظلمانية (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم) اى العلماء المحققون يرون حقية ماانزل اليك عيانا لان المحجوب لايمكنه معرفة العارف وكلامه اذ كل عارف بشئ لايعرفه الا بمافيه من معناه فمن لم يكن له حظ من العلم ونصيب من المعرفة لايعرف العالم العارف وعلمه لخلوه عما به يمكن معرفته (الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط) طريق الوصول الى الله (العزيز) الذى يغلب المحجوبين ويمنعهم بالقهر والقمع (الحميد) الذى ينعم على المؤمنين بانواع اللطف ولو لم يعتبر تطبيق الصفتين على قوله ليجزى الذين آمنوا الى آخره واعتبر التطبيق على قوله ويرى الذين اوتوا العلم لكان معنى العزيز القوى الذى يغلب الواصلين بالافناء الحميد الذى ينعم عليهم بصفته عند البقاء (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا

مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود) الروح (منا فضلا) بعلو الرتبة وتسبيح المشاهدة والمناغاة في المحبة مع مزيد العبادة والتفكر والكمالات العلمية والعملية بان قلنا يا جبال الاعضاء (يا جبال اوبي) اي سبحي (معه والطير) بالتسبيحات المخصوصة بك من الانقياد والتمرن في الطاعات بالحركات والسكنات والافعال والانفعالات التي امرناك بها وطير القوى الروحانية بالتسبيحات القدسية من الاذكار والادراكات والتعقلات والاستفاضات والاستشراقات من الارواح المجردة والذوات المفارقة كل بما امر (والنا له الحديد) حديد الطبيعة الجسمانية العنصرية (ان اعمل سابغات) من هيئات الورع والتقوى فان الورع الحصين في الحقيقة هو لباس الورع الحافظ من صوارم دواعي اعادي النفوس وسهام نوازع الشياطين (وقدر) في السرد بالحكمة العملية والصنعة المتقنة العقلية والشرعية في ترغيب الاعمال المزكية ووصول الهيآت المانعة من تأثير الدواعي النفسية (واعملوا صالحا) ايها العاملون لله بالحمية في الجهة السفلية الى الجهة العلوية عملا صالحا يصعدكم في الترقي الى الحضرة الالهية ويعدكم لقبول الانوار القدسية والخطاب لداود الروح وآله من القوى الروحانية والنفسانية والاعضاء البدنية (اني بما تعملون بصير ولسليمان الريح) القلب ريح الهوى النفسانية (غدوها شهر) اي جريها غداة طلوع نور الروح واشراق شعاع القلب واقبال النهار سير طور في تحصيل الاخلاق والفضائل والطاعات والعبادات والصوالح التي تتعلق بسعادة المعاد (ورواحها شهر) اي جريها رواح غروب الانوار الروحية في الصفات النفسية وزوال تلألؤ اشعتها وادبار نهار النور سير طور آخر في ترتيب مصالح المعاش من الاقوات والارزاق والملابس والمناكح وما يتعلق بصلاح النظام وقوام البدن (واسلنا له عين القطر) قطر الطبيعة البدنية الجامدة بالتمرن في الطاعات والمعاملات (ومن الجن) جن القوى الوهمية والخيالية (من يعمل بين يديه) بحضوره في التقديرات المتعلقة بصلاح العالم وعمارة البلاد ورفاهية العباد والتركيبات والتفصيلات المتعلقة بصلاح النفس واكتساب العلوم (من يعمل بين يديه باذن ربه) بتسخيره اياها له وتيسيره الامور على ايديها (ومن يزغ منهم عن امرنا) بمقتضى طبيعته الجنية وينحرف عن الصواب والرأي العقلي بالميل الى الزخارف النفسية واللذات البدنية (نذقه من عذاب السعير) بالرياضة القوية وتسليط القوى الملكية عليها بضرب السياط الناربة من الدواعي العقلية القهرية الحالفة للطباع الشيطانية (يعملون له ما يشاء من محاريب) المقامات الشريفة (وتماثيل) الصور الهندسية (وجفان كالجواب) من ظروف الارزاق المعنوية والاغذية الروحانية بمحاكاة المعاني بالصور الحسية وابداع الحقائق في الامثلة الصورية وادراج المدركات الكلية والواردات الغيبية في الملابس اللفظية والهيآت الجزئية واسعة كالحياض لكونها غريبة عن المواد الهيولانية وان اكتنفت باللواحق المادية والعوارض الجسمانية (وقدور راسيات) من تهيئة الاستعدادات بتركيب القياسات المستقيمة واعداد موارد العلوم والمعارف بالآراء الصائبة والعزائم القوية الثابتة (اعملوا آل داود) الروح بما سخرنا لكم ما سخرنا وافضنا عليكم من نعم الكمالات ما افضنا (شكرا) باستعمال هذه النعم في طريق السلوك والتوجه الي واداء حقوق العبودية بالفناء في لا في تدبير المملكة الدنيوية واصلاح الكمالات البدنية (وقليل من عبادي الشكور) الذي يعمل استعمال النعم في طاعة الله العمل الخالص لوجه الله (فلما قضينا عليه الموت) بالفناء في في مقام السر (ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته) اي ما اهتدوا الى فنائه في مقام الروح وتوجهه الى الحق في حال السر الا بحركة الطبيعة الارضية وقواها البدنية الضعيفة الغالبة على النفس الحيوانية التي هي منسأته اذ لا طريق لهم الى الوصول الى مقام السر ولا وقوف على حال القلب فيه ولا شعور بكونه في طور وراء الموارهم الا برابطة اتصال الطبيعة البدنية المتصلة به المقهورة بالقوى الطبيعة لضعفها بالرياضة وانقطاع مدد القلب عنها حينئذ اي لا يطلعون الا على حال الدابة التي تأكل المنسأة بالاستيلاء عليها لان النفس الحيوانية عند عروج القلب ضعفت وسقطت قواها ولم يبق منها الا القوى الطبيعة الحاكمة عليها (فلما خر) من صعقة الموسوية وذهل في الحضور والاشتغال بالحضرة الالهية عن استعمالها في الاعمال واعمالها بالرياضات (تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب) غيب مقام

الصبر بالاطلاع على المكاشفات لوكانوا مجردين (مالبثوا فى العذاب المهين) من الرياضة الشاقة التى تمنعهم الحظوظ والمرادات لوفق مقتضيات الطباع والاهواء بالمخالفات والاجبار على الاعمال المتعبة فى السلوك والاقتصار بها على الحقوق (لقد كان لسبا) اهل مدينة البدن (فى مساكنهم) فى مقارهم ومحالهم (آية) دالة لهم على صفات الله وافعاله (جنتان عن يمين وشمال) جنة الصفات والمشاهدات عن يمينهم من جهة القلب والبرزخ التى هى اقوى الجهتين واشرفهما وجنة الآثار والافعال عن شمالهم من جهة الصدر والنفس التى هى اضعف الجهتين واخسهما (كلوا من رزق ربكم) من الجهتين كقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (واشكروا له) باستعمال نعم ثمراتها فى الطاعات والسلوك فيه بالقربات (بلدة طيبة) باعتدال المزاج والصحة (ورب غفور) بستر هيآت الرذائل وظلمات النفوس والطباع بنور صفاته وافعاله ملكم التمكين من جهة الاستعداد والاسباب والآلات والتوفيق بالامداد وافاضات الانوار (فأعرضوا) عن القيام بالشكر والتوسل بها الى الله بل عن الاكل من ثمراتها التى هى العلوم النافعة والحقيقية بالانهماك فى اللذات والشهوات والانغماس فى ظلمات الطبائع والهيئات. (فأرسلنا عليهم سيل العرم) الطبيعة الهيولانية بنقب جرذان سيول الطبائع العنصرية سكر المزاج الذى سدته بلقيس النفس التى هى ملكتهم * والعرم الجرذ (وبدلناهم بجنتيهم جنتين) من شوك الهيئات المؤذية واثل الصفات السيئة البهيمية والسبعية والشيطانية (ذواتى اكل خمط واثل) اى ثمرة مرة بشعة كقوله طلعها كأنه رؤس الشياطين (واثل وشئ من سدر) بقاء الصفات الانسانية (قليل ذلك) العقاب (جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم الم (وهل نجازى) بذلك (الا الكفور) الذى يستعمل نعمة الرحمن فى طاعة الشيطان (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) من الحضرة القلبية والسرية والروحية والالهية بالتجليات الافعالية والصفاتية والاسمائية الذاتية وانوار المكاشفات والمشاهدات (قرى ظاهرة) مقامات ومنازل مترائية متواصلة كالصبر والتوكل والرضا وامثالها (وقدرنا فيها السير) الى الله وفى الله مرتبا يرتحل السالك فى الترقى من مقام وينزل فى مقام (سيروا فيها) فى منازل النفوس (ليالى) وفى مقامات القلوب ومواردها (واياما آمنين) بين القواطع الشيطانية وغلبات الصفات النفسانية بقوة اليقين والنظر الصحيح على منهاج الشرع المبين (فقالوا) بلسان الحال والتوجه الى الجهة السفلية المبعدة عن الحضرة القدسية والميل الى المهاوى البدنية والسير فى المهامه الطبيعية والمهالك الشيطانية (ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم) بالاحتجاب عن انوار القرى المباركة بظلمات البرازخ المحسوسة (فجعلناهم احاديث) وآثارا سائرة بين الناس فى الهلاك والتدمير (ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) بالتفرق والتفريق (ولقد صدق عليهم) على الناس (ابليس ظنه) فى قوله لأضلنهم ولأغوينهم ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وامثال ذلك والفريق المستثنون هم المخلصون (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ) اى ما سلطناه عليهم الا ليظهر علمنا فى مظاهر علماء المحققين المخلصين وامتيازهم عن المحجوبين المرتابين فان المستعد الموفق الصافى القلب ينبع علمه من مكمن الاستعداد ويتفجر من قلبه عند وسوسة الشيطان فيرجمه بمصابيح الحجج النيرة ويطرده بالعياذ بالله عند ظهور مفسدته الغوية بخلاف غيره من الذين اسودت قلوبهم بصفات النفوس وناسبت بجبلاتهم مكايد الشيطان واحوال القيامة الكبرى من الجمع والفصل والفتح بين الحق والمبطل ومقالات الظالمين كلها تظهر عند ظهور المهدى عليه السلام قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا

(لولا)

لولاانتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعداذجاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لمارأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لايعلمون وما اموالكم ولااولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشأ من عباده ويقدر له وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وماارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم ومابلغوا معشار ماآتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ماسألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب

* (سورة الملائكة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء) من جهات التأثير الكائنة فى الملكوت السماوية والارضية بالاجنحة جعلها الله رسلا مرسلة الى الانبياء بالوحى والاولياء بالالهام والى غيرهم من الاشخاص الانسانية وسائر الاشياء بتصريف الامور وتدميرها فما يصل بتأثيرهم الى مايتأثر منه فهو جناح فكل جهة تأثير جناح مثلا ان العاقلتين العلمية والنظرية جناحا النفس الانسانية والمدركة والحركة الباعثة والمحركة الفاعلة ثلاثة اجنحة للنفس الحيوانية والغاذية والنامية والمولدة والمصورة اربعة اجنحة للنفس النباتية ولاتنحصر اجنحتهم فى العدد بل لهم بحسب تنوعات التأثيرات اجنحة ولهذا حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح واشار الى كثرتها بقوله تعالى (يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الاهو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور ياأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) اى العزة صفة من صفات الله مخصوصة به من ارادها فعليه بالفناء فى صفات الله تعالى عن صفاته ثم على طريق التجريد ومحو الصفات بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب) اى النفوس الصافية الطيبة عن خبائث الطبائع الباقية على نور فطرتها الذاكرة لميثاق توحيدها (والعمل

الصالح) بالتزكية والتحلية (يرفعه) اي يرفع ذلك الجنس الطيب الى حضرته دون غيره فيتصف بصفة العزة وسائر الصفات او اليه يصعد العلم الحقيقي من التوحيد الاصلي الفطري الطيب عن خبائث التوهمات والتخيلات والعمل الصالح بمقتضاه يرفعه دون غيره كما قال امير المؤمنين عليه السلام العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اي سلم الصعود الى الحضرة الالهية هو العلم والعمل لا يمكن الترقي الا بهما ولا يكفي التوحيد الذي هو الاصل في الاتصاف بعزته وسائر صفاته لان الصفات مصادر الافعال فما لم يترك الافعال النفسية التي مصادرها صفات النفس بالزهد والتوكل ولم يتجرد عن هيآتها بالعبادة والتذلل لم يحصل استعداد الاتصاف بصفاته تعالى فكان العلم الحقيقي الذي هو التوحيد بمثابة عضادتي السلم والعمل بمثابة الدرجات في الترقي (والذين يمكرون السيئات) بظهور صفات النفوس وان كانوا عالمين (لهم عذاب شديد) من هيآت الاعمال القبيحة المؤذية (ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) اي ما يخشى الله الا العلماء العرفاء به لان الخشية ليست هي خوف العقاب بل هيئة في القلب خشوعية انكسارية عند تصور وصف العظمة واستحضارها فمن لم يتصور عظمته لم يمكنه خشية ومن تجلى الله له بعظمته خشيه حق خشيته وبين الحضور التصوري الحاصل للعالم الغير العارف وبين التجلي الثابت للعالم العارف بون بعيد ومراتب الخشية لا تحصى بحسب مراتب العلم والعرفان (ان الله عزيز) غالب على كل شيء بعظمته (غفور) يستر صفة تعظم النفس وهيئة تكبرها بنور تجلي عزته (ان الذين يتلون كتاب الله) الذي اعطاهم في بدء الفطرة من العقل القرآني باظهاره وابرازه احسن فرقانا (واقاموا الصلوة) صلاة الحضور القلبي عند ظهور العلم الفطري (وانفقوا مما رزقناهم) من صفة العلم واعمال الموجب لظهوره عليهم (سرا) بالتجريد عن الصفات (وعلانية) بترك الافعال (يرجون) في مقام القلب بالترك والتجريد (تجارة لن تبور) من استبدال افعال الحق وصفاته بافعالهم وصفاتهم (ليوفيهم اجورهم) في جنات النفس والقلب من ثمرات التوكل والرضا (ويزيدهم من فضله) في جنات الروح مشاهدات وجهه في التجليات (انه غفور) يستر لهم ذنوب افعالهم وصفاتهم (شكور) يشكر سعيهم بالابدال من افعاله وصفاته (والذي اوحينا اليك من الكتاب) الفرقاني المطلق (هو الحق) الثابت المطلق الذي لا مزيد عليه ولا نقص فيه (مصدقا لما بين يديه) لكونه مشتملا عليها حاويا لما فيها بأسرها (ان الله بعباده لخبير) يعلم احوال استعداداتهم (بصير) باعمالهم يعطيهم الكمال على حسب الاستعداد بقدر الاستحقاق بالاعمال (ثم اورثنا) منك هذا (الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الصديقين المخصوصين من عند الله بمزيد العناية وكمال الاستعداد بالنسبة الى سائر الامم لانهم لا يرثون ولا يصلون اليه الا منك وبواسطتك لانك المعلي اياهم الاستعداد والكمال فنسبتهم الى سائر الامم نسبتك الى سائر الانبياء (فمنهم ظالم لنفسه)

(بنقص)

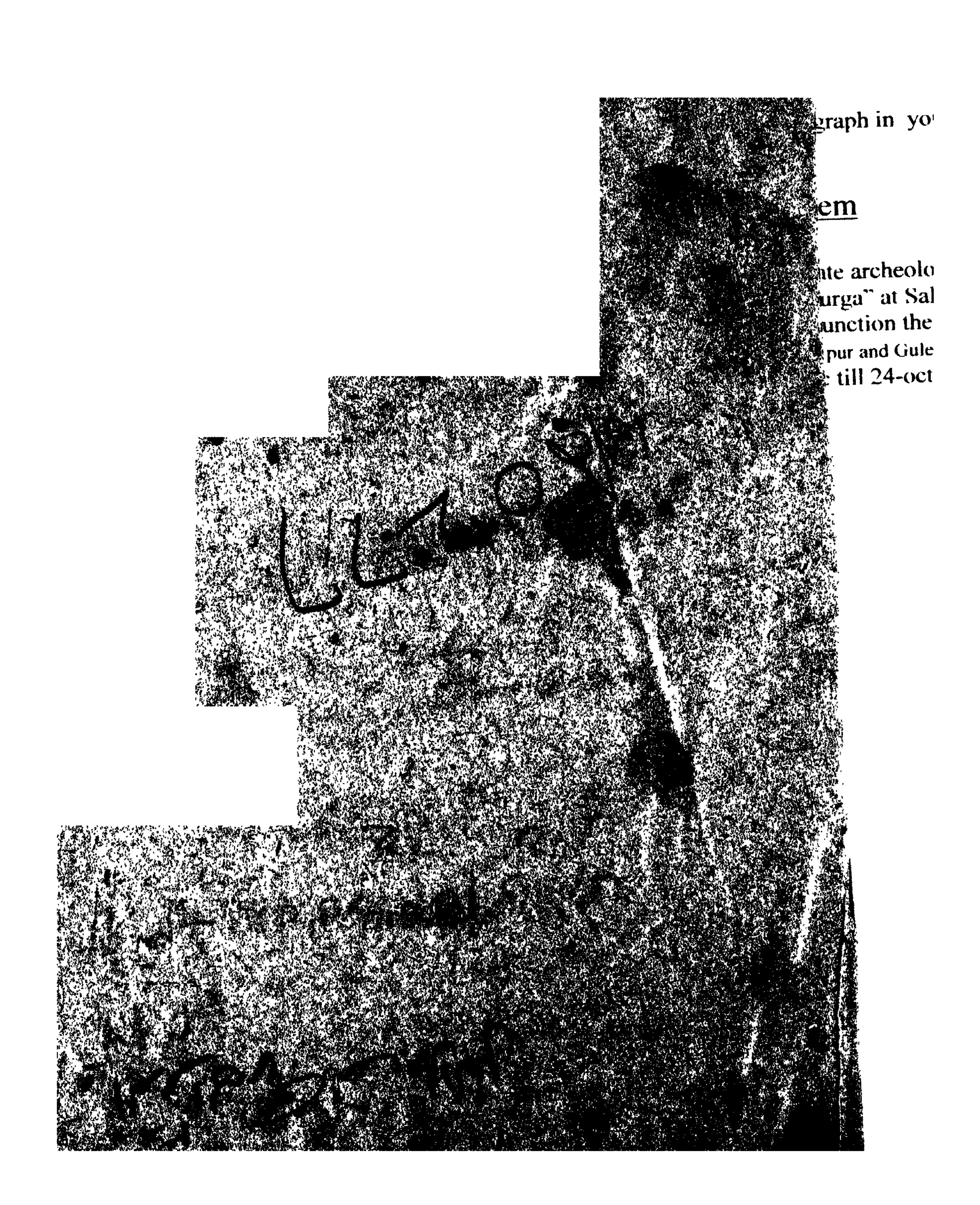
بنقض حق استعداده ومنعه من خروجه الى الفعل وخيانته في الامانة المودعة عنده بحملها وامساكها والامتناع من ادائها
لانهماكه في اللذات البدنية والشهوات النفسانية (ومنهم مقتصد) يسلك طريق اليمين ويختار الصالحات من الاعمال
والحسنات ويكتسب الفضائل والكمالات في مقام القلب (ومنهم سابق بالخيرات) التي تجليات الصفات
الى الفناء في الذات (باذن الله) بتيسيره وتوفيقه (ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن) من الجنان الثلاث (يدخلونها
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) صور كمالات الاخلاق والفضائل والاحوال والمواهب
المصوغة بالاعمال من ذهب العلوم الروحانية ولؤلؤ المعارف والحقائق الكشفية الذوقية فلباسهم فيها حرير الصفات الالهية
(وقالوا) بالسنة احوالهم واقوالهم عند اتصافهم بجميع الصفات الحميدة حالة البقاء بعد الفناء (الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن) اللازم لفوات الكمالات الممكنة بحسب الاستعدادات بهبته لنا اياها في الوجود الحقاني (ان ربنا لغفور شكور)
جزاؤنا منه اوفى وابق لتحققه بسعينا (الذي احلنا دار المقامة من فضله) الاقامة الدائمة التي لا انتقال منها بوجه في هذا
الوجود الموهب من عطائه الصرف وفضله المحض (لا يمسنا فيها نصب) بالسعي والانتقال (ولا يمسنا فيها لغوب)
بالسير والترحال (والذين كفروا) المحجوبون منك بالانكار الذين لا يتبلون الكتاب ولا يرثونه لبعدهم عنك
في الحقيقة فلا تقارب ولا تواصل بينك وبينهم (لهم نار جهنم) جهنم الطبيعة يعذبون فيها بانواع الحرمان والآلام دائما
(لا يقضى عليهم فيموتوا) ويستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) فينفسوا والله اعلم

(كذلك نجزي كل كفور) (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذي
جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم
كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون
الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

(تم تفسير الجلد الثالث من تفسير الشيخ الاكبر ويليه الجلد الرابع)

* (فهرست الجزء الثالث من تفسير القرآن الجليل للامام على بن محمد الخازن) .

* (فهرست الحاشية لتفسير الشيخ الاكبر) *



graph in yo

em

ite archeolo
urga" at Sal
unction the
pur and Gule
till 24-oct